جواهر الأدب

[illegible] مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتاب

الجزء الخامس

جمعه العلامة [illegible] بستاني

[illegible] ابراهيم صادر

[illegible]

[illegible]

[illegible] صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت سنة ١٩٢٦

المقدمة

ان هذا الجزء موضوع لطلاب البيان الذين لا مندوحة لهم عن خوض ميدان الانشاء والتدرب بأساليبه حتى اذا وقفوا على ما انتقيناهُ لهم من الأطايب نظماً ونثرًا رسخت فيهم ملكة البلاغة وعرفوا كيف تفرغ المعاني الشعرية في قوالبها الصحيحة . ومن هنا يعرفون مبلغ ما قاسيناه من العناء في اختيار المواد التي يفتقرون اليها بعد صرفهم اعواماً في مضمار الارتياض اذ قضت علينا الحال ان نتصفح اشهر الدواوين الشعرية والتصانيف الادبية من العصر الجاهلي الى هذا العصر رجاء ان ننتخب لهم منها ما يفي بالارب وتقف عنده مطايا الطلب . وبديهي ان هذا الكتاب هو اضيق من ان يستوعب جميع العقود التي نظمتها اقلام مشاهير الشعراء والكتَّاب في قرون متوالية ولذلك رأينا من الحكمة ان نلتقط منها انفس الفرائد . وربما اخترنا من القصيدة الضافية الاهداب بضعة ابيات حتى لا يذخر الطالب في ذهنه الّا اللآلئ اليتيمة ولا يألف يراعه سوى التراكيب البليغة والالفاظ الرقيقة والمعاني السامية بحيث اذا اراد ان يكتب او ينظم في موضوع املى عليه ذهنه مما يكون قد التقطه من تلك القلائد المنثورة فيفرغهُ في قوالب البلاغة ويصوغه ابدع صياغة

وإنما تحرَّينا هـذا النمط في الاختيار لئلَّا يعلق في حافظة الطلاب شيء من الشوائب التي تكاد لا تخلو قصيدة عنها . فَلأَن يحفظوا عشرة ابيات من قصيدة طويلة الاذناب خيرٌ من ان يستظهروها برمتها فيسري الى ذوقهم الفساد مما يتسرب في ذاكرتهم من الالفاظ الوحشية والتعابير السقيمة والمعاني المبتذلة . ولقد علمنا الاختبار ان المنظومات الطويلة كثيرًا ما تورث الطلبة مللًا في اثناء استظهارها ولا سيما اذا كان عليها عيار . وبناء عليـه فنسوق الرجاء الى حضرات الاساتذة الكرام ألَّا ينحوا علينا باللائمة لاتباعنا هذه الخطة في الانتقاء . واذا شاؤوا ان يمرنوا خِرّيجيهم على فن النقد اختاروا لهم القصائد العصرية او وضعوا بين ايديهم من مثل ديوان المتنبي فانهُ وافٍ بهـذا الغرض وهم من ابصر الادبا بحاجات التلامذة وادراهم بمذاهب الاستفادة والتحصيل

الباب الاول

في الانشاء

الفصل الاول

« في أركانِ الكِتابةِ »

إعلَمْ أنَّ لِلكِتابةِ أركانًا لا بُدَّ مِنْ إيداعِها في كُلِّ كِتابٍ بِلا غِيٍّ ذي شأنٍ . أوَّلُها أنْ يكونَ مَطلَعُ الكِتابِ عليهِ حِدَّةٌ ورَشاقةٌ فإنَّ الكاتِبَ مَنْ أجادَ المَطلَعَ والمَقطَعَ . أوْ يكونَ مبنيا على مَقصِدِ الكِتابِ . الثاني أنْ يكونَ خُروجُ الكاتِبِ مِنْ مَعنًى إلى مَعنًى بِرابطةٍ لِتكونَ رِقابُ المَعاني آخِذةً بعضُها بِبَعضٍ ولا تكونَ مُقتَضَبةً . الثالِثُ أنْ تكونَ ألفاظُ الكِتابِ غَيرَ مُخلَولِقةٍ بِكَثرةِ الاستِعمالِ . ولا أُريدُ بِذلِكَ أنْ تكونَ ألفاظًا غَريبةً فإنَّ ذلك عَيبٌ فاحِشٌ بَلْ أُريدُ أنْ تكونَ الألفاظُ المُستَعمَلةُ مَسبوكةً سَبكًا غَريبًا يظُنُّ السامِعُ أنَّها غَيرُ ما في أيدي النّاسِ وهِيَ مِمّا في أيدي النّاسِ . وهُناكَ مُعتَرَكُ الفَصاحةِ الّتي تُظهِرُ فيهِ الخَواطِرُ بَراعتَها والأقلامُ شَجاعتَها . وهذا المَوضِعُ

بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر وليس كل خاطر براق إلى هذه الدرجة. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. ومع هذا فلا تظن أيها الناظر في كتابي أني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة. ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها إلا أن صاحبها بليد أبله. والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسماً لمعنى شريف. على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها. ولقد رأيت كثيراً من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين. فالعبارة عن المعاني هي التي تخلب بها العقول. وعلى هذا فإن الناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علماً من العلوم أن يكون ذكياً بالفطرة. واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء لا بتعلم العلم.

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت بها في كل

كِتَابٍ بَلاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ فَقَدِ ٱسْتَحْقَقْتَ حِينَئِذٍ فَضِيلَةَ ٱلتَّقَدُّمِ وَوَجَبَ لَكَ أَنْ تُسَمِّيَ نَفْسَكَ كَاتِباً

(عن المثل السائر باختصار)

« الفصل الثاني »

« فِي كَيْفِيَّةِ نَظْمِ ٱلْكَلَامِ »

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْنَعَ كَلاماً فَأَخْطِرْ مَعَانِيَهُ بِبَالِكَ وَتَنَقَّ لَهُ كَرَائِمَ ٱللَّفْظِ وَٱجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرٍ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَنَاوُلُهَا وَلَا يُتْعِبَكَ تَطَلُّبُهَا . وَٱعْمَلْهُ مَا دُمْتَ فِي شَبَابِ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ ٱلْفُتُورُ وَتَخَوَّنَكَ ٱلْمَلَالُ فَأَمْسِكْ . فَإِنَّ ٱلْكَثِيرَ مَعَ ٱلْمَلَالِ قَلِيلٌ وَٱلنَّفِيسَ مَعَ ٱلضَّجَرِ خَسِيسٌ . وَٱلْخَوَاطِرُ كَٱلْيَنَابِيعِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ فَتَجِدُ حَاجَتَكَ مِنَ ٱلرِّيِّ وَتَنَالُ أَرَبَكَ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ . فَإِذَا أَكْثَرْتَ عَلَيْهَا نَضَبَ مَاؤُهَا وَقَلَّ عَنْكَ غَنَاؤُهَا . وَٱعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمُكَ ٱلْأَطْوَلُ بِٱلْكَدِّ وَٱلْمُطَالَبَةِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ وَٱلتَّكَلُّفِ وَٱلْمُعَاوَدَةِ . وَإِيَّاكَ وَٱلتَّوَعُّرَ فَإِنَّ ٱلتَّوَعُّرَ يُسْلِمُكَ إِلَى ٱلتَّعْقِيدِ وَٱلتَّعْقِيدُ هُوَ ٱلَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيَكَ وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ . وَمَنْ أَرَادَ مَعْنًى كَرِيماً فَلْيَلْتَمِسْ لَهُ لَفْظاً كَرِيماً فَإِنَّ مِنْ حَقِّ ٱلْمَعْنَى ٱلشَّرِيفِ ٱللَّفْظَ ٱلشَّرِيفَ . فَإِذَا لَمْ تَجِدِ ٱللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا حَالَّةً فِي مَرْكَزِهَا

مُتَّصِلَةً بِسِلْكِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلِقَةً فِي مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلا تُكْرِهْهَا عَلى اغْتِصَابِ الْأَمَاكِنِ وَالنُّزُولِ فِي غَيْرِ أَوْطَانِهَا . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرِيضَ الشِّعْرِ الْمَنْظُومِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْكَلامِ الْمَنْثُورِ لَمْ يَعِبْكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ . وَإِنْ تَكَلَّفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَاذِقاً مَطْبُوعاً وَلَا مُحْكِماً لِشَأْنِكَ بَصِيراً عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقَلُّ عَيْباً مِنْهُ وَزَرَى عَلَيْكَ مَنْ هُوَ دُونَكَ

فَإِنْ لَمْ تَسْمَحْ لَكَ الطَّبِيعَةُ بِنَظْمِ الْكَلامِ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَتَعَصَّى عَلَيْكَ بَعْدَ إِجَالَةِ الْفِكْرَةِ فَلا تَعْجَلْ وَدَعْهُ سَحَابَةَ يَوْمِكَ وَلَا تَضْجَرْ وَأَمْهِلْهُ سَوَادَ لَيْلَتِكَ وَعَاوِدْهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمُ الْإِجَابَةَ وَالْمُوَاتَاةَ . فَإِنْ تَمَنَّعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيحِ الْخَاطِرِ وَطُولِ الْإِمْهَالِ فَتَحَوَّلْ مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ إِلى أَشْهَى الصِّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخَفِّهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْتَهِهَا إِلَّا وَبَيْنَكُمَا نَسَبٌ . وَالشَّيْءُ لَا يَحِنُّ إِلَّا إِلى مَا شَاكَلَهُ

(عن كتاب الصناعتين . باختصار)

الفصل الثالث

« فِي الطَّرِيقِ إِلى تَعَلُّمِ الْكِتَابَةِ »

إِنَّ الطَّرِيقَ إِلى تَعَلُّمِ الْكِتَابَةِ عَلى ثَلاثِ شُعَبٍ : الْأُولَى

أَنْ يَتَصَفَّحَ ٱلْكاتِبُ كِتَابَةَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلى أَوْضاعِهِمْ فِي ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَلْفاظِ وَٱلْمَعَانِي ثُمَّ يَحْذُوَ حَذْوَهُمْ وَهٰـذِهِ أَدْنَى ٱلطَّبَقاتِ عِنْدِي . وَٱلثَّانِيَةُ أَنْ يَمْزُجَ كِتَابَةَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَجِيدُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةٍ حَسَنَةٍ إِمَّا فِي تَحْسِينِ أَلْفَاظٍ أَوْ فِي تَحْسِينِ مَعَانٍ وَهٰذِهِ هِيَ ٱلطَّبَقَةُ ٱلْوُسْطَى وَهِيَ أَعْلى مِنَ ٱلَّتِي قَبْلَهَا . وَٱلثَّالِثَةُ أَنْ لَا يَتَصَفَّحَ كِتَابَةَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلى حِفْظِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَاوِينِ فُحُولِ ٱلشُّعَرَاءِ مِمَّنْ غَلَبَ عَلى شِعْرِهِ ٱلْإِجَادَةُ فِي ٱلْمَعَانِي وَٱلْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذَ فِي ٱلِاقْتِبَاسِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ وَيُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَيَضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلى طَرِيقَةٍ يَفْتَتِحُهَا لِنَفْسِهِ . وَأَخْلِقْ بِتِلْكَ ٱلطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لَا شِرْكَةَ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهٰذِهِ ٱلطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ ٱلِاجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعَدُّ إِمَاماً فِي فَنِّ ٱلْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَوْعِرَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ ٱللهُ لِسَانًا هَجَّاماً وَخَاطِراً رَقَّاماً . وَلَا أُرِيدُ بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ ٱلْكاتِبُ مُرْتَبِطاً فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ وَٱلشِّعْرِ بِحَيْثُ لَا يُنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذٰلِكَ بَلْ أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ ٱلْقُرْآنَ وَأَكْثَرَ مِنْ حِفْظِ ٱلْأَشْعَارِ ثُمَّ نَقَّبَ عَنْ ذٰلِكَ تَنْقِيبَ مُطَّلِعٍ عَلى مَعَانِيهِ مُفَتِّشٍ عَنْ دَفَائِنِهِ وَقَلَّبَهُ

ظَهْراً لِبَطْنٍ عَرَفَ حِينَئِذٍ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ ٱلْكَتِفُ فِيمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَٱسْتَعَانَ بِٱلْمَحْفُوظِ عَلَى ٱلْغَرِيزَةِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ

(المثل السائر . باختصار) .

﴿ الفصل الرابع ﴾

« فِي تَهْذِيبِ ٱلْكَلَامِ وَأَوْقَاتِ تَأْلِيفِهِ »

تَهْذِيبُ ٱلْكَلَامِ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْدَادِ ٱلنَّظَرِ فِيهِ بَعْدَ عَمَلِهِ نَظْماً كَانَ أَوْ نَثْراً وَتَغْيِيرِ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفِ مَا يَنْبَغِي حَذْفُهُ وَإِصْلَاحِ مَا يَتَعَيَّنُ إِصْلَاحُهُ وَتَحْرِيرِ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ وَٱطِّرَاحِ مَا يَتَجَافَى عَنْ مَضَاجِعِ ٱلرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ أَلْفَاظِهِ لِتُشْرِقَ شُمُوسُ ٱلتَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ بَلَاغَتِهِ وَتَرْشُفَ ٱلْأَسْمَاعُ عَلَى ٱلْأَرَبِ رَقِيقَ سُلَافَتِهِ . فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ إِذَا كَانَ مَوْصُوفاً بِٱلْمُهَذَّبِ مَنْعُوتاً بِٱلْمُنَقَّحِ عَلَتْ رُتْبَتُهُ وَإِنْ كَانَتْ مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكَرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعَ هٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ غَيْرُهَا أَوْ تَقَدَّمَ هٰذَا ٱلْمُتَأَخِّرُ وَتَأَخَّرَ هٰذَا ٱلْمُتَقَدِّمُ أَوْ لَوْ تُمِّمَ هٰذَا ٱلنَّقْصُ بِكَذَا أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هٰذَا ٱلْوَصْفُ بِكَذَا ، أَوْ لَوْ حُذِفَتْ هٰذِهِ ٱللَّفْظَةُ أَوْ لَوِ ٱتَّضَحَ هٰذَا ٱلْمَقْصِدُ وَسَهُلَ هٰذَا ٱلْمَطْلَبُ لَكَانَ أَحْسَنَ وَٱلْمَعْنَى أَبْيَنَ ، كَانَ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامُ غَيْرَ مُنْتَظِمٍ فِي نَوْعِ ٱلتَّهْذِيبِ

وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى مَعْرُوفاً بِالتَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ وَلَهُ قَصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوْلِيَّاتِ . قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَنْظِمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيُهَذِّبُهَا وَيُنَقِّحُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءِ قَبِيلَتِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي النَّقْدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ الْفُحُولِ مِنْ طَبَقَتِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو تَمَّامٍ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ

خُذْهَا ابْنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى
وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ

فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالدُّجَى لِكَوْنِ اللَّيْلِ تَهْدَأُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَتَسْكُنُ الْحَرَكَاتُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعاً وَمِرْآةُ التَّهْذِيبِ فِيهِ صَقِيلَةً لِخُلُوِّ الْخَاطِرِ وَصَفَاءِ الْقَرِيحَةِ وَلَا سِيَّمَا وَسَطَ اللَّيْلِ

قَالَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتُرِيُّ : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ الشِّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ سَلِيمٍ وَلَمْ أَكُنْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذٍ وَوُجُوهِ اقْتِضَابٍ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ وَانْقَطَعْتُ إِلَيْهِ وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهُمُومِ صِفْرٌ مِنَ الْغُمُومِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ فِي الْأَوْقَاتِ إِذَا قَصَدَ الْإِنْسَانُ تَأْلِيفَ شَيْءٍ

أوْ حِفْظَهُ أَنْ يَخْتَارَ وَقْتَ ٱلسَّحَرِ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ ٱلرَّاحَةِ وَقِسْطَهَا مِنَ ٱلنَّوْمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا ثِقَلُ ٱلْغِذَاءِ. وَٱحْذَرِ ٱلْمَجْهُولَ مِنَ ٱلمَعَانِي وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِٱلْأَلْفَاظِ ٱلْوَحْشِيَّةِ وَنَاسِبْ بَيْنَ ٱلْأَلْفَاظِ وَٱلْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ ٱلْكَلامِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ تُقَدِّرُ ٱلثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ ٱلْأَجْسَامِ. وَإِذَا عَارَضَكَ ٱلضَّجَرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ ٱلْقَلْبِ وَلَا تَنْظِمْ إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ ٱلشَّهْوَةَ نِعْمَ ٱلْمُعِينُ عَلَى حُسْنِ ٱلنَّظْمِ. وَجُمْلَةُ ٱلْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ ٱلْمَاضِينَ فَمَا ٱسْتَحْسَنَ ٱلْعُلَمَاءُ فَٱقْصِدْهُ وَمَا ٱسْتَقْبَحُوهُ فَٱجْتَنِبْهُ

(عن خزانة الادب وزهر الآداب. باختصار)

﴿ الفصل الخامس ﴾

« فِي مَحَاسِنِ ٱلْإِنْشَاءِ وَمَعَايِبِهِ »

إِنَّ لِلنَّثْرِ مَحَاسِنَ وَمَعَايِبَ يَجِبُ عَلَى ٱلْمُنْشِىءِ أَنْ يَفْرِقَ بَيْنَهُمَا مُحْتَرِزاً مِنِ ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْغَرِيبَةِ وَمَا يُخِلُّ بِفَهْمِ ٱلْمُرَادِ وَيُوجِبُ صُعُوبَتَهُ. وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ ٱلْأَلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي دُونَ ٱلْعَكْسِ. لِأَنَّ ٱلْمَعَانِيَ إِذَا تَرَكَّبَتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا طَلَبَتْ لِأَنْفُسِهَا أَلْفَاظاً تَلِيقُ بِهَا فَيَحْسُنُ ٱللَّفْظُ وَٱلْمَعْنَى جَمِيعاً. وَأَمَّا

جعلُ الالفاظِ مَتكلفة وَالمعاني تابعة لهـا فهوَ سـ[illegible]
شَغَفٌ بإيرَادِ شيْءٍ مِنَ ٱلمُحسّنَاتِ ٱللّفظِيّةِ . فيَصرِفُونَ ٱلعنَايَةَ إليْهَا
وَيَجعلُونَ ٱلـكَلامَ كَأَنّهُ غَيرُ مَسُوقٍ لِإفَادَةِ ٱلْمَعْنى. وَمِنْ أعظَمِ
مَا يَليقُ بِمَنْ يَتعَاطى ٱلإنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لَامَا يُرِيـدُ
كَما قِيلَ في ٱلصَّاحِبِ وَٱلصَّابِيءِ : إنّ ٱلصَّابِيءَ يَكْتُبُ مَـا يُرَادُ
وَٱلصَّاحِبَ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ

(عن آداب المنشيء ببعض تصرف)

« الفصل السادس »

«في فصَاحَةِ ٱلألفَاظِ وَمُطَابقَتِهَا لِلمَعَانِي»

فَصَاحَةُ ٱلْأَلْفَاظِ تَكُونُ بِثَلاثَةِ أَوْجُهٍ : أَحدُهَا مُجَانَبَـةُ
ٱلْغَرِيبِ ٱلْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَمُجَّهُ سَمْعٌ وَلَا يَنفِرَ مِنْـهُ طَبْعٌ .
وَٱلثَّانِي تَنَكُّبُ ٱللّفظِ ٱلْمُبْتَذَلِ وَٱلْعُدُولُ عَنِ ٱلْكَلامِ ٱلْمُسْتَرْذَلِ
حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُوَ عَنْـهُ فَهْمُ عَامِيٍّ كَمَا قَـالَ
ٱلْجَاحِظُ فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ : أَمّا أَنَا فَلَمْ أَرَ قَوْماً أَمْثَلَ طَرِيقَـةً
فِي ٱلْبَلاغَةِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ ٱلْتَمَسُوا مِنَ ٱلْأَلْفَـاظِ
مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّراً وَحشياً وَلَا سَاقِطاً عَامِياً . وَٱلثَّـالِثُ أَنْ يَكُونَ
بَيْنَ ٱلْأَلْفَاظِ مُطَابَقَةٌ وَمُنَاسَبَةٌ . أَمَّـا ٱلْمُطَابَقَةُ فَهِيَ أَنْ تَكُونَ

ٱلْأَلْفَاظُ كَٱلْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصُ عَنْهَا . وَأَمَّا ٱلْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ ٱلْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ ٱلْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ لِاتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ ٱلْمَعَانِي بِغَيْرِ تِلْكَ ٱلْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِيَادِ مَا سِوَاهَا .

(ادب الدين والدنيا . باختصار)

﴿ الفصل السابع ﴾

« فِي حَقِيقَةِ ٱلْفَصَاحَةِ »

إِعْلَمْ أَنَّ هٰذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى ٱلْوَالِجِ وَمَسْلَكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى ٱلنَّاهِجِ . وَلَمْ يَزَلِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ ٱلْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ ٱلْقَوْلَ فِيهِ وَٱلْبَحْثَ عَنْهُ . وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْقَلِيلَ . وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ أَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ هِيَ ٱلظُّهُورُ وَٱلْبَيَانُ فِي أَصْلِ ٱلْوَضْعِ ٱللُّغَوِيِّ يُقَالُ : أَفْصَحَ ٱلصُّبْحُ إِذَا ظَهَرَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ ذٰلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ ٱلسِّرِّ فِيهِ . وَبِهٰذَا ٱلْقَوْلِ لَا تَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ ٱلْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ مِنَ ٱلِاعْتِرَاضَاتِ . أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱللَّفْظُ ظَاهِراً بَيِّناً لَمْ يَكُنْ فَصِيحاً ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ صَارَ فَصِيحاً . ٱلْوَجْهُ ٱلثَّانِي أَنَّهُ

إِذَا كَانَ ٱللَّفْظُ ٱلْفَصِيحُ هُوَ ٱلظَّاهِرَ ٱلْبَيِّنَ فَقَدْ صَارَ ذٰلِكَ بِٱلنِّسَبِ وَٱلإِضَافَاتِ إِلى ٱلأَشْخَاصِ . فَإِنَّ ٱللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِراً لِزَيْدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِراً لِعَمْرٍو. فَهُوَ إِذاً فَصِيحٌ عِنْدَ هٰذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هٰذَا . وَلَيْسَ كَذٰلِكَ بَلِ ٱلْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ ٱلأَحْوَالِ . لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ ٱلْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ

أَلْوَجْهُ ٱلثَّالِثُ : أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ ٱلسَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحاً . وَلَيْسَ كَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْفَصَاحَةَ وَصْفُ حُسْنٍ لِلَّفْظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ

وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلى أَقْوَالِ ٱلنَّاسِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ مَلَكَتْنِي ٱلْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ عَلَيْهِ . وَلِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِي هٰذَا ٱلْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ ٱنْكَشَفَ لِيَ ٱلسِّرُّ فِيهِ وَسَأُوضِحُهُ فِي كِتَابِي هٰذَا وَأُحَقِّقُ ٱلْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَصِيحَ هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلْبَيِّنُ . وَأَعْنِي بِٱلظَّاهِرِ ٱلْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ مَفْهُومَةً لَا يُحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا إِلى ٱسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ . وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةَ ٱلِاسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةَ ٱلِاسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي ٱلْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ ٱلأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا . وَذٰلِكَ أَنَّ

أَرْبَابَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ غَرْبَلُوا ٱللُّغَةَ بِٱعْتِبَارِ أَلْفَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَّمُوا. فَٱخْتَارُوا ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ حَتَّى ٱسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. فَحُسْنُ ٱلِٱسْتِعْمَالِ سَبَبُ ٱسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا. وَٱسْتِعْمَالُهَا دُونَ غَيْرِهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا. فَٱلْفَصِيحُ إِذاً مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ هُوَ ٱلْحَسَنُ.

فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ عَلِمَ أَرْبَابُ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْأَلْفَاظِ حَتَّى ٱسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا ٱلْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ قُلْتُ فِي ٱلْجَوَابِ: إِنَّ هٰذَا مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمَحْسُوسَةِ ٱلَّتِي شَاهِدُهَا مِنْ نَفْسِهَا. لِأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ دَاخِلَةٌ فِي حَيِّزِ ٱلْأَصْوَاتِ. فَٱلَّذِي يَسْتَلِذُّهُ ٱلسَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ ٱلْحَسَنُ. وَٱلَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ ٱلْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلسَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ ٱلْبُلْبُلِ مِنَ ٱلطَّيْرِ وَصَوْتَ ٱلشُّحْرُورِ وَيَمِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ ٱلْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ. وَكَذٰلِكَ يَكْرَهُ نَهِيقَ ٱلْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذٰلِكَ فِي صَهِيلِ ٱلْفَرَسِ. وَٱلْأَلْفَاظُ جَارِيَةٌ هٰذَا ٱلْمَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ ٱلْمُزْنَةِ وَٱلدِّيمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا ٱلسَّمْعُ. وَأَنَّ لَفْظَةَ ٱلْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا ٱلسَّمْعُ. وَهٰذِهِ ٱللَّفَظَاتُ ٱلثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ ٱلْمَطَرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ. وَمَعَ هٰذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتَيْ ٱلْمُزْنَةِ وَٱلدِّيمَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَأْلُوفَتَيِ ٱلِٱسْتِعْمَالِ

وَتَرَى لَفظَ ٱلْبُعَاقِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكاً لَا يُستعمَلُ. وَإِنِ ٱسْتُعْمِلَ فَإِنَّمَا يَستعمِلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ ٱلْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُـهُ غَيْرُ ذَوْقٍ سَلِيمٍ . وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ ذُمَّ وَقُدِحَ فِيهِ وَلَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيّاً مَحْضاً مِنَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأَقْدَمِينَ . فَإِنَّ حَقِيقَـةَ ٱلشَّيْءِ إِذَا عُلِمَتْ وَجَبَ ٱلْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ يُعَرَّجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن ابن الاثير . باختصار)

﴿ الفصل الثامن ﴾

« في ٱلِٱنْسِجَامِ »

أَلِٱنْسِجَامُ لُغَةً جَرَيَانُ ٱلْمَاءِ وَعِنْـدَ أَهْلِ ٱلْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلنَّاظِمُ أَوِ ٱلنَّاثِرُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنَ ٱلتَّعْقِيدِ ٱللَّفْظِيِّ وَٱلْمَعْنَوِيِّ بَسِيطاً مَفْهُوماً دَقِيقَ ٱلْأَلْفَاظِ جَلِيلَ ٱلْمَعْنَى لَا تَكَلُّفَ فِيـهِ وَلَا تَعَسُّفَ يَتَحَدَّرُ كَتَحَدُّرِ ٱلْمَـاءِ ٱلْمُنْسَجِمِ فَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ وَعُذُوبَةِ أَلْفَاظِهِ أَنْ يَسِيلَ رِقَّـةً . وَلَا يَكُونُ ذٰلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ ٱلذَّوْقِ وَتَوَقُّدِ ٱلْفِكْرَةِ وَبَرَاعَةِ ٱلْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ ٱلْأَسَالِيبِ . وَإِنَّ فُحُولَ هٰذَا ٱلْمَيْدَانِ مَا أَثْقَلُوا كَاهِلَ سُهُولَتِهِ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْبَدِيعِ ٱللّٰهُمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَفْواً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَعَلَى هٰذَا أَجْمَعَ عُلَمَاءُ ٱلْبَدِيعِ فِي حَدِّ هٰذَا ٱلنَّوْعِ فَإِنَّهُمْ قَرَّرُوا أَنْ يَكُونَ بَعِيـداً مِنَ ٱلتَّصَنُّعِ خَالِياً مِنَ ٱلْأَنْوَاعِ

ٱلْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ فِي ضِمْنِ ٱلسُّهُولَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. فَإِنْ كَانَ ٱلِٱنْسِجَامُ فِي ٱلنَّثْرِ تَكُونُ أَغْلَبُ فِقَرَاتِهِ مَوْزُونَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلنَّظْمِ فَتَكَادُ ٱلْأَبْيَاتُ أَنْ تَسِيلَ رِقَّةً وَعُذُوبَةً وَرُبَّمَا دَخَلَتْ فِي ٱلْمُطْرِبِ ٱلْمُرْقِصِ

(بديعية العميان وبديعية الحموي)

﴿ الفصل التاسع ﴾

«فِي حَلِّ ٱلشِّعْرِ»

حَلُّ ٱلْأَبْيَاتِ ٱلشِّعْرِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ: ٱلْأَوَّلُ مِنْهَا وَهُوَ أَدْنَاهَا مَرْتَبَةً أَنْ يَأْخُذَ ٱلنَّاثِرُ بَيْتاً مِنَ ٱلشِّعْرِ فَيَنْثُرَهُ بِلَفْظِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهٰذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ. وَمِثَالُهُ كَمَنْ أَخَذَ عِقْداً قَدْ أُتْقِنَ نَظْمُهُ وَأُحْسِنَ تَأْلِيفُهُ فَأَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ. وَكَانَ يَقُومُ عُذْرُهُ فِي ذٰلِكَ أَنْ لَوْ نَقَلَهُ عَنْ كَوْنِهِ عِقْداً إِلى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ. وَأَيْضاً فَإِنَّهُ إِذَا نُثِرَ ٱلشِّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ ٱلسَّرِقَةِ فَيُقَالُ هٰذَا شِعْرُ فُلانٍ بِعَيْنِهِ لِكَوْنِ أَلْفَاظِهِ بَاقِيَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ. وَقَدْ سَلَكَ هٰذَا ٱلْمَسْلَكَ بَعْضُ ٱلْعِرَاقِيِّينَ فَجَاءَ مُسْتَهْجَناً كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَبْيَاتِ ٱلْحَمَاسَةِ

وَأَلَدَّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا ... تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ ... وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ ٱلنَّوَاظِرِ مِنْ عَلِ

فَقَالَ فِي نَثْرِ هٰذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَقِيَ أَلَدَّ ذَا حَنَقٍ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلى ٱلْكَوَاكِبِ مِنْ عَلٍ . وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ . فَكَوَاهُ فَوْقَ نَاظِرَيْهِ . وَأَكَبَّهُ لِفَمِهِ وَيَدَيْهِ . فَلَمْ يَزِدْ هٰـذَا ٱلنَّاثِرُ عَلى أَنْ أَزَالَ رَوْنَقَ ٱلْوَزْنِ وَطُلاوَةَ ٱلنَّظْمِ لَا غَيْرُ .

وَمِنْ هٰـذَا ٱلْقِسْمِ ضَرْبٌ مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيـهِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ٱلْبَيْتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ قَدْ تَضَمَّنَ شَيْئاً لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ لَفْظِـهِ فَحِينَئِذٍ يُعْذَرُ نَاثِرُهُ إِذَا أَتَى بِذٰلِكَ ٱللَّفْظِ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَمْثَالُ ٱلسَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلى مَا جَاءَتْ فِي ٱلشِّعْرِ

وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّانِي وَهُوَ وَسَطٌ بَيْنَ ٱلْأَوَّلِ وَٱلثَّالِثِ فِي ٱلْمَرْتَبَةِ فَهُوَ أَنْ يَنْثُرَ ٱلْمَعْنَى ٱلْمَنْظُومَ بِبَعْضِ أَلْفَاظِهِ وَيُعَبِّرَ عَنِ ٱلْبَعْضِ بِأَلْفَاظٍ أُخَرَ . وَهُـنَاكَ تَظْهَرُ ٱلصَّنْعَةُ فِي ٱلْمُمَاثَلَةِ وَٱلْمُشَابَهَـةِ وَمُؤَاخَاةِ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْبَاقِيَةِ بِٱلْأَلْفَاظِ ٱلْمُرْتَجَلَةِ . فَإِنَّهُ إِذَا أَخَـذَ لَفْظاً لِشَاعِرٍ مُجِيدٍ قَدْ نَقَّحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بِمَا لَا يُلائِمُـهُ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لُؤْلُؤَةٍ وَحَصَاةٍ . وَلَا خَفَاءَ بِمَـا فِي ذٰلِكَ مِنَ ٱلِٱنْتِصَابِ لِلْقَدْحِ وَٱلِٱسْتِهْدَافِ لِلطَّعْنِ . وَٱلطَّرِيقُ ٱلْمَسْلُوكُ إِلى هٰـذَا ٱلْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بَعْضَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْأَبْيَاتِ ٱلشِّعْرِيَّـةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَاثِلُهُ . وَسَأُورِدُ هٰهُنَا مِثَالًا وَاحِداً لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ هٰذَا ٱلْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ

فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ

حَذَّاءُ تَمْلَأُ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَـةً وَبَلاغَةً وَتُدِرُّ كُلَّ وَرِيـدِ

فَقَوْلُهُ (تَمْلَأُ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً) مِنَ ٱلْكَلامِ ٱلْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا فِي ٱلْبَيْتِ . فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْثُرَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى فَلا بُدَّ مِنِ ٱسْتِعْمَالِ لَفْظِهِ بِعَيْنِهِ لِأَنَّهُ فِي ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى مِنَ ٱلْفَصَاحَةِ وَٱلْبَلاغَةِ فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ أَنْ تُؤَاخِيَهُ بِمِثْلِهِ وَهٰذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ عِنْـدِي أَصْعَبُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ ٱلشِّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلَكٌ ضَيِّقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلتَّعَرُّضِ لِمُمَاثَلَةِ مَا هُوَ فِي غَايَةِ ٱلْحُسْنِ وَٱلْجَوْدَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ ٱلشِّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِـهِ فَذٰلِكَ يَتَصَرَّفُ فِيـهِ نَاثِرُهُ عَلَى حَسَبِ مَـا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّداً فِيـهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى مُؤَاخَاتِهِ وَقَدْ نَثَرْتُ هٰذِهِ ٱلْـكَلِمَاتِ ٱلْمُشَارَ إِلَيْهَا وَأَتَيْتُ بِهَا فِي جُمْلَةِ كِتَابٍ فَقُلْتُ : وَكَلامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱشْتَهَرَ وَفَـاقَ مَسِيرَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَإِذَا عُرِفَ ٱلْـكَلامُ صَارَتِ ٱلْمَعْرِفَةُ لَهُ عَلامَةً وَأُمِنَ مِنْ سَرِقَتِهِ إِذْ لَوْ سُرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْوَسَامَـةُ . وَمِنْ خَصَائِصِ صِفَاتِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلَّ أُذْنٍ حِكْمَةً وَيَجْعَلَ فَصَاحَةَ كُلِّ لِسَانٍ عُجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفَثَاتُهُ فِي ٱلْأَفْهَامِ قَالَتْ أَهٰذِهِ بِنْتُ فِـكْرَةٍ أَمْ بِنْتُ كَرْمَةٍ .

فَٱنْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَمَّا أَخَذْتُ

تِلْكَ ٱلْكَلِمَاتِ مِنَ ٱلْبَيْتِ ٱلشِّعْرِيِّ ٱلْتَزَمْتُ بِأَنْ أُوَاخِيَهَا بِمَا هُوَ مِثْلُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَجِئْتُ بِهٰذَا ٱلْفَصْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذٰلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ فِي مَا هٰذَا سَبِيلُهُ

وَأَمَّا ٱلْقِسْمُ ٱلثَّالِثُ وَهُوَ أَعْلَى مِنَ ٱلْقِسْمَيْنِ ٱلْأَوَّلَيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ ٱلْمَعْنَى فَيُصَاغَ بِأَلْفَاظٍ غَيْرِ أَلْفَاظِهِ . وَثَمَّ يَتَبَيَّنُ حِذْقُ ٱلصَّائِغِ فِي صِيَاغَتِهِ وَيُعْلَمُ مِقْدَارُ تَصَرُّفِهِ فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنِ ٱسْتَطَاعَ ٱلزِّيَادَةَ عَلَى ٱلْمَعْنَى فَتِلْكَ ٱلدَّرَجَةُ ٱلْعَالِيَةُ وَإِلَّا أَحْسَنَ ٱلتَّصَرُّفَ وَأَتْقَنَ ٱلتَّأْلِيفَ لِيَكُونَ أَوْلَى بِذٰلِكَ ٱلْمَعْنَى مِنْ صَاحِبِهِ ٱلْأَوَّلِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَبْيَاتِ ٱلشِّعْرِ مَا يَتَّسِعُ ٱلْمَجَالُ لِنَاثِرِهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ ٱلْعِبَارَاتِ وَذٰلِكَ عِنْدِي شَبِيهٌ بِٱلْمَسَائِلِ ٱلسَّيَّالَةِ فِي ٱلْحِسَابِ ٱلَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بِعِدَّةٍ مِنَ ٱلْأَجْوِبَةِ . وَمِنَ ٱلْأَبْيَاتِ مَا يَضِيقُ فِيهِ ٱلْمَجَالُ حَتَّى يَكَادَ ٱلْمَاهِرُ فِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ ذٰلِكَ ٱللَّفْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هٰذَا لِعَدَمِ ٱلنَّظِيرِ .
فَأَمَّا مَا يَتَّسِعُ ٱلْمَجَالُ فِي نَثْرِهِ فَكَقَوْلِ أَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي

لَا تَعْذُلِ ٱلْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ   حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

وَقَدْ نَثَرْتُ هٰذَا ٱلْمَعْنَى فَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلِي : لَا تَعْذُلِ ٱلْمُحِبَّ فِي مَا يَهْوَاهُ حَتَّى تَطْوِيَ ٱلْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ . وَمِنْ ذٰلِكَ وَجْهٌ آخَرُ . وَهُوَ إِذَا ٱخْتَلَفَتِ ٱلْعَيْنَانِ فِي ٱلنَّظَرِ فَٱلْعَذْلُ ضَرْبٌ مِنَ

ٱلهَذَرِ. وَأَمَّا مَا يَضِيقُ فِيهِ ٱلمَجَالُ فَيَعْسُرُ عَلى ٱلنَّاثِرِ تَبْدِيلُ أَلفاظِهِ فَكَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

تَرَدَّى ثِيَابَ ٱلْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى
لَهَا ٱللَّيْلُ إِلَّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرِ

قَصَدَ أَبُو تَمَّامٍ ٱلمُؤَاخَاةَ في ذِكْرِ لَوْنَيِ ٱلثِّيَابِ مِنَ ٱلأَحْمَرِ وَٱلأَخْضَرِ وَجَاءَ ذٰلِكَ وَاقِعاً عَلى ٱلمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادَهُ مِنْ لَوْنِ ثِيَابِ ٱلقَتْلَى وَثِيَابِ ٱلجَنَّةِ. وَهٰذَا ٱلبَيْتُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُ أَلفَاظِهِ وَهُوَ وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَجِبُ عَلى ٱلنَّاثِرِ أَنْ يُحْسِنَ ٱلصَّنْعَةَ في فَكِّ نِظَامِهِ لِأَنَّهُ يَتَصَدَّى لِنَثْرِهِ بِأَلفَاظِهِ. فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةُ تَصَرُّفٍ وَبَسْطَةُ عِبَارَةٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِهِ حَسَناً رَائِقاً. وَقَدْ قُلْتُ في نَثْرِهِ: لَمْ تَكْسُهُ ٱلمَنَايَا نَسْجَ شِفَارِهَا حَتَّى كَسَتْهُ ٱلجَنَّةُ نَسْجَ شِعَارِهَا فَبُدِّلَ أَحْمَرُ ثَوْبِهِ بِأَخْضَرِهِ وَكَأْسُ حِمَامِهِ بِكَأْسِ كَوْثَرِهِ

وَإِذِ ٱنْتَهَى بِنَا ٱلكَلَامُ إِلى هٰهُنَا فِي ٱلتَّنْبِيهِ عَلى نَثْرِ ٱلشِّعْرِ وَكَيْفِيَّةِ نَثْرِهِ وَذِكْرِ مَا يَسْهُلُ مِنْهُ وَمَا يَعْسُرُ فَلْنُتْبِعْ ذَلِكَ بِقَوْلٍ كُلِّيٍّ فِي هٰذَا ٱلبَابِ فَنَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِباً أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ فَعَلَيْهِ بِحِفْظِ ٱلدَّوَاوِينِ ذَوَاتِ ٱلعَدَدِ وَلَا يَقْنَعْ بِٱلقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ ٱلشِّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذَ قَصِيداً مِنَ ٱلقَصَائِدِ

فَيَنْثُرَهُ بَيْتاً بَيْتاً عَلى ٱلتَّوَالِي وَلَا يَسْتَنْكِفُ فِي ٱلِٱبْتِدَاء أَنْ يَنْثُرَ ٱلشِّعْرَ بِأَلْفَاظِهِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ. وَإِذَا مَرِنَتْ نَفْسُهُ وَتَدَرَّبَ خَاطِرُهُ ٱرْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ ٱلدَّرَجَةِ وَصَارَ يَأْخُذُ ٱلْمَعْنَى وَيَكْسُوهُ عِبَارَةً مِنْ عِنْدِهِ. ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَنْ ذَلِكَ فَيَكْسُوهُ ضُرُوبًا مِنَ ٱلْعِبَارَاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ. وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لِخَاطِرِهِ بِمُبَاشَرَةِ ٱلْمَعَانِي لِقَاحٌ فَيَسْتَنْتِجُ مِنْهَا مَعَانِيَ غَيْرَ تِلْكَ ٱلْمَعَانِي وَسَبِيلُهُ أَنْ يُكْثِرَ ٱلْإِدْمَانَ لَيْلاً وَنَهَاراً وَلَا يَزَالَ عَلى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ لَهُ مَلَكَةٌ. فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَفَّقَتِ ٱلْمَعَانِي فِي أَثْنَاء كَلَامِهِ وَجَاءَتْ أَلْفَاظُهُ مَعْسُولَةً وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَّةٌ حَتَّى تَكَادَ تَرْقُصُ رَقْصاً. وَهَذَا شَيْءٌ خَبَرْتُهُ بِٱلتَّجْرِبَةِ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

(المثل السائر، باختصار)

الباب الثاني

في الادبيات

﴿ الفصل الاول ﴾

« فِي ٱلنَّزَاهَةِ »

أَلنَّزَاهَةُ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا ٱلنَّزَاهَةُ عَنِ ٱلْمَطَامِعِ ٱلدَّنِيَّةِ وَٱلثَّانِي ٱلنَّزَاهَةُ عَنْ مَوَاقِفِ ٱلرِّيبَةِ [1]. فَأَمَّا ٱلْمَطَامِعُ ٱلدَّنِيَّةُ فَلِأَنَّ ٱلطَّمَعَ ذُلٌّ وَٱلدَّنَاءَةَ لُؤْمٌ وَهُمَا أَدْفَعُ شَيْءٍ لِلْمُرُوءَةِ . وَٱلْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ: ٱلشَّرَهُ وَقِلَّةُ ٱلْأَنَفَةِ . فَلَا يَقْنَعُ ٱلْمَرْءُ بِمَا أُوتِيَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لِأَجْلِ شَرَهِهِ وَلَا يَسْتَنْكِفُ مِمَّا مُنِعَ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا لِقِلَّةِ أَنَفَتِهِ . وَهٰذِهِ حَالُ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ قَدْرًا وَيَرَى ٱلْمَالَ أَعْظَمَ خَطَرًا [2] وَيَرَى بَذْلَ أَهْوَنِ ٱلْأَمْرَيْنِ لِأَجَلِهِمَا مَغْنَمًا . وَأَمَّا مَوَاقِفُ ٱلرِّيبَةِ فَهِيَ أَنْ يَتَرَدَّدَ ٱلْمَرْءُ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْ حَمْدٍ وَذَمٍّ فَتَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ لَائِمَةُ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ وَتَنَالَهُ ذِلَّةُ ٱلْمُرِيبِينَ [3] . وَٱلدَّاعِي إِلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ شَيْئَانِ : ٱلِٱسْتِرْسَالُ [4] وَحُسْنُ ٱلظَّنِّ .

---

(١) التهمة والشك (٢) شرفاً (٣) من ارابه اذا اوهمه الريبة (٤) من استرسل اليه اذا انبسط واستأنس

وَٱلْمَانِعُ مِنْهُمَا شَيْئَانِ ٱلْحَيَاءُ وَٱلْحَذَرُ . فَإِذَا ٱسْتَعْمَلَ ٱلْحَزْمَ وَغَلَبَ ٱلْحَذَرَ وَتَرَكَ مَوَاقِفَ ٱلرِّيَبِ وَمَظَانَّ ٱلتُّهَمِ وَلَمْ يَقِفْ مَوْقِفَ ٱلِاعْتِذَارِ لَمْ يَخْتَلِجْ[1] فِي نَزَاهَتِهِ شَكٌّ

﴿ الفصل الثاني ﴾

« فِي صِيَانَةِ ٱلنَّفْسِ »

أَلصِّيَانَةُ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا صِيَانَةُ ٱلنَّفْسِ بِٱلْتِمَاسِ كِفَايَتِهَا وَتَقْدِيرِ مَادَّتِهَا حَتَّى لَا يَحْتَاجَ ٱلْمَرْءُ إِلَى ٱلنَّاسِ لِيُقِيمَ أَوَدَ[2] نَفْسِهِ وَيَدْفَعَ ضَرُورَةَ وَقْتِهِ فَيَكُونَ مُهْتَضَماً[3] ذَلِيلًا مُسْتَثْقَلًا . وَٱلثَّانِي صِيَانَتُهَا عَنْ تَحَمُّلِ ٱلْمِنَنِ وَٱلِاسْتِرْسَالِ فِي ٱلِاسْتِعَانَةِ . لِأَنَّ ٱلْمِنَّةَ ٱسْتِرْقَاقُ ٱلْأَحْرَارِ تُحْدِثُ ذِلَّةً فِي ٱلْمَمْنُونِ عَلَيْهِ وَسَطْوَةً فِي ٱلْمَانِّ . وَٱلِاسْتِرْسَالُ فِي ٱلِاسْتِعَانَةِ تَثْقِيلٌ . وَمَنْ ثَقَّلَ عَلَى ٱلنَّاسِ هَانَ . وَلَا قَدْرَ عِنْدَهُمْ لِمُهَانٍ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِٱبْنِهِ ٱلْحَسَنِ : إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَٱفْعَلْ وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ ٱللهُ حُرًّا . فَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ

---

(١) من اختلج الشيء في صدره اذا احتكّ مع شكّ اي اثر فيه وعمل وهو مرتاب (٢) اعوجاج (٣) مظلوماً ومذللا

مِنَ ٱلْـكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ كَثِيراً . وَأَنْشَد ثَعْلَبٌ :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلى ٱلصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو ٱلْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ
وَأَخُوكَ مَنْ وَفَّرْتَ مَا في كِيسِهِ فَإِذَا عَبِثْتَ بِهِ فَأَنتَ ثَقِيلُ

وَإِنْ كانَ ٱلنَّاسُ لُحْمَةً لا يَسْتَغْنُونَ عَنِ ٱلتَّعَاوُنِ وَلَا يَسْتَقِلُّونَ[1] عَنِ ٱلْمُسَاعِدِ وَٱلْمُظَافِرِ فَإِنَّمَا ذٰلِكَ تَعَاوُنُ ٱئْتِلافٍ يَتَكَافَأُونَ[2] فِيهِ وَلَا يَتَفَاضَلُونَ . وَإِنَّمَا ٱلَّذِي يَتَصَوَّنُ عَنْهُ ٱلْكِرَامُ تَعَاوُنُ ٱلتَّفْضِيلِ فَيَنْقَبِضُونَ عَنْ أَنْ يَسْتَعِينُوا لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْهِمْ يَدٌ[3] . وَيُسَارِعُونَ أَنْ يُعِينُوا لِيَكُونَ لَهُمْ يَدٌ . وَمَنْ أَقْدَمَ بِغَيْرِ ٱضْطِرَارٍ عَلى ٱلِاسْتِعَانَةِ بِجَاهٍ أَوْ بِمَالٍ فَقَدْ أَوْهَى[4] مُرُوءَتَهُ وَٱبْتَذَلَ[5] صِيَانَتَهُ . وَمَنْ دَعَاهُ ٱلِاضْطِرَارُ لِنَائِبٍ أَلَمَّ أَوْ حَادِثٍ هَجَمَ إِلى ٱلِاسْتِعَانَةِ بِمَنْ يَتَنَفَّسُ[6] بِهِ مِنْ خِنَاقِ[7] كَرْبِهِ وَيَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ وِثَاقِ[8] نَوَائِبِهِ فَلا لَوْمَ عَلى مُضْطَرٍّ . فَإِنْ أَغْنَتْهُ ٱلِاسْتِعَانَةُ بِٱلْجَاهِ عَنِ ٱلِاسْتِعَانَةِ بِٱلْمَالِ فَلا عُذْرَ لَهُ في ٱلتَّعَرُّضِ لِلْمَالِ . وَإِلَّا كانَ لَهُ مَعَ ٱلضَّرُورَةِ فُسْحَةٌ[9]

---

(١) ينفردون ويستبدون (٢) يتساوون (٣) نعمة (٤) اضعف
(٥) امتهن واحتقر (٦) ينفرج (٧) الخناق ما يخنق به من حبل ونحوه
(٨) ما يشد به من قيد او حبل (٩) سعة

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في ٱلعَفَافِ وفي كَسْبِ ٱلمَال وَحُسْنِ تدْبِيرِهِ »

أَلْعَاقِلُ يَطْلُبُ ٱلْمَالَ مِنَ ٱلْوُجوهِ ٱلْمُبَاحَةِ (١) ٱلَّتِي لَا يَلْحَقُهُ فِيهَا غَضٌّ (٢) وَلَا يَتَدَنَّسُ لَهُ بِهَا عِرْضٌ. فَإِنَّ ٱلْمَالَ يُرَادُ لِصِيَانَةِ ٱلْأَعْرَاضِ لِا لِٱبْتِذَالِهَا وَلِعِزِّ ٱلنُّفوسِ لَا لِإِذْلَالِهَا. وَإِنَّ ٱلْمَوَادَّ ٱلْمُحَرَّمَةَ مُسْتَخْبَثَةُ ٱلْأُصولِ مَمْحُوقَةُ (٣) ٱلْمَحْصُولِ إِنْ صَرَفْتَهَا فِي بِرٍّ لَمْ تُؤْجَرْ وَإِنْ صَرَفْتَهَا فِي مَدْحٍ لَمْ تُشْكَرْ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: شَرُّ ٱلْمَالِ مَا لَزِمَكَ إِثْمُ مَكْسَبِهِ وَحُرِمْتَ أَجْرَ إِنْفَاقِهِ. وَٱلْعَاقِلُ يَتَأَنَّى فِي تَقْدِيرِ مَادَّتِهِ وَتَدْبِيرِ كِفَايَتِهِ بِمَا لَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ. وَلَا يَنَالُهُ زَلَلٌ. فَإِنَّ يَسِيرَ ٱلْمَالِ مَعَ حُسْنِ ٱلتَّقْدِيرِ وَإِصَابَةِ ٱلتَّدْبِيرِ أَجْدَى نَفْعاً وَأَحْسَنُ مَوْقِعاً مِنْ كَثِيرِهِ مَعَ سُوءِ ٱلتَّدْبِيرِ وَفَسَادِ ٱلتَّقْدِيرِ كَٱلْبَذْرِ فِي ٱلْأَرْضِ إِذَا رُوعِيَ يَسِيرُهُ زَكَا وَإِنْ أُهْمِلَ كَثِيرُهُ ٱضْمَحَلّ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: ٱلْكَمَالُ فِي ثَلَاثَةٍ: ٱلْعِفَّةِ فِي ٱلدِّينِ وَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلنَّوَائِبِ وَحُسْنِ ٱلتَّدْبِيرِ فِي ٱلْمَعِيشَةِ

---

(١) خلاف الممنوعة والمحظورة (٢) غض من فلان اذا نقص ووضع من قدره (٣) من محق الله الشيء اذا نقصه وذهب ببركته

وَقَالَ آخَرُ : لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ . وَقِيلَ : سُوءُ التَّدْبِيرِ سَبَبُ التَّدْمِيرِ . وَالْقَلِيلُ مَعَ التَّدْبِيرِ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ التَّبْذِيرِ

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : فُلَانٌ غَنِيٌّ . فَقَالَ لَا أَعْرِفُ ذٰلِكَ مَا لَمْ أَعْرِفْ تَدْبِيرَهُ فِي مَالِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : حُسْنُ التَّدْبِيرِ نِصْفُ الْكَسْبِ وَسُوءُ التَّدْبِيرِ دَاعِيَةُ الْبُؤْسِ . وَقِيلَ : الْإِفْلَاسُ سُوءُ التَّدْبِيرِ

وَقَالَ سَعْدُ الْقَصْرِ : وَلَّانِي عَتَبَةُ أَمْوَالَهُ بِالْحِجَازِ فَلَمَّا وَدَّعْتُهُ قَالَ لِي : يَا سَعْدُ تَعَهَّدْ صَغِيرَ مَالِي فَيَكْبُرَ وَلَا تَجْفُ[1] كَبِيرَهُ فَيَصْغُرَ . فَإِنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُنِي كَثِيرُ مَا فِي يَدِي مِنْ إِصْلَاحِ قَلِيلِ مَالِي وَلَا يَشْغَلُنِي قَلِيلُ مَا فِي يَدِي عَنِ الصَّبْرِ عَلَى كَثِيرِ مَا يَنُوبُنِي[2]

وَقَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةً وَلَا يُدْرِكُهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ . فَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي تُطْلَبُ فَالسَّعَةُ فِي الْمَعِيشَةِ وَالْمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ وَالزَّادُ فِي الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي تُدْرَكُ بِهَا هٰذِهِ الثَّلَاثَةُ فَاكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ثُمَّ التَّثْمِيرُ لَهُ ثُمَّ إِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ وَيَعُودُ فِي الْآخِرَةِ نَفْعُهُ . فَإِنْ أَضَاعَ

---

(١) من جفا ماله اذا لم يلازمه (٢) يصيبني

شَيْئاً مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْبَعَةِ لَمْ يُدْرِكْ شَيْئاً مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ . فَإِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ . وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَٱكْتِسَابٍ وَلَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ عَلَيْهِ يُوشِكُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى بِلَا مَالٍ . وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ وَلَمْ يُثَمِّرْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱلْإِنْفَاقُ مِنْ سُرْعَةِ ٱلنَّفَادِ كَٱلْكُحْلِ ٱلَّذِي إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ عَلَى ٱلْمِيلِ مِثْلُ ٱلْغُبَارِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعٌ نَفَادُهُ . وَإِنْ هُوَ ٱكْتَسَبَ وَأَصْلَحَ وَثَمَّرَ ثُمَّ لَمْ يُنْفِقِ ٱلْأَمْوَالَ فِي أَبْوَابِهَا كَانَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْفَقِيرِ ٱلَّذِي لَا مَالَ لَهُ . ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذٰلِكَ مِنْ أَنْ يُفَارِقَهُ وَيَذْهَبَ حَيْثُ لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ . كَحَابِسِ ٱلْمَاءِ فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تَنْصَبُّ فِيهِ ٱلْمِيَاهُ . إِنْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ بِقَدْرِ مَا يَدْخُلُ فِيهِ سَالَ مِنْ نَوَاحِيهِ فَيَذْهَبُ ضَيَاعاً

﴿ أَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ ﴾

فِي رِيَاضَةِ ٱلنَّفْسِ

أَوَّلُ مُقَدِّمَاتِ أَدَبِ ٱلرِّيَاضَةِ أَنْ لَا يَسْبِقَ ٱلْمَرْءُ إِلَى حُسْنِ ٱلظَّنِّ بِنَفْسِهِ فَيَخْتَفِيَ عَنْهُ مَذْمُومُ شِيَمِهِ وَمَسَاوِئُ أَخْلَاقِهِ لِأَنَّ ٱلنُّفُوسَ بِٱلشَّهَوَاتِ آمِرَةٌ وَعَنِ ٱلرُّشْدِ زَاجِرَةٌ . فَإِذَا كَانَتِ ٱلنَّفْسُ كَذٰلِكَ فَحُسْنُ ٱلظَّنِّ بِهَا ذَرِيعَةٌ إِلَى تَحْكِيمِهَا [1] وَتَحْكِيمُهَا دَاعٍ

---

(١) من حكمه في الامر اذ امره ان يحكم به

إلى سَلاطَتِها (١) وَفَسَادِ ٱلْأَخلَاقِ بِهَا . فَإِذَا صَرَفَ حُسْنَ ٱلظَّنِّ عَنْهَا فَازَ بِطَاعَتِهَا وَٱنحَازَ عَنْ مَعْصِيَتِهَا

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : ٱلْعَاجِزُ مَنْ عَجَزَ عَنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ

وَذَهَبَ ٱلْحُكَمَاءُ إِلَى أَنَّ سُوءَ ٱلظَّنِّ بِٱلنَّفْسِ أَبْلَغُ فِي صَلَاحِهَا وَأَوْفَرُ فِي ٱجْتِهَادِهَا . لِأَنَّ لِلنَّفْسِ جَوْرًا لَا يَنْفَكُّ إِلَّا بِٱلسُّخْطِ عَلَيْهَا وَغُرُورًا لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بِٱلتُّهْمَةِ لَهَا فَإِنْ لَمْ يُسِئِ ٱلظَّنَّ بِهَا غَلَبَ عَلَيْهِ جَوْرُهَا وَتَمَوَّهَ (٢) عَلَيْهِ غُرُورُهَا فَصَارَ بِمَيْسُورِهَا قَانِعاً وَبِٱلشُّبْهَةِ مِنْ أَفْعَالِهَا رَاضِياً . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ . مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ أَسْخَطَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسَ

وَقَالَ كُشَاجِمُ :

لَمْ أَرْضَ عَنْ نَفْسِي مَخَافَةَ سُخْطِهَا ... وَرِضَى ٱلْفَتَى عَنْ نَفْسِهِ إِغْضَابُهَا

وَلَوَ ٱنَّنِي عَنْهَا رَضِيتُ لَقَصَّرَتْ ... عَمَّا تُرِيدُ بِمِثْلِهِ آدَابُهَا

فَإِذَا عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ مَا تُكِنُّ وَلَمْ يُطَاوِعْهَا فِيمَا تُحِبُّ إِذَا كَانَ غَيّاً فَقَدْ مَلَكَهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي مُلْكِهَا

وَقَدْ قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ : إِذَا عَصَتْكَ نَفْسُكَ فِيمَا كَرِهْتَ فَلَا تُطِعْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَلَا يَغُرَّنَّكَ ثَنَاءُ مَنْ جَهِلَ أَمْرَكَ

---

(١) وقاحتها (٢) تلبس واشتبه واختلط

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاء : مَنْ قَوِيَ عَلى نَفْسِهِ تَنَاهَى [١] في ٱلْقُوَّةِ وَمَنْ صَبَرَ عَلى شَهْوَتِهِ بَالَغَ في ٱلْمُرُوءَةِ فَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ نَفْسَهُ عِنْدَ مَعْرِفَةِ مَا أَكَنَّتْ [٢] بِتَقْوِيمِ عَوَجِهَا وَإِصْلاحِ فَاسِدِهَا . ثُمَّ يُرَاعِي مِنْهَا مَا صَلُحَ وَٱسْتَقَامَ مِنْ زَيْغٍ يَحْدُثُ عَنْ إِغْفَالٍ أَوْ مَيْلٍ يَكُونُ عَنْ إِهْمَالٍ لِيَتِمَّ لَهُ ٱلصَّلاحُ وَتَسْتَدِيمَ لَهُ ٱلسَّعَادَةُ.

الفصل الخامس

في ٱلنَّهْيِ عَنِ ٱتِّبَاعِ ٱلْهَوَى

قَالَ عَلِيٌّ : إِذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ بِعَبْدٍ خَيْراً حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَهْوَتِهِ وَحَجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ . وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا وَكَلَهُ إِلى نَفْسِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء : ٱلْهَوَى مَلِكٌ غَشُومٌ [٣] وَمُتَسَلِّطٌ ظَلُومٌ

وَجَاءَ في ٱلنَّهْجِ : مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ . فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ . وَيَسْمَعُ بِأُذْنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ ٱلشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَأَمَاتَتِ ٱلدُّنْيَا قَلْبَهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ في يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا . وَحَيْثُمَا

---

(١) بلغ النهاية اي الغاية (٢) اسرت واخفت (٣) ظالم

أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا . لَا يَنْزَجِرُ إِلَى ٱللهِ بِزَاجِرٍ . وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : إِذَا ٱنْقَادَتِ ٱلنَّفْسُ لِلْعَقْلِ بِمَا قَدْ أَشْعَرَتْ مِنْ عَوَاقِبِ ٱلْهَوَى لَمْ يَلْبَثِ ٱلْهَوَى أَنْ يَصِيرَ بِٱلْعَقْلِ مَدْحُوراً [1] وَبِٱلنَّفْسِ مَقْهُوراً . وَقَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبِصْرِيُّ : أَفْضَلُ ٱلْجِهَادِ جِهَادُ ٱلْهَوَى

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَعَزُّ ٱلْعِزِّ ٱلِٱمْتِنَاعُ مِنْ مَلْكِ ٱلْهَوَى

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : أَفْضَلُ ٱلنَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ ٱلشَّهْوَةُ دِينَهُ . وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ ٱلْحِرْصَ مِنْ قَلْبِهِ وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ

وَقَالَ ٱلْجُنَيْدُ : لَا تَسْكُنْ [2] إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ دَامَتْ طَاعَتُهَا فَإِنَّ لَهَا خَدَائِعَ . وَإِنْ سَكَنْتَ إِلَيْهَا كُنْتَ مَخْدُوعاً

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْطَى نَفْسَهُ كُلَّ مَا ٱشْتَهَتْ
وَلَمْ يَنْهَهَا تَاقَتْ إِلَى كُلِّ بَاطِلِ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ ٱلْإِثْمَ وَٱلْعَارَ بِٱلَّذِي
دَعَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلِ

---

(١) مطرودا (٢) من سكن اليه اذا ارتاح واطمأن

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ ٱلظَّرْبِ : ٱلْهَوى يَقْظَانُ وَٱلْعَقْلُ رَاقِـدٌ . وَقِيلَ : إِنَّ ٱلْحَقَّ أَثْقَلُ مَحْمِلاً وَأَصْعَبُ مَرْكَباً . فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَٱجْتَنِبْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ وَٱتْرُكْ أَسْهَلَهُمَا عَلَيْكَ . فَإِنَّ ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْحَقِّ أَنْفَرُ وَلِلْهَوَى آثَرُ . وَلَقَدْ وَصَفَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ حَالَ ٱلْهَوى وَمَا يُقَارِنُهُ مِنْ مِحَنِ ٱلدُّنْيَا فَقَالَ : ٱلْهَوَى مَطِيَّةُ ٱلْفِتَنِ وَٱلدُّنْيَا دَارُ ٱلْمِحَنِ فَٱنْزِلْ [1] عَنِ ٱلْهَوَى تَسْلَمْ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلدُّنْيَا تَغْنَمْ . وَلَا يَغُرَّنَّكَ هَوَاكَ بِطِيبِ ٱلْمَلَاهِي وَلَا تَفْتِنَنَّكَ دُنْيَاكَ بِحُسْنِ ٱلْعَوَارِي [2] فَمُدَّةُ ٱللَّهْوِ تَنْقَطِـعُ وَعَارِيَةُ ٱلدَّهْرِ تُرْتَجَعُ وَيَبْقَى عَلَيْكَ مَا تَرْتَكِبُهُ مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَتَكْتَسِبُهُ مِنَ ٱلْمَآثِمِ

وَقِيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ : مَن أَشْجَعُ ٱلنَّاسِ وَأَحْرَاهُمْ بِٱلْمُجَاهَدَةِ . قَالَ مَنْ جَاهَدَ ٱلْهَوَى طَاعَةً لِرَبِّهِ وَٱحْتَرَسَ فِي مُجَاهَدَتِهِ مِنْ وُرُودِ خَوَاطِرِ ٱلْهَوَى عَلى قَلْبِهِ

﴿ الفصل السادس ﴾

في ٱلرَّاحَةِ بَعْدَ ٱلْعَمَلِ

إِنَّ لِلنَّفْسِ حَالَتَيْنِ : حَالَةَ ٱسْتِرَاحَةٍ إِنْ حَرَمْتَهَا إِيَّاهَا كَلَّتْ [3]

---

(١) اترك (٢) جمع عارية (٣) تعبت واعيت

وَحالَةَ تَصَرُّفٍ إنْ أَرَحْتَهَا فِيهَا تَخَلَّتْ [1] فَالأَوْلَى بِالإِنْسَانِ تَقْدِيرُ حَالَيْهِ حَالِ نَوْمِهِ وَدَعَتِهِ وَحَالِ تَصَرُّفِهِ وَيَقْظَتِهِ . فَإِنَّ لَهُمَا قَدَراً مَحْدُوداً وَزَمَاناً مَخْصُوصاً يَضُرُّ بِالنَّفْسِ مُجَاوَزَةُ أَحدِهِمَا وَتَغَيُّرُ زَمَانِهِمَا فَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الحِكَمِ : مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ عَدِمَ المُرَادَ .

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ : رَوِّحُوا الأَذْهَانَ [2] كَمَا تُرَوِّحُونَ الأَبْدَانَ فَإِنَّ العَقْلَ المَكْدُودَ [3] لَيْسَ لِرُؤْيَتِهِ لَقَاحٌ [4] وَلَا لِرَأْيِهِ نَجَاحٌ

وَقَالَ آخَرُ : نَفْسُكَ مَطِيَّتُكَ إِنْ رَفَّهْتَهَا اضْطَلَعَتْ [5] وَإِنْ تَحَامَلْتَ عَلَيْهَا انْقَطَعَتْ

وَقَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ : إِذَا أَعْطَى المَرْءُ نَفْسَهُ حَقَّهَا مِنَ النَّوْمِ وَالدَّعَةِ [6] وَاسْتَوْفَى حَقَّهُ بِالتَّصَرُّفِ وَاليَقْظَةِ خَلَصَ بِالاسْتِرَاحَةِ مِنْ عَجْزِهَا وَكَلَالِهَا وَسَلِمَ بِالرِّيَاضَةِ مِنْ بَلَادَتِهَا وَفَسَادِهَا

وَقَالَ آخَرُ : إِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْكَ قِيَادُ نَفْسِكَ فَاتْرُكْهَا ثُمَّ عَاوِدْهَا بَعْدَ الاسْتِرَاحَةِ

---

(١) اي تخلت عن العمل اذا تركته (٢) اريحوها (٣) من كده اذا طلب منه الكدّ واتعبه (٤) اي ليس لنظره ثمرة (٥) قويت (٦) الراحة والسكينة

حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ عُمَرَ دَخَلَ على أَبِيهِ فَوَجَدَهُ نَائِماً فَقَالَ : يَا أَبَتِ أَتَنَامُ وَٱلنَّاسُ فِي ٱلْبَابِ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ نَفْسِي مَطِيَّتِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُتْعِبَهَا فَلا تَقُومَ بِي

﴿ الفصل السابع ﴾

« فِي ٱلتَّرَوِّي وَٱلتَّفَكُّرِ وَتَصَفُّحِ ٱلأَعْمَالِ »

يَجِبُ عَلى ٱلْمَرْءِ أَنْ يُقَدِّمَ ٱلْفِكْرَ فِيمَا يَرُومُهُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَيُؤْثِرَ ٱلْإِقْدَامَ عَلَيْهِ مِنْ مَطَالِبِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ . فَإِنْ كَانَ ٱلرَّجَاءُ فِيهِ أَغْلَبَ مِنَ ٱلْإِيَاسِ [1] مِنْهُ وَحُمِدَتِ ٱلْعَاقِبَةُ فِيهِ سَلَكَهُ مِنْ أَسْهَلِ مَطَالِبِهِ وَأَلْطَفِ جِهَاتِهِ . وَبِقَدْرِ شَرَفِهِ يَكُونُ ٱلْإِقْدَامُ . وَإِنْ كَانَ ٱلْإِيَاسُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّجَاءِ مَعَ شِدَّةِ ٱلتَّغْرِيرِ وَدَنَاءَةِ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَطْلُوبِ فَلْيَحْذَرْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُتَعَرِّضاً فَقَدْ قِيلَ : إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ فَإِنْ كَانَ رُشْداً فَأَمْضِهِ وَإِنْ كَانَ غَيّاً فَٱنْتَهِ عَنْهُ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : طَلَبُ مَا لَا يُدْرَكُ عَجْزٌ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ :

فَإِيَّاكَ وَٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَصَادِرُ

---

(١) القنوط وقطع الامل

فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ عَاذِرُ

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْسِمَ حَالَةَ تَصَرُّفِهِ وَيَقْظَتِهِ عَلَى ٱلْمُهِمِّ مِنْ حَاجَاتِهِ . فَإِنَّ حَاجَةَ ٱلْإِنْسَانِ لَازِمَةٌ وَٱلزَّمَانُ يَقْصُرُ عَنِ ٱسْتِيعَابِ ٱلْمُهِمِّ فَكَيْفَ بِهِ إِنْ تَجَاوَزَ إِلَى مَا لَيْسَ بِمُهِمٍّ

ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَفَّحَ فِي لَيْلِهِ مَا صَدَرَ مِنْ أَفْعَالِ نَهَارِهِ فَإِنَّ ٱللَّيْلَ أَخْطَرُ لِلْخَاطِرِ وَأَجْمَعُ لِلْفِكْرِ . فَإِنْ كَانَ مَحْمُوداً أَمْضَاهُ وَأَتْبَعَهُ بِمَا شَاكَلَهُ وَضَاهَاهُ . وَإِنْ كَانَ مَذْمُوماً ٱسْتَدْرَكَهُ إِنْ أَمْكَنَ وَٱنْتَهَى عَنْ مِثْلِهِ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ . فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ وَجَدَ أَفْعَالَهُ لَا تَنْفَكُّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحْوَالٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ فِيهَا ٱلْغَرَضَ ٱلْمَقْصُودَ بِهَا . أَوْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ فِيهَا فَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . أَوْ يَكُونَ قَدْ قَصَّرَ فِيهَا فَنَقَصَتْ عَنْ حُدُودِهَا . أَوْ يَكُونَ قَدْ زَادَ فِيهَا حَتَّى تَجَاوَزَتْ مَحْدُودَهَا . وَهٰذَا ٱلتَّصَفُّحُ إِنَّمَا هُوَ ٱسْتِظْهَارٌ (١) بَعْدَ تَقْدِيمِ ٱلْفِكْرِ قَبْلَ ٱلْفِعْلِ لِيَعْلَمَ بِهِ مَوْقِعَ ٱلْإِصَابَةِ وَيَنْتَهِزَ بِهِ ٱسْتِدْرَاكَ ٱلْخَطَإِ . فَقَدْ قِيلَ : مَنْ كَثُرَ ٱعْتِبَارُهُ قَلَّ عِثَارُهُ

وَكَمَا يَتَصَفَّحُ ٱلْمَرْءُ أَحْوَالَ نَفْسِهِ فَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَتَصَفَّحَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ فَرُبَّمَا كَانَ ٱسْتِدْرَاكُهُ ٱلصَّوَابَ مِنْهَا أَسْهَلَ

---

(١) استعانة

لِسَلامَةِ ٱلنَّفْسِ مِنْ شُبْهَةِ (١) ٱلْهَوَى وَخُلُوِّ ٱلْخَاطِرِ مِنْ حُسْنِ ٱلظَّنِّ . فَإِنْ ظَفِرَ بِصَوَابٍ وَجَدَهُ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ أَعْجَبَهُ جَمِيلٌ مِنْ فِعْلِهِ زَيَّنَ نَفْسَهُ بِٱلْعَمَلِ بِهِ . فَإِنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنْ تَصَفَّحَ أَفْعَالَ غَيْرِهِ فَٱقْتَدَى بِأَحْسَنِهَا وَٱنْتَهَى عَنْ سَيِّئِهَا

﴿ الفصل الثامن ﴾

« فِي شُرُوطِ ٱلْكَلَامِ »

إِنَّ لِلْكَلَامِ شُرُوطاً لَا يَسْلَمُ ٱلْمُتَكَلِّمُ مِنَ ٱلزَّلَلِ إِلَّا بِهَا وَلَا يَعْرَى مِنَ ٱلنَّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا . وَهِيَ أَرْبَعَةٌ : فَٱلشَّرْطُ ٱلْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ ٱلْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ إِمَّا فِي ٱجْتِلَابِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ . وَٱلشَّرْطُ ٱلثَّانِي أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ وَيَتَوَخَّى بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ . وَٱلشَّرْطُ ٱلثَّالِثُ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ . وَٱلشَّرْطُ ٱلرَّابِعُ أَنْ يَتَخَيَّرَ ٱللَّفْظَ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ . فَهٰذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ مَتَى أَخَلَّ ٱلْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ بَاقِيهَا

فَأَمَّا ٱلشَّرْطُ ٱلْأَوَّلُ وَهُوَ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱلْكَلَامِ فَلِأَنَّ مَا لَا دَاعِيَ لَهُ هَذَيَانٌ وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هُجْرٌ (٢) وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي

(١) التباس (٢) الهجر القبيح من الكلام

ٱلْكَلَامِ إِذَا عَنَّ[1] وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ وَإِصَابَةَ مَعَانِيهِ كَانَ قَوْلُهُ مَرْذُولاً وَرَأْيُهُ مَعْلُولاً

وَأَمَّا الشَّرْطُ ٱلثَّانِي فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْكَلَامِ فِي مَوْضِعِهِ لِأَنَّ ٱلْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعَ ٱلِانْتِفَاعِ بِهِ . وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنَ ٱلْكَلَامِ فَهُوَ هَذَيَانٌ وَهُجْرٌ . فَإِنْ قَدَّمَ مَا يَقْتَضِي ٱلتَّأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخُرْقاً وَإِنْ أَخَّرَ مَا يَقْتَضِي ٱلتَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِياً وَعَجْزاً . لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلاً وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلاً

وَأَمَّا ٱلشَّرْطُ ٱلثَّالِثُ وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ إِنْ لَمْ يَنْحَصِرْ بِٱلْحَاجَةِ وَلَمْ يُقَدَّرْ بِٱلْكِفَايَةِ لَمْ يَكُنْ لِحَدِّهِ غَايَةٌ وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَحْصُوراً كَانَ حَصَراً إِنْ قَصُرَ وَهَذَراً إِنْ كَثُرَ . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ ٱلْهَذَرِ أَشْنَعُ

وَأَمَّا ٱلشَّرْطُ ٱلرَّابِعُ وَهُوَ ٱخْتِيَارُ ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ فَلِأَنَّ ٱللِّسَانَ عُنْوَانُ ٱلْإِنْسَانِ يُتَرْجِمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيُبَرْهِنُ عَنْ مَحْصُولِهِ . فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ أَلْفَاظِهِ حَرِيّاً وَبِتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيّاً[2] فَلَا يَأْتِيَ بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهِ ٱللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلِّ ٱلْمَعْنَى

---

(١) ظهر واعترض (٢) اصله مليئاً اي مقتدراً

﴿ الفصل التاسع ﴾

« فِي تَحَمُّلِ ٱلْمَكَارِهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَكَارِمِ »

فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْمُرُوءَةِ لَيَكُونُ خَامِلَ ٱلذِّكْرِ خَافِضَ ٱلْمَنْزِلَةِ . فَتَأْبَى مُرُوءَتُهُ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْلِيَ وَيَرْتَفِعَ . كَالشُّعْلَةِ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي يَصُونُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ٱرْتِفَاعاً

وَقَالَ حَبِيبٌ ٱلطَّائِيُّ :

أَعَاذِلَتِي مَا أَخْشَنَ ٱللَّيْلَ مَرْكَباً ۞ وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي ٱلْمُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ

ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُقَاسِهَا ۞ فَأَهْوَالُهُ ٱلْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ

وَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ۞ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ۞ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَقْنَعَنَّ وَمَطْلَبٌ لَكَ مُمْكِنٌ ۞ فَإِذَا تَضَايَقَتِ ٱلْمَطَالِبُ فَٱقْنَعِ

وَمِنَ ٱلدِّيوَانِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

أَعَاذِلَتِي عَلَى إِتْعَابِ نَفْسِي ۞ وَرَعْيِي فِي ٱلسُّرَى رَوْضَ ٱلسُّهَادِ

إِذَا شَامَ ٱلْفَتَى بَرْقَ ٱلْمَعَالِي فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ ٱلرُّقَادِ

وَقَدْ أَجْمَعَ حُكَمَاءُ ٱلْعَرَبِ وَٱلْعَجَمِ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ نَعِيمٌ بِنَعِيمٍ قَطُّ. وَمَا أُدْرِكَ نَعِيمٌ إِلَّا بِبُؤْسٍ قَبْلَهُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ: ٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي مَا أُكْرِهَتِ ٱلنُّفُوسُ عَلَيْهِ. وَعَوَاقِبُ ٱلْمَكَارِهِ مَحْمُودَةٌ. وَقَالَ آخَرُ: مَنْ طَلَبَ ٱلْمَكْرُمَةَ فَلْيَتَحَمَّلْ مَكْرُوهَهَا. وَقِيلَ: ٱلْمَكَارِمُ مَوْصُولَةٌ بِٱلْمَكَارِهِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُصَحَاءِ: مَنْ قَصُرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمَعَالِي فَهُوَ صَغِيرُ ٱلْأَخْلَاقِ. ٱلدَّهْرُ يَرْفَعُهُ وَهِمَّتُهُ تَضَعُهُ. وَهٰؤُلَاءِ بَنُو ٱلْهِمَمِ ٱلْهَوَامِدِ وَٱلنُّفُوسِ ٱلْخَوَامِدِ وَٱلْمُرُوآتِ ٱلنِّيَامِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

بِقَدْرِ ٱلْكَدِّ تُكْتَسَبُ ٱلْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى سَهِرَ ٱللَّيَالِي
يَغُوصُ ٱلْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ ٱللَّآلِي وَيَحْظَى بِٱلسِّيَادَةِ وَٱلنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ ٱلْعُمْرَ فِي طَلَبِ ٱلْمُحَالِ

وَقَالَ أَبُو دُلَفَ:

لَيْسَ ٱلْمُرُوءَةُ أَنْ تَبِيتَ مُنَعَّماً وَتَظَلَّ مُعْتَكِفاً عَلَى ٱلْأَقْدَاحِ
مَا لِلرِّجَالِ وَلِلتَّنَعُّمِ إِنَّمَا خُلِقُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَكِفَاحِ

وَقَالَ صَفِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْحِلِّيُّ:

لَا يَمْتَطِي ٱلْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْخَطَرَا وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ قَدَّمَ ٱلْحَذَرَا

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْعُلَى عَفْواً بِـلا تَعَبٍ
قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَـا وَطَرَا

وَقَالَ ٱلتِّهَامِيُّ :

سَأُنْفِقُ رَيْعَانَ ٱلشَّبِيبَةِ دَائِباً عَلى طَلَبِ ٱلْعَلْيَاء أَوْ طَلَبِ ٱلْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ ٱلْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِياً تَمُرُّ بِلا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي

﴿ الفصل العاشر ﴾

« فِي ٱلْمُنَافَسَةِ »

أَلْمُنَافَسَةُ [١] طَلَبُ ٱلتَّشَبُّهِ بِٱلْأَفَاضِلِ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ . وَٱلْحَسَدُ مَصْرُوفٌ إِلى ٱلضَّرَرِ لِأَنَّ غَايَتَهُ أَنْ يُعْدَمَ ٱلْأَفَاضِلُ فَضْلَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَاسِدِ . فَهٰذَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْمُنَافَسَةِ وَٱلْحَسَدِ . فَٱلْمُنَافَسَةُ إِذاً فَضِيلَةٌ لِأَنَّهَا دَاعِيَةٌ إِلى ٱكْتِسَابِ ٱلْفَضَائِلِ وَٱلِاقْتِدَاء بِأَخْيَارِ ٱلرِّجَالِ

قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : ٱلْحَسَدُ حَسَدَانِ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ . فَٱلْمَحْمُودُ أَنْ تَرَى عَالِماً فَتَشْتَهِيَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ زَاهِداً فَتَشْتَهِيَ مِثْلَ فِعْلِهِ . وَهٰذَا ٱلنَّوْعُ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُنَافَسَةُ . وَٱلْمَذْمُومُ أَنْ تَرَى عَالِماً أَوْ فَاضِلاً أَوْ غَنِيّاً أَوْ وَجِيهاً فَتَشْتَهِيَ أَنْ تَزُولَ

---

(١) من نافس في الشيء اذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم وبالغ فيه وغالى وزايد

عَنْهُ نِعْمَتُهُ حَسَداً وَبُغْضاً

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : حَقِيقَةُ ٱلْحَسَدِ شِدَّةُ ٱلْأَسَى عَلَى خَيْرَاتِ غَيْرِكَ • وَرُبَّمَا غَلِطَ قَوْمٌ فَظَنُّوا أَنَّ ٱلْمُنَافَسَةَ فِي ٱلْخَيْرِ هِيَ ٱلْحَسَدُ وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّوا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْمُنَافَسَةُ تَحْمِلُ ٱلْمَرْءَ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ٱلزِّيَادَةَ ٱقْتِدَاءً بِغَيْرِهِ • وَهٰذَا قَدْ تُثْمِرُهُ مُجَالَسَةُ ٱلْأَخْيَارِ ٱلْأَفَاضِلِ وَتُحْدِثُهُ مُكَاثَرَةُ (١) ٱلْأَتْقِيَاءِ ٱلْأَمَاثِلِ • فَإِذَا كَاثَرَهُمُ ٱلْمُجَالِسُ وَطَاوَلَهُمُ ٱلْمُؤَانِسُ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي أَفْعَالِهِمْ وَيَتَأَسَّى (٢) بِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يُقَصِّرَ عَنْهُمْ وَلَا أَنْ يَكُونَ فِي ٱلْخَيْرِ دُونَهُمْ فَتَبْعَثُهُ ٱلْمُنَافَسَةُ عَلَى مُسَاوَاتِهِمْ وَرُبَّمَا دَعَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ (٣) إِلَى ٱلزِّيَادَةِ عَلَيْهِمْ وَٱلْمُكَاثَرَةِ لَهُمْ فَيَصِيرُونَ سَبَباً لِسَعَادَتِهِ وَبَاعِثاً عَلَى ٱسْتِزَادَتِهِ

وَقَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ :

لَا تَحْسِدُوهُ فَضْلَ رُتْبَتِهِ ٱلَّتِي ... أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَٱفْعَلُوا كَفِعَالِهِ

وَأَنْشَدَ أَبُو ٱلْعَيْنَاءِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِلَالُ ٱمْرِئٍ ... فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ

(١) المكاثرة المغالبة في الكثرة (٢) يقتدي (٣) الانفة لانها سبب الحماية

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

« فِي مَدْحِ ٱلْأَمَانِي وَٱلآمَالِ »

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا يَنْقَطِعُ رَجَاءُ ٱلْمَرْءِ مَا لَمْ تَنْقَطِعْ حَيَاتُهُ . وَقَالَ بَشَّارٌ : ٱلْمَرْءُ لَا يَنْفَكُّ مِنْ أَمَلٍ . فَإِنْ فَاتَهُ عَوَّلَ عَلَى ٱلْأَمَانِي

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : أَعْظَمُ ٱلْمَصَائِبِ ٱنْقِطَاعُ ٱلرَّجَاءِ

وَقَالَ ٱلْحُسَيْنُ : لَوْ تَصَوَّرَ ٱلنَّاسُ ٱلْمَوْتَ بِصُورَتِهِ وَقَطَعُوا ٱلآمَالَ لَخَرِبَتِ ٱلدُّنْيَا

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ٱلْحَارِث يَمْدَحُ ٱلْمُنَى

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ ٱلْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا ٱزْدَحَمَتْ هُمُومِي فِي فُؤَادِي طَلَبْتُ لَهَا ٱلْمَخَارِجَ بِٱلتَّمَنِّي

وَقَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلآمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ

وَقَالَ ٱلنَّظَّامُ : كُنَّا نَلْهُو بِٱلْأَمَانِي وَتَطِيبُ أَنْفُسُنَا بِهَا . فَلَمَّا ذَهَبَتِ ٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ وَتَكَدَّرَتْ مَوَارِدُ ٱلْحَيَاةِ

قِيلَ لِبُزُرْجُمهرَ : مَا ٱلَّذِي يُشَدِّدُ ٱلْبَلاءَ عَلى ٱلنَّاسِ . فَقَالَ ٱلْقُنُوطُ وَٱلِاسْتِبْسَالُ . قِيلَ : فَمَا ٱلَّذِي يُهَوِّنُهُ عَلَيْهِمْ . قَالَ : ٱلرَّجَاءُ وَحُسْنُ ٱلظَّنِّ

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

« فِي ذَمِّ طُولِ ٱلْأَمَلِ »

قَالَ عَلِيٌّ : مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يُفَارِقُ ٱلْأَحْبَابَ وَيَسْكُنُ ٱلتُّرَابَ وَيُوَاجِهُ ٱلْحِسَابَ . وَيَسْتَغْنِي عَمَّا تَرَكَ وَيَفْتَقِرُ إِلى مَا قَدَّمَ كَانَ حَرِيًّا بِقِصَرِ ٱلْأَمَلِ وَطُولِ ٱلْعَمَلِ

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : إِيَّاكُمْ وَطُولَ ٱلْأَمَلِ : فَإِنَّ مَنْ أَلْهَاهُ أَمَلُهُ أَخْزَاهُ عَمَلُهُ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : مَنِ ٱعْتَمَدَ عَلى آمَالِهِ قَلَّ سَعْيُهُ وَخَابَ ظَنُّهُ . وَقَالَ ٱلْحَسَنُ : إِيَّاكُمْ وَهٰذِهِ ٱلْأَمَانِيَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ بِٱلْأُمْنِيَّةِ خَيْراً قَطُّ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَا يَزَالُ ٱلْكَبِيرُ شَابًّا فِي ٱثْنَيْنِ: حُبِّ ٱلْمَالِ وَطُولِ ٱلْأَمَلِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : ثَلاثٌ تُخْلِقُ ٱلْعَقْلَ وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلى ٱلضُّعْفِ : سُرْعَةُ ٱلْجَوَابِ وَطُولُ ٱلتَّمَنِّي وَٱلِاسْتِغْرَابُ فِي ٱلضَّحِكِ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْجَاهِلُ طَوِيلُ ٱلْأَمَلِ مُسِيءُ ٱلْعَمَلِ

وَقَالَ آخَرُ : ٱلْجَاهِلُ يَعْتَمِدُ عَلى أَمَلِهِ وَٱلْعَاقِلُ يَعْتَمِدُ على عَمَلِهِ
وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاء : ٱلْأَمَلُ كَٱلسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَآهُ وَخَابَ مَنْ رَجَاهُ ‧ وَجَاء فِي ٱلْأَمْثَالِ : ٱلْآمَالُ مَصَايِدُ ٱلرِّجَالِ
وَجَاء فِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ : ٱلْمُنَى مِنْ بَضَائِعِ ٱلْجُهَّالِ
وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

فَلَا تَتَعَلَّلْ بِٱلْأَمَانِي فَإِنَّهَا عَطَايَا أَحَادِيثِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْكَوَاذِبِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أُمَيَّةَ :

أَقْطَعُ ٱلدَّهْرَ بِظَنٍّ حَسَنٍ وَأُجَلِّي كُرْبَةً لَا تَنْجَلِي
كُلَّمَا أَمَّلْتُ وَجْهاً صَالِحاً عَرَضَ ٱلْمَكْرُوهُ دُونَ ٱلْأَمَلِ
وَكَذَا ٱلْأَيَّامُ لَا تُدْنِي ٱلَّذِي أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : كَثْرَةُ ٱلْمُنَى تُخْلِقُ ٱلْعَقْلَ وَتَطْرُدُ ٱلْقَنَاعَةَ وَتُفْسِدُ ٱلْحِسَّ ‧ وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاء : ٱلْخِذْلَانُ مُسَامَرَةُ ٱلْأَمَانِي وَٱلتَّوْفِيقُ رَفْضُ ٱلتَّوَانِي
وَقَالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلَاء : مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ كَانَ عَاثِراً بِأَجَلِهِ ‧ وَقَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبِصْرِيُّ : مَا أَطَالَ عَبْدٌ ٱلْأَمَلَ إِلَّا أَسَاء ٱلْعَمَلَ ‧ وَقَالَ آخَرُ : مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ حَسُنَ عَمَلُهُ ‧ وَقِيلَ مَنْ عَدَّ غَداً مِنْ أَجَلِهِ فَقَدْ أَسَاء
وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَلَا خَيْرَ فِي أَنْ يَكْذِبَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ وَتَقْوَالِهِ لِلشَّيْءِ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ ٱلطَّائِيُّ :

مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضَ ٱلْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولَا

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

« فِي ٱلْمُمَارَاةِ »

قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : ٱلْمُشَارَاةُ [١] وَٱلْمُمَارَاةُ [٢] يُفْسِدَانِ ٱلصَّدَاقَةَ ٱلْقَدِيمَةَ وَيَحُلَّانِ ٱلْعُقْدَةَ ٱلْوَثِيقَةَ

وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : مَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . وَمَنْ يُكْثِرِ ٱلْمِرَاءَ يُشْتَمْ . وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ يُتَّهَمْ . يَا بُنَيَّ لَا تُمَارِ ٱلْعُلَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ

وَقَالَ آخَرُ : ٱلْمِرَاءُ يُقَسِّي ٱلْقُلُوبَ وَيُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ : إِذَا رَأَيْتَ ٱلرَّجُلَ لَجُوجاً مُمَارِياً مُعْجَباً بِنَفْسِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ

وَقَالَ ٱلْأَوْزَاعِيُّ : إِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَعْطَاهُمُ ٱلْجَدَلَ وَمَنَعَهُمُ ٱلْعَمَلَ . وَقَالَ بَعْضُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ لِمَرَازِبَتِهِ : [٣] أُوصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةُ أَنْفُسِكُمْ وَٱسْتِقَامَةُ أُمُورِكُمْ : أُوصِيكُمْ

---

(١) المجادلة (٢) المجادلة والمنازعة والطعن في القول تصغيرا للقائل

(٣) جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس

بِتَرْكِ ٱلْمِرَاء . وَٱجْتِنَابِ ٱلتَّفَاخُرِ . وَٱلِاصْطِبَارِ عَلَى ٱلْقَنَاعَةِ وَٱلرِّضَاء بِٱلْحُظُوظِ . وَأُوصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمُلُ . وَأَنْهَاكُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَقْبُحُ : وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ :

لَا تَقُولَنَّ مَا يَسُوءُكَ جَوَابُهُ . وَلَا تُمَارِ لَجُوجاً فِي مَحْفِلِ

وَأَوْصَى عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلاً فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ . وَدَعِ ٱلْكَلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً . وَلَا تُمَارِيَنَّ فَقِيهاً وَلَا سَفِيهاً . فَإِنَّ ٱلْفَقِيهَ يُطْغِيكَ وَٱلسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَٱذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعْهُ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذٰلِكَ ٱلْعَدْلُ . وَٱعْمَلْ عَمَلَ ٱمْرِئٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِٱلْإِحْسَانِ مَأْخُوذٌ بِٱلْإِجْرَامِ

وَقَالَ ٱلْغَزَّالِيُّ : لَا تُنَاظِرْ أَحَداً فِي مَسْئَلَةٍ مَا ٱسْتَطَعْتَ لِأَنَّ فِيهَا آفَةً كَثِيرَةً وَإِثْمُهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا . نَعَمْ لَوْ وَقَعَتْ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَتْ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ يَظْهَرَ ٱلْحَقُّ جَازَ لَكَ ٱلْبَحْثُ . لٰكِنْ لِتِلْكَ ٱلْإِرَادَةِ عَلَامَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْ يَنْكَشِفَ ٱلْحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ . وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ ٱلْبَحْثُ فِي ٱلْخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي ٱلْمَلَاءِ

الباب الثالث

الشعر القديم

١ً في المدح والتهنئة

« من قصيدة للمتنبيّ يمدح بها ابا شجاع فاتك بعد قدومه من الفيوم الى »
« مصر حاملًا اليه هدية قيمتها الف دينار »

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ
وَٱجْزِ ٱلْأَمِيرَ ٱلَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى ٱلنَّاسِ أَقْوَالُ
فَرُبَّمَا جَزَتِ ٱلْإِحْسَانَ مُولِيَهُ خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى ٱلْحَيِّ مِكْسَالُ
وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ ٱلْمَالَ فَرَّحَنِي سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ ٱلْحَقِّ بُخَّالُ
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ ٱلْحَزْنِ (١) بَاكَرَهُ غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ (٢) ٱلْأَرْضِ هَطَّالُ
لَا يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ عَلَى ٱلسَّادَاتِ فَعَّالُ
لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ ٱلسَّيْفِ سَأَّالُ
تَدْرِي ٱلْقَنَاةُ إِذَا ٱهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ أَنَّ ٱلشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ

---

(١) الحزن خلاف السهل (٢) جمع سبخة وهي الارض ذات نزّ وملح

تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى ٱلْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَا لَهُ بِأَقَاصِي ٱلْأَرْضِ أَهْمَالُ(١)
لَا يَحْرِمُ ٱلْبُعْدُ أَهْلَ ٱلْبُعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ ٱلْأُطَيْفَالُ
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَفِيهَا ٱلْمَاءُ وَٱلْآلُ(٢)
إِذَا ٱلْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ ٱلْكَعْبِ عَسَّالُ(٣)
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمِفْضَالِ مِفْضَالُ
وَلَا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي ٱلرَّوْعِ بَذَّالُ
لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ أَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذِكْرُ ٱلْفَتَى عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ

« وله من قصيدة في شجاع بن محمد الطائي المنبجي »

هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ ٱلْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ٱلنَّصْلُ
إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ ٱلْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
تَبَاعَدَتِ ٱلْآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِهِ ٱلسُّبْلُ
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا ٱلْقَطْرُ وَٱلرَّمْلُ

---

(١) جمع همل وهي الابل التي ترعى بلا راع . (٢) ما تراه نصف النهار كأنه ماء . (٣) الاصم الصلب والكعب الناشز بين انبوبي الرمح والعسال المضطرب

وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً[1] وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ وَلَا في بِلادٍ أَنتَ صَيِّبُهَا[2] مَحْلُ

« وله من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وانشده اياها »
« بآمد وكان منصرفاً من بلاد الروم »

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ[3]
لَوْلَا سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالْأَجْفَانِ
خَاضَ الْحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دَرَى أَمِنِ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ
وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعُلَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ
وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ
مَازِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكاً فِي الذُّرَى[4] ضَرْباً كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ
خَصَّ[5] الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ

---

(١) غفلة (٢) الصيب المطر الشديد (٣) الكماة الابطال والعوالي صدور الرماح والمرّان الرماح اللينة (٤) دراكاً متابعاً . والذرى جمع ذروة وهي اعلى كل شيء واراد بها هنا اعالي ابدانهم والضمير في فيه راجع الى ضربا (٥) فاعل خص ضمير يرجع الى السيف

فَرَمَوا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا يَطَأُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانِ (١)
حُرِمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الْإِخْوَانِ
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ
تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ (٢) الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النِّيرَانِ
أَنْسَابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمِ إِلَى عَدْنَانِ

« وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن انطاكية »

أَيْنَ أَزْمَعْتَ (٣) أَيُّ هٰذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ
لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْـلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ
وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـرِ لَوَ انَّا سِوَى نَوَالِكَ نُسَامُ (٤)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمَامٌ كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ
أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ (٥)

---

(١) الحنية القوس والمرنان الكثيرة الرنين (٢) يريد بها الرؤوس (٣) عزمت
(٤) نكلف (٥) الخميس الجيش . واللهام الكثير الذي يلتهم كل شيء

وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ [1]
وَإِذَا جَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ
كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَماً مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ
إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلْكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ
فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ

« ومن قصيدة للبحتري يمدح فيها ابن ثوابة »

إِنَّ الْمَعَالِي سَلَكْنَ قَصْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ حَتَّى عُدِدْنَ مِنْ شِيَمِهْ
مُعَظَّمٌ لَمْ يَزَلْ تَوَاضُعُهُ لِآمِلِيهِ يَزِيدُ فِي عِظَمِهْ
مَا السَّيْفُ عَضْباً يُضِيءُ رَوْنَقُهُ أَمْضَى عَلَى النَّائِبَاتِ مِنْ قَلَمِهْ
مَا خَالَفَ الْمُلْكُ حَالَتَيْهِ وَلَا غَيَّرَ عِزُّ السُّلْطَانِ مِنْ كَرَمِهْ
إِذَا رَأَيْنَا ذَوِي عِنَايَتِهِ لَدَيْهِ خِلْنَاهُمُ ذَوِي رَحِمِهْ
وَإِنْ نَزَلْنَا حَرِيمَهُ فَلَنَا هُنَاكَ أَمْنُ الْحَمَامِ فِي حَرَمِهْ
كَانَ لَهُ اللهُ حَيْثُ كَانَ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ طَوْلِهِ [2] وَمِنْ نِعَمِهْ
لَهُ أَيَادٍ عِنْدِي وَلِي أَمَلٌ مَا زَالَ فِي عَهْدِهِ وَفِي ذِمَمِهْ

« وقال يمدح المعتز بالله من قصيدة »

أَصْبَحَتْ رُتْبَةُ الْخِلَافَةِ لِلْمُعْتَزِّ بِاللهِ مَنْزِلًا وَمَحَلَّا

---

(١) الذمام العهد (٢) فضله

جَمَعَ ٱللهُ شَمْلَهَا فِي يَدَيْهِ وَرَآهُ لَهَا مَكَاناً وَأَهْلَا
مَلِكٌ مَا بَدَا لِعَيْنِكَ إِلَّا قُلْتَ بَحْرٌ طَمَا وَبَدْرٌ تَجَلَّى
لَابِسٌ حُلَّةَ ٱلْوَقَارِ وَمِنْ أُبَّهَةِ ٱلسَّيْفِ أَنْ يَكُونَ مُحَلَّى
يَا جَمَالَ ٱلدُّنْيَا سَنَاءً وَمَجْداً وَثِمَالَ [1] ٱلدُّنْيَا عَطَاءً وَبَذْلَا
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي ٱلسُّؤْ دُدِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْمَكَارِمِ مِثْلَا
أَنْتَ أَنْدَى كَفًّا وَأَشْرَفُ أَخْلَا قاً وَأَزْكَى قَوْلًا وَأَكْرَمُ فِعْلَا

« وله من قصيدة في مدح الفضل بن العباس بن المأمون »

لِلْفَضْلِ أَفْعَالٌ يَلِقْنَ بِفَضْلِهِ مَا كَانَ يَرْغَبُ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ
جَمَعَ ٱلْمَكَارِمَ كُلَّهَا بِخَلَائِقٍ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي سَيِّدٍ مِنْ قَبْلِهِ
فَمَتَى يَقِفْ تَقِفِ ٱلْعُلَى وَمَتَى يَسِرْ مُتَوَجِّهاً تَسِرِ ٱلْعُلَى فِي ظِلِّهِ
إِحْسَانُهُ دَرَكُ [2] ٱلرَّجَاءِ وَقَوْلُهُ عِنْدَ ٱلْمَوَاعِدِ قِطْعَةٌ مِنْ فِعْلِهِ
لَمْ تُجْهِدِ ٱلْإِخْوَانَ غَايَةُ سُؤْدُدٍ إِلَّا تَنَاوَلَهَا بِأَهْوَنِ رَسْلِهِ

« وقال يمدح ابراهيم بن المدبّر من قصيدة »

عِشْ لِلْمُرُوءَةِ وَٱلْفُتُوَّةِ وَٱلْعُلَى وَمَحَاسِنِ ٱلْآدَابِ وَٱلْأَخْلَاقِ
أَمَّا مَسَامِعُنَا ٱلظِّمَاءُ فَإِنَّهَا تُرْوَى بِمَاءِ كَلَامِكَ ٱلرَّقْرَاقِ [3]
وَإِذَا ٱلنَّوَائِبُ أَظْلَمَتْ أَحْدَاثُهَا لَبِسَتْ بِوَجْهِكَ أَحْسَنَ ٱلْإِشْرَاقِ

---

(١) الثمال الغياث الذي يقوم بامر قومه (٢) الدرك اللاحق التابع (٣) المتلألئ

وَإِذَا غُيُومُكَ أَبْرَقَتْ لَمْ نَكْتَرِثْ لِلْخَطْبِ ذِي ٱلْإِرْعَادِ وَٱلْإِبْرَاقِ
حُفِظَ ٱلْقَرِيضُ فَلَمْ يُضَيَّعْ حَقُّهُ أَبَداً وَأَنْتَ لَهُ مِنَ ٱلْعُشَّاقِ
هَا إِنَّهُ وَعَطَاؤُكَ ٱلْجَمُّ ٱللُّهَى[1] أَخَوَانِ ذَا فَانٍ وَهٰذَا بَاقِ
أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا بَسَطْتَ بِهِ يَدِي وَحَلَلْتَ مِنْ أَسْرِ ٱلزَّمَانِ وِثَاقِي
هِيَ نِعْمَةٌ لَوْ قِيسَتِ ٱلدُّنْيَا بِهَا فَضَلَتْ جَوَانِبُهَا عَلَى ٱلْآفَاقِ
كُنْتُ ٱلْغَرِيبَ فَإِذْ عَرَفْتُكَ عَادَ لِي أُنْسِي وَأَصْبَحَتِ ٱلْعِرَاقُ عِرَاقِي

« وقال يمدح محمد بن يحيي الواثقي من قصيدة »

كُلَّ يَوْمٍ يَسُنُّ مَجْداً جَدِيداً بِفَعَالٍ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ بَدِيعِ
أَدَبٌ لَمْ تُصِبْهُ ظُلْمَةُ جَهْلٍ فَهْوَ كَٱلشَّمْسِ عِنْدَ وَقْتِ ٱلطُّلُوعِ
وَيَدٌ لَا يَزَالُ يَصْرَعُهَا ٱلْجُو دُ وَرَأْيٌ فِي ٱلْخَطْبِ غَيْرُ صَرِيعِ
بَاتَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ فَحَمَاهُ خَلْفَ سُورٍ مِنَ ٱلسَّمَاحِ مَنِيعِ
وَإِذَا سَابَقَ ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْمَجْ دِ فَمَا ٱلْبَرْقُ خَلْفَهُ بِسَرِيعِ
وَمَتَى مَدَّ كَفَّهُ نَالَ أَقْصَى ذٰلِكَ ٱلسُّؤْدُدِ ٱلْبَعِيدِ ٱلشُّسُوعِ[2]
أُسْوَةٌ لِلصَّدِيقِ يَدْنُو إِلَيْهِ عَنْ مَحَلٍّ فِي ٱلنَّيْلِ عَالٍ رَفِيعِ
وَإِذَا مَا ٱلشَّرِيفُ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلْأَخِلَّاءِ كَانَ عَيْنَ ٱلْوَضِيعِ
يَا أَبَا جَعْفَرٍ عَدِمْتُ نَوَالاً لَسْتَ فِيهِ مُشَفِّعِي أَوْ شَفِيعِي

(١) جمع لهوة وهي العطية (٢) الشسوع البعد

أَنتَ أَعزَزْتَنِي وَرُبَّ زَمَانٍ طَالَ فِيهِ بَيْنَ ٱللِّئَامِ خُضُوعِي
لَمْ تُضِعْنِي لَمَّا أَضَاعَنِيَ ٱلدَّهْـ رُ وَلَيسَ ٱلْمُضَاعُ إِلَّا مُضِيعِي

« ومن قصيدة لابي تمَّام يمدح بها ابا سعيد وقد قدم »
« من مكة »

كُنْتُ أَرْعَى ٱلْبُدُورَ حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرْعَى ٱلنُّجُومَا
قَدْ مَرَرْنَا بِٱلدَّارِ وَهْيَ خَلَاءٌ فَبَكَيْنَا طُلُولَهَا وَٱلرُّسُومَا
وَسَأَلْنَا رُبُوعَهَا فَٱنْصَرَفْنَا بِشِفَاءٍ وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمَا
أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ ٱلشَّبَابِ هَشِيمًا وَغَدَتْ رِيحُهُ ٱلْبَلِيلُ سَمُومَا
شُعْلَةٌ فِي ٱلْمَفَارِقِ ٱسْتَوْدَعَتْنِي فِي صَمِيمِ ٱلْفُؤَادِ ثُكْلًا صَمِيمَا
لَنْ يَنَالَ ٱلْعُلَى خُصُوصًا مِنَ ٱلْفِتْـ يَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ نَدَاهُ عُمُومَا
كَرُمَتْ رَاحَتَاهُ فِي أَزَمَاتٍ كَانَ فِيهَا صَوْبُ ٱلْغَمَامِ لَئِيمَا
قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمَا
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيسَ إِلَّا بِشِقِّ ٱلنَّـ فْسِ صَارَ ٱلْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمَا
تَجِدُ ٱلْمَجْدَ فِي ٱلْبَرِيَّةِ مَنْثُو رًا وَتَلْقَاهُ عِنْدَهُ مَنْظُومَا
تَيَّمَتْهُ ٱلْعُلَى فَلَيسَ يَعُدُّ ٱلْـ بُؤْسَ بُؤْسًا وَلَا ٱلنَّعِيمَ نَعِيمَا
كُلَّمَا زُرْتَهُ وَجَدْتَ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمَا
كُلَّ حَالٍ تَلْقَاهُ فِيهَا وَلٰكِنْ لَيسَ يُلْفَى فِي حَالَةٍ مَذْمُومَا

« وله من قصيدة يمدح فيها عيَّاش بن لهيعة الحضرمي »

رَأَيتُ لِعَيَّاشٍ خلائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إلَّا في ٱللُّبَابِ ٱلْمُهَذَّبِ
لَهُ كَرَمٌ لَوْ كانَ في ٱلْماءِ لَمْ يَغِضْ وَفي ٱلْبَرْقِ مَاشَامَ ٱمْرُؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ
أَخُو أَزَمَاتٍ بَــذْلُهُ بَذْلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا وَلٰكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ
إِذَا أَمَّهُ ٱلْعَافُونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ مِلاءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ
إِذَا قَالَ أَهْــلًا مَرْحَباً نَبَعَتْ لَهُمْ
مِيَاهُ ٱلنَّدَى مِنْ تَحْتِ أَهْلٍ وَمَرْحَبِ
هُمَامٌ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ كَيْفَ هَزَزْتَهُ وَجَدْتَ ٱلْمَنَايَا مِنْهُ في كُلِّ مَضْرِبِ
تَرَكْتَ حُطَاماً مَنْكِبَ ٱلدَّهْرِ إِذْ نَوَى زِحَامِيَ لَمَّا أَنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِي
وَمَا ضِيقُ أَقْطَارِ ٱلْبِلَادِ أَضَافَنِي إِلَيْكَ وَلٰكِنْ مَذْهَبِي فِيكَ مَذْهَبِي
فَقَوَّمْتَ لِي مَا ٱعْوَجَّ مِنْ قَصْدِ هِمَّتِي وَبَيَّضْتَ لِي مَا ٱسْوَدَّ مِنْ وَجْهِ مَطْلَبِي
وَهَاكَ ثِيَابَ ٱلْمَدْحِ فَٱجْرُرْ ذُيُولَهَا عَلَيْكَ وَهٰذَا مَرْكَبُ ٱلْحَمْدِ فَٱرْكَبِ

« وله من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف الطائي »

يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ ٱلْعَيْنِ إِنْ بَعُدُوا هِيَ ٱلصَّبَابَةُ طُولَ ٱلدَّهْرِ وَٱلسَّهَدُ
قَالُوا ٱلرَّحِيلُ غَداً لَا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ أَلْآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ ٱسْمَ ٱلْحِمَامِ غَدُ
كَأَنَّمَا ٱلْبَيْنُ مِنْ إِلْحَاحِهِ أَبَــداً عَلَى ٱلنُّفُوسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ
تَدَاوَ مِنْ شَوْقِكَ ٱلْأَقْصَى بِمَا فَعَلَتْ خَيْلُ ٱبْنِ يُوسُفَ وَٱلْأَبْطَالُ تَطَّرِدُ

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ ٱلْمَوْتُ ٱلذُّعَافُ بِهِ ... فَٱلْمَجْدُ يُوجَدُ وَٱلْأَرْوَاحُ تُفْتَقَدُ
تَرَكْتَ مِنْهُمْ سَبِيلَ ٱلنَّارِ سَابِلَةً ... فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهَا عُصْبَةٌ تَفِدُ
فَٱفْخَرْ فَمَا مِنْ سَمَاءٍ لِلْعُلَى رُفِعَتْ ... إِلَّا وَأَفْعَالُكَ ٱلْحُسْنَى لَهَا عُمُدُ
وَٱعْذِرْ حَسُودَكَ فِي مَا قَدْ خُصِصْتَ بِهِ ... إِنَّ ٱلْعُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا ٱلْحَسَدُ

« وله من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله »

مَدَحْتُ بَنِي ٱلدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهْ ... إِلَى قُطْبِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ
هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ
تَعَوَّدَ بَسْطَ ٱلْكَفِّ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ... ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ ٱللهَ سَائِلُهْ

« وله من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي »

يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلَا ... لَمْ تُبْقِ لِي جَلَداً وَلَا مَعْقُولَا
قَالُوا ٱلرَّحِيلُ فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا ... رُوحِي عَنِ ٱلدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلَا
لَوْ جَاءَ مُرْتَادُ ٱلْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إِلَّا ٱلْفِرَاقَ عَلَى ٱلْمَنُونِ دَلِيلَا
أَتَظُنُّنِي أَجِدُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْعَزَا ... وَجَدَ ٱلْحِمَامُ إِذاً إِلَيَّ سَبِيلَا
رَدُّ ٱلْجَمُوحِ ٱلصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطْلَباً ... مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلَا
ذَكَرَتْكُمُ ٱلْأَنْوَاءُ ذِكْرَى بَعْضِهِمْ ... فَبَكَتْ عَلَيْكُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلَا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ ٱلنَّوَى فَوَجَدْتُهَا ... سَيْفاً عَلَى صَبْرِ ٱلْهَوَى مَسْلُولَا

لَا تَأْخُذَنِّي بِالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِي تَبَعاً وَلَسْتُ عَلَى ٱلزَّمَانِ كَفِيلَا
مَنْ زَاحَفَ ٱلْأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ ٱلْقَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولَا
مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضَ ٱلْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولَا
لَوْ جَازَ سُلْطَانُ ٱلْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي ٱلْأَرْضِ مَا كَانَ ٱلْقَلِيلُ قَلِيلَا
أَلرِّزْقُ لَا تَحْرِصْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولَا
لَا تَدْعُوَنْ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلَا
يُعْطِيكَ لَا فَشِلًا وَلَا مُتَبَرِّماً لٰكِنَّهُ يَجِدُ ٱلْكَثِيرَ قَلِيلَا
يَقِظٌ إِذَا مَا ٱلْمُشْكِلَاتُ عَرَوْنَهُ أَلْفَيْتَهُ ٱلْمُتَبَسِّمَ ٱلْبُهْلُولَا[1]
ثَبْتُ ٱلْمَقَامِ يَرَى ٱلْقَبِيلَةَ وَاحِداً وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ ٱلْقَبِيلُ[2] قَبِيلَا[3]
لَوْ أَنَّ طُولَ قَنَاتِهِ يَوْمَ ٱلْوَغَى مِيلٌ إِذاً نَظَمَ ٱلْفَوَارِسَ مِيلَا
كَمْ وَقْعَةٍ لَكَ فِي ٱلْمَكَارِمِ ضَخْمَةٍ غَادَرْتَ فِيهَا مَا حَوَيْتَ قَتِيلَا
أَوْطَأْتَ أَرْضَ ٱلْبُخْلِ فِيهَا غَارَةً تَرَكَتْ حُزُونَ ٱلْحَادِثَاتِ سُهُولَا
فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَا حَوَيْتَ مِنَ ٱللُّهَى نَزْراً وَأَيْسَرَ مَا شَكَرْتَ جَزِيلَا
لَمْ يَتْرُكِ فِي ٱلْمَجْدِ مَنْ جَعَلَ ٱلنَّدَى فِي مَالِهِ لِلْمُعْتَفِينَ وَكِيلَا
أَوَلَيْسَ عَمْرٌو بَثَّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلنَّدَى حَتَّى ٱشْتَهَيْنَا أَنْ نُصِيبَ بَخِيلَا
ذَاكَ ٱلَّذِي إِنْ كَانَ خِلَّكَ لَمْ تَقُلْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْهُ خَلِيلَا

---

(١) السيد الجامع لكل خير (٢) القبيل الكفيل (٣) قبيلة

« وله من قصيدة يمدح بها فخر الملك وكتب بها اليه وهو بفارس »

أَحَقُّ مَنْ كانَتِ ٱلنَّعْماءُ سابِغَةً عَلَيْهِ مَنْ أَسْبَغَ ٱلنُّعْمى على ٱلأُمَمِ
وَأَجْدَرُ ٱلنَّاسِ أَنْ تَعنُو ٱلرِّقابُ لَهُ مَنِ ٱسْتَرَقَّ رِقابَ ٱلنَّاسِ بِٱلنِّعَمِ
إِذا سَما فَإِلى ٱلعَلْياءِ نَهْضَتُهُ وَإِنْ مَشى فَعَلى ٱلأَعْناقِ وَٱلقِمَمِ
كَمْ غِبْتُ عَنْهُ وَما غابَتْ مَكارِمُهُ وَنِمْتُ عَنْهُ بِآمالِي وَلَمْ يَنَمِ

« ومن قصيدة لصفي الدين الحلي يمدح بها السلطان الملك المنصور »
« نجم الدين ابا الفتح غازي ابن ارتق »

إِنْ لَمْ أَزُرْ رَبْعَكُمْ سَعْياً على ٱلحَدَقِ فَإِنَّ وُدِّيَ مَنْسُوبٌ إِلى ٱلمَلَقِ
تَبَّتْ[1] يَدِي إِنْ ثَنَتْني عَنْ زِيارَتِكُمْ بِيضُ ٱلصِّفاحِ وَلَوْ سُدَّتْ بِها طُرُقِي
يا جِيرَةَ ٱلحَيِّ هَلَّا عادَ وَصْلُكُمُ لِمُدْنِفٍ مِنْ خُمارِ ٱلوَجْدِ لَمْ يُفِقِ
لا تُنْكِرُوا فَرَقِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ إِنَّ ٱلفِراقَ لَمُشْتَقٌّ مِنَ ٱلفَرَقِ
هَبَّ ٱلنَّسِيمُ عِراقِيًّا فَشَوَّقَنِي وَطالَما هَبَّ نَجْدِيًّا فَلَمْ يَشُقِ
فَما تَنَفَّسْتُ وَٱلأَرْواحُ سارِيَةٌ إِلَّا ٱشْتَكَتْ نَسَماتُ ٱلرِّيحِ مِنْ حُرَقِي
ذَرْ أَيُّها ٱلصَّبُّ تَذْكارَ ٱلدِّيارِ إِذا مُتِّعْتَ فِيها بِعَيْشٍ غَيْرِ مُتَّسِقِ
فَهٰذِهِ شُهُبُ ٱلشَّهْباءِ ساطِعَةً وَهٰذِهِ نَسْمَةُ ٱلفِرْدَوْسِ فَٱنْتَشِقِ
سَماءُ مَجْدٍ بَدا فِيها فَزَيَّنَها نَجْمٌ تَخِرُّ لَدَيْهِ أَنْجُمُ ٱلأُفُقِ
مَلْكٌ غَدا ٱلجُودُ جُزْءاً مِنْ أَنامِلِهِ فَلَوْ تَكَلَّفَ تَرْكَ ٱلجُودِ لَمْ يُطِقِ

---

(١) هلكت وضلت

أعادَ لَيلَ ٱلوَرَى صُبحاً وَكَمْ رَكَضَتْ جِيَادُهُ فَأَرَتْنَا ٱلصُّبحَ كَٱلغَسَقِ

مَلْكٌ بِهِ ٱكْتَسَتِ ٱلأَيَّامُ ثَوْبَ بَهاً مِثْلَ ٱكْتِسَاءِ غُصُونِ ٱلبَانِ بِٱلوَرَقِ

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَنْصُورُ طائِرُهُ وَمَنْ أَيَادِيهِ كَٱلأَطْوَاقِ فِي عُنُقِي

أَحْيَيْتَ بِٱلجُودِ آثَارَ ٱلكِرَامِ وَقَدْ كَانَ ٱلنَّدَى بَعْدَهُمْ فِي آخِرِ ٱلرَّمَقِ

لَوْ أَشْبَهَتْكَ بِحَارُ ٱلأَرْضِ فِي كَرَمٍ لَأَصْبَحَ ٱلدُّرُّ مَطْرُوحاً عَلَى ٱلطُّرُقِ

لَوْ أَشْبَهَ ٱلغَيْثُ جُوداً مِنْكَ مُنْهَمِراً

لَمْ يَنْجُ فِي ٱلأَرْضِ مَخْلُوقٌ مِنَ ٱلغَرَقِ

كَمْ قَدْ أَبَدْتَ مِنَ ٱلأَعْدَاءِ مِنْ فِئَةٍ تَحْتَ ٱلعَجَاجِ وَكَمْ فَرَّقْتَ مِنْ فِرَقِ

بِكُلِّ أَبْيَضَ دَامِي ٱلخَدِّ تَحْسَبُهُ صُبْحاً عَلَيْهِ دَمُ ٱلأَبْطَالِ كَٱلشَّفَقِ

فَٱسْتَبْشَرَتْ فِئَةُ ٱلإِسْلامِ إِذْ لَمَعَتْ

لَهُمْ بَوَارِقُ ذَاكَ ٱلعَارِضِ ٱلغَدِقِ

وَأَصْبَحَ ٱلعَدْلُ مَرْفُوعاً عَلَى نَشَزٍ (١) لَمَّا وَلِيتَ وَبَاتَ ٱلجَوْرُ فِي نَفَقِ

كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ ٱلبِيدَ مُمْتَطِياً

عَزْماً إِذَا ضَاقَ رَحْبُ ٱلأَرْضِ لَمْ يَضِقِ

يَدُلُّنِي فِي ٱلدُّجَى مُهْرِي وَيُؤْنِسُنِي حَدُّ ٱلحُسَامِ إِذَا مَا بَاتَ مُعْتَنِقِي

وَٱللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ عَذْلِ ٱلعَذُولِ عَلَى سَمْعِي وَأَظْلَمُ مِنْ مَرْآهُ فِي حَدَقِي

---

(١) النشز المكان المرتفع

« وقال يمدحهُ من قصيدة ويذكر حصاره لقلعة »
« اربل وتسليم اهلها اليه »

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي مَلَكَ ٱلْوَرَى   فَغَدَتْ لِدَوْلَتِـهِ ٱلْعِبَادُ عَبِيدَا
وَافَيْتَ إِذْ مَاتَ ٱلسَّمَاحُ وَأَهْلُهُ   فَأَعَدْتَهُ خَلْقـاً لَدَيْكَ جَدِيدَا
وَقَدِمْتَ نَحْوَ دِيَارِ بَكْرٍ مُظْهِراً   عَدْلًا يُمَهِّـدُ أَرْضَهَا تَمْهِيدَا
عَطِلَتْ فَلَوْلَا أَنَّ ذٰلِكَ جَوْهَرٌ   لِلّٰهِ مَـا حَلَّى لَهَا بِكَ جِيـدَا
كَمْ غَارَةٍ شَعْوَاءَ حِينَ شَهِدْتَهـا   أُعْطِيتَ فِيهَا ٱلنَّصْرَ وَٱلتَّأْيِيـدَا
أَخْفَيْتَ وَجْهَ ٱلْأَرْضِ مِنْ جُثَثِ ٱلْعِدَى
حَتَّى جَعَلْتَ لَكَ ٱلْوُحُوشَ وُفُودَا
كَفَرُوا فَآمَنَتِ ٱلرُّؤُوسُ لِأَنَّهـا   خَرَّتْ لِسَيْفِكَ رُكَّعاً وَسُجُودَا
ضَاقَتْ عَلَى ٱلْقَتْلَى ٱلْفَلَاةُ بِأَسْرِهَا   فَجَعَلْتَ أَكْبَادَ ٱلنُّسُورِ لُحُودَا
يَا وَيْحَ قَوْمٍ أَغْضَبُوكَ بِجَهْلِهِمْ   وَرَأَوْا قَرِيبَ ٱلْفَتْحِ مِنْكَ بَعِيدَا
وَتَحَصَّنُوا فِي قَلْعَـةٍ لَمْ يَعْلَمُوا   أَنْ سَوْفَ تَشْهَدُ يَوْمَهَا ٱلْمَوْعُودَا
حَتَّى رَمَيْتَ حُصُونَهـا بِكَتَائِبٍ   شُهْبٍ وَقُدْتَ لَهَا ٱلْجِيَادَ ٱلْقُودَا[1]
وَمَسَاوِرٍ قَلَّتْ عَدِيداً فِي ٱللِّقَـا   وَمِنَ ٱلشَّجَاعَةِ أَنْ تَقِلَّ عَدِيدَا
مِنْ فِتْيَةٍ كَسَرُوا غُمُودَ سُيُوفِهِمْ   وَٱسْتَبْدَلُوا قُلَلَ ٱلرُّؤُوسِ غُمُودَا

---

(١) القود جمع الاقود وهو من الخيل الذلول المنقاد

رَفَضُوا ٱلدُّرُوعَ عَنِ ٱلْجُسُومِ وَأَسْبَغُوا
فَوْقَ ٱلْجُسُومِ مِنَ ٱلْقُلُوبِ حَدِيدَا
لَوْ شِئْتَ مَا أَبْقَتْ صِفَاحُكَ يَافِعاً   مِنْهُمْ وَلَا تَرَكَتْ قَنَاكَ وَلِيدَا
نَبَذُوا ٱلسِّلَاحَ مَخَافَةً لَمَّا رَأَوْا   رَايَاتِ جَيْشِكَ قَدْ مَلَأْنَ ٱلْبِيدَا
ظَنُّوا ٱلسَّحَابَ إِذَا نَشَأْنَ عَجَاجَةً   وَٱلْبَرْقَ بِيضاً وَٱلرُّعُودَ بُنُودَا
سَكِرُوا وَمَا سَكِرُوا بِكَأْسِ مُدَامَةٍ   لٰكِنْ عَذَابُ ٱللهِ كَانَ شَدِيدَا
أَكْسَبْتَ أُفْقَ ٱلْمُلْكِ يَانَجْمَ ٱلْهُدَى   نُوراً جَلَا ظُلَمَ ٱلْخُطُوبِ ٱلسُّودَا
وَطَرَدْتَ جَوْرَ ٱلْحَادِثَاتِ عَنِ ٱلْوَرَى   وَلَكَمْ أَجَرْتَ مِنَ ٱلزَّمَانِ طَرِيدَا
لَازِلْتَ مَحْسُوداً عَلَى نَيْلِ ٱلْعُلَا   فَدَوَامُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَحْسُودَا

« وقال من قصيدة يمدحهُ فيها ويصف داراً عمرها بالفردوس »

فِي مِثْلِ حَضْرَتِكُمْ لَا يَزْأَرُ ٱلْأَسَدُ   فَكَيْفَ يَسْجَعُ فِيهَا ٱلطَّائِرُ ٱلْغَرِدُ
يَقْظَانُ يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ فِكْرَتِـهِ   فِي يَوْمِهِ مَا طَوَاهُ فِي ٱلضَّمِيرِ غَدُ
بَحْرٌ وَلٰكِنَّـهُ بِٱلدُّرِّ مُنْفَرِدٌ   وَٱلْبَحْرُ يُجْمَعُ فِيهِ ٱلدُّرُّ وَٱلزَّبَدُ
مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ دُعُوا جَادُوا لِآمِلِهِمْ
قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ وَأَعْطَوا فَوْقَ مَا وَجَدُوا
يَابَانِيَ ٱلْمَجْدِ مِنْ قَبْلِ الدِّيَارِ وَمَنْ   لَهُ ٱلْمَعَالِي ٱلَّتِي لَمْ يَرْقَهَا أَحَدُ
بَنَيْتَ بَعْدَ بِنَاءِ ٱلْمَجْدِ مُبْتَدِئاً   دَاراً لَهَا ٱلْعِزُّ أُسٌّ وَٱلْعُلَى عَمَدُ
دَارٌ تَوَهَّمَتْهَا ٱلدُّنْيَا لِزِينَتِهَا   وَمَا سَمِعْتُ بِدُنْيَا ضَمَّهَا بَلَدُ

بِهَا صَنائِعُ أَبْدَتْهَا صَنائِعُكُمْ يَفْنَى ٱلْمَدَى وَبِهَا آثَارُكُمْ جُدُدُ
تَدَفُّقَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَلْسَالِهَا فَحَكَى سَمَاحَ كَفِّكَ فِينَا حِينَ يَطَّرِدُ
تَجَمَّعَ ٱلْأُسْدُ فِيهَا وَٱلظِّبَاءُ كَمَا
مِنْ فَرْطِ عَدْلِكَ يَرْعَى ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّقَدُ(١)
مَوْلَايَ دَعْوَةَ عَبْدٍ غَيْرِ مُفْتَتِنٍ بِشِعْرِهِ وَلَهُ ٱلْحُسَّادُ قَدْ شَهِدُوا
قَدْ صُنْتُ شِعْرِي وَجُلُّ ٱلنَّاسِ تَخْطُبُهُ وَذَاكَ لَوْلَاكَ لَمْ يَعْبَأْ بِهِ أَحَدُ
وَٱلشِّعْرُ كَٱلتِّبْرِ يَخْفَى حِينَ تَنْظُرُهُ عَيْنُ ٱلْغَبِيِّ وَيَغْلُو حِينَ يُنْتَقَدُ
إِنْ شَبَّهُونِي بِمَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ فَٱلدُّرُّ يُشْبِهُهُ فِي ٱلْمَنْظَرِ ٱلْبَرَدُ

« ومن قصيدة لاحمد بن محمد الانطاكي في »
« مدح يعقوب وزير العزيز »

لَمْ يَدَعْ لِلْعَزِيزِ فِي سَائِرِ ٱلْأَرْ ضِ عَدُوًّا إِلَّا وَأَخْمَدَ نَارَهْ
لَمْ تُشَيِّدْ لَهُ ٱلْوَزَارَةُ مَجْداً لَا وَلَا قِيلَ رَفَّعَتْ مِقْدَارَهْ
بَلْ كَسَاهَا وَقَدْ تَخَرَّمَهَا ٱلدَّهْ رُ جَلَالًا وَبَهْجَةً وَنَضَارَهْ
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ عَلَى نُوَبِ ٱلدَّهْ رِ وَكَرِّ ٱلْخُطُوبِ بِٱلْبَذْلِ غَارَهْ
ذُو يَدٍ شَأْنُهَا ٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْبُخْ لِ وَفِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى كَرَّارَهْ
هِيَ فَلَّتْ عَنِ ٱلْعَزِيزِ عِدَاهُ بِٱلْعَطَايَا وَكَثَّرَتْ أَنْصَارَهْ
هٰكَذَا كُلُّ فَاضِلٍ يَدُهُ تُمْ سِي وَتُضْحِي نَفَّاعَةً ضَرَّارَهْ

---

(١) النقد جنس من الغنم

فَـٱسْتَجِرْهُ فَلَيْسَ يَأْمَنُ إِلَّا مَنْ تَفَيَّا بِظِلِّـهِ وَٱسْتَجَارَهْ
فَإِذَا مَـا رَأَيْتَهُ مُطْرِقاً يُعْـ مِلُ فِي مَا يُرِيـدُهُ أَفْكَارَهْ
لَمْ يَدَعْ بِٱلذَّكَاءِ وَٱلذِّهْنِ شَيْئاً فِي ضَمِيرِ ٱلْغُيُـوبِ إِلَّا أَثَارَهْ
لَا وَلَا مَوْضِعـاً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا كَانَ بِٱلرَّأْيِ مُدْرِكاً أَقْطَارَهْ
زَادَهُ ٱللّٰهُ بَسْطَةً وَكَفَاهُ خَوْفَـهُ مِنْ زَمَانِهِ وَحِذَارَهْ

« وله من قصيدة في الممدوح نفسه »

إِنَّ يَعْقُوبَ قَـدْ أَفَادَ وَأَقْنَى وَأَعَادَ ٱلنَّدَى وَأَغْنَى ٱلضَّعِيفَا
سَلَّ سَيْفاً مِنَ ٱلْبَصِيرَةِ وَٱلرَّأْ يِ فَأَغْـنَاهُ أَنْ يَسُلَّ ٱلسُّيُوفَا
بَاذِلًا لِلْعَزِيزِ دُونَ حِمَـاهُ مُهْجَةً حُرَّةً وَرَأْياً حَصِيفَا
لَمْ تَزَلْ دُونَهُ تَخُوضُ ٱلْمَنَايَا وَتَرُدُّ ٱلرَّدَى وَتَلْقَى ٱلصُّفُوفَـا
لَيْسَ يَخْشَى فَسَـادَ أَمْرٍ تَوَلَّا هُ وَأَضْحَى بِرَأْيِـهِ مَكْنُوفَا
مَا رَأَيْنَاهُ قَطُّ إِلَّا رَأَيْنَا خُلُقاً طَاهِراً وَفِعْـلًا شَرِيفَا
وَرَأَيْنَا قَرْماً[1] كَبِيراً هُمَاماً مُنْعِماً مُفْضِلًا رَحِيماً رَؤُوفَا
لَذَّ طَعْمَ ٱلْعَطَاءِ[2] وَهْوَ إِذَا جَا دَ وَأَعْطَى يَرَى ٱلْكَثِيرَ طَفِيفَا
خُلُقٌ مِنْهُ مُنْذُ كَانَ قَدِيمٌ يَسْتَلِذُّ ٱلنَّدَى وَيَقْرِي ٱلضُّيُوفَا
وَيَرِيشُ[3] ٱلْفَقِيرَ بِٱلْبَذْلِ وَٱلْجُو دِ وَيُعْطِي وَيُسْعِفُ ٱلْمَلْهُوفَـا
فَأَرَانَا ٱلْإِلٰهُ صَرْفَ ٱللَّيَالِي أَبَـداً عَنْ فِنَائِهِ مَصْرُوفَا

---

(١) سيداً (٢) وجده لذيذاً (٣) يطعمه ويسقيه ويكسوه

« وله من قصيدة في مدح ابن احمد »

حَيِّ ٱلْخِيَامَ فَإِنَّنِي مُغْرًى بِأَهْلِ ٱلْخِيَامِ
لَمْ يَبْقَ مَنْ تَرْتَجِيهِ لِحَادِثِ ٱلْأَيَّامِ
إِلَّا ٱبْنُ أَحْمَدَ ذُو ٱلطَّوْ لِ وَٱلْأَيَادِي ٱلْجِسَامِ
كَفَّاهُ أَغْدَقُ جُوداً مِنْ وَاكِفَاتِ ٱلْغَمَامِ
يَلْقَى ٱلْعُفَاةَ بِوَجْهٍ مُسْتَبْشِرٍ بَسَّامِ
مُعَظَّماً تَرْتَجِيهِ لِلنَّائِبَاتِ ٱلْعِظَامِ
يَرْمِي ٱلْخُطُوبَ بِرَأْيٍ أَمْضَى مِنَ ٱلصَّمْصَامِ
قَرْمٌ لَهُ عَزَمَاتٌ تَفُلُّ حَدَّ ٱلْحُسَامِ

« ولابي اسحق الصابي في مدح المهلبي الوزير »

قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ ٱلْوَرَى أَوْصَافُهُ
لَكَ فِي ٱلْمَحَافِلِ مَنْطِقٌ يَشْفِي ٱلْجَوَى وَيَسُوغُ فِي أُذُنِ ٱلْأَدِيبِ سُلَافُهُ
فَكَأَنَّ لَفْظَكَ لُؤْلُؤٌ مُتَنَخَّلٌ (١) وَكَأَنَّمَا آذَانُنَا أَصْدَافُهُ

« ومن قصيدة لابن نباتة السعدي في سيف الدولة »

قَدْ جُدْتَ لِي بِٱللُّهَى حَتَّى ضَجِرْتُ بِهَا
وَكِدْتُ مِنْ ضَجَرِي أُثْنِي عَلَى ٱلْبُخْلِ

---

(١) من تنخله اذا اختاره واخذ افضله

إنْ كُنتَ تَرْغَبُ في بَذْلِ ٱلنَّوَالِ لَنَا   فَٱخْلُقْ لَنَا رَغْبَةً أَوْ لَا فَلا تُنِلِ
لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ   تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ ٱلدُّنْيَا بِلاأَمَلِ

« وله ايضاً فيه »

سُيُوفُكَ أَمْضَى فِي ٱلنُّفُوسِ مِنَ ٱلرَّدَى
وَخَوفُكَ أَمْضَى مِنْ سُيُوفِكَ في ٱلعِدَى
فَتًى يَتَحَامَى لَذَّةَ ٱلنَّوْمِ جَفْنُهُ   كَأَنَّ لَذِيذَ ٱلنَّوْمِ فِي جَفْنِهِ قَذَى
وَمَنْ سَهِرَتْ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ جُفُونُهُ   رَعَى طَرْفُهُ في جَوِّهَا أَنْجُمَ ٱلعُلَى
فَلَيْسَ يَنَامُ ٱلقَلْبُ وَٱلْجَفْنُ سَاهِرٌ   وَلَا تَغْمُدُ ٱلعَيْنَانِ وَٱلقَلْبُ مُنْتَضَى

« ولابي الفتح البستي في محمد بن حامد »

بِنَفْسِي أَخٌ نَفْسُهُ أُمَّةٌ   وَتَدْبِيرُهُ فِي ٱلْوَرَى فَيْلَقُ
أَخٌ بَابُ إِحْسَانِهِ مُطْلَقٌ   وَبَابُ إِسَاءَتِهِ مُغْلَقُ
مُحَمَّدُ أَنتَ قِرَى نَاظِرِي   فَكَيْفَ إِذَا غِبْتَ لَا أَقْلَقُ
رَهَنْتُكَ قَلْبِي وَحُكْمُ ٱلقُلُوبِ   إِذَا رُهِنَتْ أَنَّهَا تُغْلَقُ

« ومن قصيدة لحلمة بن حليفة الاقطع مولى »
« قيس بن ثعلبة يمدح قومه »

عِذَابٌ عَلَى ٱلْأَفْوَاهِ مَالَمْ يَذُقْهُمُ   عَدُوٌّ وَبِٱلْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَحْلُو
عَلَيْهِمْ وَقَارُ ٱلحِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا   وَلِيدُهُمُ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
إِذَا ٱسْتُجْهِلُوا لَمْ يَعْزُبِ ٱلْحِلْمُ عَنْهُمُ   وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ ٱلْجَهْلُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا   وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخُصَ ٱلْقَتْلُ

« وقالت ليلى الاخيلية في الحجاج بن يوسف »

أَحَجَّاجُ إِنَّ ٱللهَ أَعْطَاكَ غَايَةً   يُقَصِّرُ عَنْهَا مَنْ أَرَادَ مَدَاهَا
إِذَا وَرَدَ ٱلْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً   تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ ٱلدَّاءِ ٱلْعَيَاءِ ٱلَّذِي بِهَا   غُلَامٌ إِذَا هَزَّ ٱلْقَنَاةَ ثَنَاهَا
إِذَا سَمِعَ ٱلْحَجَّاجُ صَوْتَ كَتِيبَةٍ   أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ ٱلنُّزُولِ قِرَاهَا

« وقال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن يزيد »

تَلْقَى ٱلْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا   كَٱلسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُوداً بِجُلْمُودِ
تَجُودُ بِٱلنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ ٱلضَّنِينُ بِهَا   وَٱلْجُودُ بِٱلنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ ٱلْجُودِ

« وقال غيره في رجل فريد »

عَقِمَ ٱلنِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ نَظِيرَهُ   فَنَظِيرُهُ فِي ٱلْعَالَمِينَ قَلِيلُ
هَيْهَاتِ لَا يَأْتِي ٱلزَّمَانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ ٱلزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

« ومن قصيدة لابي بكر الخوارزمي في عضد الدولة »

غَرِيبٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ وِجْدَانُ مِثْلِهِ   وَأَغْرَبُ مِنْهُ بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ٱلْفَقْرُ
فَلَا حُرَّ إِلَّا وَهُوَ عَبْدٌ لِجُودِهِ   وَلَا عَبْدَ إِلَّا وَهُوَ فِي عَدْلِهِ حُرُّ
عَجِبْتُ لَهُ لَمْ يَلْبَسِ ٱلْكِبْرَ حُلَّةً   وَفِينَا لِأَنْ جُزْنَا عَلَى بَابِهِ كِبْرُ

« وقال الارجاني يمدح بعضهم »

وَقَضَى لَهُ بِٱلْفَضْلِ أَهْلُ زَمَانِهِ   بِشَهَادَةِ ٱلْأَعْدَاءِ وَٱلْحُسَّادِ
وَسَمِعْتُ أَخْبَارَ ٱلنَّدَى عَنْ كَفِّهِ   فَعَرَفْتُ فِيهَا صِحَّةَ ٱلْإِسْنَادِ
مِنْ مَعْشَرٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ أَكَارِمٍ   يَوْمَ ٱلسَّمَاحِ وَفِي ٱلْوَغَى أَنْجَادِ
رَضَعُوا لِبَانَ ٱلْمَجْدِ فِي حِجْرِ ٱلْعُلَى   فَعَلَوْا عَلَى ٱلْأَكْفَاءِ وَٱلْأَنْدَادِ
قَوْمٌ إِذَا سَفَرُوا حَسِبْتَ وُجُوهَهُمْ   لِلنَّاظِرِينَ أَهِلَّةَ ٱلْأَعْيَادِ

« واعبد السلام بن الحسين المأموني من قصيدة في »
« عبدالله بن احمد الوزير »

فَأَنْتَ لِرَبِّ هٰذَا ٱلْمُلْكِ سَيْفٌ   إِذَا مَا نَابَهُ خَطْبٌ نَضَاكَا
وَقَدْ أَبَتِ ٱلْوَزَارَةُ فِي بُخَارَى   سِوَاكَ كَمَا أَبَتْ إِلَّا أَبَاكَا
وَكُنْتَ ٱلسَّيْفَ أُغْمِدَ يَوْمَ سِلْمٍ   فَلَمَّا شُبَّتِ ٱلْحَرْبُ ٱنْتَضَاكَا
وَلَوْ نَهَضَتْ رِجَالُ ٱلْأَرْضِ طُرًّا   بِمَا كُلِّفْتَ مَا أَغْنَوْا غَنَاكَا
فَأَنْتَ أَجَلُّ قَدْراً أَنْ تُجَارَى   وَأَرْفَعُ رُتْبَةً مِنْ أَنْ تُحَاكَى
وَقَدْ سَامَى ٱلسَّمَاءَ وَمَاسَ زَهْواً   عَلَى فَرْعِ ٱلسُّهَى بَلَدٌ نَمَاكَا
فَكَمْ لَكَ مِنْ يَدٍ قَلَّدْتَنِيهَا   فَلَسْتُ أَرَى لَهَا عَنِّي ٱنْفِكَاكَا
فَلَا يَمَّمْتُ غَيْرَ نَدَاكَ بَحْراً   وَلَا خَيَّمْتُ إِلَّا فِي ذَرَاكَا

« جرت وحشة بين كافور والامير ابي قاسم مدة »
« ثم اصطلحا فقال المتنبي من قصيدة »

حَسَمَ ٱلصُّلْحُ مَا ٱشْتَهَتْهُ ٱلْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ ٱلْحُسَّادِ
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ رُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْمُرَادِ
وَكَلَامُ ٱلْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَحْـ بَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى ٱلْأَضْدَادِ
إِنَّمَا تُنْجِحُ ٱلْمَقَالَةُ [1] فِي ٱلْمَرْ ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوًى فِي ٱلْفُؤَادِ
وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُزِزْتَ بِمَا قِيـ لَ فَأُلْفِيتَ أَوْثَقَ ٱلْأَطْوَادِ
وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى ٱلْإِرْشَادِ
نِلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْـ رِ وَصُنْتَ ٱلْأَرْوَاحَ فِي ٱلْأَجْسَادِ
وَقَنَا ٱلْخَطِّ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْ لَكَ وَٱلْمُرْهَفَاتُ فِي ٱلْأَغْمَادِ
وَإِذَا ٱلْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ عَنْ طِبَاعٍ لَمْ يَكُنْ عَنْ تَقَادُمِ ٱلْمِيلَادِ
فَبِهٰذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَا كَا فُورُ وَٱقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ ٱلْقِيَادِ
لَا عَدَا [2] ٱلشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا ٱلشَّـ رَّ وَخَصَّ ٱلْفَسَادُ أَهْلَ ٱلْفَسَادِ
أَنْتُمَا مَا ٱتَّفَقْتُمَا [3] ٱلْجِسْمُ وَٱلرُّو حُ فَلَا ٱحْتَجْتُمَا إِلَى ٱلْعُوَّادِ
مَنَعَ ٱلْوُدُّ وَٱلرِّعَايَةُ وَٱلسُّؤْ دُدُ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى ٱلْأَحْقَادِ
فَغَدَا ٱلْمُلْكُ بَاهِراً مَنْ رَآهُ شَاكِراً مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ

---

(١) اي انما يبلغ القول النجاح (٢) جاوز (٣) اي ما دمتما متفقين

هٰذِهِ دَوْلَةُ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلرَّأْ فَةِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلنَّدَى وَٱلْأَيَادِي
كَشَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ ٱلشَّمْ سُ وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي ٱزْدِيَادِ

« وله من قصيدة يهنئ فيها كافورًا بدار بناها »

إِنَّمَا ٱلتَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدَّنِي[1] مِنَ ٱلْبُعَدَاءِ
وَأَنَا مِنْكَ لَا يُهَنِّئُ عُضْوٌ بِٱلْمَسَرَّاتِ سَائِرَ ٱلْأَعْضَاءِ
مُسْتَقِلٌّ[2] لَكَ ٱلدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نُجُوماً آجُرُّ هٰذَا ٱلْبِنَاءِ
وَلَوَ ٱنَّ ٱلَّذِي يَخِرُّ مِنَ ٱلْأَمْ وَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ
أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّا بِمَكَانٍ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ فِي ٱلسَّمَاءِ
وَلَكَ ٱلنَّاسُ وَٱلْبِلَادُ وَمَا يَسْ رَحُ بَيْنَ ٱلْغَبْرَاءِ وَٱلْخَضْرَاءِ
وَبَسَاتِينُكَ ٱلْجِيَادُ وَمَا تَحْ مِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ
إِنَّمَا يَفْخَرُ ٱلْكَرِيمُ أَبُو ٱلْمِ سْكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ
وَبِأَيَّامِهِ ٱلَّتِي ٱنْسَلَخَتْ عَنْ هُ وَمَا دَارُهُ سِوَى ٱلْهَيْجَاءِ
وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ ٱلْبِي ضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ ٱلْأَعْدَاءِ
نَزَلَتْ إِذْ نَزَلْتَهَا ٱلدَّارُ فِي أَحْ سَنَ مِنْهَا مِنَ ٱلسَّنَى وَٱلسَّنَاءِ
حَلَّ فِي مَنْبِتِ ٱلرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ ٱلْمَكْرُمَاتِ وَٱلْآلَاءِ
إِنَّ فِي ثَوْبِكَ ٱلَّذِي ٱلْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءِ
كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٌ فِي وَفَاءِ

(١) يقترب (٢) اي انا مستقل

« ومن قصيدة للبحتري يهنئ بها محمدًا ابا جعفر »
« عندما أطلق من سجنه »

أَبُوجَعْفَرٍ نَجْمُ ٱلْعُلَى وَحَيَا ٱلْمُزْنِ بِقَوْمِي جَمِيعاً لَا أُحَاشِي وَلَا أُكْنِي
فَتَى ٱلْعَرَبِ ٱلْمَدْعُوُّ فِي ٱلسِّلْمِ لِلنَّدَى وَفَارِسُهَا ٱلْمَدْعُوُّ فِي ٱلْحَرْبِ لِلطَّعْنِ
سَحَابٌ إِذَا أَعْطَى حَرِيقٌ إِذَا سَطَا لَهُ عِزَّةُ ٱلْهِنْدِيِّ فِي هِزَّةِ ٱلْغُصْنِ
لَجَأْنَا إِلَى مَعْرُوفِهِ فَكَأَنَّنَا لِمَنْعَتِنَا فِيهِ لَجَأْنَا إِلَى حِصْنِ
لِشَهْرِ رَبِيعٍ نِعْمَةٌ مَا يَفِي بِهَا ثَنَاءٌ وَلَوْ قُمْنَا بِأَضْعَافِهِ نُثْنِي
أَطَاعَ ٱلْعُلَى فِي كُلِّ حُكْمٍ أَتَتْ بِهِ
فَأَقْصَى ٱلَّذِي تُقْصِي وَأَدْنَى ٱلَّذِي تُدْنِي
غَدَاةَ غَدَا مِنْ سِجْنِهِ ٱلْبَحْرُ مُطْلَقاً وَمَا خِلْتُ أَنَّ ٱلْبَحْرَ يُحْظَرُ فِي سِجْنِ
أَمِنَّا صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهَا لَدَيْهِ وَبَعْدَ ٱلْخَوْفِ يُؤْنَسُ بِالْأَمْنِ
وَلَيْسَتْ لَهُ إِلَّا ٱلسَّمَاحَ جِنَايَةٌ إِذَا أُخِذَ ٱلْجَانِي بِبَعْضِ ٱلَّذِي يَجْنِي
فَمَا فَلَّ رَيْبُ ٱلدَّهْرِ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلشَّبَا وَلَا زَعْزَعَ ٱلْمَكْرُوهُ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلرُّكْنِ
تَجَلَّى لَنَا مِنْ سِجْنِهِ وَهْوَ خَارِجٌ
خُرُوجَ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ جَانِبِ ٱلدَّجْنِ
مُحَمَّدُ عِشْ لِلْمَكْرُمَاتِ ٱلَّتِي ٱصْطَفَتْ
يَدَاكَ وَلِلْمَجْدِ ٱلرَّفِيعِ ٱلَّذِي تَبْنِي
فَكَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ مِنْكَ بِلَا يَدٍ وَمِنْ مِنَّةٍ زَهْرَاءَ مِنْكَ بِلَا مَنِّ

٢ في التعازي والمراثي

« من قصيدة للمتنبي يرثي بها عبد الله بن سيف »
« الدولة ويعزي اباه »

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ ٱلرَّمْلِ مَا بِكَ فِي ٱلرَّمْلِ
وَهٰذَ ٱلَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ ٱلَّذِي يُبْلِي
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ ٱلَّذِي بِي وَخِفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَٱخْتَرْتَ ٱلْحِمَامَ عَلَى ٱلثُّكْلِ
فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي ٱلْحَشَا
وَإِنْ تَكُ طِفْلًا فَٱلْأَسَى لَيْسَ بِٱلطِّفْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ وَلٰكِنْ عَلَى قَدْرِ ٱلْمَخِيلَةِ[1] وَٱلْأَصْلِ
عَزَاءَكَ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَٱلشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ
وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَٱلْقُلُوبُ بِلَا عَقْلِ
تَخُونُ ٱلْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ ٱلْفَوَارِسِ وَٱلرَّجْلِ[2]
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ ٱلْحَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو ٱلْفِرِنْدُ[3] عَلَى ٱلصَّقْلِ

---

(١) اي على قدر مايتخيل فيك من الكرم (٢) المشاة (٣) جوهر السيف

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ　فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِ
بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ　إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ[1] بِالْحَمْلِ
بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى[2]　وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى
وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي
أَنَبْكِي لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ　تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزْلِ
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ　حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ

« وله من قصيدة يرثي فيها محمد بن اسحق التنوخي »

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى
أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ
مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى　رَضْوَى[3] عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ　صَعَقَاتُ[4] مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ
وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ　وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ[5]
حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَأَنَّ ضَرِيحَهُ　فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ
كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ　لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

---

(١) التطريق عسر الولادة (٢) الروى مصدر روِيَ او الماء الكثير المروي
(٣) اسم جبل (٤) من صعق الرجل اذا غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه
(٥) واجفة مضطربة وتمور تجيء وتذهب

صَبْراً بَنِي إِسْحَقَ عَنْهُ تَكَرُّماً إِنَّ ٱلْعَظِيمَ عَلى ٱلْعَظِيمِ صَبُورُ
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ
أَلِآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ (١)
مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ ٱلْعَزَاءَ عَلَيْهِمِ مَحْظُورُ
تُدْمِي خُدُودَهُمُ ٱلدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمِ وَهُنَّ دُهُورُ

« ولابي تمام من مرثاة يرثي بها ابنه »

كَانَ ٱلَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى ٱللهِ رَاجِعُونَا
أَمْسَى ٱلْمُرَجَّى أَبُو عَلِيٍّ مُوَسَّداً فِي ٱلثَّرَى يَمِينَا
حِينَ ٱنْتَهَى وَٱسْتَوَى (٢) شَبَاباً وَحَقَّقَ ٱلرَّأْيَ وَٱلظُّنُونَا
أُصِبْتُ فِيهِ وَكَانَ عِنْدِي عَلى ٱلْمُصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا
كُنْتُ عَزِيزاً بِهِ كَثِيراً وَكُنْتُ صَبّاً بِهِ ضَنِينَا
دَافَعْتُ إِلَّا ٱلْمَنُونَ عَنْهُ وَٱلْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ ٱلْمَنُونَا
آخِرُ عَهْدِي بِهِ صَرِيعاً لِلْمَوْتِ بِٱلدَّاءِ مُسْتَكِينَا (٣)
يَشْخَصُ طَوْراً بِنَاظِرَيْهِ وَتَارَةً يُطْبِقُ ٱلْجُفُونَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فَأَمْسَى فِي جَدَثٍ لِلثَّرَى دَفِينَا
بَعِيدَ دَارٍ قَرِيبَ جَارٍ قَدْ فَارَقَ ٱلْإِلْفَ وَٱلْقَرِينَا

---

(١) الزفير مد النَّفس من شدة الغم والحزن (٢) انتهى بلغ النهاية ، واستوى انتهى شبابه وبلغ اشدّه او اربعين سنة (٣) خاضعاً وذليلًا

بُنَيَّ يَا وَاحِدَ ٱلْبَنِينَا غَادَرْتَنِي مُفْرَداً حَزِينَا
هَوَّنَ رُزْئِي بِكَ ٱلرَّزَايَا عَلَيَّ فِي ٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَا
أَصَابَ مِنِّي صَمِيمَ قَلْبِي وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ ٱلْوَتِينَا(١)

« وقال من مرثاة في اخ له وحضر وفاته »

يَا يَوْمَهُ لَمْ تَدَعْ حُسْناً وَلَا أَدَبًا إِلَّا حَكَمْتَ بِهِ لِلَّحْدِ وَٱلْكَفَنِ
لِلّٰهِ مُقْلَتُهُ وَٱلْمَوْتُ يَكْسِرُهَا كَأَنَّ أَجْفَانَهُ سَكْرَى مِنَ ٱلْوَسَنِ
يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ كَرْهاً وَتَعْطِفُهَا يَدُ ٱلْمَنِيَّةِ عَطْفَ ٱلرِّيحِ لِلْغُصُنِ
يَاهَوْلَ مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِي فَلا أَبْصَرَتْ عَيْنِي وَلَا أُذُنِي
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَدَنِي جُزْءٌ عَلِمْتَ بِهِ إِلَّا وَقَدْ حَلَّهُ جُزْءٌ مِنَ ٱلْحَزَنِ
كَانَ ٱللَّحَاقُ بِهِ أَهْنَا وَأَحْسَنَ بِي مِنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ ٱلرُّوحِ وَٱلْبَدَنِ

« ورثى الشريف الرضي قوماً من اهل بيته واصدقائه انقرضوا »

أُوَدِّعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَبِيبا وَأُهْدِي إِلَى ٱلْأَرْضِ شَخْصاً قَرِيبا
وَأَرْجِعُ عَنْهُ جَمِيلَ ٱلْعَزَا ءِ أَمْسَحُ عَنْ نَاظِرَيَّ ٱلْغُرُوبَا(٢)
كَأَنِّيَ لَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلسَّبِيلَ سَبِيلِي وَأَنِّي مُلَاقٍ شَعُوبَا(٣)

---

(١) الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه (٢) جمع غرب بمعنى الدمع (٣) المنية

وأنَّ وَرَائِيَ سَوْقاً عَنِيفاً وَأَنَّ أَمَامِيَ يَوْماً عَصِيبَا
وَلَا أَنَّنِي بَعْدَ طُولِ ٱلْبَقَاء أَصَابُ كَمَا أَنَّ غَيْرِي أُصِيبَا
قَعَدْتُ بِمَدْرَجَةِ[1] ٱلنَّائِبَاتِ يُمِرُّ ٱلزَّمَانُ عَلَيَّ ٱلْخُطُوبَا
عَلَى ٱلْهَمِّ أُنْفِقُ شَرْخَ ٱلشَّبَابِ وَأُعْطِي ٱلْمَنَايَا حَبِيباً حَبِيبَا
تَصَامَمْتُ عَنْ هَتَفَاتِ ٱلْمَنُونِ بِغَيْرِي وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُجِيبَا
بِمَنْ أَتَسَلَّى وَأَيْدِي ٱلْمَنُونِ تُخَالِسُ فَرْعِي قَضِيباً قَضِيبَا
نَزَعْنَ قَوَادِمَ رِيشِ ٱلْجَنَاحِ وَأَثْبَتْنَ فِي كُلِّ عُضْوٍ نُدُوبَا
نُجُومٌ إِذَا شَهِدُوا ٱلْأَنْدِيَاتِ رُجُومٌ[2] إِذَا مَا أَقَامُوا ٱلْحُرُوبَا
وَكَمْ وَاضِحٍ مِنْكُمُ كَٱلْهِلَا لِ هَالَتْ يَدَايَ عَلَيْهِ ٱلْكَثِيبَا[3]
وَنَازَعَنِي ٱلْمَوْتُ مِنْ شَخْصِهِ سِنَاناً طَرِيراً[4] وَعَضْباً مَهِيبَا
وَحِلْماً رَزِيناً وَأَنْفاً حَمِيّاً وَعَزْماً جَرِيئاً وَرَأْياً مُصِيبَا
صَوَارِمُ أَغْمَدْتُهَا فِي ٱلصَّعِيدِ[5] وَفَلَّتْ مِنْهَا ٱلظُّبَى وَٱلْغُرُوبَا[6]
أَقُولُ لِرَكْبٍ خِفَافِ ٱلْمَزَا دِ قَدْ بُدِّلُوا بِٱلْوُضُوءِ[7] ٱلشُّحُوبَا
أَلِمُّوا بِأَجْوَازِ[8] تِلْكَ ٱلْقُبُورِ فَعَرُّوا ٱلْجِيَادَ وَجُزُّوا ٱلسَّلِيبَا[9]
قِفُوا فَأَقْطِرُوا كُلَّ عَيْنٍ دَماً بِهَا وَٱمْلَأُوا كُلَّ قَلْبٍ وَجِيبَا

---

(١) المدرجة الطريق (٢) الرجوم جمع رجم وهو ما يرجم به (٣) التل من الرمل (٤) الطرير المحدد (٥) التراب (٦) جمع غرب بمعنى حد (٧) الوضوء الحسن والنظافة (٨) جمع جوز وهو وسط الشيء ومعظمه (٩) ناقة سليب مات ولدها او القته لغير تمام

وَإِنِّي عَلى أَنْ رَمـانِي ٱلزَّمانُ وَأَعْقَبَ بِٱلْقَلْبِ جُرْحاً رَغِيبا[1]
لَتَعْجُمُ[2] مِنِّي ضُرُوسُ ٱلْخُطُو بِ قَلْباً جَلِيداً وَعُوداً صَلِيبـا
أَضِنُّ عَلى ٱلْقَطْرِ أَنْ يَسْتَهِلَّ عَلى غَيْرِ أَجْدَاثِكُمْ أَوْ يَصُوبَا
وَلَمْ يَكُ قَـدْرُ ٱلرَّزَايَا بِكُمْ جَنَانًا مَرُوعاً وَدَمْعاً سَكُوبَا

« وقال يرثي ابا الحسن الفضل المهلبي بديهاً »

لَا يُبْعِدُ ٱللّٰهُ فِتْيانًا رُزِئْتُهُمُ رُزْءَ ٱلْغُصُونِ وَفِيهَا ٱلْمَاءُ وَٱلْوَرَقُ
إِنْ يَرْحَلُوا ٱلْيَوْمَ عَنْ دَارِي فَإِنَّهُمُ جِيرَانُ قَلْبِي أَقَامُوا بَعْدَمَا ٱنْطَلَقُوا
بَانُوا فَكُلُّ نَعِيمٍ بَعْدَهُمْ كَمَدٌ بَاقٍ وَكُلُّ سَوَاغٍ[3] بَعْدَهُمْ شَرَقُ
وَكَيْفَ تَنْعَمُ بِٱلتَّغْمِيضِ بَعْدَهُمُ عَيْنٌ أَعَانَ عَلَيْهَا ٱلدَّمْعُ وَٱلْأَرَقُ
إِنِّي لَأَعْجَبُ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ مِنْ كَبِدٍ
تَدْمَى لَهُمْ كَيْفَ تَنْدَى وَهْيَ تَحْتَرِقُ

« وله من قصيدة يعزّي بها صديقاً له عن بنت توفيت »
« له عقيب وفاة اخرى »

نَخْطُو وَمَا خَطْوُنَا إِلَّا إِلى أَجَلٍ وَنَنْقَضِي وَكَأَنَّ ٱلْعُمْرَ لَمْ يَطُلِ
يَأْتِي ٱلْحِمَامُ فَيُنْسِي ٱلْمَرْءَ مُنْيَتَـهُ وَأَعْضَلُ ٱلدَّاءِ مَا يُلْهِي عَنِ ٱلْأَمَلِ
نُسَلَّى عَنِ ٱلْعَيْشِ أَنَّا لَا نَدُومُ لَهُ وَهَوَّنَ ٱلْمَوْتَ مَا نَلْقَى مِنَ ٱلْعِلَلِ

---

(١) واسعاً (٢) الجملة خبر اني في البيت السابق (٣) من ساغ الشراب ذا سهل مدخله في الحلق

يَقُودُنِي ٱلْمَوْتُ مِنْ دَارِي فَأَتْبَعُهُ وَقَدْهَزَأْتُ بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا ٱلذُّبُلِ

وَٱلْمَرْءُ يَطْلُبُهُ حَتْفٌ فَيُدْرِكُهُ
وَقَدْ نَجَا مِنْ قِرَاعِ ٱلْبِيضِ وَٱلْأَسَلِ

أَلْعَقْلُ أَبْلَغُ مَنْ عَزَّاكَ عَنْ جَزَعٍ
وَٱلصَّبْرُ أَذْهَبُ بِٱلْبَلْوَى مِنَ ٱلْوَجَلِ

هٰذَا ٱلْعَزَاءُ وَإِنْ تَحْزَنْ فَلا عَجَبٌ إِنَّ ٱلْبُكَاءَ بِقَدْرِ ٱلْحَادِثِ ٱلْجَلَلِ
وَكَيْفَ نَعْذُلُ مَنْ يَبْكِي لِمَيِّتِهِ وَنَحْنُ نَبْكِي عَلى أَيَّامِنَا ٱلْأُوَلِ

« وله من مرثاة يعزي بها صديقاً له »

عَجِزْنَا عَنْ مُرَاغَمَةِ ٱلْحِمَامِ وَدَاءُ ٱلْمَوْتِ مُغْرًى بِٱلْأَنَامِ
هِيَ ٱلْأَيَّامُ تَأْكُلُ كُلَّ حَيٍّ وَتَعْصِفُ بِٱلْكِرَامِ وَبِٱللِّئَامِ
وَكُلٌّ مُفَارِقٍ لِلْعَيْشِ يَلْقَى كَمَا لَقِيَ ٱلرَّضِيعُ مِنَ ٱلْفِطَامِ
وَكَمْ لِيَدِ ٱلنَّوَائِبِ مِنْ صَرِيعٍ بِدَاءِ ٱلسَّيْفِ أَوْ دَاءِ ٱلسَّقَامِ
رَأَيْتُ ٱلْمَوْتَ يَبْلُغُ كُلَّ نَفْسٍ عَلى بُعْدِ ٱلْمَسَافَةِ وَٱلْمَرَامِ
وَعُمْرُ ٱلْمَرْءِ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا عُمْرٌ يَقِرُّ عَلى ٱلتَّمَامِ
وَفِي حُسْنِ ٱلْعَزَاءِ لَنَا مُجِيرٌ يُخَلِّصُنَا مِنَ ٱلْكُرَبِ ٱلْعِظَامِ
أَسَاكِنَةَ ٱلتُّرَابِ وَكُلُّ حَيٍّ جَدِيرٌ أَنْ يُغَيَّبَ فِي ٱلرَّغَامِ (١)
تَقَنَّصَكِ ٱلرَّدَى عَرَضاً وَأَمْسَى يُجَاذِبُكِ ٱلْمَسِيرَ عَنِ ٱلْمُقَامِ

(١) التراب

وَلَجْلَجَ[1] مَنْ نَعَاكِ وَكُلُّ نَاعٍ يُجَمْجِمُ[2] أَوْ يُلَجْلِجُ فِي ٱلْكَلَامِ
وَكُلُّ حَشاً عَلَيْكِ كَأَنَّ فِيهِ سِنَانَ ٱلرُّمْحِ أَوْ طَرَفَ ٱلْحُسَامِ
أَيَا قَبْراً تَقَسَّمَ كُلَّ صَبْرٍ وَقَلْقَلَ عَبْرَةَ ٱلْمُقَلِ ٱلدَّوَامِي
تَطَرَّقَكَ ٱلنَّسِيمُ مِنَ ٱلْخُزَامَى وَدَرَّتْ فِيكَ أَنْوَاءُ ٱلْغَمَامِ

« وله من مرثاة يرثي بها الحسين بن احمد بن الحجاج الشاعر »

نَعَوْهُ عَلَى ضِنٍّ قَلْبِي بِهِ فَلِلَّهِ مَاذَا نَعَى ٱلنَّاعِيَانِ
رَضِيعُ صَفَاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فَوْقَ رَضِيعِ ٱللِّبَانِ
بَكَيْتُكَ لِلشُّرَّدِ ٱلسَّائِرَا تِ تَعْبَقُ أَلْفَاظُهَا بِٱلْمَعَانِي
وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ ٱلْمَنُونَ تَفُلُّ مَضَارِبَ ذَاكَ ٱللِّسَانِ
يَرَى ٱلْمَوْتُ أَنْ قَدْ طَوَى مُضْغَةً[3] وَلَمْ يَطْوِ إِلَّا غِرَارَ ٱلسِّنَانِ
فَأَيْنَ تَسَرُّعُهُ لِلنِّضَالِ وَهَبَّاتُهُ لِلطِّوَالِ ٱللِّدَانِ
يَشُلُّ ٱلْجَوَانِحَ شَلَّ ٱلسِّيَاطِ[4] وَيَلْوِي ٱلْجَوَانِحَ لَيَّ ٱلْعِنَانِ
يَهَابُ ٱلشُّجَاعُ غَذَامِيرَهُ[5] عَلَى ٱلْبُعْدِ مِنْهُ مَهَابَ ٱلْجَبَانِ
وَكَمْ صَاحِبٍ كَنِيَاطِ[6] ٱلْفُؤَادِ عَنَانِيَ مِنْ يَوْمِهِ مَا عَنَانِي

(١) تردد في الكلام (٢) جمجم الكلام لم يبينه (٣) المضغة قطعة لحم يريد بها هنا الجسد (٤) جمع سوط (٥) جمع غذمرة بمعنى الصياح والزجر والزمجرة (٦) النياط عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين اذا قطع مات صاحبه

قَدِ ٱنْتَزَعَتْ مِنْ يَـدَيَّ ٱلْمَنُونُ وَلَمْ يُغْنِ ضَمِّي عَلَـيْهِ بَنَانِي
لِيَبْكِ ٱلزَّمَانُ عَلَيْكَ طَوِيلًا فَقَدْ كُنْتَ خِفَّةَ رُوحِ ٱلزَّمَانِ

« ولأبي العلاء المعري في رثاء فقيه حنفي »

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَٱعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ ٱلنَّعِيِّ إِذَا قِيـ سَ بِصَوْتِ ٱلْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ ٱلْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ تْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا ٱلْمَيَّادِ
صَاحِ هٰذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ ٱلرَّحْـ بَ فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِّفِ ٱلْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـ دُ هَوَانُ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ رُوَيْداً لَا ٱخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ ٱلْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ ٱلْأَزْمَانِ وَٱلْآبَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا ٱلْحَيَاةُ فَمَا أَعْـ جَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ٱزْدِيَادِ
إِنَّ حُزْناً فِي سَاعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ ٱلْمِيلَادِ
خُلِقَ ٱلنَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
ضَجْعَةُ ٱلْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ ٱلْـ جِسْمُ فِيهَا وَٱلْعَيْشُ مِثْلُ ٱلسُّهَادِ
أَبَنَاتِ ٱلْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ نَ قَلِيلَ ٱلْعَزَاءِ بِٱلْإِسْعَادِ

فَتَسَلَّبْنَ وَٱسْتَعِرْنَ جَمِيعاً   مِنْ قَمِيصِ ٱلدُّجَى ثِيَابَ حِدَادِ
ثُمَّ غَرِّدْنَ فِي ٱلْمَآتِمِ وَٱنْدُبْـ   ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ ٱلْغَوَانِي ٱلْخِرَادِ
قَصَدَ ٱلدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ ٱلْأَوَّ   ابِ مَوْلَى حِجىً وَخِدْنَ ٱقْتِصَادِ
وَفَقِيهاً أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ   ـمَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ
فَٱلْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ   قَلِيلُ ٱلْخِلَافِ سَهْلُ ٱلْقِيَادِ
وَخَطِيباً لَوْ قَامَ بَيْنَ وُحُوشٍ   عَلَّمَ ٱلضَّارِيَاتِ بِرَّ ٱلنِّقَادِ
رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُحْوِجِ ٱلْمَعْـ   ـرُوفُ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى ٱلْإِسْنَادِ
أَنْفَقَ ٱلْعُمْرَ نَاسِكاً يَطْلُبُ ٱلْعِلْـ   ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَٱنْتِقَادِ
مُسْتَقِي ٱلْكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ   بِغُرُوبِ ٱلْيَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمُسُ ٱلذَّهَبَ ٱلْأَحْـ   ـمَرَ زُهْداً فِي ٱلْعَسْجَدِ ٱلْمُسْتَفَادِ
وَدِّعَا أَيُّهَا ٱلْحَفِيَّانِ ذَاكَ ٱلـ   ـشَّخْصَ إِنَّ ٱلْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
وَٱغْسِلَاهُ بِٱلدَّمْعِ إِنْ كَانَ طُهْراً   وَٱدْفِنَاهُ بَيْنَ ٱلْحَشَى وَٱلْفُؤَادِ
وَٱحْبُوَاهُ ٱلْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ ٱلْمُصْـ   ـحَفِ كِبْراً عَنْ أَنْفَسِ ٱلْأَبْرَادِ
وَٱتْلُوَا ٱلنَّعْشَ بِٱلْقِرَاءَةِ وَٱلتَّسْـ   ـبِيحِ لَا بِٱلنَّحِيبِ وَٱلتَّعْدَادِ
أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَٱجْتِهَادٌ   لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءِ ٱجْتِهَادِ
طَالَمَا أَخْرَجَ ٱلْحَزِينَ جَوَى ٱلْحُزْ   نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِٱلسَّدَادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي   يَا جَدِيراً مِنِّي بِحُسْنِ ٱفْتِقَادِ
قَدْ أَقَرَّ ٱلطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ   وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ ٱلْعُوَّادِ

وَٱنْتَهَى ٱلْيَأْسُ مِنْكَ وَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَجْـ ـدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى ٱلْمَعَادِ
هَجَدَ ٱلسَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْـ ـرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ ٱلْهُجَّادِ
لَا يُغَيِّرْكُمُ ٱلصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ ٱلسُّيُوفِ فِي ٱلْأَغْمَادِ
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ ٱللَّيَالِي رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ ٱلْهَوَادِي
كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْـ ـبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي ٱلْمُرَادِ
وَرَأَيْتَ ٱلْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ ٱلْأَوَّ لِ مِنْ شِيمَةِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادِ
وَخَلَعْتَ ٱلشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْـ ـتَكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ ٱلْأَنْدَادِ
فَٱذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْـ ـنِ بِسُقْيَا رَوَائِحٍ وَغَوَادِ
وَمَرَاثٍ لَوَ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ ٱلسُّطُورَ فِي ٱلْإِنْشَادِ
فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسِّنِ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَمْـ ـدُودُ رَغْمًا لِآنُفِ ٱلْحُسَّادِ
وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا ءِ أَخِيهِ جَرَائِحِ ٱلْأَكْبَادِ
وَإِذَا ٱلْبَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرْ وَ فَلَا رِيَّ بِٱدِّخَارِ ٱلثِّمَادِ
كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي ٱلْوَرْ قَاءُ وَٱلسَّيِّدُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعِمَادِ
وَٱللَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـ ـرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

« وله ايضاً في رثاء جعفر بن المهذب »

أَحْسَنُ بِٱلْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ صَبْرٌ يُعِيدُ ٱلنَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أَبَى فِي ٱلرُّزْءِ غَيْرَ ٱلْأَسَى كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ
فَلْيَذْرِفِ ٱلْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ

وَٱلشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ
لَيْسَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى صَدِّهِ
وَٱلطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غُمْضِهِ وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سُهْدِهِ
كَانَ ٱلْأَسَى فَرْضاً لَوَ انَّ ٱلرَّدَى قَالَ لَنَا أَفْدُوهُ فَلَمْ نَفْدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِلْهُدَى سَارَ مِنَ ٱلتُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَدْنَى مِنْ يَدٍ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ ٱلْكَوْكَبُ فِي بُعْدِهِ
يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيعَادِهِ وَمُخْلِفَ ٱلْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ ٱلْعِقْبَانَ فِي جَوِّهَا وَتُنْزِلُ ٱلْأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِهِ
أَرَى ذَوِي ٱلْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ ٱلْفَتَى نَافِعاً فَغَيُّهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبَةُ ٱلدُّنْيَا وَأَفْعَالِهَا حَثَّتْ أَخَا ٱلزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي بِرَزَايَاهُ لِي صَيَّرَنِي أَمْرَحُ فِي قِدِّهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ ٱلْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى ٱلَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ ٱلَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي ٱلْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شُيِّعَ أَمْ حَمْدِهِ
وَٱلْوَاحِدُ ٱلْمُفْرَدُ فِي حَتْفِهِ كَٱلْحَاشِدِ ٱلْمُكْثِرِ مِنْ حَشْدِهِ

وَحَالَةُ ٱلْبَاكِي لِآبَائِهِ كَحَالَةِ ٱلْبَاكِي عَلَى وُلْدِهِ
مَا رَغْبَةُ ٱلْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى ٱلْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا ٱلَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَٱلْمَعْدُومِ فِي وُجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ ٱلْوَرَى وَإِنَّمَا ٱلشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ ٱلْعُمْرِ أَفْوَاهُنَا لِمَنْ تَنَاهَى ٱلْقَلْبُ فِي وُدِّهِ
يُسَرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاءٌ لَهُ وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّفْسِ يَغْتَالُهَا فَلْنَسْتَعِيذُ ٱللّٰهَ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقْلَ ٱلثَّرَى جِيدُهُ وَكَانَ يَشْكُو ٱلضُّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ
وَرُبَّ ظَمْآنَ إِلَى مَوْرِدٍ وَٱلْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وِرْدِهِ
وَمُرْسِلِ ٱلْغَارَةِ مَبْثُوثَةً مِنْ أَدْهَمِ ٱللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ
يَخُوضُ بَحْراً نَقْعُهُ مَاؤُهُ يَحْمِلُهُ ٱلسَّابِحُ فِي لِبْدِهِ
أَشْجَعُ مَنْ قَلَّبَ خَطِّيَّةً عَلَى طَوِيلِ ٱلْبَاعِ مُمْتَدِّهِ
يَرَى وُقُوعَ ٱلزُّرْقِ فِي دِرْعِهِ مِثْلَ وُقُوعِ ٱلزُّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ ٱلرُّمْحُ إِلَى طَرْفِهِ وَلَا إِلَى ٱلْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ
يُلْقِي عَلَيْهِ ٱلطَّعْنُ إِلْقَاءَكَ ٱلْـ حَسَبَ عَلَى ٱلْمُسْرِعِ فِي عَقْدِهِ
بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا يَرُدُّ غَرْبَ ٱلْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ

أَمْهَلَهُ ٱلدَّهْرُ فَأَوْذَى بِهِ مُبْيَضُّهُ يُحْدَى بِمُسْوَدِّهِ
فَيَا أَخَا ٱلْمَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ كَٱلشُّهْبِ مَاسَلَّاكَ عَنْ فَقْدِهِ
جَاءَكَ هٰذَا ٱلْحُزْنُ مُسْتَجْدِيًا أَجْرَكَ فِي ٱلصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ
سَلِّمْ إِلَى ٱللهِ فَكُلُّ ٱلَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ ٱلْأَسْمَرُ فِي غَابِهِ حَتْفاً وَلَا ٱلْأَبْيَضُ فِي غِمْدِهِ
إِنَّ ٱلَّذِي ٱلْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ ٱلرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أُوحِشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابُكَ مِنْ أُسْدِهِ

« ومن مرثاة لصفي الدين الحلي يرثي فيها خاله صفي الدين بن محاسن »
« حين قتل غدرا »

أُنْظُرْ إِلَى ٱلْمَجْدِ كَيْفَ يَنْهَدِمُ وَعُرْوَةِ ٱلْمُلْكِ كَيْفَ تَنْفَصِمُ
قَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ أَنْ أُغَيَّبَ فِي ٱلتُّ رْبِ وَتُبْلِي عِظَامِيَ ٱلرِّمَمُ(١)
وَلَا أَرَى ٱلْيَوْمَ مِنْ أَكَابِرِنَا أُسْداً وَفِيهَا ٱلذِّئَابُ قَدْ حَكَمُوا
مَا عُذْرُنَا وَٱلسُّيُوفُ قَاطِعَةٌ وَأَمْرُنَا فِي ٱلْعِرَاقِ مُنْتَظِمُ
وَحَوْلَنَا مِنْ بَنِي عُمُومَتِنَا كَتَائِبٌ كَٱلْغَمَامِ تَزْدَحِمُ
بِأَيِّ عَيْنٍ نَرَى ٱلْأَنَامَ وَقَدْ تَحَكَّمَتْ فِي أُسُودِنَا ٱلْغَنَمُ
إِمَّا مَمَاتٌ وَذِكْرُنَا حَسَنٌ إِمَّا حَيَاةٌ وَرَبْعُنَا حَرَمُ
يَا صَاحِبَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلَّتِي نَكَصَتْ(٢) مِنْ دُونِ إِدْرَاكِهِ شَأْوِهَا ٱلْأُمَمُ

(١) الرمم جمع رمة بمعنى الأرضة وهي دودة تنقر الخشب (٢) احجمت ورجعت

قَدْ كُنْتَ لِي ذَابِلًا أَصُولُ بِـهِ   مَا خِلْتُهُ فِي ٱلْهِيَـاجِ يَنْحَطِمُ[1]
مَا كُنْتُ أَخْشَى ٱلزَّمَانَ حِينَ عَدَا   خَصْمِي لِعِلْمِي بِأَنَّكَ ٱلْحَكَمُ
كَفَفْتَ عَنَّا كَفَّ ٱلْخُطُوبِ فَمِنْ   بَعْـدِكَ أَمْسَى ٱلزَّمَانُ يَنْتَقِمُ
مَـا أَلْبَسَتْنَا ٱلْأَيَّامُ ثَوْبَ عَلًا   إِلَّا وَأَنْتَ ٱلطِّرَازُ وَٱلْعَلَمُ[2]
عَزَّ عَلَى ٱلْمَجْـدِ أَنْ تَزُولَ وَأَنْ   تَخْلُقَ[3] تِلْكَ ٱلْأَخْلَاقُ وَٱلشِّيَمُ
تَبْكِي ٱلْمَوَاضِي وَطَالَمَـا ضَحِكَتْ   مِنْكَ وَأَمْسَتْ غُمُودَهَا ٱلْقِمَمُ
يُـذَكِّرُنِي جُودَكَ ٱلْغَمَامُ إِذَا   أَصْبَحَ دَمْعُ ٱلْغَـمَامِ يَنْسَجِمُ
إِذْ كُنْتَ لِي دِيمَـةً تَسُحُّ وَلَا   يَنْسَاكَ قَلْبِي مَـا سَحَّتِ ٱلدِّيَمُ
لَا جَمَدَتْ أَدْمُعِي وَلَا خَمَـدَتْ   نَارُ أَسًى فِي حَشَـايَ تَضْطَرِمُ

« وله من مرثاة رثى فيها مملوكاً كان رباه صغيراً »
« حتى صار كاتباً فطناً »

هَجَرَتْ بَعْدَكَ ٱلْقُلُوبُ ٱلْجُسُومَا   حِينَ أَمْسَتْ مِنْكَ ٱلرُّبُوعُ رُسُومَا
وَخَلَتْ مِنْ سَنَاكَ زُهْرُ ٱلْمَغَانِي   فَٱسْتَحَالَ ٱلنَّهَـارُ لَيْلاً بَهِيمَا
يَا هِلَالًا أَوْدَى بِـهِ ٱلْخَسْفُ لَمَّا   صَارَ عِنْـدَ ٱلْكَمَالِ بَدْراً وَسِيمَا
وَقَضِيباً رُمْنَـا لَذِيذَ جَنَاهُ   فَذَوَى حِـينَ صَارَ غُصْناً قَوِيمَا
مَا ظَنَنَّا ٱلْمَنُونَ تَرْقَى إِلَى ٱلْبَـدْ   رِ وَأَنَّ ٱلْحِمَامَ يَغْشَى ٱلنُّجُومَـا
يَا صَغِيراً حَـوَى عَظِيمَ صِفَاتٍ   أَوْجَبَتْ فِي قُلُوبِنَا ٱلتَّعْظِيمَا

---

(١) ينكسر (٢) العلم رسم الثوب ورقمه ووشيه (٣) تبلى

كَيفَ جرعتني ٱلحميمَ مِنَ ٱلحُزْ نِ وَقَدْ كُنتَ لِي صَدِيقاً حَمِيما
وَتَرَحَّلتَ عَنْ فِنَائِي رَحِيلاً صَيَّرَ ٱلْحُزْنَ فِي ٱلفُؤَادِ مُقِيما
لَسْتُ أَنْسَاكَ وَٱلْمَنِيَّةُ تُخْفِي مِنْكَ نُطقاً عَذْبا وَصوتاً رَخِيما
كُنتُ أَمَّلتُ أَنْ تُشَيِّعَ نَعْشِي وَتُوَارِي فِي ٱلتُّرْبِ عَظْمِي ٱلرَّمِيما
وَتَوَقَّعتُ أَنْ أَرُدَّ بِكَ ٱلْخَطْ بَ فَأَمْسَتْ نَوَاكَ خَطْباً جَسِيما
قَدْ تَبَوَّأْتَ قَاطِناً جَنَّةَ ٱلخُلْ دِ وَخَلَّفْتَ فِي فُؤَادِي ٱلْجَحِيما
وَتَفَرَّدْتَ بِٱلنَّعِيمِ مِنَ ٱلعَيْ شِ وَأَبْقَيْتَ لِي ٱلعَذَابَ ٱلأَلِيما
فَسَقَتْ عَهْدَكَ ٱلْعِهَادُ[1] فَقَدْ فُزْ تَ بِزُلْفَى ٱلْجِنَانِ فَوْزاً عَظِيما
وَعَلَيْكَ ٱلسَّلامُ حَيًّا وَمَيْتاً وَرَضِيعاً وَيَافِعاً وَفَطِيما

« وله من مرثاة رثى بها الملك ناصر الدين عمر »

بَكَى عَلَيْكَ ٱلْحُسَامُ وَٱلْقَلَمُ وَفُجِّعَ ٱلعِلْمُ فِيكَ وَٱلْعَلَمُ
وَضَجَّتِ ٱلأَرْضُ فَٱلْعِبَادُ بِهَا وَاجِمَةٌ وَٱلْبِلادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جَلَّ مُلُوكَ ٱلْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضِّ ٱلشَّبَابِ مُقْتَبَلِ ٱلْ عُمْرِ وَلَكِنَّ مَجْدَهُ هَرِمُ
مُحَكَّمٍ فِي ٱلْوَرَى وَآمِلُهُ يَحْكُمُ فِي مَالِهِ وَيَحْتَكِمُ
يَجْتَمِعُ ٱلْمَجْدُ وَٱلثَّنَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي ٱلْوُفُودِ يُقْتَسَمُ

---

(١) العهد المنزل الذي لايزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه والمراد به هنا القبر . والعهاد جمع عهد وهو مطر بعد مطر

قَدْ سَئِمَتْ جُودَهُ ٱلْأَنَامُ وَلَا ... يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ ٱلنَّدَي سَأَمُ
أَلْوَاهِبُ ٱلْأَلْفَ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ ... وَٱلْقَاتِلُ ٱلْأَلْفَ وَهُوَ مُقْتَحِمُ
مُبْتَسِمٌ وَٱلْكُمَاةُ عَابِسَةٌ ... وَعَابِسٌ وَٱلسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
يَسْتَصْغِرُ ٱلْعَضْبَ أَنْ يَصُولَ بِهِ ... إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلْهِمَمُ
لَمْ يَعْلَمِ ٱلْأَبْعَدُونَ مَا فَقَدُوا ... مِنْهُ وَلَا ٱلْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقْدُ فَرْدٍ مِنَ ٱلْأَنَامِ كَمَنْ ... إِنْ مَاتَ مَاتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَمُ
وَٱلنَّاسُ كَٱلْعَيْنِ (١) إِنْ نَقَدْتَهُمُ ... تَفَاوَتَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ ٱلْقِيَمُ
يَا طَالِبَ ٱلْجُودِ قَدْ قَضَى عُمَرٌ ... فَكُلُّ جُودٍ وُجُودُهُ عَدَمُ
وَيَا مُنَادِي ٱلنَّدَى لِتُدْرِكَهُ ... أَقْصِرْ فَفِي مَسْمَعِ ٱلنَّدَى صَمَمُ
مَضَى ٱلَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبَا ... فَٱلْيَوْمَ كُلُّ ٱلْأَنَامِ قَدْ يَتِمُوا
وَحَلَّ دَاراً ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا ... وَدُونَ أَدْنَى دِيَارِهِ إِرَمُ (٢)
كَأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى رُتَبٍ ... تَقْصُرُ مِنْ دُونِ نَيْلِهَا ٱلْهِمَمُ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً ... بِهَا عُيُونُ ٱلْعُقُولِ تَنْحَلِمُ (٣)
أَيْنَ ٱلَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَداً ... وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ ... لَا ظُلْمَ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظُلَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلذِّمَامَ لَنَا ... إِنْ خَفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ ٱلذِّمَمُ

---

(١) العين الدينار (٢) الإرم حجارة تنصب علماً في المفازة (٣) انحلم بالامر رآه في نومه

يَا نَاصرَ ٱلدِّينِ وَٱبْنَ نَاصِرِهِ وَمَنْ بِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ يُعْتَصَمُ
يُثْنِي عَلَيْكَ ٱلْوَرَى وَمَا شَهِدُوا مِنَ ٱلسَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
يَبْكِيكَ مَأْلُوفُكَ ٱلتُّقَى أَسَفاً وَصَاحِبَاكَ ٱلْعَفَافُ وَٱلْكَرَمُ
أَغْنَيْتَنِي بِٱلْوِدَادِ عَنْ نَسَبِي كَأَنَّمَا ٱلْوُدُّ بَيْنَنَا رَحِمُ
لَوْلَا ٱلتَّسَلِّي بِمَنْ تَرَكْتَ لَنَا أَلَمَّ بِي مِنْ تَدَلُّهِي لَمَمُ (١)
وَفِي بَقَاءِ ٱلسُّلْطَانِ تَسْلِيَةٌ لِكُلِّ قَلْبٍ بِٱلْحُزْنِ يَضْطَرِمُ
أَلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ ٱلَّذِي طَهُرَتْ مِنْهُ ٱلسَّجَايَا وَطَابَتِ ٱلشِّيَمُ
لَازَالَ يُفْنِي ٱلزَّمَانَ فِي دَعَةٍ وَٱلذِّكْرُ عَالٍ وَٱلْمُلْكُ مُنْتَظِمُ

« ومن مرثاة لابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين »

أَلنَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ ٱلطِّرَادْ فَٱلسَّابِقُ ٱلسَّابِقُ مِنْهَا ٱلْجَوَادْ
وَٱللهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ إِلَّا مَنِ ٱسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي ٱلْعِبَادْ
وَٱلْمَوْتُ نَقَّادٌ عَلَى كَفِّهِ جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا ٱلْجِيَادْ
وَٱلْمَرْءُ كَٱلظِّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ يَزُولَ ذَاكَ ٱلظِّلُّ بَعْدَ ٱمْتِدَادْ
لَا تَصْلُحُ ٱلْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا سَرَى إِلَى ٱلْأَجْسَادِ هٰذَا ٱلْفَسَادْ
أَرْغَمْتَ يَا مَوْتُ أُنُوفَ ٱلْقَنَا وَدُسْتَ أَعْنَاقَ ٱلسُّيُوفِ ٱلْحِدَادْ
كَيْفَ تَخَرَّمْتَ عَلِيّاً وَمَا أَنْجَدَهُ كُلُّ طَوِيلِ ٱلنِّجَادْ
نَجْلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ ٱلْجَمَادْ

---

(١) اللمم جنون خفيف . والتدله التحير

مُصِيبَةٌ أَذْكَتْ قُلُوبَ ٱلْوَرَى كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زِنَادْ
نَازِلَةٌ جَلَّتْ فَمِنْ أَجْلِهَا سَنَّ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ لُبْسَ ٱلسَّوَادْ
مَأْتَمَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ لٰكِنَّهَا عُرْسٌ عَلَى ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ ٱلشِّدَادْ
طَرَقْتَ يَا مَوْتُ كَرِيماً فَلَمْ يَقْنَعْ بِغَيْرِ ٱلنَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادْ
قَصَفْتَهُ مِنْ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى غُصْناً فَشَلَّتْ يَدُ أَهْلِ ٱلْفَسَادْ
يَا ثَالِثَ ٱلسِّبْطَيْنِ خَلَّفْتَنِي أَهِيمُ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادْ
يَا نَائِماً فِي غَمَرَاتِ ٱلرَّدَى كَحَلْتَ أَجْفَانِي بِمِيلِ ٱلسُّهَادْ
وَيَا ضَجِيعَ ٱلتُّرْبِ أَقْلَقْتَنِي كَأَنَّمَا فَرْشِيَ شَوْكُ ٱلْقَتَادْ
دُفِنْتَ فِي ٱلتُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي صَمِيمِ ٱلْفُؤَادْ
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَسْخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ مَثْوَاكَ عَيْنَايَ كَصَوْبِ ٱلْعِهَادْ
خَلِيفَةَ ٱللهِ ٱصْطَبِرْ وَٱحْتَسِبْ فَمَا وَهَى ٱلْبَيْتُ وَأَنْتَ ٱلْعِمَادْ
فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلْحِلْمِ بِكُمْ يُقْتَدَى إِذَا دَجَا ٱلْخَطْبُ وَضَلَّ ٱلرَّشَادْ

« ولأبي اسحق الصابي من مرثاة رثى بها ابا سعيد سناناً ابنه »

أَسْعِدَانِي بِٱلدَّمْعَةِ ٱلْحَمْرَاءِ جَلَّ مَا حَلَّ بِي عَنِ ٱلْبَيْضَاءِ (١)
يُؤْلِمُ ٱلْقَلْبَ كُلُّ فَقْدٍ وَلَا مِثْـ لُ ٱفْتِقَادِ ٱلْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ
هَدَّ رُكْنِي مَثْوَى سِنَانٍ وَقَدْ كَانَ يَهُدُّ ٱلْأَرْكَانَ مِنْ أَعْدَائِي
إِنَّمَا كُنْتَ فِلْذَةً مِنْ فُؤَادِي خَطَفَتْهَا ٱلْمَنُونُ مِنْ أَحْشَائِي

(١) اي عن الدمعة البيضاء

وَلَئِنْ كانَ في أَخِيكَ وَأَوْلَا دِكُما مَا يَغُضُّ مِنْ بُرَحَائِي
فَلَعَمْرِي فَرُبَّمَا هَيَّجُوا ٱلشَّوْ قَ فَزَادُوا في لَوْعَتِي وَبُكَائِي

« ولأبي حسن الانباري يرثي الوزير ابا طاهر [1] »

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ
كَأَنَّ ٱلنَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ ٱلصِّلَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً وَكُلُّهُمُ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ ٱحْتِفَاءً كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِٱلْهِبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ ٱلْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَمَاتِ
أَصَارُوا ٱلْجَوَّ قَبْرَكَ وَٱسْتَعَاضُوا عَنِ ٱلْأَكْفَانِ ثَوْبَ ٱلسَّافِيَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي ٱلنُّفُوسِ بَقِيتَ تُرْعَى بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ
وَتُوقَدُ حَوْلَكَ ٱلنِّيرَانُ لَيْلًا كَذٰلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ عَلَاهَا فِي ٱلسِّنِينَ ٱلْمَاضِيَاتِ
وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأَسٍّ تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ ٱلْعُدَاةِ

---

[1] لما استعرت الحرب بين عز الدولة بن بويه وابن عمهِ عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة ابي طاهر محمد بن بقية فسملهُ وشهرهُ وعلى رأسهِ برنس . ثم طرحهُ للفيلة فقتلتهُ . ثم صلبهُ عند داره بباب الطاق وعمره خمسون سنة ونيف . ولما صلب رثاه ابو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانباري احد العدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء . فلما وقف عليها عضد الدولة قال : وددت لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيَّ :

وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعاً تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ ٱلْمَكْرُمَاتِ
أَسَأْتَ إِلى ٱلنَّوَائِبِ فَٱسْتَثَارَتْ فَأَنْتَ قَتِيلُ ثَأْرِ ٱلنَّائِبَاتِ
وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ ٱللَّيَالِي فَعَادَ مُطَالِباً لَكَ بِٱلتِّرَاتِ
وَصَيَّرَ دَهْرُكَ ٱلإِحْسَانَ فِيهِ إِلَيْنَا مِنْ عَظَائِمِ ٱلسَّيِّئَاتِ
وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْداً فَلَمَّا مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِٱلْمُنْحِسَاتِ
غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فُؤَادِي يُخَفَّفُ بِٱلدُّمُوعِ ٱلْجَارِيَاتِ
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلى قِيَامٍ بِفَرْضِكَ وَٱلْحُقُوقِ ٱلْوَاجِبَاتِ
مَلأْتُ ٱلأَرْضَ مِنْ نَظْمِ ٱلْقَوَافِي وَنُحْتُ بِهَا خِلافَ ٱلنَّائِحَاتِ
وَلٰكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسِي مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ ٱلْجُنَاةِ
وَمَا لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولَ تُسْقَى لِأَنَّكَ نُصْبُ هَطْلِ ٱلْهَاطِلاتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ ٱلرَّحْمٰنِ تَتْرَى بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

« ومن مرثاة لأبي الحسن التهامي يرثي بها ولده ابا الفضل »

أَبَا ٱلْفَضْلِ طَالَ ٱللَّيْلُ أَمْ خَانَنِي صَبْرِي فَخُيِّلَ لِي أَنَّ ٱلْكَوَاكِبَ لا تَسْرِي
أَرَى ٱلرَّمْلَةَ ٱلْبَيْضَاءَ بَعْدَكَ أَظْلَمَتْ فَدَهْرِيَ لَيْلٌ لَيْسَ يُفْضِي إِلى فَجْرِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ فِيهَا وَدِيعَةً أَبَى رَبُّهَا أَنْ تُسْتَرَدَّ إِلى ٱلْحَشْرِ
بِنَفْسِي هِلالٌ كُنْتُ أَرْجُو تَمَامَهُ فَعَاجَلَهُ ٱلْمِقْدُورُ فِي غُرَّةِ ٱلشَّهْرِ
وَشِبْلٌ رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ غَضَنْفَراً فَمَاتَ وَلَمْ يُجْرَحْ بِنَابٍ وَلا ظُفْرِ
أُحَمِّلُهُ ثِقْلَ ٱلتُّرَابِ وَإِنَّنِي لَأَخْشَى عَلَيْهِ ٱلثِّقْلَ مِنْ مَوْطِئِ ٱلذَّرِّ

وَلَا حُزنَ إلَّا يَوْمَ وَارَيْتُ شَخْصَهُ
وَرُحتُ بِبَعْضِ ٱلنَّفسِ وَٱلبَعْضُ فِي ٱلقَبْرِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْحَادِثَاتِ بِمَرْصَدٍ
لِتَأْخُذَ كُلِّي مِثْلَ مَا أَخَذَتْ شَطْرِي

فَبِي مِنْهُ مَا يُوهِي ٱلْقُوَى غَيْرَ أَنَّنِي بُنِيتُ كَمَا يُبْنَى ٱلْكَرِيمُ عَلَى ٱلصَّبْرِ
وَمَا صَبْرُ مَحْزُونٍ جَنَاحُ فُؤَادِهِ يُرَفْرِفُ مَا بَيْنَ ٱلتَّرَائِبِ[1] وَٱلنَّحْرِ
يُقَلِّبُ عَيْناً مَا تَنَامُ كَأَنَّهَا بِلَا هُدْبٍ يُثْنَى عَلَيْهَا وَلَا شُفْرِ[2]
غَطَا دَمْعُهَا إِنْسَانَهَا فَكَأَنَّهُ غَرِيقٌ تَسَامَتْ فَوْقَهُ لُجَجُ ٱلْبَحْرِ
يُنَغِّصُ نَوْمِي كُلَّ يَوْمٍ وَيَقْظَتِي خَيَالٌ لَهُ يَسْرِي وَذِكْرٌ لَهُ يَجْرِي
وَقَالُوا سَيُسْلِيهِ ٱلتَّأَسِّي بِغَيْرِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ يُطْفَأُ ٱلْجَمْرُ بِٱلْجَمْرِ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْهُ صَبْراً فَإِنَّنِي دَفَنْتُ بِهِ قَلْبِي وَفِي طَيِّهِ صَبْرِي
فَإِلَّا تَكُنْ قَلْبِي فَإِنَّكَ شَطْرُهُ قُدِدْتَ كَمَا قُدَّ ٱلْهِلَالُ مِنَ ٱلْبَدْرِ

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ رَبِّكَ إِنْ تَكُنْ
عَبَرْتَ إِلَى ٱلْأُخْرَى فَنَحْنُ عَلَى ٱلْجِسْرِ

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ أَفْرَاسِ حَلْبَةٍ تَقَدَّمَنَا شَيْءٌ وَنَحْنُ عَلَى ٱلْإِثْرِ
مَحَاكَ ٱلرَّدَى مِنْ رَأْيِ عَيْنِي وَمَا مَحَا خَيَالَكَ مِنْ قَلْبِي وَذِكْرَكَ مِنْ فِكْرِي

---

(١) الترائب جمع تريبة وهي عظام الصدر (٢) الهدب شعر اشفار العينين والشفر اصل منبت الشعر في حرف الجفن

وَلَمْ أَنسَ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ قَلَّ قَدْرُهُ فَإِنَّكَ مِنِّي مَا حَيِيتُ عَلَى ذِكْرِ
رَحَلْتَ وَخَلَّفْتَ ٱلَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ وَرَاءَكَ بِٱلْأَحْزَانِ وَٱلْهَمِّ وَٱلْفِكْرِ
أَزُورُكَ إِكْرَاماً وَبِرًّا وَفِي ٱلْبِلَى لِمِثْلِكَ شُغْلٌ عَنْ وَفَائِي وَعَنْ بِرِّي
وَلَمَّا أَتَى بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ عَدَلْتُهُ
بِعَصْرِ ٱلشَّبَابِ ٱلْغَضِّ بُورِكَ مِنْ عَصْرِ
فَوَلَّى كَمَا وَلَّى ٱلشَّبَابُ كِلَاهُمَا حَمِيدٌ فَقِيدٌ طَيِّبُ ٱلْعَهْدِ وَٱلْأَثْرِ
نَقَضْتُ عُهُودَ ٱلْوُدِّ إِنْ ذُقْتُ بَعْدَهُ سُلُوًّا إِلَّا إِنَّ ٱلسُّلُوَّ أَخُو ٱلْغَدْرِ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي دَعَوْتُ فَلَمْ يُجِبْ وَلَمْ يَكُ صَمْتاً عَنْ وَقَارٍ وَلَا وَقْرِ [1]
نُنَافِسُ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُوراً وَإِنَّمَا قُصَارَى غِنَاهَا أَنْ يَؤُولَ إِلَى ٱلْفَقْرِ
وَإِنَّا لَفِي ٱلدُّنْيَا كَرَكْبِ سَفِينَةٍ نُظَنُّ وُقُوفاً وَٱلزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مَا أُجِنُّ [2] وَإِنَّنِي فَقَدْتُكَ فَقْدَ ٱلْمَاءِ فِي ٱلْبَلَدِ ٱلْقَفْرِ
إِذَا مَا تَوَلَّى ٱبْنِي وَوَلَّتْ شَبِيبَتِي وَوَلَّى عَزَائِي فَٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلدَّهْرِ

---

(١) من وقرت اذنه اذا ثقلت او ذهب سمعه كله   (٢) اجن استر واخفي

٣ في الفخر والحماسة

« قال بشر بن ابي عوانة يصف قتالهُ الاسد وقتله اياه »

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى ٱلْهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا
إِذاً لَرَأَيْتِ لَيْثاً أَمَّ لَيْثاً هِزَبْراً أَغْلَباً لَاقَى هِزَبْرَا
تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ ٱلْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهاً مُكْفَهِرَّا
يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِٱللَّحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي ٱلْحَدِّ أَبْقَى بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ ٱلْمَوْتِ أَثْرَا
نَصَحْتُكَ فَٱلْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَاماً إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرَّا
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْهُ كَفِّي بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ قَتَلْتُ عَمْرَا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ ٱلنُّصْحَ غِشٌّ وَخَالَ مَقَالَتِي زُوراً وَهُجْرَا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَاماً كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا
سَلَلْتُ لَهُ ٱلْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى ٱلظَّلْمَاءِ فَجْرَا
وَأَطْلَقْتُ ٱلْمُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْأَضْلَاعِ عَشْرَا

فَخَرَّ مُضَرَّجاً بِدمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّا
بِضَرْبَةِ فَيْصَلٍ تَرَكَتْهُ شَفْعاً لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وِتْرَا
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلَداً وَقَهْرَا
وَلٰكِنْ رُمْتَ أَمْراً لَمْ يَرُمْهُ سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرًّا

« وقال عنترة العبسي »

دَعْنِي أَجِدُّ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ فِي ٱلطَّلَبِ وَأَبْلُغِ ٱلْغَايَةَ ٱلْقُصْوَى مِنَ ٱلرُّتَبِ
يَاعَبْلَ قُومِي ٱنْظُرِي فِعْلِي وَلَا تَسَلِي
عَنِّي ٱلْحَسُودَ ٱلَّذِي يُنْبِيكِ بِٱلْكَذِبِ
إِنْ أَقْبَلَتْ حَدَقُ ٱلْفُرْسَانِ تَرْمُقُنِي وَكُلُّ مِقْدَامِ حَرْبٍ مَالَ لِلْهَرَبِ
فَمَا تَرَكْتُ لَهُمْ وَجْهاً لِمُنْهَزِمٍ وَلَا طَرِيقاً يُنَجِّيهِمْ مِنَ ٱلْعَطَبِ
فَبَادِرِي وَٱنْظُرِي طَعْناً إِذَا نَظَرَتْ عَيْنُ ٱلْوَلِيدِ إِلَيْهِ شَابَ وَهْوَ صَبِي
خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أُحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ وَأَصْطَلِي نَارَهَا فِي شِدَّةِ ٱللَّهَبِ
وَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ مَنْزِلَةً بِصَارِمِي لَا بِأُمِّي لَا وَلَا بِأَبِي

« وقال في اغارته على بني حريقة »

حَكِّمْ سُيُوفَكَ فِي رِقَابِ ٱلْعُذَّلِ وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ ذُلٍّ فَٱرْحَلِ
وَإِذَا ٱلْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ خَوْفاً عَلَيْكَ مِنَ ٱزْدِحَامِ ٱلْجَحْفَلِ

فَٱعصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفِلْ بِهَا ... وَٱقْدِمْ إِذَا حَقَّ ٱللِّقَا فِي ٱلْأَوَّلِ
وَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ ... أَوْ مُتْ كَرِيماً تَحْتَ ظِلِّ ٱلْقَسْطَلِ
فَٱلْمَوْتُ لَا يُنْجِيكَ مِنْ آفَاتِهِ ... حِصْنٌ وَلَوْ شَيَّدْتَهُ بِٱلْجَنْدَلِ
إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ ٱلْعَبِيدِ فَهِمَّتِي ... فَوْقَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرَتْ فُرْسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتِي ... فَسِنَانُ رُمْحِي وَٱلْحُسَامُ يُقِرُّ لِي
وَبِذَابِلِي وَمُهَنَّدِي نِلْتُ ٱلْعُلَى ... لَا بِٱلْقَرَابَةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلْأَجْزَلِ
وَرَمَيْتُ مُهْرِي فِي ٱلْعَجَاجِ فَخَاضَهُ ... وَٱلنَّارُ تُقْدَحُ مِنْ شِفَارِ ٱلْأَنْصُلِ
خَاضَ ٱلْعَجَاجَ مُحَجَّلاً حَتَّى إِذَا ... شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حَرِيقَةَ نَكْبَةً ... لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ ٱلْأَخْيَلِ
وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عَنْوَةً ... وَٱلْهَيْذُبَانَ وَجَابِرَ بْنَ مُهَلْهِلِ
لَا تَسْقِنِي مَاءَ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ ... بَلْ فَٱسْقِنِي بِٱلْعِزِّ كَأْسَ ٱلْحَنْظَلِ
مَاءُ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ ... وَجَهَنَّمٌ بِٱلْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

« ولأبي فراس الحمداني من قصيدة »

إِذَا مَا ٱلْعِزُّ أَصْبَحَ فِي مَكَانٍ ... سَمَوْتُ لَهُ وَإِنْ بَعُدَ ٱلْمَزَارُ
أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَغِرَارُ سَيْفِي ... وَعَزْمِي وَٱلْمَطِيَّةُ وَٱلْقِفَارُ
وَنَفْسٌ لَا تُجَاوِرُهَا ٱلدَّنَايَا ... وَعِرْضٌ لَا يُرِفُّ عَلَيْهِ عَارُ(١)
إِذَا أَمْسَتْ نِزَارُ(٢) لَنَا عَبِيداً ... فَإِنَّ ٱلنَّاسَ كُلُّهُمُ نِزَارُ

---

(١) اي لايبسط عليه عار (٢) اسم قبيلة

« وقال ايضا مفتخرًا بقومهِ من قصيدة »

أَلَمْ تَرَنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ جَاراً　　وَأَمْرَعَهُمْ[١] وَأَمْنَعَهُمْ جَنَابَا
لَنَا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُطِلُّ عَلَى نِزَارٍ　　حَلَلْنَا ٱلْمَجْدَ[٢] مِنْهُ وَٱلْهِضَابَا
تُفَضِّلُنَا ٱلْأَنَامُ وَلَا نُحَاشِي　　وَنُوصَفُ بِٱلْجَمِيلِ وَلَا نُحَابَى[٣]
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبِيعَةُ بَلْ نِزَارٌ　　بِأَنَّا ٱلرَّأْسُ وَٱلنَّاسَ ٱلذُّنَابَى
وَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهَاءُ كَعْبٍ　　فَتَحْنَا بَيْنَنَا لِلْحَرْبِ بَابَا
مَنَحْنَاهَا ٱلْحَرَائِبَ[٤] غَيْرَ أَنَّا　　إِذَا جَارَتْ مَنَحْنَاهَا ٱلْحِرَابَا
وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ ثُرْنَا　　كَمَا هَيَّجْتَ آسَاداً غِضَابَا
دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ　　فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا
فَمَا كَانُوا لَنَا إِلَّا أَسَارَى　　وَمَا كَانُوا لَنَا إِلَّا نِهَابَا[٥]
فَلَمَّا ٱشْتَدَّتِ ٱلْهَيْجَاءُ كُنَّا　　أَشَدَّ مَخَالِباً وَأَحَدَّ نَابَا
وَأَمْنَعَ جَانِباً وَأَعَزَّ جَاراً　　وَأَوْفَرَ ذِمَّةً وَأَقَلَّ عَابَا
دِيَارُهُمُ ٱنْتَزَعْنَاهَا ٱقْتِسَاراً　　وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَاهَا ٱغْتِصَابَا
وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا ٱلْبَوَادِي　　كَمَا تَحْمِي أُسُودُ ٱلْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَنْفَذَ ٱلْأُمَرَاءُ جَيْشاً　　إِلَى ٱلْأَعْدَاءِ أَنْفَذْنَا كِتَابَا
أَنَا ٱبْنُ ٱلضَّارِبِينَ ٱلْهَامَ قِدْماً　　إِذَا كَرِهَ ٱلْمُحَامُونَ ٱلضِّرَابَا

---

(١) اخصبهم　(٢) المجد الارض المرتفعة　(٣) اي لا نسامح ولا نساهل
(٤) جمع حريبة وهي المال الذي يسلب او يعاش به　(٥) جمع نهب وهو الغنيمة

أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّا بِأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَهَا شِهَابَا

« وبلغه عن قوم من اهله انهم كرهوا خلاصه فقال »

تَمَنَّيْتُمْ أَنْ تَفْقِدُونِي وَإِنَّمَا تَمَنَّيْتُمْ أَنْ تَفْقِدُوا ٱلْعِزَّ أَصْيَدَا
أَمَا أَنَا أَعْلَى مَنْ تَعُدُّونَ هِمَّةً وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مَنْ تَعُدُّونَ مَوْلِدَا
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو عُصْبَةً مِنْ عَشِيرَتِي يُسِيئُونَنِي فِي ٱلْقَوْلِ غَيْباً وَمَشْهَدَا
وَإِنْ حَارَبُوا كُنْتُ ٱلْمِجَنَّ[1] أَمَامَهُمْ وَإِنْ ضَرَبُوا كُنْتُ ٱلْمُهَنَّدَ وَٱلْيَدَا
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ جَعَلْتُ لَهُمْ كَفِّي وَمَا مَلَكَتْ فِدَى
يَوَدُّونَ أَنْ لَا يُبْصِرُونِي سَفَاهَةً وَإِنْ غِبْتُ عَنْ أَمْرٍ تَرَكْتُهُمْ سُدَى
فَلَا تَعِدُونِي نِعْمَةً فَمَتَى غَدَتْ فَأَهْلِي بِهَا أَوْلَى وَلَوْ أَصْبَحُوا عِدَى

« وقال ايضاً وهو يفتخر »

إِذَا مَرَرْتَ بِوَادٍ جَاشَ غَارِبُهُ[2]
فَٱعْقِلْ قَلُوصَكَ[3] ذَاكَ ٱلنُّزْبُ وَادِينَا
وَإِنْ وَقَفْتَ بِنَادٍ لَا يُطِيفُ بِهِ أَهْلُ ٱلسَّفَاهَةِ فَٱجْلِسْ فَهْوَ نَادِينَا
نُغِيرُ فِي ٱلْهَجْمَةِ[4] ٱلْغَرَّاءِ نَنْحَرُهَا حَتَّى لَيَعْطَشُ فِي ٱلْأَحْيَانِ رَاعِينَا
وَيُصْبِحُ ٱلضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَنْزِلِنَا نَرْضَى بِذَاكَ وَيُمْضِي حُكْمَهُ فِينَا

---

(١) المجن الترس (٢) جاش زخر وامتد والغارب اعلى الموج (٣) القلوص الناقة الشابة . وعقلها ثنى وظيفها مع ذراعها وشدّهما معاً بحبل (٤) الهجمة من الابل ما بين السبعين الى المئة

« ولابي الطحان القيني »

وَإِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ ٱلْجَزْعَ (١) ثَاقِبُهْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ تَسِيرُ ٱلْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

« وقال البعيث بن حريث »

وَإِنَّ مَسِيرِي فِي ٱلْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لَبِٱلْمَنْزِلِ ٱلْأَقْصَى إِذَا لَمْ أُقَرَّبِ
وَلَسْتُ وَإِنْ قُرِّبْتُ يَوْماً بِبَائِعٍ خَلَاقِي (٢) وَلَا دِينِي ٱبْتِغَاءَ ٱلتَّحَبُّبِ
وَيَعْتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ دِينِي وَمَنْصِبِي (٣)

« وقال المهلهل »

إِنَّا بَنُو تَغْلِبٍ شُمٌّ مَعَاطِسُنَا بِيضُ ٱلْوُجُوهِ إِذَا مَا أُفْزِعَ ٱلْبَلَدُ
قَوْمٌ إِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا
شَدُّوا وَإِنْ شَهِدُوا يَوْمَ ٱلْوَغَى ٱجْتَهَدُوا
وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ جَاءُوا سِرَاعاً وَإِنْ قَامَ ٱلْخَنَى قَعَدُوا
لَا يَرْقُدُونَ عَلَى وِتْرٍ يَكُونُ لَهُمْ وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وِتْرٌ ٱلْعِدَى رَقَدُوا

---

(١) الجزع الخرز اليماني فيه سواد وبياض (٢) الخلاق النصيب الوافر من الخير او هو للانسان من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له (٣) اصلي ورفعتي

« وقال الحصين بن الحمام المرّي »

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا
فَلَسْنَا عَلى ٱلْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلٰكِنْ عَلى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا
نُفَلِّقُ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

« وقال المتنبي من قصيدة يشكو فيها من الدهر ويفتخر بنفسه »

مَفْرَشِي صَهْوَةُ ٱلْحِصَانِ وَلٰكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ [١] مِنْ حَدِيدِ
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِنَ ٱلدَّهْرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ ٱلتَّنْكِيدِ [٢]
ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
أَبَدًا أَقْطَعُ ٱلْبِلَادَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِي فِي سُعُودِ
عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ ٱلْقَنَا وَخَفْقِ ٱلْبُنُودِ
فَرُؤُوسُ ٱلرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ ٱلْحَقُودِ
لَا كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ
فَٱطْلُبِ ٱلْعِزَّ فِي لَظَى [٣] وَدَعِ ٱلذُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ ٱلْخُلُودِ
لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ ٱلضَّادَ وَعَوْذُ ٱلْجَانِي وَغَوْثُ ٱلطَّرِيدِ
إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ
أَنَا تِرْبُ ٱلنَّدَى وَرَبُّ ٱلْقَوَافِي وَسِمَامُ [٤] ٱلْعِدَى وَغَيْظُ ٱلْحَسُودِ

(١) اي درع مسرودة اي منسوجة (٢) التكدير (٣) جهنم (٤) السمام جمع سم

« وله من قصيدة »

إِذَا غَامَرْتَ (١) فِي شَرَفٍ مَرُومٍ ... فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ ٱلنُّجُومِ
فَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ ... كَطَعْمِ ٱلْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
يَرَى ٱلْجُبَنَاءُ أَنَّ ٱلْعَجْزَ عَقْلٌ ... وَتِلْكَ خَدِيعَةُ ٱلطَّبْعِ ٱللَّئِيمِ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي ٱلْمَرْءِ تُغْنِي ... وَلَا مِثْلَ ٱلشَّجَاعَةِ فِي ٱلْحَكِيمِ
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ

« وللبحتري من قصيدة يفتخر فيها بقومه »

أَيُّهَا ٱلدَّهْرُ حَبَّذَا أَنْتَ دَهْراً ... قِفْ حَمِيدًا وَلَا تُوَلِّ حَمِيدَا
كُلَّ يَوْمٍ تَزْدَادُ حُسْناً فَمَا تَبْـ ... ـعَثُ يَوْماً إِلَّا حَسِبْنَاهُ عِيدَا
ذَهَبَتْ طَيِّئٌ بِسَابِقَةِ ٱلْمَجْـ ... ـدِ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ بَأْساً وَجُودَا
مَعْشَرٌ أَمْسَكَتْ حُلُومُهُمُ ٱلْأَرْ ... ضَ وَكَادَتْ مِنْ عِزِّهِمْ أَنْ تَمِيدَا
نَزَلُوا كَاهِلَ ٱلْحِجَازِ فَأَضْحَى ... لَهُمُ سَاكِنُوهُ طُرًّا عَبِيدَا
بَلَدٌ يُنْبِتُ ٱلْمَعَالِيَ فَمَا يَـ ... ـثَّغِرُ (٢) ٱلطِّفْلُ فِيهِ حَتَّى يَسُودَا
وَلُيُوثٌ مِنْ طَيِّئٍ وَغُيُوثٌ ... لَهُمُ ٱلْمَجْدُ طَارِفاً وَتَلِيدَا
فَإِذَا ٱلْمَحْلُ جَاءَ جَاءُوا سُيُولًا ... وَإِذَا ٱلنَّقْعُ ثَارَ ثَارُوا أُسُودَا
يَحْسُنُ ٱلذِّكْرُ عَنْهُمُ وَٱلْأَحَادِيـ ... ـثُ إِذَا حَدَّثَ ٱلْحَدِيدُ ٱلْحَدِيدَا

---

(١) دخلت في الغمرات اي المهالك (٢) اثغر الطفل نبت ثغره وهو لاسنان او مقدّمها

مَعْشَرٌ يُنجِزُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّـ ـرِّ يَدَ الدَّهْرِ مَوْعِداً وَوَعِيدَا
مَلَكُوا الأَرْضَ قَبْلَ أَنْ تُمْلَكَ الأَرْ ضُ وَقَادُوا فِي حَافَتَيْهَا الْجُنُودَا
بِمَسَاعٍ مَنْظُومَةٍ أَلْبَسَتْهُ نَّ اللآلِي قَلاَئِداً وَعُقُودَا
سَائِلِ الدَّهْرَ مُذْ عَرَفْنَاهُ هَلْ يَعْـ ـرِفُ مِنَّا إِلاَّ الْفَعَالَ الْحَمِيدَا
قَدْ لَعَمْرِي رُزْنَاهُ كَهْلاً وَشَيْخاً وَرَأَيْنَاهُ نَاشِئاً وَوَلِيدَا
وَطَوَيْنَا أَيَّامَهُ وَلَيَالِيـ ـهِ عَلَى الْمَكْرُمَاتِ بِيضاً وَسُودَا
لَمْ نَزَلْ قَطُّ مُذْ تَرَعْرَعَ نَكْسُو هُ نَدًى لَيِّناً وَبَأْساً شَدِيدَا
فَهْوَ مِنْ مَجْدِنَا يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي عُلًى لاَ تَبِيدُ حَتَّى يَبِيدَا
عَبْدُ شَمْسٍ شَمْسُ الْعَرِيبِ أَبُونَا مَلَكَ النَّاسَ وَاصْطَفَاهُمْ عَبِيدَا
وَطِئَ السَّهْلَ وَالْحُزُونَةَ بِالأَبْـ ـطَالِ شُعْثاً وَالْخَيْلِ قُبّاً وَقُودَا (١)
نَحْنُ أَبْنَاءُ يَعْرُبٍ أَعْرَبُ النَّا سِ لِسَاناً وَأَنْضَرُ النَّاسِ عُودَا
وَكَأَنَّ الإِلٰهَ قَالَ لَنَا فِي الْـ ـحَرْبِ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدَا

« وقال الشريف الرضيّ »

أَلْمَجْدُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ أَرَبِي وَلَوْ تَمَادَيْتُ فِي غَيٍّ وَفِي لَعِبِ
إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ إِنْ جُمِّعُوا لِعُلًى تَفَرَّقُوا عَنْ نَبِيٍّ أَوْ وَصِيِّ نَبِي
إِذَا هَمَمْتُ فَفَتِّشْ عَنْ شَبَا هِمَمِي تَجِدْهُ فِي مُهَجَاتِ الأَنْجُمِ الشُّهُبِ

---

(١) الحزونة غلاظة الارض وشدتها . والقب جمع الأقب وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . والقود جمع اقود وهو من الخيل الذلول المنقاد

« نخبة من لامية العجم للطغرائي »

أَصَالَةُ ٱلرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ ٱلْخَطَلِ   وَحِلْيَةُ ٱلْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى ٱلْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيراً وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ   وَٱلشَّمْسُ رَأْدَ ٱلضُّحَى كَٱلشَّمْسِ فِي ٱلطَّفَلِ
فِيمَ ٱلْإِقَامَةُ بِٱلزَّوْرَاءِ لَا سَكَنِي   بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ صِفْرُ ٱلْكَفِّ مُنْفَرِدٌ   كَٱلسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ ٱلْخِلَلِ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي   وَلَا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
طَالَ ٱغْتِرَابِيَ حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي   وَرَحْلُهَا وَقَرَى ٱلْعَسَّالَةِ ٱلذُّبُلِ
وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لِمَا   يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ ٱلرَّكْبُ فِي عَذَلِي
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا   عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي
وَٱلدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي   مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بَعْدَ ٱلْكَدِّ بِٱلْقَفَلِ
حُبُّ ٱلسَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ   عَنِ ٱلْمَعَالِي وَيُغْرِي ٱلْمَرْءَ بِٱلْكَسَلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَٱتَّخِذْ نَفَقاً   فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي ٱلْجَوِّ فَٱعْتَزِلِ
وَدَعْ غِمَارَ ٱلْعُلَى لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى   رُكُوبِهَا وَٱقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِٱلْبَلَلِ
يَرْضَى ٱلذَّلِيلُ بِخَفْضِ ٱلْعَيْشِ يَخْفِضُهُ   وَٱلْعِزُّ بَيْنَ رَسِيمِ ٱلْأَيْنُقِ ٱلذُّلُلِ
فَٱدْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ ٱلْبِيدِ جَافِلَةً   مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي ٱللُّجْمِ بِٱلْجُدُلِ
إِنَّ ٱلْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ   فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ ٱلْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى لَمْ تَبْرَحِ ٱلشَّمْسُ يَوْماً دَارَةَ ٱلْحَمَلِ
أَهَبْتُ بِٱلْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعاً وَٱلْحَظُّ عَنِّيَ بِٱلْجُهَّالِ فِي شُغُلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ
لَمْ أَرْتَضِ ٱلْعَيْشَ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ
وَعَادَةُ ٱلنَّصْلِ أَنْ يَزْهُو بِجَوْهَرِهِ وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلِ
مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسَّفَلِ
تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَمْشِي عَلَى مَهَلِ
هٰذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ ٱلْأَجَلِ
وَإِنْ عَلَانِيَ مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
لِي أُسْوَةٌ بِٱنْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
فَٱصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
غَاضَ ٱلْوَفَاءُ وَفَاضَ ٱلْغَدْرُ وَٱنْفَرَجَتْ
مَسَافَةُ ٱلْخُلْفِ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ فَظُنَّ شَرّاً وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كِذْبُهُمُ   وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمِ   عَلَى ٱلْعُهُودِ فَسَبَقَ ٱلسَّيْفِ لِلْعَذَلِ
يَا وَارِداً سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ   أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ ٱلْأُوَلِ
فِيمَ ٱعْتِرَاضُكَ لُجَّ ٱلْبَحْرِ تَرْكَبُهُ   وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ ٱلْوَشَلِ
مُلْكُ ٱلْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا   تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ٱلْأَنْصَارِ وَٱلْخَوَلِ
تَرْجُو ٱلْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا   فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
وَيَا خَبِيراً عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعاً
أَنْصِتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ   فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ ٱلْهَمَلِ

« ولأبي الحسن قابوس »

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ ٱلدَّهْرِ عَيَّرَنَا   هَلْ حَارَبَ ٱلدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَا تَرَى ٱلْبَحْرَ يَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفٌ   وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ ٱلدُّرَرُ
فَإِنْ تَكُنْ عَبِثَتْ أَيْدِي ٱلزَّمَانِ بِنَا   وَمَسَّنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ ضَرَرُ
فَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا   وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

« وللأبيوردي »

قَضَتْ وَطَراً مِنِّي ٱللَّيَالِي فَلَمْ أَبُحْ   بِشَكْوَى وَلَمْ يَدْنَسْ عَلَيَّ قَمِيصُ
أُغَالِي بِعِرْضِي وَٱلنَّوَائِبُ تَمْتَرِي   وَغَيْرِي يَبِيعُ ٱلْعِرْضَ وَهْوَ رَخِيصُ

« ولمهيار الديلمي يخاطب ام سعد مفتخراً بنسبه »

لَاتَخَالِي نَسَباً يَخْفِضُنِي أَنَا مَنْ يُرْضِيكَ عِنْدَ ٱلنَّسَبِ
قَوْمِيَ ٱسْتَوْلَوْا عَلَى ٱلدَّهْرِ فَتًى وَمَشَوْا فَوْقَ رُؤُوسِ ٱلْحِقَبِ
قَدْ أَخَذْتُ ٱلْمَجْدَ مِنْ خَيْرِ أَبٍ وَقَبَسْتُ ٱلدِّينَ عَنْ خَيْرِ نَبِي

« ولعلي بن اسماعيل بن القاسم »

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا ٱلْأَرْمَاحَ حَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ
وَهُمُ فِي ٱلسِّلْمِ كَٱلْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبِ
فَبِهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدْوَتِي وَبِهِمْ نِلْتُ مِنَ ٱلْعَلْيَا نَصِيبِي
وَبِفَضْلِ ٱللهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي ٱلْعِزِّ وَٱلْعَيْشِ ٱلرَّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا ٱلْمَعَالِي أَرَبٌ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ رُكُوبِي
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ ٱلْعُلَى لَاتَرَانِي لِدُعَاهُ مِنْ مُجِيبِ

« وقال معن بن اوس (١) »

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِيَ عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
يُحَاوِلُ رُغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَٱلْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ ٱلرُّغْمُ

(١) روى ابو حاتم عن ابي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمره مع اهل بيته وخاصته فقال لهم : ليقل كل واحد منكم احسن ما قيل من الشعر وليفصل رأي تفضيله . فانشدوا وفضلوا . فقال بعضهم : النابغة . وقال بعضهم : الأعشى . فلما فرغوا قال : اشعر من هؤلاء الذي يقول « وذي رحم الخ »

« وقال ايضاً متحمساً »

أَلنَّاسُ مِنْ خَوَلِي وَٱلدَّهْرُ مِنْ خَدَمِي　　وَقُمَّةُ ٱلنَّجْمِ عِنْدِي مَوْطِئُ ٱلْقَدَمِ
وَلِلْبَيَانِ لِسَانِي وَٱلنَّدَى خَضِلٌ[1]　　بِهِ يَدِي وَٱلْعُلَى يُخْلَقْنَ مِنْ شِيَمِي
وَٱلنَّسْرُ يَتْبَعُ سَيْفِي حِينَ يَلْحَظُهُ　　وَٱلدَّهْرُ يُنْشِدُ مَا يَهْمِي بِهِ قَلَمِي
فَأَيْنَ مِثْلُ أَبِي فِي ٱلْعُرْبِ قَاطِبَةً　　وَمَنْ كَخَالِيَ فِي صُيَّابَةِ[2] ٱلْعَجَمِ
لَوْ صِيغَتِ ٱلْأَرْضُ لِي دُونَ ٱلْوَرَى ذَهَباً
لَمْ تَرْضَهَا لِمُرَجِّي نَائِلٍ هِمَمِي
وَعَنْ قَلِيلٍ أُرَى فِي مَأْزِقٍ حَرِجٍ　　بِهِ تُشَامُ ٱلسُّرَيْجِيَّاتُ فِي ٱلْقِمَمِ[3]
وَٱلْبِيضُ مُرْدَفَةٌ تَبْدُو خَلاخِلُهَا　　فِي مَسْلَكٍ وَحِلٍ مِنْ عَنْبَرٍ وَدَمِ
فَٱلْمَجْدُ فِي صَهَوَاتِ ٱلْخَيْلِ مَطْلَبُهُ　　وَٱلْعِزُّ فِي ظُبَةِ ٱلصَّمْصَامَةِ ٱلْخَذِمِ

« ولصفي الدين الحلي »

سَلِي ٱلرِّمَاحَ ٱلْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا
وَٱسْتَشْهِدِي ٱلْبِيضَ هَلْ خَابَ ٱلرَّجَا فِينَا
وَسَائِلِي ٱلْعُرْبَ وَٱلْأَتْرَاكَ مَا فَعَلَتْ　　فِي أَرْضِ قَبْرِ عُبَيْدِ ٱللهِ أَيْدِينَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا　　عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ زَوْرَاءِ ٱلْعِرَاقِ وَقَدْ　　دِنَّا ٱلْأَعَادِيَ كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا

---

(١) الخضل المبتل والندي　(٢) صيابة القوم سيدهم　(٣) اي تغمد السيوف في الرؤوس

بِضُمَّرٍ مَا رَبَطْنَاهَا مُسَوَّمَةً إِلَّا لِنَغْزُو بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إِذَا ٱسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً يَوْماً وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا ٱلْعَقْلَ جِلْبَاباً فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ ٱلْوَغَى خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذَا ٱدَّعُوا جَاءَتِ ٱلدُّنْيَا مُصَدِّقَةً وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ ٱلْأَيَّامُ آمِينَا
إِنَّ ٱلزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
ظَنَّتْ تَأَنِّي ٱلْبُزَاةِ ٱلشُّهْبِ عَنْ جَزَعٍ وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
ذَلُّوا بِأَسْيَافِنَا طُولَ ٱلزَّمَانِ فَمُذْ تَحَكَّمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا
لَمْ يُغْنِهِمْ مَالُنَا عَنْ نَهْبِ أَنْفُسِنَا كَأَنَّهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ تَقَاضِينَا
ثُمَّ ٱنْثَنَيْنَا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا تَمِيسُ عُجْباً وَتَهْتَزُّ ٱلْقَنَا لِينَا
وَلِلدِّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقٌ بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيرِ ٱلْمِسْكِ يُغْنِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفاً أَنْ نَبْتَدِي بِٱلْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
لَا يَظْهَرُ ٱلْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنًى وَلَوْ رَأَيْنَا ٱلْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

« وقال صفي الدين الحلي مخمساً قصيدة السموأل »

قَبِيحٌ بِمَنْ ضَاقَتْ عَنِ ٱلرِّزْقِ أَرْضُهُ وَطُولُ ٱلْفَلَا رَحْبٌ عَلَيْهِ وَعَرْضُهُ
وَلَمْ يُبْلِ سِرْبَالَ ٱلدُّجَى مِنْهُ رَكْضُهُ إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَحْجُبْ عَنِ ٱلعَيْنِ نَوْمَهَا وَيُغْلِ مِنَ ٱلنَّفْسِ ٱلنَّفِيسَةِ سَوْمَهَا
أُضِيعَ وَلَمْ تَأْمَنْ مَعَالِيهِ لَوْمَهَا وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ

وَعُصْبَةِ غَدْرٍ أَرْغَمَتْهَا جُدُودُنَا فَبَاتَتْ وَمِنْهَا ضِدُّنَا وَحَسُودُنَا
إِذَا عَجَزَتْ عَنْ فِعْلِ كَيْدٍ يَكِيدُنَا تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ

رَفَعْنَا عَلَى هَامِ ٱلسِّمَاكِ مَحَلَّنَا فَلَا مَلِكٌ إِلَّا تَفَيَّأَ ظِلَّنَا
فَقَدْ خَافَ جَيْشُ ٱلْأَكْثَرِينَ أَقَلَّنَا وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

يُوَازِي ٱلْجِبَالَ ٱلرَّاسِيَاتِ وَقَارُنَا وَتُبْنَى عَلَى هَامِ ٱلْمَجَرَّةِ (١) دَارُنَا
وَيُؤْمِنُ مِنْ صَرْفِ ٱلزَّمَانِ جِوَارُنَا وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
عَزِيزٌ وَجَارُ ٱلْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

وَلَمَّا حَلَلْنَا ٱلشَّامَ تَمَّتْ أُمُورُهُ لَنَا وَحَبَانَا مُلْكُهُ وَأَمِيرُهُ
وَبِٱلنَّيْرَبِ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي عَزَّ طُورُهُ (٢) لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ
مَنِيعٌ يَرُدُّ ٱلطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ

يُرِيكَ ٱلثُّرَيَّا مِنْ خِلَالِ شِعَابِهِ وَتُحْدِقُ شُهْبُ ٱلْأُفْقِ حَوْلَ هِضَابِهِ
وَيَعْثُرُ خَطْوُ ٱلسُّحْبِ دُونَ ٱرْتِكَابِهِ رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ ٱلثَّرَى وَسَمَا بِهِ

---

(١) نجوم كثيرة تسميها العامة درب التبّان (٢) جبله

إلى ٱلنَّجمِ فَرْعٌ لَا يُنالُ طَوِيلُ

وَقَصْرٍ عَلى ٱلشَّقْرَآءِ قَدْ فَاضَ نَهْرُهُ   وَفَاقَ عَلى فَخْرِ ٱلكَوَاكِبِ فَخْرُهُ
وَقَدْ شَاعَ مَا بَيْنَ ٱلبَرِيَّةِ شُكْرُهُ   هُوَ ٱلأَبْلَقُ ٱلفَرْدُ ٱلَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ
يعِزُّ عَلى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

إذا ما غَضِبْنا فِي رِضَى ٱلْمَجْدِ غَضْبَةً   لِنُدْرِكَ ثَأْراً أَوْ لِنَبْلُغَ رُتْبَةً
نَزِيدُ غَدَاةَ ٱلكَرِّ فِي ٱلْمَوْتِ رَغْبَةً   وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى ٱلقَتْلَ سُبَّةً
إِذَا مَا رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

أَبَادَتْ مُلاقَاةُ ٱلحُرُوبِ رِجَالَنا   وَعَاشَ ٱلأَعَادِي حِينَ مَلُّوا قِتَالَنَا
لِأَنَّا إِذَا رَامَ ٱلعُدَاةُ نِزَالَنا   يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنا لَنا
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

فَمِنَّا مُعِيدُ ٱللَّيْثِ فِي قَبْضِ كَفِّهِ   وَمُورِدُهُ فِي أَسْرِهِ كَأْسَ حَتْفِهِ
وَمِنَّا مُبِيدُ ٱلأَلْفِ فِي يَوْمِ زَحْفِهِ   وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ
وَلَا طُلَّ يَوْماً حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

إِذَا خافَ ضَيْماً جَارُنا أَوْ جَلِيسُنا   فَمِنْ دُونِهِ أَمْوَالُنا وَرُؤُوسُنا
وَإِنْ أَجَّجَتْ نَارَ ٱلوَقَائِعِ شُوسُنا[١]   تَسِيلُ عَلى حَدِّ ٱلظُّبَاةِ نُفُوسُنا
وَلَيْسَتْ عَلى غَيْرِ ٱلظُّبَاةِ تَسِيلُ

جَنَى نَفْعَنا ٱلأَعْدَآءُ طَوْراً وَضُرَّنَا   فَمَا كَانَ أَحْلانا لَهُمْ وَأَمَرَّنَا

---

(١) جمع اشوس وهي عند المولدين ابطال الحرب

وَمُذْ خَطَبُوا قِدماً صَفانَا وَبِرَّنَا   صَفوْنَا وَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا
إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنا وَفُحُولُ

لَقَدْ وَفَتِ ٱلعَلْيَاءُ فِي ٱلْمَجْدِ قِسْلَنا   وَمَا خَالَفَتْ فِي مَنْشَإِ ٱلأَصْلِ شَرْطَنا
فَمُذْ حَاوَلَتْ فِي سَاحَةِ ٱلعِزِّ هَبْطَنا   عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ ٱلظُّهُورِ وَحَطَّنَا
لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ ٱلبُطُونِ نُزُولُ

تُقِرُّ لَنا ٱلأَعْدَاءُ عِنْدَ ٱنْتِسَابِنا
وَتَخْشَى خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ فَصْلَ خِطَابِنا
لَقَدْ بَالَغَتْ أَيْدِي ٱلعُلَى فِي ٱنْتِخَابِنا   فَنَحْنُ كَمَاءِ ٱلمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنا
كَهَامٌ[(١)] وَلَا فِينا يُعَدُّ بَخِيلُ

نُغِيثُ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَنَحْمِلُ هَوْلَهُمْ   كَمَا يَوْمُنا فِي ٱلعِزِّ يَعْدِلُ حَوْلَهُمْ
نَطُولُ أُنَاساً تَحْسُدُ ٱلسُّحْبُ طَوْلَهُمْ   وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى ٱلنَّاسِ قَوْلَهُمْ
وَلَا يُنْكِرُونَ ٱلقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

لِأَشْيَاخِنا سَعْيٌ بِهِ ٱلمُلْكُ أَيَّدُوا   وَمِنْ سَعْيِنا بَيْتُ ٱلعَلَاءِ مُشَيَّدُ
فَلَا زَالَ مِنَّا فِي ٱلدُّسُوتِ مُؤَيَّدُ   إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ
قَؤُولٌ لِمَا قَالَ ٱلكِرَامُ فَعُولُ

سَبَقْنَا إِلَى شَأْوِ ٱلعُلَى كُلَّ سَابِقٍ   وَعَمَّ عَطَانَا كُلَّ رَاجٍ وَوَامِقِ
فَكَمْ قَدْ خَبَتْ فِي ٱلمَحْلِ نَارُ مُنَافِقٍ   وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنا دُونَ طَارِقِ

---

(١) النصاب الاصل الكهام والكلال والضعف

وَلَا ذَمَّنا فِي ٱلنَّازِلِينَ نَزِيلُ

عَلَوْنَا فَكَانَ ٱلنَّجْمُ دُونَ عُلُوِّنَا   وَسَامَ ٱلْعُدَاةَ ٱلْخَسْفَ فَرْطُ سُمُوِّنَا
فَمَاذَا يَسُرُّ ٱلضِّدَّ فِي يَوْمِ سُوِّنَا   وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا
لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ

لَنَا يَوْمَ حَرْبِ ٱلْخَارِجِيِّ وَتَغْلِبِ   وَقَائِعُ فَلَّتْ لِلظُّبَى كُلَّ مَضْرِبِ
فَأَحْسَابُنَا مِنْ بَعْدِ فِهْرٍ وَيَعْرُبِ   وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
بِهَا مِنْ قِرَاعِ ٱلدَّارِعِينَ فُلُولُ

أَبَدْنَا ٱلْأَعَادِي حِينَ سَاءَتْ فِعَالُهَا   فَعَادَ عَلَيْهَا كَيْدُهَا وَنَكَالُهَا
بِبِيضٍ جَلَا لَيْلَ ٱلْعَجَاجِ صِقَالُهَا   مُعَوَّدَةٍ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا
فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

هُمُ هَوَّنُوا قَدْرَ ٱلَّذِي لَمْ يُهِنْهُمُ   وَخَانُوا غَدَاةَ ٱلسِّلْمِ مَنْ لَمْ يَخُنْهُمُ
فَإِنْ شِئْتِ خُبْرَ ٱلْحَالِ مِنَّا وَمِنْهُمُ   سَلِي إِنْ جَهِلْتِ ٱلنَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ
فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

لَئِنْ ثَلَمَ ٱلْأَعْدَاءُ عِرْضِي بِلَوْمِهِمْ   فَكَمْ حَلَمُوا بِي فِي ٱلْكَرَى عِنْدَ نَوْمِهِمْ
فَإِنْ أَصْبَحُوا قُطْباً لِأَبْنَاءِ قَوْمِهِمْ   فَإِنَّ بَنِي ٱلرَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ
تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

٤ في العتاب والشكوى والاستعطاف

« قال ابو فراس من قصيدة يسأل فيها سيف الدولة »
« فداءه من الاسر »

دَعوتُكَ لِلجَفنِ ٱلقَرِيحِ ٱلمُسَهَّدِ لَدَيَّ وَلِلنَّومِ ٱلقَلِيلِ ٱلمُشَرَّدِ
وَمَا ذَاكَ بُخلًا بِٱلحَيَاةِ وَإِنَّهَا لَأَوَّلُ مَبذُولٍ لِأَوَّلِ مُجتَدِي
وَلٰكِنَّنِي أَختَارُ مَوتَ بَنِي أَبِي عَلى سَرَوَاتِ[1] ٱلخَيلِ غَيرَ مُوَسَّدِ
وَمِثلُكَ مَن يُدعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَمِثلِي مَن يُفدَى بِكُلِّ مُسَوَّدِ
أُنَادِيكَ لَا أَنِّي أَخَافُ مِنَ ٱلرَّدَى وَلَا أَرتَجِي تَأخِيرَ يَومٍ إِلى غَدِ
فَكَم لَكَ عِندِي مِن أَيادٍ وَأَنعُمٍ رَفَعتَ بِهَا قَدرِي وَأَكثَرتَ حُسَّدِي
فَلا كانَ أَهلُ ٱلرُّومِ أَرأَفَ مِنكُمُ وَأَرغَبَ فِي كَسبِ ٱلثَّنَاءِ ٱلمُخَلَّدِ
مَتَى تَخلُفُ ٱلأَيَّامُ مِثلِي لَكُم فَتًى شَدِيداً عَلى ٱلبَأسَاءِ غَيرَ مُلَهَّدِ[2]
مَتَى تَخلُفُ ٱلأَيَّامُ مِثلِي لَكُم فَتًى
طَوِيلَ نِجَادِ ٱلسَّيفِ رَحبَ ٱلمُقَلَّدِ[3]
فَإِن تَفتَدُونِي تَفتَدُوا لِعُلاكُمُ فَتًى غَيرَ مَردُودِ ٱللِّسَانِ وَلَا ٱليَدِ
يُطَاعِنُ عَن أَحسَابِكُم بِلِسَانِهِ وَيَضرِبُ عَنكُم بِٱلحُسَامِ ٱلمُهَنَّدِ

---

(١) جمع سروة وهي الظهر (٢) غير مثقل ولا مجهد (٣) المقلد موضع نجاد السيف على المنكبين

أَقِلْنِي أَقِلْنِي عَثْرَةَ ٱلدَّهْرِ إِنَّـهُ
رَمَانِي بِنَصْلٍ صَائِبِ ٱلنَّحْرِ مُقْصِدِ[(١)]

وَلَوْ لَمْ تَنَلْ نَفْسِي وَلَاءَكَ لَمْ أَكُنْ لِأُورِدَهَا فِي نَصْرِكُمْ كُلَّ مَوْرِدِ

وَلَا كُنْتُ أَلْقَى ٱلْأَلْفَ زُرْقاً عُيُونُهَا[(٢)]
بِسَبْعِينَ فِيهَا كُلُّ أَشْأَمَ أَنْكَدِ

فَلَا وَأَبِي مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدٍ وَلَا وَأَبِي مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدِ

وَإِنَّكَ لَلْمَوْلَى ٱلَّذِي بِكَ أَقْتَدِي وَإِنَّكَ لَلنَّجْمُ ٱلَّذِي بِكَ أَهْتَدِي

وَأَنْتَ ٱلَّذِي عَرَّفْتَنِي طُرَقَ ٱلْعُلَى وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَهْدَيْتَنِي كُلَّ مَقْصِدِ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ غَايَةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسَّدِي

فَيَا مُلْبِسِي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا لَقَدْ أَخْلَقَتْ تِلْكَ ٱلثِّيَابُ فَجَدِّدِ

يَقُولُونَ جَانِبْ عَادَةً مَا عَرَفْتَهَا شَدِيدٌ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ مَا لَمْ يُعَوَّدِ

بَقِيتَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ تَحْمِي بِنَا ٱلرَّدَى وَيَفْدِيكَ مِنَّا سَيِّدٌ بَعْدَ سَيِّدِ

فَلَا يَحْرِمَنِّي ٱللهُ قُرْبَكَ إِنَّـهُ مُرَادِي مِنَ ٱلدُّنْيَا وَحَظِّي وَمَقْصِدِي

« وقال من قصيدة كتب بها الى سيف الدولة »

أَمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنَّ ثَوَابُ وَلَا لِمُسِيءٍ عِنْدَكُنَّ مَتَابُ

إِذَا ٱلْخِلُّ لَمْ يَهْجُرْكَ إِلَّا مَلَالَةً فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا ٱلْفِرَاقَ عِتَابُ

---

(١) من اقصده اذا طعنه فلم يخطئه (٢) زرقة العيون غالبة في الروم وبينهم وبين العرب عداوة شديدة . ثم سمي كل عدو ازرق العين

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ   فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ
وَلَيْسَ فِرَاقٌ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنْ يَكُنْ   فِرَاقٌ عَلَى حَالٍ فَلَيْسَ إِيَابُ
صَبُورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّي بَقِيَّةٌ   قَؤُولٌ وَلَوْ أَنَّ ٱلسُّيُوفَ جَوَابُ
وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ ٱلزَّمَانِ تَنُوشُنِي(١)   وَلِلْمَوْتِ حَوْلِي جِيئَةٌ وَذَهَابُ
بِمَنْ يَثِقُ ٱلْإِنْسَانُ فِي مَا يَنُوبُهُ   وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ ٱلْكَرِيمِ صِحَابُ
وَقَدْ صَارَ هٰذَا ٱلنَّاسُ إِلَّا أَقَلَّهُمْ   ذِئَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ
وَمَا كُلُّ فَعَّالٍ يُجَازَى بِفِعْلِهِ   وَلَا كُلُّ قَوَّالٍ لَدَيَّ يُجَابُ
إِلَى ٱللهِ أَشْكُو إِنَّنَا بِمَنَازِلٍ   تَحَكَّمَ فِي آسَادِهِنَّ كِلَابُ
بَنِي عَمِّنَا لَا تَتْرُكُوا ٱلْحَرْبَ إِنَّنَا   شِدَادٌ عَلَى غَيْرِ ٱلْهَوَانِ صِلَابُ
بَنِي عَمِّنَا مَا يَفْعَلُ ٱلسَّيْفُ فِي ٱلْوَغَى   إِذَا فُلَّ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابُ(٢)
فَمِنْ أَيِّ عُذْرٍ إِنْ دُعُوا وَدُعِيتُمُ   أَبَيْتُمْ بَنِي أَعْمَامِنَا وَأَجَابُوا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُدٌّ قَرِيبٌ نَعُدُّهُ   وَلَا نَسَبٌ دُونَ ٱلرِّجَالِ قُرَابُ(٣)
فَأَحْوَطُ لِلْإِسْلَامِ أَنْ لَا يُضِيعَنِي   وَلِي عَنْهُ فِيهِ حَوْطَةٌ وَمَنَابُ(٤)
وَلٰكِنَّنِي رَاضٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ   لِيَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحَالَتَيْنِ صَوَابُ
وَمَا زِلْتُ أَرْضَى بِٱلْقَلِيلِ مَحَبَّةً   لَدَيْهِ وَمَا دُونَ ٱلْكَثِيرِ حِجَابُ

---

(١) تتناولني (٢) مضرب السيف حده وكذلك الذباب (٣) القراب القريب (٤) فاعل يضيعني عائد الى سيف الدولة في ابيات محذوفة . والحوطة الاحتياط ومعنى عجز البيت ان لي في الاسلام الاحتياط وما يقوم مقام الوداد والنسب

كَذَاكَ ٱلْوِدَادُ ٱلْمَحْضُ لَا يُرْتَجَى لَهُ ثَوَابٌ وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ
وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى ٱلْهَجْرَ وَٱلشَّمْلُ جَامِعٌ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لُقْيَةٌ وَخِطَابُ
فَكَيْفَ وَفِيمَا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَرٍ وَلِلْبَحْرِ حَوْلِي زَخْرَةٌ وَعُبَابُ
أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ ٱلنَّفْسِ فِي مَا تُرِيدُهُ أُثَابُ بِمُرِّ ٱلْعَتْبِ حِينَ أُثَابُ
فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَٱلْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَٱلْأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْعَالَمِينَ خَرَابُ

« وكتب الى سيف الدولة »

هَلْ تَعْطِفَانِ عَلَى ٱلْعَلِيلِ لَا بِٱلْأَسِيرِ وَلَا ٱلْقَتِيلِ
بَاتَتْ تُقَلِّبُهُ ٱلْأَكُـ ـفُ سَحَابَةَ ٱللَّيْلِ ٱلطَّوِيلِ
فَقَدَ ٱلضُّيُوفُ مَكَانَهُ وَبَكَاهُ أَبْنَاءُ ٱلسَّبِيلِ
وَتَعَطَّلَتْ سُمْرُ ٱلرِّمَا حِ وَأُغْمِدَتْ بِيضُ ٱلنُّصُولِ
يَا فَارِجَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيـ ـمِ وَكَاشِفَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ
كُنْ يَا قَوِيُّ لِذَا ٱلضَّعِيـ ـفِ وَيَا عَزِيزُ لِذَا ٱلذَّلِيلِ
قَرِّبْهُ مِنْ سَيْفِ ٱلْهُدَى فِي ظِلِّ دَوْلَتِهِ ٱلظَّلِيلِ
لَمْ أَرْوَ مِنْهُ وَلَا شَفَيْـ ـتُ بِطُولِ خِدْمَتِهِ غَلِيلِي
وَلَئِنْ حَنَنْتُ إِلَى ذَرَا هُ لَقَدْ حَنَنْتُ إِلَى وَصُولِ (١)

---

(١) الوصول الكثير الوصل او الكثير العطاء

لَا بِٱلغَضُوبِ وَلَا ٱلقَطُو ... ب(١) وَلَا ٱلكَذُوبِ وَلَا ٱلْمَلُولِ
يَا عُدَّتِي فِي ٱلنَّائِبَا ... تِ وَظُلَّتِي(٢) عِنْدَ ٱلْمَقِيلِ
أَيْنَ ٱلْمَحَبَّةُ وَٱلذِّمَا ... مُ وَمَا وَعَدْتَ مِنَ ٱلْجَمِيلِ

« وكتب الى غلامه منصور »

مُغْرَمٌ مُؤْلَمٌ جَرِيحٌ أَسِيرُ ... إِنَّ قَلْبَاً يُطِيقُ ذَا لَصَبُورُ
وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ حَدِيدٌ ... وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْقُلُوبِ صُخُورُ
قُلْ لِمَنْ حَلَّ بِٱلشَّآمِ طَلِيقاً ... بِأَبِي قَلْبُكَ ٱلطَّلِيقُ ٱلْأَسِيرُ
أَنَا أَصْبَحْتُ لَا أُطِيقُ حَرَاكاً ... كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَنْتَ يَا مَنْصُورُ

« وقال وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية »

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ ... أَيَا جَارَتِي هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي
مَعَاذَ ٱلْهَوَى مَاذُقْتِ طَارِقَةَ(٣) ٱلْهَوَى ... وَلَا خَطَرَتْ مِنْكِ ٱلْهُمُومُ بِبَالِ
أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَنَا ... تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ ٱلْهُمُومَ تَعَالِي
تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً ... تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذَّبُ بَالِي
أَيَضْحَكُ مَأْسُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ ... وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِي
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكِ بِٱلدَّمْعِ مُقْلَةً ... وَلٰكِنَّ دَمْعِي فِي ٱلْحَوَادِثِ غَالِي

---

(١) العابس (٢) الظلة ما يستتر به من الحر والبرد (٣) الطارقة الداهية

« وكتب الى سيف الدولة من قصيدة »

أَسَيْفَ ٱلْهُدَى وَقَرِيعَ[1] ٱلْعَرَبْ ... إِلى مَ ٱلْجَفَاءُ وَفِيمَ ٱلْغَضَبْ
وَأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ وَأَنْتَ ٱلْكَرِيمُ ... وَأَنْتَ ٱلْعَطُوفُ وَأَنْتَ ٱلْحَرِبْ[2]
وَمَا زِلْتَ تُسْعِفُنِي بِٱلْجَمِيلِ ... وَتُنْزِلُنِي بِٱلْمَكَانِ ٱلْخَصِبْ
وَتَدْفَعُ عَنْ عَاتِقَيَّ ٱلْخُطُوبَ ... وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيَّ ٱلْكُرَبْ
وَإِنَّكَ لَلْجَبَلُ ٱلْمُشْمَخِرُّ[3] ... لِي بَلْ لِقَوْمِكَ بَلْ لِلْعَرَبْ
وَمَا غَضَّ مِنِّي هٰذَا ٱلْإِسَارُ[4] ... وَلٰكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ ٱلذَّهَبْ
فَفِيمَ يُقَرِّعُنِي بِٱلْخُمُو ... لِ مَوْلًى بِهِ نِلْتُ أَعْلَى ٱلرُّتَبْ
وَكَانَ عَتِيداً[5] لَدَيَّ ٱلْجَوَابُ ... وَلٰكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ
أَتُنْكِرُ أَنِّي شَكَوْتُ ٱلزَّمَانَ ... وَأَنِّي عَتَبْتُكَ[6] فِي مَنْ عَتَبْ
فَأَلَّا رَجَعْتَ فَأَعْتَبْتَنِي ... وَصَيَّرْتَ لِي وَلِقَوْمِي ٱلْغَلَبْ[7]
وَإِنَّ خُرَاسَانَ إِنْ أَنْكَرَتْ ... عُلَايَ فَقَدْ عَرَفَتْهَا حَلَبْ
وَمِنْ أَيْنَ يُنْكِرُنِي ٱلْأَبْعَدُونَ ... أَمِنْ نَقْصِ جَدٍّ أَمِنْ نَقْصِ أَبْ
أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ عِرْقُ ٱلنَّسَبْ
فَلَا تَعْدِلَنَّ فِدَاكَ ٱبْنُ عَمِّ ... كَ لَا بَلْ غُلَامُكَ عَمَّا يَجِبْ
وَأَنْصِفْ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ ... مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلشَّرَفِ ٱلْمُكْتَسَبْ

---

(١) القريع السيد (٢) الشديد الغضب (٣) العالي (٤) الأسر
(٥) العتيد الحاضر والمهيأ (٦) لمتك (٧) ألّا حرف تحضيض واعتبتني ارضيتني .
والغلب من غلبه اذا قهره واعتز عليه

فَكُنْتَ ٱلْحَبِيبَ وَكُنْتُ ٱلْقَرِيبَ ... لَيَالِيَ أَدْعُوكَ مِنْ عَنْ كَثَبْ[1]
فَلَمَّا بَعُدْتُ بَــدَتْ جَفْوَةٌ ... وَلَاحَ مِنَ ٱلْأَمْرِ مَــا لَا أُحِبْ
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ فِيكَ ذَا خِبْرَةٍ ... لَقُلْتُ صَدِيقُــكَ مَنْ لَمْ يَغِبْ

« وكتب اليه من الاسر »

زَمَانِي كُلُّهُ غَضَبٌ وَعَتْبُ ... وَأَنْتَ عَلَيَّ وَٱلْأَيَّامُ أَلْبُ[2]
وَعَيْشُ ٱلْعَالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْــلٌ ... وَعَيْشِي وَحْــدَهُ بِفَنَاكَ صَعْبُ
فَكَيْفَ وَأَنْتَ دَافِعُ كُلِّ خَطْبٍ ... مَعَ ٱلْخَطْبِ ٱلْمُلِمِّ عَــلَيَّ خَطْبُ
إِلَى كَمْ ذَا ٱلْعِتَابُ وَلَيْسَ جُرْمٌ ... وَكَمْ ذَا ٱلِاعْتِذَارُ وَلَيْسَ ذَنْبُ
فَلَا تَحْمِلْ عَــلَى قَلْبٍ جَرِيحٍ ... بِهِ لِحَوَادِثِ ٱلْأَيَّامِ نَدْبُ[3]
أَمِثْلِي تُقْبَلُ ٱلْأَقْوَالُ فِيــهِ ... وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْــهِ كِذْبُ
جَنَانِي مَــا عَلِمْتَ وَلِي لِسَانٌ ... يَقُدُّ ٱلدِّرْعَ وَٱلْإِنْسَانَ عَضْبُ[4]
وَزَنْدِي وَهْوَ زَنْدُكَ لَيْسَ يَكْبُو[5] ... وَنَارِي وَهْيَ نَارُكَ لَيْسَ تَخْبُو[6]
وَفَرْعِي فَرْعُكَ ٱلسَّامِي ٱلْمُعَلَّى ... وَأَصْلِي أَصْلُكَ ٱلزَّاكِي وَحَسْبُ
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ فَلِي لِسَانٌ ... مَلِيءٌ[7] بِٱلثَّنَاءِ عَلَيْــكَ رَطْبُ
وَقَابِلْنِي بِإِنْصَافٍ وَظُلْمٍ ... تَجِدْنِي فِي ٱلْجَمِيعِ كَمَا تُحِبُّ

---

(١) قرب (٢) يقال هم عليه الب واحد اي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة (٣) جمع ندبة وهي اثر الجرح الباقي على الجلد (٤) خبر لسان (٥) من كبا الزند اذا لم تخرج ناره (٦) اي لاتسكن ولا تخمد (٧) قدير

« وقال البحتري من قصيدة يعاتب بها امير المؤمنين المتوكل على الله ويمدحه »

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي ٱلْهَجْرِ جِدًّا ... وَأَعَادَ ٱلصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... خُلُقاً مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
أَغْتَدِي رَاضِياً وَقَدْ بِتُّ غَضْبَا ... نَ وَأُمْسِي مَوْلًى وَأُصْبِحُ عَبْدَا
سَيِّدِي أَنْتَ مَا تَعَرَّضْتُ ظُلْماً ... فَأُجَازَى بِهِ وَلَا خُنْتُ عَهْدَا
رِقَّ لِي مِنْ مَدَامِعٍ لَيْسَ تَرْقَا[1] ... وَٱرْثِ لِي مِنْ جَوَانِحٍ لَيْسَ تَهْدَا
أَتُرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عِشْ ... تُ بَدِيلًا أَوْ وَاجِداً مِنْكَ نِدًّا[2]
حَاشَ لِلّٰهِ أَنْتَ أَفْتَنُ أَلْفَا ... ظاً وَأَحْلَى شَكْلاً وَأَحْسَنُ قَدًّا
خَلَقَ ٱللّٰهُ جَعْفَراً قَيِّمَ ٱلدُّنْ ... يَا سَدَاداً وَقَيِّمَ ٱلدِّينِ رُشْدَا
أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ شِيمَةً وَأَتَمُّ ٱلنَّـ ... ـاسِ خَلْقاً وَأَكْثَرُ ٱلنَّاسِ رِفْدَا[3]
مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ ٱلْمُـ ... ـلْكَ فَأَضْحَتْ لَهُ مَغَاناً وَرِدْءَا[4]
أَظْهَرَ ٱلْعَدْلَ فَٱسْتَنَارَتْ بِهِ ٱلْأَرْ ... ضُ وَعَمَّ ٱلْبِلَادَ غَوْراً وَنَجْدَا
وَحَكَى ٱلْقَطْرَ بَلْ أَبَرَّ عَلَى ٱلْقَطْ ... رِ بِكَفٍّ عَلَى ٱلْبَرِيَّةِ تَنْدَى
هُوَ بَحْرُ ٱلسَّمَاحِ وَٱلْجُودِ فَٱزْدَدْ ... مِنْهُ قُرْباً تَزْدَدْ مِنَ ٱلْفَقْرِ بُعْدَا
يَا ثِمَالَ ٱلدُّنْيَا عَطَاءً وَبَذْلًا ... وَجَمَالَ ٱلدُّنْيَا ثَنَاءً وَمَجْدَا
بِكَ نَسْتَعْتِبُ ٱللَّيَالِي وَنَسْتَعْ ... دِي[5] عَلَى دَهْرِنَا ٱلْمُسِيءِ فَنُعْدَى

---

(١) اصلها ترقأ بمعنى تجف وتنقطع (٢) نظيرًا (٣) عطاء (٤) عمادًا
(٥) استعداه عليه فأعداه اي استعان به عليه فاعانه

فَأبْقَ عُمْرَ ٱلزَّمَانِ حَتَّى نُؤَدِّي   شُكْرَ إِحْسَانِكَ ٱلَّذِي لا يُؤَدَّى

« ومن قصيدة للسيد الرضي الموسوي يستعطف بها امير »
« المؤمنين الطائع لله »

بَلَوْتُ وَجَرَّبْتُ ٱلأَخِلَّاءَ مُدَّةً   فَأَكْثَرُ شَيْءٍ فِي ٱلصَّدِيقِ مَلَالُ
وَمَا رَاقَنِي مِمَّنْ أَوَدُّ تَمَلُّقٌ   وَلَا غَرَّنِي مِمَّنْ أُحِبُّ وِصَالُ
وَمَا صَحِبَكَ ٱلأَدْنَوْنَ إِلَّا أَبَاعِدٌ   إِذَا قَلَّ مَالٌ أَوْ نَبَتْ بِكَ حَالُ
وَمَنْ لِي بِخِلٍّ أَرْتَضِيهِ وَلَيْتَ لِي   يَمِيناً تُعَاطِيهَا ٱلْوَفَاءَ شِمَالُ
تَمِيلُ بِيَ ٱلدُّنْيَا إِلَى كُلِّ شَهْوَةٍ   وَأَيْنَ مِنَ ٱلنَّجْمِ ٱلْبَعِيدِ مَنَالُ
وَتَسْلُبُنِي أَيْدِي ٱلنَّوَائِبِ ثَرْوَتِي   وَلِي مِنْ عَفَافِي وَٱلتَّقَنُّعِ مَالُ
أَنَا ٱلْمَرْءُ لَا عِرْضِي قَرِيبٌ مِنَ ٱلْعِدَى   وَلَا فِيَّ لِلْبَاغِي عَلَيَّ مَقَالُ
وَمَا ٱلْعِرْضُ إِلَّا خَيْرُ عُضْوٍ مِنَ ٱلْفَتَى   يُصَابُ وَأَقْوَالُ ٱلْعُدَاةِ نِبَالُ
وَقُورٌ فَإِنْ لَمْ يَرْعَ حَقِّيَ جَاهِلٌ   سَأَلْتُ عَنِ ٱلْعَوْرَاءِ كَيْفَ تُقَالُ
أُجِيلُ لِحَاظِي لَا أَرَى غَيْرَ نَاقِصٍ   كَأَنَّ ٱلْوَرَى نَقْصٌ وَأَنْتَ كَمَالُ
فَأَنْتَ ٱلَّذِي بَلَّغْتَنَا كُلَّ غَايَةٍ   لَهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ ٱلنُّجُومِ مَجَالُ
فَلَا تَسْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ مَا يَقُولُهُ   فَأَكْثَرُ أَقْوَالِ ٱلْعُدَاةِ مُحَالُ
أَنَا ٱلْقَائِلُ ٱلْمَحْسُودُ قَوْلِي مِنَ ٱلْوَرَى   عَلَوْتُ وَمَا يَعْلُو عَلَيَّ مَقَالُ

« ولعبد المحسن بن محمد الصوري »

وَكَمْ آمِرٍ بِٱلصَّبْرِ لَمْ يَدْرِ لَوْعَتِي   وَمَا صَنَعَتْ نَارُ ٱلأَسَى بَيْنَ أَحْشَائِي

وَمِنْ أَيْنَ لِي صبرٌ و . كُلِ ساعةٍ أَرَى حَسَنَاتِي فِي مَوَازِينِ أَعدَائِي

« ومن قوله مستعطفاً »

عَندِي حدَائقُ شُكْرٍ غرسُ جودِكُمُ قَدْ مَسَّها عطشٌ فَلْيَسْقِ مَنْ غَرَسَا

تَدَارَكُوهَا وَفِي أَغصَانِهَا رمَقٌ فَلَنْ يعُودَ اخْضِرَارُ الْعُودِ إنْ يَبِسَا

« ولأبي اسحق الصابي يشكو تحامل الزمان عليه
حين مسه الكبر »

عَجَباً لِحَظِّي إِذْ أَرَاهُ مُصَالِحي عَصْرَ الشَّبَابِ وفِي الْمَشِيبِ مُغَاضِبي

أَمِنَ الْغَوَانِي كَانَ حَتَّى مَلَّنِي شَيْخاً وَكَانَ عَلى صِبَايَ مُصَاحِبي

أَمَعَ التَّضَعْضُعِ مَلَّنِي مُتَجَنِّباً وَمَعَ التَّرَعْرُعِ كَانَ غَيْرَ مُجَانِبي

يَا لَيْتَ صَبْوَتَهُ إِلَيَّ تَأَخَّرَتْ حَتَّى تَكُونَ ذَخِيرَةً لِعَوَاقِبي

« وقال من قصيدة كتب بها الى الصاحب يشكو فيها
حزنه حين اعتقل في جملة عمال المهلبي »

يَا أَيُّهَا الرُّؤَسَاءُ دَعْوَةَ خَادِمٍ أَوْفَتْ رَسَائِلُهُ عَلى التَّسْدِيدِ

أَيَجُوزُ فِي حُكْمِ الْمُرُوءَةِ عِنْدَكُمْ حَبْسِي وَطُولُ تَهَدُّدِي وَوَعِيدِي

قَلَّدتُ دِيوَانَ الرَّسَائِلِ فَانْظُرُوا أَعَدَلْتُ فِي لَفْظِي عَنِ التَّسْدِيدِ

أَنَسِيتُمُ كُتُباً شَحَنْتُ فُصُولَهَا بِفُصُولِ دُرٍّ عِنْدَكُمْ مَنْضُودِ

وَرَسَائِلاً نَفَذَتْ[1] إِلَى أَطْرَافِكُمْ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِهِنَّ غَيْرُ حَمِيدِ

---

(١) بلغت وانتهت

يَهتَزُّ سَامِعُهنَّ مِنْ طَرَبٍ كَمَا هَزَّ ٱلنَّدِيمَ سَمَاعُ ضَرْبِ ٱلعُودِ
أَنَا بَيْنَ إِخْوَانٍ لَنَا قَدْ أُوثِقُوا بِسَلاسِلٍ وَجَوَامِعٍ[١] وَقُيُودِ
يَكْلِينَ بِنَا نَذِلُّ لِعِزِّهِمْ فَكَأَنَّنَا لَهُمُ عَبِيدُ عَبِيدِ
بِٱللهِ مَا سَمِعَ ٱلأَنَامُ وَلَا رَأَوْا نَقَداً[٢] تَوَكَّلَ قَبْلَهُمْ بِأُسُودِ
مِنْ كُلِّ حُرٍّ مَاجِدٍ صِنْدِيدٍ[٣] فِي كُلِّ وَغْدٍ عَاجِزٍ رِعْدِيدِ[٤]

« وقال يعاتب احد اصدقائه »

صَدِيقٌ لَكُمْ يَشْكُو إِلَيْكُمْ جَفَاكُمُ وَفِي قَلْبِهِ دَاءٌ مِنَ ٱلشَّوْقِ قَاتِلُ
تَنَاسَيْتُمُوهُ وَهْوَ لِلْعَهْدِ ذَاكِرٌ وَلِلْغَيْبِ مَأْمُونٌ وَلِلْحَبْلِ وَاصِلُ
يَقُولُ لَكُمْ وَٱلْوَجْدُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ مُقِيمٌ وَقَدْ شَدَّتْ[٥] عَلَيْهِ ٱلْبَلابِلُ
أَكَابِرَنَا عَطْفاً عَلَيْنَا فَإِنَّنَا بِنَا ظَمَأٌ بَرْحٌ[٦] وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ

« وقال ايضاً »

كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ مِنْ صَبْرِي مَغِيظٌ فَلَيْسَ تُغِبُّنِي[٧] مِنْهُ ٱلْخُطُوبُ
يُحَاوِلُ أَنْ تَلِينَ لَهُ قَنَاتِي وَيَأْبَى ذٰلِكَ ٱلْعُودُ ٱلصَّلِيبُ
أُلَاقِي كُلَّ مُعْضِلَةٍ نَآدٍ[٨] بِوَجْهٍ لَا يُغَيِّرُهُ ٱلقُطُوبُ

---

(١) الجوامع القيود والاغلال (٢) النقد جنس من الغنم (٣) السيد الشجاع (٤) الرعديد الجبان الكثير الارتعاد (٥) اي حملت وكرت (٦) البرح الشدة واراد به هنا الشديد على جعله وصفاً كما تقول رجل عدل (٧) اي لاتفارقني من اغبه اذا كان لا يأتيه يوماً دون يوم بل كل يوم (٨) النآد الداهية

وَأَعْتَنِقُ ٱلْعَظِيمَـةَ إِنْ عَرَتْنِي ... كَأَنْ قَـدْ زَارَنِي مِنْهَا حَبِيبُ
وَبَيْنَ جَوَارِحِي قَلْبٌ كَرِيمٌ ... تَعَجَّبُ مِنْ تَمَاسُكِهِ ٱلْقُلُوبُ
سَأَثْبَتُ إِنْ يُصَادِمْنِي زَمَـانِي ... بِرُكْنَيْـهِ كَمَا ثَبَتَ ٱلنَّجِيبُ
وَأَرْقُبُ مَا تَجِيءُ بِهِ ٱللَّيَـالِي ... فَفِي أَثْنَائِـهِ ٱلْفَرَجُ ٱلْقَرِيبُ

«وله من اخرى بعث بها الى عضد الدولة وقد خرج»
«الى زيارة قبر امير المؤمنين بالكوفة»

تَوَجَّهْتَ نَحْوَ ٱلْمَشْهَـدِ[١] ٱلْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ ... عَلَى ٱلْيُمْنِ وَٱلتَّوْفِيقِ وَٱلطَّائِرِ ٱلسَّعْدِ
تَزُورُ أَمِـيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَيَالَهُ ... وَيَالَكَ مِنْ مَجْدٍ مُنِيخٍ عَلَى مَجْـدِ
فَلَمْ يُرَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ مِثْلُكَ زَائِراً ... وَلَا تَحْتَهَا مِثْلُ ٱلْمَزُورِ إِلَى ٱللَّحْدِ[٢]
مَدَدْتَ إِلَى كُوفَانَ عَارِضَ نِعْمَـةٍ ... يَصُوبُ بِلَا بَرْقٍ يَرُوعُ بِلَا رَعْدِ
وَتَابَعْتَ أَهْلِيهَا نَدًى بِمَثُوبَـةٍ ... فَرُحْتَ إِلَى فَوْزٍ وَرَاحُوا إِلَى رِفْدِ
أَمَوْلَايَ مَوْلَاكَ[٣] ٱلَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ ... إِلَيْكَ عَلَى جَوْرِ ٱلنَّوَائِبِ يَسْتَعْدِي[٤]
وَهٰذِي يَدِي مُدَّتْ إِلَيْكَ بِقِصَّةٍ ... أُعِيذُكَ فِيهَـا مِنْ إِبَاءٍ وَمِنْ رَدِّ
أَتَانِي شِـتَاءٌ لَيْسَ عِنْـدِي دِثَارُهُ

---

(١) المشهد مكان استشهاد الشهيد (٢) اي في اللحد (٣) عبـدك
(٤) يستعين

« ومن قصيدة لبهاء الدين زهير يعاتب فيها »
« الامير مجد الدين اسمعيل »

لَنَا عِنْدَكُمْ وَعْدٌ فَهَلَّا وَفَيْتُمُ وَقُلْتُمْ لَنَا قَوْلًا فَهَلَّا فَعَلْتُمُ
حَفِظْنَا لَكُمْ وُدًّا أَضَعْتُمْ عُهُودَهُ فَشَتَّانَ فِي الحَالَيْنِ نَحْنُ وَأَنْتُمُ
سَهِرْنَا عَلَى حِفْظِ الذِّمَامِ وَنِمْتُمُ وَلَيْسَ سَوَاءً سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ
وَلِي عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ قَلْبٌ مُعَذَّبٌ فَيَا لَيْتَهُ يَرْثِي لِذَاكَ وَيَرْحَمُ
وَمَا كُلُّ عَيْنٍ مِثْلَ عَيْنِي قَرِيحَةٌ وَلَا كُلُّ قَلْبٍ مِثْلَ قَلْبِي مُتَيَّمُ
سِوَايَ مُحِبٌّ يَنْقُضُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ يَغِيبُ فَيَسْلُو أَوْ يُقِيمُ فَيَسْأَمُ
إِذَا كَانَ خَصْمِي فِي الصَّبَابَةِ حَاكِمِي لِمَنْ أَشْتَكِيهِ أَوْ لِمَنْ أَتَظَلَّمُ
لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لِلْحَبِيبِ إِذَا جَفَا وَلَا سِيَّمَا وَهْوَ الْعَزِيزُ الْمُكَرَّمُ
أَمِيرِي الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَسْطُو بِقُرْبِهِ
وَكُنْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ أَتَحَكَّمُ
سَأَصْبِرُ لَا أَنِّي عَلَى ذَاكَ قَادِرٌ لَعَلَّ لَيَالِي هَجْرِهِ تَتَصَرَّمُ
فَيَا تَارِكِي أَنْوِي الْبَعِيدَ مِنَ النَّوَى إِلَى أَيِّ قَوْمٍ بَعْدَكُمْ أَتَيَمَّمُ
فَلَا طَابَ لِي عَنْكُمْ مُقَامٌ بِمَوْطِنٍ وَلَوْ ضَمَّنِي فِيهِ الْمَقَامُ وَزَمْزَمُ[1]

---

(١) المقام حجر في الكعبة وزمزم بئر بالقرب منها

٥ في الشوق والفراق

« من قصيدة بعث بها ابو فراس الى القاضي ابي حصين »
« وقد عزم على المسير الى الرقة »

يَا طُولَ شَوْقِيَ إِنْ كَانَ ٱلرَّحِيلُ غَدَا ... لَا فَرَّقَ ٱللهُ فِي مَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَا مَنْ أُصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدٍ ... وَمَنْ أُخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ ٱلْفِرَاقُ فُؤَاداً كُنْتَ تُؤْنِسُهُ ... وَذَرَّ بَيْنَ ٱلْجُفُونِ ٱلدَّمْعَ وَٱلسَّهَدَا
لَا يُبْعِدِ ٱللهُ شَخْصاً لَا أَرَى أَنَساً ... وَلَا تَطِيبُ لِيَ ٱلدُّنْيَا إِذَا بَعُدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَعُدُّهُ وَالِدِي إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
أَبْقَى لَنَا ٱللهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرِحَتْ ... أَيَّامُنَا أَبَداً فِي ظِلِّهِ جُدُدَا
لَا يَطْرُقُ ٱلنَّازِلُ ٱلْمَحْذُورُ سَاحَتَهُ ... وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ ٱلْحَادِثَاتُ يَدَا

« ومن قصيدة لبهاء الدين زهير »

دَعُوا ٱلْوُشَاةَ وَمَا قَالُوا وَمَا نَقَلُوا ... بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ مَا لَيْسَ يَنْفَصِلُ
لَكُمْ سَرَائِرُ فِي قَلْبِي مُخَبَّأَةٌ ... لَا ٱلْكُتْبُ تَنْفَعُنِي فِيهَا وَلَا ٱلرُّسُلُ
رَسَائِلُ ٱلشَّوْقِ عِنْدِي لَوْ بَعَثْتُ بِهَا ... إِلَيْكُمُ لَمْ تَسَعْهَا ٱلطُّرْقُ وَٱلسُّبُلُ
أُمْسِي وَأُصْبِحُ وَٱلْأَشْوَاقُ تَلْعَبُ بِي ... كَأَنَّمَا أَنَا مِنْهَا شَارِبٌ ثَمِلُ
وَأَسْتَلِذُّ نَسِيماً مِنْ دِيَارِكُمُ ... كَأَنَّ أَنْفَاسَهُ مِنْ نَشْرِكُمْ قُبَلُ

وَكَمْ أُحَمِّلُ قَلْبِي فِي مَحَبَّتِكُمْ ... مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ قَلْبٌ فَيَحْتَمِلُ
وَكَمْ أُصَبِّرُهُ عَنْكُمْ وَأَعْذُلُهُ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ ٱلْعَاشِقِ ٱلْعَذَلُ
وَارَحْمَتَاهُ لِصَبٍّ قَلَّ نَاصِرُهُ ... فِيكُمْ وَضَاقَ عَلَيْهِ ٱلسَّهْلُ وَٱلْجَبَلُ
قَضِيَّتِي فِي ٱلْهَوَى وَٱللهِ مُشْكِلَةٌ ... مَا ٱلْقَوْلُ مَا ٱلرَّأْيُ مَا ٱلتَّدْبِيرُ مَا ٱلْعَمَلُ
يَا غَائِبِينَ وَفِي قَلْبِي أُشَاهِدُهُمْ ... وَكُلَّمَا ٱنْفَصَلُوا عَنْ نَاظِرِي ٱتَّصَلُوا
قَدْ جَدَّدَ ٱلْبُعْدُ قُرْبًا فِي ٱلْفُؤَادِ لَهُمْ ... حَتَّى كَأَنَّهُمُ يَوْمَ ٱلنَّوَى وَصَلُوا
أَنَا ٱلْوَفِيُّ لِأَحْبَابِي وَإِنْ غَدَرُوا ... أَنَا ٱلْمُقِيمُ عَلَى عَهْدِي وَإِنْ رَحَلُوا
فَيَا رَسُولِي إِلَى مَنْ لَا أَبُوحُ بِهِ ... إِنَّ ٱلْمُهِمَّاتِ فِيهَا يُعْرَفُ ٱلرَّجُلُ
بَلِّغْ سَلَامِي وَبَالِغْ فِي ٱلْخِطَابِ لَهُ ... وَقَبِّلِ ٱلْأَرْضَ عَنِّي عِنْدَ مَا تَصِلُ
بِٱللهِ عَرِّفْهُ حَالِي إِنْ خَلَوْتَ بِهِ ... وَلَا تُطِلْ فَحَبِيبِي عِنْدَهُ مَلَلُ
وَتِلْكَ أَعْظَمُ حَاجَاتِي إِلَيْكَ فَإِنْ ... تَنْجَحْ فَمَا خَابَ فِيكَ ٱلْقَصْدُ وَٱلْأَمَلُ
وَلَمْ أَزَلْ فِي أُمُورِي كُلَّمَا عَرَضَتْ ... عَلَى ٱهْتِمَامِكَ بَعْدَ ٱللهِ أَتَّكِلُ
فَٱلنَّاسُ بِٱلنَّاسِ وَٱلدُّنْيَا مُكَافَأَةٌ ... وَٱلْخَيْرُ يُذْكَرُ وَٱلْأَخْبَارُ تَنْتَقِلُ

« وقال ايضاً »

وَحَقِّكُمُ مَا غَيَّرَ ٱلْبُعْدُ عَهْدَكُمْ ... وَإِنْ حَالَ حَالٌ أَوْ تَغَيَّرَ شَانُ
فَلَا تَسْمَعُوا فِينَا بِحَقِّكُمُ ٱلَّذِي ... يَقُولُ فُلَانٌ عِنْدَكُمْ وَفُلَانُ
لَدَيَّ لَكُمْ ذَاكَ ٱلْوَفَاءُ بِعَيْنِهِ ... وَعِنْدِي لَكُمْ ذَاكَ ٱلْوِدَادُ يُصَانُ
فَمَا حَلَّ عِنْدِي غَيْرُكُمْ فِي مَحَلِّكُمْ ... لِكُلِّ حَبِيبٍ فِي ٱلْفُؤَادِ مَكَانُ

وَمِنْ شَغَفِي فِيكُمْ وَوَجْدِيَ أَنَّنِي أُهَوِّنُ مَا أَلْقَاهُ وَهْوَ هَوَانُ
هَبُوا لِي أَمَانًا مِنْ عِتَابِكُمُ عَسَى تَقَرُّ عُيُونٌ أَوْ يَقِرُّ جَنَانُ
وَيَحْسُنُ قُبْحُ ٱلْفِعْلِ إِنْ جَاءَ مِنْكُمُ كَمَا طَابَ رِيحُ ٱلْعُودِ وَهْوَ دُخَانُ
رَعَى ٱللهُ قَوْمًا شَطَّ عَنِّي مَزَارُهُمْ وَكُنْتُ لَهُمْ ذَاكَ ٱلْوَفِيَّ وَكَانُوا
وَكَمْ عَزْمَةٍ لِي عَاقَهَا ٱلدَّهْرُ عَنْهُمُ وَلِلدَّهْرِ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ حِرَانُ[1]
عَلَى أَنَّنِي أَنْوِي وَلِلْمَرْءِ مَا نَوَى إِلَى أَنْ تُوَافِي قُدْرَةٌ وَزَمَانُ

«وله من قصيدة»

أَأَحْبَابَنَا بِٱلرَّغْمِ مِنِّي فِرَاقُكُمْ وَيَاطُولَ شَوْقِي نَحْوَكُمْ وَوَلُوعِي
أَطَعْتُ ٱلْهَوَى بِٱلْكُرْهِ مِنِّيَ لَا ٱلرِّضَى
وَلَوْ خَيَّرُونِي كُنْتُ غَيْرَ مُطِيعِ
حَفِظْتُ لَكُمْ مَا تَعْهَدُونَ مِنَ ٱلْهَوَى وَلَسْتُ لِسِرٍّ بَيْنَنَا بِمُضِيعِ
فَإِنْ كُنْتُمُ بَعْدِي سَلَوْتُمْ فَإِنَّنِي سَلَوْتُ وَلٰكِنْ رَاحَتِي وَهُجُوعِي
سَلُوا ٱلنَّجْمَ يُخْبِرْكُمْ بِحَالِيَ فِي ٱلدُّجَى
وَلَا تَسْأَلُوا عَمَّا تُجِنُّ[2] ضُلُوعِي .
قِفُوا تَسْمَعُوا مِنْ جَانِبِ ٱلْغَوْرِ[3] أَنَّتِي
فَقَدْ أَسْمَعَتْ مَنْ كَانَ غَيْرَ سَمِيعِ
فَإِنْ لَاحَ بَرْقٌ فَهْوَ نَارُ صَبَابَتِي وَإِنْ سَحَّ سَيْلٌ فَهْوَ مَاءُ دُمُوعِي

---

(١) من حرن اذا تعاصى عن الانقياد (٢) تخفي وتستر (٣) الغور ما انحدر من الارض

وَذَا ٱلْعَامَ قَالُوا أَمْرَعَ ٱلْغَوْرُ كُلُّهُ   وَمَا كَانَ لَوْلَا دَمْعَتِي بِمَرِيعِ (١)

فَيَا قَمَرِي مُذْ غِبْتَ أَوْحَشْتَ نَاظِرِي   لَعَلَّكَ لَيْلًا مُؤْنِسِي بِطُلُوعِ

« ومن قصيدة للوزير احمد بن زيدون »

أَضْحَى ٱلتَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا   وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ٱبْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا   شَوْقاً إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا

يَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا   يَقْضِي عَلَيْنَا ٱلْأَسَى لَوْلَا تَأَسِّينَا

حَالَتْ لِبَيْنِكُمُ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ   سُوداً وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

إِذْ جَانِبُ ٱلْعَيْشِ طَلْقٌ مِنْ تَأَلُّفِنَا   وَمَوْرِدُ ٱللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

وَإِذْ هَصَرْنَا غُصُونَ ٱلْأُنْسِ دَانِيَةً   قُطُوفُهَا فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا

لِيَسْقِ عَهْدَكُمُ عَهْدُ ٱلسُّرُورِ فَمَا   كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رَيَاحِينَا

مَنْ مُبْلِغُ ٱلْمُلْبِسِينَا بِٱنْتِزَاحِهِمِ   حُزْنًا مَعَ ٱلدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُبْلِينَا

أَنَّ ٱلزَّمَانَ ٱلَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا   أُنْساً بِقُرْبِهِمِ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا

غِيظَ ٱلعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا ٱلْهَوَى فَدَعَوْا   بِأَنْ نَغَصَّ فَقَالَ ٱلدَّهْرُ آمِينَا

فَٱنْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُوداً بِأَنْفُسِنَا   وَٱنْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا

وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا   فَٱلْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

---

(١) مريع خصيب

لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا ٱلْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَ مَا غَيَّرَ ٱلنَّأْيُ ٱلْمُحِبِّينَا
وَٱللّٰهِ مَا طَلَبَتْ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا ٱنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
يَا سَارِيَ ٱلْبَرْقِ غَادِ ٱلْقَصْرَ فَٱسْقِ بِهِ
مَنْ كَانَ صِرْفَ ٱلْهَوَى وَٱلْوُدِّ يَسْقِينَا
وَيَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا مَنْ لَوْ عَلَى ٱلْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
كَأَنَّنَا لَمْ نَبِتْ وَٱلْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَٱلسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا
سِرَّانِ فِي خَاطِرِ ٱلظَّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا[1] حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ ٱلصُّبْحِ يُفْشِينَا
لَا غَرْوَ أَنَّا ذَكَرْنَا ٱلْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ ٱلنُّهَى وَتَرَكْنَا ٱلصَّبْرَ نَاسِينَا
إِنَّا قَرَأْنَا ٱلْأَسَى يَوْمَ ٱلنَّوَى سُوَرًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا ٱلصَّبْرَ تَلْقِينَا

« ولابي الحسن علي بن زريق البغدادي »

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ ٱلْعَذْلَ يُولِعُهُ قَدْ قُلْتِ حَقًّا وَلٰكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتِ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ ٱللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَٱسْتَعْمِلِي ٱلرِّفْقَ فِي تَأْنِيبِهِ بَدَلًا مِنْ عُنْفِهِ فَهْوَ مُضْنَى ٱلْقَلْبِ مُوجَعُهُ
قَدْ كَانَ مُضْطَلِعًا بِٱلْخَطْبِ يَحْمِلُهُ فَضُلِّعَتْ بِخُطُوبِ ٱلْبَيْنِ أَضْلُعُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ رَوْعَةِ ٱلتَّفْنِيدِ[2] أَنَّ لَهُ مِنَ ٱلنَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ
مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ عَزْمٌ عَلَى سَفَرٍ بِٱلرَّغْمِ يُزْمِعُهُ

---

(١) فاعله يعود الى الخاطر بمعنى القلب (٢) اللوم

تَأْبَى ٱلْمَطَالِبُ إِلَّا أَنْ تُكَلِّفَهُ ... لِلرِزْقِ سَعْياً وَلٰكِنْ لَيْسَ يَجْمَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ ... مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ ٱللّٰهِ يَذْرَعُهُ(١)
إِذَا ٱلزَّمَانُ أَرَاهُ فِي ٱلرَّحِيلِ غِنًى ... وَلَوْ إِلَى ٱلسَّنْدِ(٢) أَضْحَى وَهْوَ يَقْطَعُهُ
وَمَا مُجَاهَدَةُ ٱلْإِنْسَانِ وَاصِلَةٌ ... رِزْقاً وَلَا دَعَةُ ٱلْإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ
قَدْ قَسَّمَ ٱللّٰهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ رِزْقَهُمُ ... لَا يَخْلُقُ ٱللّٰهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
لٰكِنَّهُمْ كُلِّفُوا حِرْصاً فَلَسْتَ تَرَى ... مُسْتَرْزِقاً وَسِوَى ٱلْغَايَاتِ يُقْنِعُهُ(٣)
وَٱلْحِرْصُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ ... بَغْيٌ أَلَا إِنَّ بَغْيَ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
وَٱلدَّهْرُ يُعْطِي ٱلْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ ... عَفْواً وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِعُهُ
أَسْتَوْدِعُ ٱللّٰهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَراً ... بِٱلْكَرْخِ مِنْ فَلَكِ ٱلْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ(٤)
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوُ ٱلْحَيَاةِ وَإِنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي أَنْ لَا أُفَارِقَهُ ... وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ ضُحًى ... وَأَدْمُعِي مُسْتَهِلَّاتٌ وَأَدْمُعُهُ
لَا أَكْذِبُ ٱللّٰهَ ثَوْبُ ٱلْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لٰكِنْ أُرَقِّعُهُ
إِنِّي أُوَسِّعُ عُذْرِي فِي جِنَايَتِهِ ... بِٱلْبَيْنِ عَنْهُ وَقَلْبِي لَا يُوَسِّعُهُ

---

(١) يقيسه بالذراع (٢) اسم بلاد (٣) اي لايقنعه غير الغايات اي الحدود الاخيرة من كل شيء (٤) الكرخ اسم مكان

وَمَنْ غَدَا لَابِساً ثَوْبَ ٱلنَّعِيمِ بِلا   شُكْرٍ عَلَيْهِ فَمِنْهُ ٱللهُ يَنْزَعُـهُ
أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَتَهُ   وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ ٱلْمُلْكَ يَخْلَعُهُ (١)
إِعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ   كَأْساً يُجَرَّعُ مِنْهَا مَا أُجَرِّعُهُ
كَمْ قَائِلٍ لِيَ ذُقْتَ ٱلْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ   ٱلذَّنْبُ وَٱللهِ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُهُ
هَلَّا أَقَمْتُ فَكَانَ ٱلرُّشْدُ أَجْمَعُهُ   لَوْ أَنَّنِي حِينَ بَانَ ٱلرُّشْدُ أَتْبَعُهُ
لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ   فِي سَفْرَتِي هٰـذِهِ إِلَّا وَأَقْطَعُهُ
يَا مَنْ أُقَطِّعُ أَيَّامِي وَأُنْفِدُهَـا   حُزْنًا عَلَيْهِ وَلَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ
لَا يَطْمَئِنُّ بِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا   لَا يَطْمَئِنُّ بِهِ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَفْجَعُنِي   بِهِ وَلَا أَنَّ بِي ٱلْأَيَّامَ تَفْجَعُهُ
حَتَّى جَرَى ٱلدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ   عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَقِّي وَتَمْنَعُـهُ
وَكُنْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي جَازِعاً فَرِقاً   فَلَمْ أُوَقَّ ٱلَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُهُ
بِٱللهِ يَا مَنْزِلَ ٱلْقَصْرِ ٱلَّذِي دَرَسَتْ   آثَارُهُ وَعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أَرْبُعُـهُ
هَلِ ٱلزَّمَانُ مُعِيدٌ فِيكَ لَذَّتَنَا   أَمِ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجِعُـهُ
فِي ذِمَّةِ ٱللهِ مَنْ أَصْبَحْتَ مَنْزِلَهُ   وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُمْرِعُهُ
مَنْ عِنْدَهُ لِيَ عَهْدٌ لَا يَضِيعُ كَمَا   عِنْدِي لَهُ عَهْدُ صِدْقٍ لَا أُضَيِّعُهُ
وَمَنْ يُصَدِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا   جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
لَأَصْبِرَنَّ لِدَهْرٍ لَا يُمَتِّعُنِي   بِهِ وَلَا بِيَ فِي حَالٍ يُمَتِّعُـهُ

---

(١) اي يخلعه الملك

عِلْماً بِأَنَّ ٱصْطِبَارِي مُعْقِبٌ فَرَجاً   فَأَضْيَقُ ٱلْأَمْرِ إِنْ فَكَّرْتَ أَوْسَعُهُ
عَلَّ ٱللَّيَالِي ٱلَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا   جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُهُ
وَإِنْ تَنَلْ أَحَداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ   لَابُدَّ فِي غَدِهِ ٱلثَّانِي سَيَتْبَعُهُ
وَإِنْ يَدُمْ أَبَداً هٰذَا ٱلْفِرَاقُ لَنَا   فَمَا ٱلَّذِي بِقَضَاءِ ٱللهِ نَصْنَعُهُ

« ولشهاب الدين السهروردي »

أَبَداً تَحِنُّ إِلَيْكُمُ ٱلْأَرْوَاحُ   وَوِصَالُكُمْ رَيْحَانُهَا وَٱلرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ   وَإِلَى لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاحُ
وَارَحْمَتَا لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا   سَتْرَ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْهَوَى فَضَّاحُ
بِٱلسِّرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ   وَكَذَا دِمَاءُ ٱلْبَائِحِينَ تُبَاحُ
وَإِذَا هُمُ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمُ   عِنْدَ ٱلْوُشَاةِ ٱلْمَدْمَعُ ٱلسَّفَّاحُ
وَبَدَتْ شَوَاهِدُ لِلسَّقَامِ عَلَيْهِمِ   فِيهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيضَاحُ
خَفْضُ ٱلْجَنَاحِ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمُ   لِلصَّبِّ فِي خَفْضِ ٱلْجَنَاحِ جُنَاحُ
فَإِلَى لِقَاكُمْ نَفْسُهُ مُرْتَاحَةٌ   وَإِلَى رِضَاكُمْ طَرْفُهُ طَمَّاحُ
عُودُوا بِنُورِ ٱلْوَصْلِ مِنْ غَسَقِ ٱلْجَفَا   فَٱلْهَجْرُ لَيْلٌ وَٱلْوِصَالُ صَبَاحُ
صَافَاهُمُ فَصَفَوْا لَهُ فَقُلُوبُهُمْ   فِي نُورِهَا ٱلْمِشْكَاةُ وَٱلْمِصْبَاحُ
وَتَمَتَّعُوا فَٱلْوَقْتُ طَابَ لِقُرْبِكُمْ   رَاقَ ٱلشَّرَابُ وَرَقَّتِ ٱلْأَقْدَاحُ
يَا صَاحِ لَيْسَ عَلَى ٱلْمُحِبِّ مَلَامَةٌ   إِنْ لَاحَ فِي أُفُقِ ٱلْوِصَالِ صَبَاحُ
لَا ذَنْبَ لِلْعُشَّاقِ إِنْ غَلَبَ ٱلْهَوَى   كِتْمَانَهُمْ فَنَمَى ٱلْغَرَامُ فَبَاحُوا

سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا بَخِلُوا بِهَا لَمَّا دَرَوْا أَنَّ ٱلسَّمَاحَ رَبَاحُ
وَدَعَاهُمُ دَاعِي ٱلْحَقَائِقِ دَعْوَةً فَغَدَوْا بِهَا مُسْتَأْنِسِينَ وَرَاحُوا
رَكِبُوا عَلَى سُفُنِ ٱلْوَفَا وَدُمُوعُهُمْ بَحْرٌ وَشِدَّةُ شَوْقِهِمْ مَلَّاحُ
وَٱللهِ مَا طَلَبُوا ٱلْوُقُوفَ بِبَابِهِ حَتَّى دُعُوا وَأَتَاهُمُ ٱلْمِفْتَاحُ
لَا يَطْرَبُونَ لِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ أَبَداً فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ
حَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ فَتَهَتَّكُوا لَمَّا رَأَوْهُ وَصَاحُوا
أَفْنَاهُمُ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ حُجُبُ ٱلْبَقَا فَتَلَاشَتِ ٱلْأَرْوَاحُ
فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ ٱلتَّشَبُّهَ بِٱلْكِرَامِ فَلَاحُ

« اجتاز المنازي البندبيجي الشاعر بسوق باب الطاق ببغداد »
«حيث تباع الطير فسمع حمامة تلحن في قفص »
« فاشتراها واطلقها وقال »

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ ٱلطَّاقِ فَجَرَتْ سَوَابِقُ مَدْمَعِي ٱلْمُهْرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ تُشْجِي فُؤَادَ ٱلْهَائِمِ ٱلْمُشْتَاقِ
إِنَّ ٱلْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا قِدَماً تُبَكِّي أَعْيُنَ ٱلْعُشَّاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي ٱلْأَرَاكِ وَرُبَّمَا كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ ٱلسَّاقِ
تَعِسَ ٱلْفِرَاقُ وَجُذَّ حَبْلُ وَتِينِهِ وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ ٱلْأَسَاوِدِ سَاقِي
يَا وَيْحَهُ مَاذَا جَنَتْ قُمْرِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا بَغْدَادُ فِي ٱلْآفَاقِ
فَأَتَى ٱلْفِرَاقُ بِهَا ٱلْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ٱلْأَرَاكِ تَنُوحُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ

فَشَرَيْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَنِينَهَا   وَعَلى ٱلحمامَةِ عُدْتُ بِٱلإِطْلاقِ
بي مِثْلُ مَا بِكِ يَا حَمَامَةُ فَٱسْأَلِي   مَنْ فَكَّ أَسْرَكِ أَنْ يَحُلَّ وِثَاقِي

« وكتب البحتري الى ابي صالح بن عمار الحلبي »

رَحَلْتُ عَنْكَ رَحِيلَ ٱلْمَرْءِ عَنْ وَطَنِهْ   وَرِحْلَةَ ٱلسَّكَنِ ٱلْمُشْتَاقِ عَنْ سَكَنِهْ
فَإِنْ تَكَلَّفْتُ صَبْراً عَنْكَ أَوْ مُنِيَتْ   نَفْسِي بِهِ فَهُوَ صَبْرُ ٱلطَّرْفِ عَنْ وَسَنِهْ

« وكتب الشريف الرضي الى ابي الحسن البتي من قصيدة »

أَبَا حَسَنٍ أَتَحْسَبُ أَنَّ شَوْقِي   يَقِلُّ عَلى مُعَارَضَةِ ٱلْخُطُوبِ
وَأَنَّكَ فِي ٱللِّقَاءِ تَهِيجُ وَجْدِي   وَأَمْنَحُكَ ٱلسُّلُوَّ عَلى ٱلْمَغِيبِ
وَبِي شَوْقٌ إِلَيْكَ أَعَلَّ قَلْبِي   وَمَالِي غَيْرُ قُرْبِكَ مِنْ طَبِيبِ
وَمَا أَحْظَى إِذَا مَا غِبْتَ عَنِّي   بِحُسْنٍ لِلزَّمَانِ وَلَا بِطِيبِ
أُشَاقُ إِذَا ذَكَرْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ   وَأَطْرَبُ إِنْ رَأَيْتُكَ مِنْ قَرِيبِ
كَأَنَّكَ قُدْمَةُ ٱلْأَمَلِ ٱلْمُرَجَّى   عَلَيَّ وَطَلْعَةُ ٱلْفَرَجِ ٱلْقَرِيبِ
أُسَالِمُ حِينَ أُبْصِرُكَ ٱللَّيَالِي   وَأَصْفَحُ لِلزَّمَانِ عَنِ ٱلذُّنُوبِ
وَأَنْسَى كُلَّ مَا جَنَتِ ٱلرَّزَايَا   عَلَيَّ مِنَ ٱلْفَوَادِحِ وَٱلنُّدُوبِ
فَإِنْ بَعُدَ ٱللِّقَاءُ عَلى ٱشْتِيَاقِي   تَرَامَقْنَا بِأَلْحَاظِ ٱلْقُلُوبِ

« وقال من قصيدة »

يَا قَلْبُ جَدِّدْ كَمَدَا   فَمَوْعِدُ ٱلْبَيْنِ غَدَا

لَمْ أَرَ فَرْقاً بَعْدَهُمْ بَعْدَ ٱلفِرَاقِ وَٱلرَّدَى
يَا زَفْرَةً هَيَّجَهَا حَادٍ مِنَ ٱلغَوْرِ حَدَا
مُذْ أَوْقَدُوا بِأَضْلُعِي جَمْرَ ٱلغَضَا مَا خَمَدَا
وَمُذْ أَذَابُوا مَاءَ عَيْـ نِي بِٱلأَسَى مَا جَمَدَا
هلْ نَاشِدٌ يَنْشُدُ لي ذَاكَ ٱلغَزَالَ ٱلأَغْيَدَا
رَهَنْتُهُ قَلْبِي وَمَنْ يَرْهَنْ قَلْباً أَبَـدَا
يَا كَبِدِي تَجَلُّدَا فَمَا أُطِيقُ ٱلجَلَدَا
كُنْتُ أُدَارِي كَبِدِي لَوْ غَادَرُوا لِي كَبِدَا

« وقال من قصيدة »

يَا غَائِباً نَقَضَ ٱلوِدَادَا أَشْمَتَّ بِٱلقُرْبِ ٱلبِعَادَا
وَتَرَكْتَنِي وَٱلشَّوْقُ يَأْ بَى أَنْ يُرَوِّحَ لي فُؤَادَا
لَوْ أَنَّ طَرْفِي صَارَ نَحْ وَكَ لَاتَّخَذْتُ ٱلنَّوْمَ زَادَا
قَلْبِي أَسِيرٌ فِي حِبَا لِكَ لَا أُؤَمِّلُ أَنْ يُقَادَا
إِنْ جُدْتَ بِي فَلْيَنْدَمَنْ مَنْ كَانَ بِي يَوْماً جَوَادَا
مَنْ ضَاعَ مِثْلِي مِنْ يَدَيْ هِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا ٱسْتَفَادَا
لَا يَلْبَسُ ٱلوُدَّ ٱلطَّرِيـ فَ مُجَامِلٌ خَلَعَ ٱلتِّلَادَا (١)

---

(١) التلاد القديم وهو ضد الطريف

« ومن قوله »

أَتُرَى ٱلْأَحْبَابُ مُذْ ظَعَنُوا وَجَدُوا لِلْبَيْنِ مَا أَجِدُ
لَا يَبِتْ ذَاكَ ٱلْحَبِيبُ كَمَا بَاتَ هٰذَا ٱلْقَلْبُ وَٱلْكَبِدُ
كَانَ زُوراً بَعْدَ بَيْنِهِمِ وَغُرُوراً ذٰلِكَ ٱلْجَلَدُ
وَمَتَى تَدْنُ ٱلدِّيَارُ بِهِمْ يَجِدُوا قَلْبِي كَمَا عَهِدُوا

« ومن قوله »

خُذِي نَفْسِي يَارِيحُ مِنْ جَانِبِ ٱلْحِمَى
فَلَاقِي بِهِ لَيْلًا نَسِيمَ رُبَى نَجْدِ
فَإِنَّ بِذَاكَ ٱلْحَيِّ إِلْفاً عَهِدْتُهُ وَبِٱلرُّغْمِ مِنِّي أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
وَلَوْلَا تَدَاوِي ٱلْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ ٱلْجَوَى بِذِكْرِ تَلَاقِينَا قَضَيْتُ مِنَ ٱلْوَجْدِ
شَمَمْتُ بِنَجْدٍ شِيحَةً حَاجِرِيَّةً[1] فَأَمْطَرْتُهَا دَمْعِي وَأَفْرَشْتُهَا خَدِّي
ذَكَرْتُ بِهَا رَيَّا ٱلْحَبِيبِ عَلَى ٱلنَّوَى وَهَيْهَاتَ ذَا يَا بُعْدَ بَيْنِهِمَا عِنْدِي[2]
وَإِنِّي لَمَجْلُوبٌ إِلَى ٱلشَّوْقِ كُلَّمَا تَنَفَّسَ شَاكٍ أَوْ تَأَلَّمَ ذُو وَجْدِ
تَعَرَّضُ رُسْلُ ٱلشَّوْقِ وَٱلرَّكْبُ هَاجِدٌ
فَتُوقِظُنِي مِنْ بَيْنِ نُوَّامِهِمْ وَحْدِي
وَمَا شَرِبَ ٱلْعُشَّاقُ إِلَّا بَقِيَّتِي وَلَا وَرَدُوا فِي ٱلْحُبِّ إِلَّا عَلَى وِرْدِي

---

(١) نسبة الى الحاجر وهو منزل بالبادية (٢) الدين الفضل والمزية اي ما ابعد مزيتهما عندي

« وقال من قصيدة »

أَشْكُو إِلَيْكَ مَدَامِعاً تَكِفُ بَعْدَ ٱلنَّوَى وَجَوَانِحاً تَجِفُ[1]
وَحَشاً إِذَا ذَكَرَ ٱلْفِرَاقُ هَفَا[2] فِي جَانِبَيْهِ ٱلشَّوْقُ وَٱلْأَسَفُ
لَا يُبْعِدِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ نَأَوْا وَقَفُوا ٱلْغَرَامَ بِنَا وَمَا وَقَفُوا
أَيَّ ٱلْقُوَى قَطَعُوا وَأَيَّ دَمٍ سَفَكُوا وَأَيَّ جِنَايَةٍ قَرَفُوا
لَمْ أَنْسَ مَوْقِفَنَا وَوَقْفَتَهُمْ بَعْدَ ٱلنَّوَى وَدُمُوعُنَا تَكِفُ
مُتَسَاكِتِينَ مِنَ ٱلْوُجُومِ[3] وَقَدْ نَطَقَتْ عَلَيْنَا ٱلْأَدْمُعُ ٱلذُّرَفُ
حَبْلٌ غَدَا بِأَكُفِّنَا طَرَفٌ مِنْهُ وَفِي أَيْدِي ٱلنَّوَى طَرَفُ
هَلْ حُسْنُ ذَاكَ ٱلدَّهْرِ مُرْتَجَعٌ أَمْ طِيبُ ذَاكَ ٱلْعَيْشِ مُؤْتَنَفُ
أَمْ هَلْ يُبَاحُ ٱلْوِرْدُ ثَانِيَةً وَيَلَذُّ بَرْدَ ٱلْمَاءِ مُرْتَشِفُ
لَهَفِي عَلَى ذَاكَ ٱلزَّمَانِ وَهَلْ يَثْنِي زَمَانًا مَاضِياً لَهَفُ
إِنْبَتَّ بَعْدَكَ حَبْلُنَا وَحَدَتْ كُلًّا لِطِيَّتِهِ نَوًى قَذَفُ[4]
وَأُزِيحَ ذَاكَ ٱلْأُنْسُ أَجْمَعُهُ وَأُمِيطَ ذَاكَ ٱلْبِرُّ وَٱللُّطَفُ
لَا تَحْسَبَنْ قَوْلِي مُمَاذَقَةً وَجْدِي بِبُعْدِكَ فَوْقَ مَا أَصِفُ

---

(١) تكف تسيل قليلًا قليلًا . وتجف تضطرب (٢) خفق (٣) الوجوم العجز عن التكلم من كثرة الغم (٤) الطية المقصد والجهة ويريد بالقذف البعيدة

٦ في الموشحات

« من موشح لابن خلوف المغربي »

قَابَلَ ٱلصُّبْحُ ٱلدُّجى فَٱنْهَزَمَا وَمَحَا بِٱلسَّيْفِ أُفْقَ ٱلْغَلَسِ
وَجَلا ٱلْغَيْمَ بِبَرْقٍ رَقَما ثَوْبَ دِيبَاجٍ بِهِ ٱلْجَوُّ كُسِي

دور

نَسَخَ ٱلصُّبْحُ أَحَادِيثَ ٱلدُّجى بِيَدٍ بَيْضَاءَ فِي لَوْحِ ٱلنَّهَارْ
وَلِكَهْفِ ٱلْمَغْرِبِ ٱللَّيْلُ ٱلْتَجى حِينَ نَادَى ٱلْفَجْرُ فِي ٱلشَّرْقِ بِدَارْ
وَجَلا ٱلصُّبْحُ جَبِيناً أَبْلَجَا فَٱخْتَفَى مِنْ نُورِهِ ٱلنَّجْمُ وَغَارْ
وَبَكَى ٱلْقُمْرِيُّ لَمَّا ٱبْتَسَما عَاطِرُ ٱلزَّهْرِ بِثَغْرٍ أَلْعَسِ (١)
وَعَلى ٱلْخَدِّ بِخَالٍ رَسَما نُورَ بَدْرٍ جَلَّ عَنْ مُقْتَبِسِ

دور

رَقَمَ ٱلْغَيْمُ عَلى رُدْنِ (٢) ٱلنَّسِيمْ بِسَنَى ٱلْبَرْقِ طِرَازاً مُعْلَمَا
وَٱكْتَسَتْ خُودُ ٱلرُّبَى ثَوْبَ ٱلنَّعِيمْ فَزَهَتْ جِيداً وَطَابَتْ مَبْسِما
فَٱمْحُ بِٱلرَّاحِ دُجَى ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمْ فَبِأُفْقِ ٱلْكَأْسِ خِلْنَا أَنْجُمَا
وَٱسْأَلِ ٱلسَّاقِيَ لِمَاذَا خَتَمَا قَهْوَةَ ٱلرِّيقِ بِثَغْرٍ ٱلْلَّمَسِ
وَزَهَا خَدُّ ٱلرُّبَى فَٱنْسَجَما دَمْعُ عَيْنِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُنْبَجِسِ

---

(١) الالعس الذي في شفته سواد مستحسن (٢) الردن اصل الكم

« ومن موشح لابرهيم بن سهل الاندلسي »

هَلْ دَرَى ظَبْيُ ٱلْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى   قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنَسِ [1]
فَهْوَ فِي حَرٍّ وَخَفْقٍ مِثْلَمَا   لَعِبَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا بِٱلْقَبَسِ

دور

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرَقِي   طَارَحَتْنِي مُقْلَتَاهُ ٱلدَّنَفَا [2]
تَرَكَتْ أَلْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي   أَثَرَ ٱلنَّمْلِ عَلَى صُمِّ ٱلصَّفَا
هَا أَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِي   لَسْتُ أَلْحِيهِ [3] عَلَى مَا أَتْلَفَا
فَهْوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا   وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَٱلْخَرَسِ
لَيْسَ لِي بِٱلْحُبِّ حُكْمٌ بَعْدَ مَا   حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ ٱلنَّفَسِ

« ومن موشح لابي العباس المنصور سلطان الاندلس »

عَطَّرَ ٱلْأَرْجَاءَ لَمَّا نَسَمَا   شَمْأَلٌ [4] ٱلصَّهْبَاءِ عِنْدَ ٱلْغَلَسِ
وَأَتَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَى تَنْسَخُ مَا   يَقْرَأُ ٱللَّيْلُ لَنَا مِنْ غَبَسِ [5]

دور

لِلرِّيَاضِ ٱذْهَبْ تَجِدْ بُلْبُلَهَا   يَتَغَنَّى بَيْنَ زَهْرٍ يَنْجَلِي
وَخُدُودَ ٱلرَّوْضِ قَدْ كَلَّلَهَا   دَمْعُ طَلٍّ لِٱشْتِيَاقِ ٱلْبَلَلِ
وَقُدُودَ ٱلْبَانِ قَدْ قَامَ لَهَا   يَانِعُ ٱلْغُصْنِ مَقَامَ ٱلْأَسَلِ

---

(١) من كنس الظبي اذا دخل كناسه اي بيته (٢) الدنف الاشراف على الموت والمرض الملازم (٣) من لحاه اذا لامه وعابه (٤) الشمأل ريح الشمال (٤) الغبس الظلمة

وَٱلرُّبَى أَهْدَتْ إِلَيْنَا نَسَمًا وَعَلَيْهَا مِنْ ثِيَابِ ٱلسُّنْدُسِ
جَيْبُهَا قَدْ زُرَّ بِٱلزَّهْرِ كَمَا زُرَّ بِٱلْفِضَّةِ ثَوْبُ ٱلْأَطْلَسِ

دور

وَجَلَا ٱلرَّوْضُ لَنَا أَشْجَارَهُ مَائِسَاتٍ فِي قَبَاءٍ(١) أَخْضَرِ
وَتَرَى فِي جِيدِهَا أَنْوَارَهُ تَتَلَالَا كَعُقُودِ ٱلْجَوْهَرِ
خَلَعَ ٱللَّيْلُ بِهِ أَطْمَارَهُ(٢) فَغَدَا كَٱلصُّبْحِ بَاهِي ٱلْمَنْظَرِ
وَبَقَايَاهُ زَهَتْ فِيهِ كَمَا فِي شِفَاهِ ٱلْغِيدِ حُسْنُ ٱللَّعَسِ
كَعِذَارٍ(٣) فِي مُحَيًّا عُلِّمَا فَبَدَا لِلْعَيْنِ لَا لِلْمَلْمَسِ

« وقال ابن الخطيب من موشح يعارض به موشح ابن سهل »

جَادَكَ ٱلْغَيْثُ إِذَا ٱلْغَيْثُ هَمَى يَا لَيَالِي ٱلْوَصْلِ بِٱلْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكِ إِلَّا حُلُمًا فِي ٱلْكَرَى أَوْ خِلْسَةَ ٱلْمُخْتَلِسِ

دور

يَا أُهَيْلَ ٱلْحَيِّ مِنْ وَادِي ٱلْغَضَا وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ ٱلْفَضَا لَا أُبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتِقُوا عَانِيَكُمْ(٤) مِنْ كَرْبِهِ
وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا يَتَلَاشَى نَفَسًا فِي نَفَسِ

---

(١) القباء ثوب يلبس فوق الثياب وهو المعروف بالقنبار (٢) جمع طمر وهو الثوب البالي (٣) العذار جانبا اللحية والمحيا جماعة الوجه (٤) اسيركم

حَبَسَ ٱلْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَماً أَفْتَرْضَوْنَ خَرَابَ ٱلْحَبَسِ

دور

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عِيدٌ مِنَ ٱلشَّوْقِ جَدِيدْ
جَلَبَ ٱلْهَمَّ لَهُ وَٱلْوَصَبَا فَهْوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدْ
كَانَ فِي ٱللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدْ
لَاعِجٌ فِي أَضْلُعِي قَدْ أُضْرِمَا مِثْلَ نَارٍ فِي هَشِيمِ ٱلْيَبَسِ
لَمْ يَدَعْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا ٱلدِّمَا كَبَقَاءِ ٱلصُّبْحِ بَعْدَ ٱلْغَلَسِ

« ومن موشح للصلاح الصفدي »

هَلَكَ ٱلصَّبُّ ٱلْمُعَنَّى هَلْ لَكَا فِي تَلَافِيهِ بِوَعْدٍ مُطْمِعِ

. . . . .

أَيُّهَا ٱلْبَدْرُ ٱلَّذِي لَمَّا بَدَا غَابَ عَنْ عُشَّاقِهِ فِيهِ ٱلْهُدَى
أَنْتَ فِي قَلْبِي مُقِيمٌ أَبَدَا
فَلَكَ ٱلْأَحْشَاءِ أَمْسَتْ فَلَكَا فَٱسْتَقِمْ فِي ٱلْأَوْجِ مِنْهَا وَٱطْلُعِ

. . . . .

صَاحِ مَا أَصْنَعُ قَدْ خَابَ ٱلرَّجَا وَجَنَى قَلْبِي وَلٰكِنْ مَا نَجَا
بَعْدَ دَمْعِي وَأَنِينِي فِي ٱلدُّجَى
قُلْ لِصَوْبِ ٱلْغَيْثِ دَعْ عَنْكَ ٱلْبُكَا وَلِوَرْقَاءِ ٱلْحِمَى لَا تَسْجَعِي

. . . . .

كُنْتُ فِي هَجْعَةِ طَرْفٍ قَدْ رَقَدْ لَسْتُ أَخْشَى مِنْ لَظَى هَجْرٍ وَقَدْ

ثُمَّ لَمْ أَشْعرْ بِهِ إِلَّا وَقَدْ
نَصَبَتْ مُقْلَتُهُ لِي شَرَكا أَيُّ قَلْبٍ عِنْدَهَا لَمْ يَقَعِ

.....

قَمَرٌ مَهْمَا رَنَا أَوْ رَمَقَا [١] لَمْ يَدَعْ لِلصَّبِّ مِنْهُ رَمَقَا
آهِ مِنْ طُولِ عَنَائِي وَٱلشَّقَا
فَهْوَ لَا يَسْمَعُ مِنِّي مُشْتَكى وَأَنَا لِلنُّصْحِ فِيهِ لَا أَعِي

« ومن موشح للشيخ ابي المواهب البكري الصديقي »

قَلْبِي كَوَاهُ تَنَفُّسُ ٱلصُّعَدَا [٢] وَنَاظِرِي مُذْ غِبْتَ مَا رَقَدَا — أَصْلا

.....

كَمْ أُنْكِرُ ٱلوَجْدَ فِيكَ وَٱلكَلَفَا وَمَدْمَعِي بِٱلهَوى قَدِ ٱعْتَرَفَا
وَاأَسَفِي مُتُّ بَعْدَكُمْ أَسَفَا
هَلْ يُنجِزُ ٱلدَّهْرُ مَا بِهِ وَعَدَا [٣] وَيَجْمَعُ ٱللهُ بِٱلَّذِي بَعُدَا — شَمْلا

.....

قَنِعْتُ بِٱلطَّيْفِ مِنكَ يَاقَمَرِي فَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَهَرِي
وَمُهْجَتِي مُذْ غِبْتَ عَنْ نَظَرِي

---

(١) رنا اليه ادام النظر اليه بسكون الطرف . ورمقه اطال النظر اليه اولحظه لحظاً خفيفاً (٢) الصعداء تنفس طويل من هم او تعب (٣) كان في الاصل : ترى يوافي الزمان ما وعدا

قَدْ فَارَقَتْ مِنْ فِرَاقِكَ ٱلجَسَدَا وَأَقْسَمَتْ لَا تَعُودُهُ أَبَدَا — إِلَّا

.....

تُرَى تَعُودُ ٱلْحَيَاةُ فِي جَسَدِي حَتَّى أُدَاوِي بِقُرْبِكُمْ كَبِدِي
وَإِنْ أَمُتْ مِنْ جَفَاكَ قَبْلَ غَدِ
يَفْدِيكَ مَنْ مَاتَ فِيكُمْ كَمَدَا فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهِ يَكُونُ فِدَى — أَمْ لَا
وَاحَيْرَتِي فِي مُهَفْهَفٍ[1] بَهِجِ أَلْحَاظُهُ سُلِّطَتْ عَلَى ٱلْمُهَجِ
يَفْضَحُ بَدْرَ ٱلتَّمَامِ بِٱلْبَلَجِ[2]
لَوْ أَبْصَرَ ٱلْبَدْرُ وَجْهَهُ سَجَدَا وَلَوْ رَأَى خَدَّهُ ٱلْهِلَالُ غَدَا — خَجِلَا

« ولابي عبد الله بن زمرك من موشح يتشوق فيه الى غرناطة »

لازمة

نَسِيمُ غَرْنَاطَةَ عَلِيلُ لٰكِنَّهُ يُبْرِئُ ٱلْعَلِيلْ
وَرَوْضُهَا زَهْرُهُ بَلِيلُ وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ ٱلْغَلِيلْ

دور

سَقَى بِنَجْدٍ رُبَى ٱلْمُصَلَّى مُبَاكِراً رَوْضَةُ ٱلْغَمَامْ
فَجَفْنُهُ كُلَّمَا ٱسْتَهَلَّا يَبْتَسِمُ ٱلزَّهْرُ فِي ٱلْكِمَامْ
وَٱلرَّوْضُ بِٱلْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى وَٱلنَّهْرُ قَدْ جَرَّدَ ٱلْحُسَامْ[3]
وَدَوْحُهَا ظِلُّهَا ظَلِيلُ يَحْسُنُ فِي رَبْعِهِ ٱلْمَقِيلْ

---

(١) المهفهف الذي مشق بدنه كأنه غصن (٢) بالشروق والضياء (٣) في الاصل : وجرد النهر عن حسام

وَٱلبَرْقُ وَٱلْجَوُّ مُسْتَطِيلُ ‏ ‏ ‏ ‏ يَلْعَبُ بِٱلصَّارِمِ ٱلصَّقِيلْ

« وقال في معناه من موشح وجّه به من (فاس) الى غرناطة »

لازمة

أَبْلِغْ لِغَرْنَاطَةَ سَلامِي ‏ ‏ ‏ ‏ وَصِفْ لَهَا عَهْدِيَ ٱلسَّلِيمْ
فَلَوْ رَعَى طَيْفُهَا ذِمَامِي ‏ ‏ ‏ ‏ مَا بِتُّ فِي لَيْلَةِ ٱلسَّلِيمْ [1]

دور

كَمْ بِتُّ فِيهَا عَلَى ٱقْتِرَاحِي ‏ ‏ ‏ ‏ أُعَلُّ مِنْ خَمْرَةِ ٱلرُّضَابْ
أُدِيرُ مِنْهَا كُؤُوسَ رَاحِ ‏ ‏ ‏ ‏ قَدْ زَانَهَا ٱلثَّغْرُ بِٱلحَبَابْ
أَخْتَالُ كَٱلْمُهْرِ فِي ٱلْجِمَاحِ ‏ ‏ ‏ ‏ نَشْوَانَ مِنْ رَوْضَةِ ٱلشَّبَابْ
أُضَاحِكُ ٱلزَّهْرَ فِي ٱلْكِمَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ مُبَاهِياً رَوْضَهُ ٱلْوَسِيمْ
وَأَفْضَحُ ٱلْغُصْنَ فِي ٱلْقَوَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوِّهَا نَسِيمْ

دور

بَيْنَ أَنَا وَٱلشَّبَابُ ضَافِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدْ
وَمَوْرِدُ ٱلْأُنْسِ فِيهِ صَافِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدْ
إِذْ لَاحَ بِٱلْفَوْرِ غَيْرَ خَافِ ‏ ‏ ‏ ‏ صُبْحٌ بِهِ نُبِّهَ ٱلْوَلِيدْ
أَيْقَظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ لَمَّا ٱنْجَلَى لَيْلُهُ ٱلْبَهِيمْ
وَأَرْسَلَ ٱلدَّمْعَ كَٱلْغَمَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمْ

---

(١) السليم اللديغ او الذي اشرف على الهلاك

دور

أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي «بِفَاسِ» أُكَابِدُ ٱلشَّوْقَ وَٱلْحَنِينْ
أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي وَٱللَّيْلُ فِي ٱلطُّولِ كَٱلسِّنِينْ
أَللّٰهُ حَسْبِي فَكَمْ أُقَاسِي مِنْ وَحْشَةِ ٱلصَّحْبِ وَٱلْبَنِينْ
مُطَارِحاً سَاجِعَ ٱلْحَمَامْ شَوْقاً إِلَى ٱلْإِلْفِ وَٱلْحَمِيمْ
وَٱلدَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي ٱنْسِجَامْ مُنْتَثِراً عِقْدُهُ ٱلنَّظِيمْ

« ولابن الخطيب « درج من الغريب »

طَائِرُ ٱلْقَلْبِ طَارَ مِنْ وَكْرِ مِنْ ثَنَايَا ٱلضُّلُوعْ
وَٱرْتَضَى بِٱلنَّوَى وَلَمْ أَدْرِ هَلْ لَهُ مِنْ رُجُوعْ

دور

آهِ مِنْ لَوْعَةٍ بَرَتْ كَبِدِي يَوْمَ حَثَّ ٱلرِّكَابْ
يَوْمَ بِعْتُ ٱلْحِجَى يَداً بِيَدِ وَٱشْتَرَيْتُ ٱلْعَذَابْ
وَمَضَتْ مُهْجَتِي بِلَا قَوَدِ[1] بَيْنَ تِلْكَ ٱلْقِبَابْ
تَرَكُونِي مُحَيَّرَ ٱلْفِكْرِ[2] وَاقِفاً بِٱلرُّبُوعْ
أَسْأَلُ ٱللَّيْلَ عَنْ ضِيَا ٱلْفَجْرِ هَلْ لَهُ مِنْ طُلُوعْ

دور

وَأَصَارَتْ يَدُ ٱلنَّوَى جِسْمِي مَرْتَعاً لِلسَّقَامْ
صِرْتُ مِنْهَا بِهَا عَلَى رَغْمِي تَابِعاً لِلْغَرَامْ

---

(١) قصاص (٢) اصله « ملازم السهر »

صِحتُ قَدْ أنحلَ الهوى جسمي قَانِعٌ بِالسَّلامْ
هِمتُ فِيكُمْ وَخانني صَبري زَادَ قَلْبي وَلُوعْ
إرْحَمُونِي أوِ اقْبَلُوا عُذري وَاعْطِفُوا بِالرُّجُوعْ

« غيره لسراج الدين المجار »

لازمة

مُذْ شِمتُ سَنَى البُرُوقِ مِنْ نُعمانِ بَاتَتْ حَدَقِي
تُذْكِي بِسيلِ دَمْعِهَا الهتَّانِ نَارَ الحُرَقِ

دور

مَا أوْمَضَ بَارِقُ الحِمَى أوْ خَفَقَا إلَّا وَأجِدٌ بِي الأَسى، وَالحُرَقَا
هٰذَا سَبَبٌ لِمِحْنَتِي قَدْ خُلِقَا

أمسَى وَمِيضُهُ بِقَلْبِيَ العَانِي بَادِي الحُرَقِ
مَا أعرِفُ فِي الظَّلامِ مَا يَغْشَانِي غَيْرَ الأرَقِ

دور

أَضْنَى جَسَدِي فِرَاقُ إلفٍ نَزَحَا أفْنَى جَلَدِي وَدَمْعُ عَيْنِي نَزَحَا
كَمْ هِمتُ وَزَنْدُ لَوْعَتِي قَدْ قُدِحَا

لَمْ تُبقِ يَدُ السَّقَامِ مِنْ جُثمانِي غَيْرَ الرَّمَقِ
مَا أَصْنَعُ وَالسُّلُوُّ مِنِّي فَانِ وَالوَجْدُ بَقِي

« وللحكيم الفيلسوف ابي بكر بن باجه »

لازمة

جَرِّرِ ٱلذَّيلَ أَيَّمَا جَرِّ   وَصِلِ ٱلشُّكْرَ مِنْكَ بِٱلشُّكْرِ

دور

هَاكَ نُورَ ٱلصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا   وَنَسِيمُ ٱلرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
فَتَأَهَّبْ وَشَعْشِعِ ٱلرَّاحَا   لَا تَقِدْ فِي ٱلظَّلَامِ مِصْبَاحَا
حِينَ تَنْهَلُّ أَدْمُعُ ٱلْقَطْرِ   فَعَلَى ٱلرَّوْضِ نَاسِمٌ عِطْرِي

دور

فَهُمُومٌ رَاحَتْ بِأَفْرَاحِ   فِي مَسَاءٍ وَعِنْدَ إِصْبَاحِ
وَٱلْفُوَادِي تَجُودُ بِٱلرَّاحِ   وَهِيَ تَسْقِي ٱلرُّبَى بِأَقْدَاحِ
وَقُدُودُ ٱلْأَغْصَانِ بِٱلسُّكْرِ   تَتَثَنَّى فِي غَلَائِلِ خُضْرِ

« ومن موشح للفقيه عبد الله بن زمرك »

لازمة

بِٱللهِ يَا قَامَةَ ٱلْقَضِيبْ   وَمُخْجِلَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرْ
مَنْ مَلَّكَ ٱلْحُسْنَ فِي ٱلْقُلُوبْ   وَأَيَّدَ ٱللَّحْظَ بِٱلْحَوَرْ

دور

مَنْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُهُ رَقِيقَا   لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ ٱلصِّبَا
فَرُبَّ حُرٍّ غَدَا رَقِيقَا   تَمْلِكُهُ نَفْحَةُ ٱلصَّبَا
نَشْوَانُ لَمْ يَشْرَبِ ٱلرَّحِيقَا   لٰكِنْ إِلَى ٱلْحُسْنِ قَدْ صَبَا

فَعَذَّبَ ٱلْقَلْبَ بِٱلْوَجِيبْ وَنَعَّمَ ٱلْعَيْنَ بِٱلنَّظَرْ
وَبَاتَ وَٱلدَّمْعُ فِي صَبِيبْ يَقْدَحُ مِنْ قَلْبِهِ ٱلشَّرَرْ

دور

عَجِبْتُ مِنْ قَلْبِي ٱلْمُعَنَّى يَهْفُو إِذَا هَبَّتِ ٱلرِّيَاحْ
لَوْ كَانَ لِلصَّبِّ مَا تَمَنَّى لَطَارَ شَوْقاً بِلا جَنَاحْ
وَبُلْبُلُ ٱلدَّوْحِ إِذْ تَغَنَّى أَسْهَرَ لَيْلِي إِلى ٱلصَّبَاحْ
عَسَاكَ إِنْ زُرْتَ يَا طَبِيبِي بِٱلطَّيْفِ فِي رَقْدَةِ ٱلسَّحَرْ
أَنْ تَجْعَلَ ٱلنَّوْمَ مِنْ نَصِيبِي وَٱلْعَيْنُ تُحْمَى مِنَ ٱلسَّهَرْ

دور

كَمْ شَادِنٍ قَادَ لِي ٱلْحُتُوفَا بِمَرْبَعِ ٱلْقَلْبِ قَدْ سَكَنْ
يَسُلُّ مِنْ لَحْظِهِ سُيُوفَا فَٱلْقَلْبُ بِٱلرَّوْعِ مَا سَكَنْ
خُلِقْتُ مِنْ عَادَتِي أَلُوفَا أَحِنُّ لِلإِلْفِ وَٱلسَّكَنْ
غِرْنَاطَةُ مَنْزِلُ ٱلْحَبِيبِ وَقُرْبُهَا ٱلسُّؤْلُ وَٱلْوَطَرْ
تَبْهَرُ بِٱلْمَنْظَرِ ٱلْعَجِيبِ فَلا عَدَا رَبْعَهَا ٱلْمَطَرْ



الشفاء [1]

« موشح للمرحوم سليمان البستاني »

أَفِقْ وَلَوْ حِيناً قُبَيْلَ ٱلرَّحِيلْ   لَمْ يَبْقَ مِنْ صَحْوِكَ إِلَّا ٱلْقَلِيلْ
أَفِقْ فَذِي شَمْسُكَ رَأْدَ ٱلأَصِيلْ
إِنْ آذَنَتْ بِٱلْعُبُورْ   عَمَّ   ٱلظَّلَامْ
وَنِمْتَ عَارِيَ ٱلشُّعُورْ   بَيْنَ   ٱلنِّيَامْ
وَفَاتَكَ ٱلْحِسُّ وَسَمْعُ ٱلْكَلَامْ   وَٱلْمَنْطِقُ ٱلْعَذْبُ وَمَرْأَى ٱلْجَمِيلْ

* * *

فَقُمْ إِذاً وَٱنْسَحْ بِهٰذِي ٱلرُّبُوعْ   مُذْ خَمِدَتْ نِيرَانُ وَارِي ٱلضُّلُوعْ
وَحَبَسَ ٱلْجَفْنُ هَوَامِي ٱلدُّمُوعْ
وَعَادِيَاتُ   ٱلزَّمَانْ   عَلى   ٱرْتِحَالْ
وَفِي سَمَاءِ ٱلأَمَانْ   هَلَّ   ٱلْهِلَالْ
فَرَيْثَمَا يَبْلُغُ حَدَّ ٱلْكَمَالْ   لَا تُجْزِعِ ٱلنَّفْسَ بِقَالٍ وَقِيلْ

* * *

وَٱرْتَقِبِ ٱلْفُرْصَةَ حَتَّى إِذَا   عَاوَدَكَ ٱلْحَوْلُ وَخَفَّ ٱلأَذَى
أَفْرَغْتَ مِنْ جُهْدِكَ هٰذَا وَذَا

---

(١) نظمه رحمه الله بعد نقهه في ايام الربيع في احد مستشفيات سويسرا في ايار سنة ١٩١٩

فَفِي بِقَاعِ ٱلرَّبِيعْ رَدِّدْ خُطَاكْ
وَفِي ٱلْيِفَاعِ ٱلْبَدِيعْ بَدِّدْ شَجَاكْ
فَذٰلِكَ ٱلْبَلْسَمُ فِيهِ شِفَاكْ إِنْ قُدِّرَ ٱلْبُرْءُ لِهٰذَا ٱلْعَلِيلْ

***

أَطِلَّ مِنْ شُرْفَتِكَ ٱلْعَالِيَهْ وَسَرِّحِ ٱلطَّرْفَ عَلَى ٱلرَّابِيَهْ
بَيْنَ غِيَاضٍ بَرَزَتْ زَاهِيَهْ
بِوَشْيِ ثَوْبٍ قَشِيبْ زَاهِي ٱلرَّشَاشْ
يَشْرَحُ صَدْرَ ٱلْغَرِيبْ مَا ٱلْجَأْشُ جَاشْ
لَا يُتَّقَى فِيهَا رَقِيبٌ وَوَاشْ وَلَا مِنَ ٱلظُّلَّامِ سَيْفٌ سَلِيلْ

***

مِنْ بَحْرِ لِيمَانٍ إِلَى مُنْرِيَانْ (١) بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ غِيَاضٌ حِسَانْ
زُمُرُّدِيٌّ فَرْشُهَا كَٱلْجِنَانْ
مِنْ دُونِهِنَّ ٱلْخَلِيجْ صَافِي ٱلْغِمَارْ
ذِكْرَى فُرُوقٍ يَهِيجْ (٢) عِنْدَ ٱلْحِصَارْ (٣)

---

(١) (Lac Leman) ليان بحيرة كبيرة في سويسرا ومونريان (Mont Riant) ومعناها الجبل الضاحك هضبة مشرفة على بحيرة ليان وفيها المستشفى حيث نظمت هذه القصيدة (٢) لقطب القسطنطينية (٣) روملي حصار واناطولي حصار برجان مبنيان علي مضيق في البوسفور ومن هناك دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وبين منظر خليج البوسفور في تلك الجهة ومنظر البحيرة في منريان شبه باهر

عُبَابُهُ يَمْخُرُ فِيهِ ٱلْبُخَارْ   بِآنِسٍ ثَاوٍ وَغَادٍ نَزِيلْ

***

تَخْدِقُ فِيهِ ٱلْهِضَبُ ٱلرَّاسِخَاتْ   مِنْ فَوْقِهِنَّ ٱلْقِمَمُ ٱلشَّامِخَاتْ
تَزِينُهُنَّ ٱلِّلمَمُ ٱلنَّاصِعَاتْ

شِيبٌ وَلٰكِنْ عَلَى عَزْمِ ٱلشَّبَابْ
فَمَا ٱسْتَذَلَّتْ وَلَا هَوْلًا تَهَابْ

كَأَنَّ قَسَّامَ ٱلْحُظُوظِ ٱسْتَطَابْ   بَقَاءَهَا لِلدَّهْرِ جِيلًا فَجِيلْ

***

مَهٍ فَقَدْ أَقْبَلَ جَيْشُ ٱلضَّبَابْ   يَنْفُثُهُ ٱلْيَمُّ بِوَجْهِ ٱلْعُبَابْ
مِثْلَ دُخَانِ ٱلْقِدْرِ مَرْأًى عُجَابْ

يَبْدُو بُخَاراً لَطِيفْ بِلا ٱلْتِئَامْ
ثُمَّ رُكَاماً كَثِيفْ مِثْلَ ٱلْغَمَامْ

حَتَّى إِذَا كَٱلْجَيْشِ تَمَّ ٱنْتِظَامْ   إِلَى سَحَابٍ نَاصِعٍ يَسْتَحِيلْ

***

يَنْشُرُ جُنْحَيْهِ عَلَى ٱلضَّفَّتَيْنْ   وَيَتَمَطَّى بِكِلَا ٱلْجَانِبَيْنْ
فَيَحْجُبُ ٱلنُّورَ عَنِ ٱلْمُقْلَتَيْنْ

تُلْفِيهِ بَحْراً يَمُوجْ بَيْنَ ٱلْجِبَالْ
وَمَا لِتِلْكَ ٱلْمُرُوجْ فِيهِ خَيَالْ

بَحْرٌ عَلى بَحْرٍ بَدِيعُ ٱلْجَمَالْ هٰذا عَلى ذَيَّاكَ أَرْخَى ٱلسَّدِيلْ

***

يَعْلُو ٱلْهُوَيْنا صُعُداً فِي ٱلْخَلاءْ مُنْدَغِماً مُنْبَسِطاً بِٱسْتِوَاءْ
يَغْمُرُ مِثْلَ ٱلْمَدِّ وَجْهَ ٱلْفَضَاءْ

فَإِنْ تَوَارَى ٱلشَّجَرْ مِنْ بَعْدِ حِينْ
ذَكَّرْتَ مَاضِي ٱلْعِبَرْ فِي ٱلْأَوَّلِينْ
فَقُلْتَ حُوْرَ ٱلْمَاءِ هَزَّ ٱلْحَنِينْ لِلْقَعْرِ إِذْ غَاصَتْ تَرُومُ ٱلْمَقِيلْ

***

وَإِنْ أَتَى ٱللَّيْلُ وَلَاحَ ٱلْقَمَرْ رَأَيْتَهُ يَلْمَعُ مِثْلَ ٱلدُّرَرْ
فَبِتَّ رَيَّانَا قَرِيرَ ٱلْبَصَرْ

وَقُمْتَ عِنْدَ ٱلصَّبَاحْ وَقَدْ دَهَاكْ
فَلا تَرَى فِي ٱلْبَرَاحْ وَقْعَ خُطَاكْ
نَظُنُّكَ ٱلْأَعْمَى فَتَأْبَى ٱلْحَرَاكْ إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ تَتْلُو ٱلدَّلِيلْ

***

مِنْ تَحْتِهِ شَمْسٌ سَنَاهَا يُنِيرْ وَفَوْقَهُ شَمْسٌ تَشُقُّ ٱلْأَثِيرْ
بَيْنَهُمَا كَٱلطَّيْرِ أَضْحَى يَطِيرْ

مُحَلِّقاً فِي ٱلرَّقِيعْ دَوْماً يَحُومْ
حَتَّى أَخِيراً يَضِيعْ مِثْلَ ٱلنُّجُومْ

مُندَمِجاً فِي سَابِحَاتِ ٱلْغُيُومْ أَوْ عَابِثَاتِ ٱلرِّيحِ أَنَّى تَمِيلْ

***

وَٱلآنَ وَٱلْغَيْهَبُ فِي ٱلأُفْقِ غَابْ قُمْ وَتَمَتَّعْ بَيْنَ رَوْضٍ وَغَابْ
بِنَسَمَاتٍ نَافِحَاتٍ عِذَابْ

وَٱلطَّيْرُ مِصْدَاحُهُ بَادِي ٱلْحَنَانْ
وَٱلْمَاءُ وَضَّاحُهُ طَلْقُ ٱلْعِنَانْ
جَدَاوِلٌ تَنْسَابُ كَٱلأُفْعُوَانْ مِثْلَ ٱللُّجَيْنِ ٱلْبَضِّ وَسْطَ ٱلْمَسِيلْ

***

وَمَا أُحَيْلاهُ حَضِيضاً كُسِي خَمَائِلاً مِنْ عَاطِرِ ٱلنَّرْجِسِ
تَسْبِي ٱلنُّهَى كَٱلْمُقَلِ ٱلنُّعَّسِ
نَشْرُ شَذَاهَا يَفُوحْ ذَاكِي ٱلشَّمِيمْ
تَلْقَى بِوَجْهٍ صَبُوحْ خَطْرَ ٱلنَّسِيمْ
فَٱلْمُغْرَمُ ٱلْمَفْتُونُ فَوْزاً يَهِيمْ بِٱلْقَدِّ مَيَّاساً وَخَدٍّ أَسِيلْ

***

خُضْرُ ٱلطُّلَى ٱلْغَيْدَاءِ بِيضُ ٱلرُّؤُوسْ كَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَنْضُودِ فَوْقَ ٱلْكُؤُوسْ
تَتِيهُ تَحْتَ ٱلرِّيحِ تِيهَ ٱلْعَرُوسْ
مُنْتَشِرَاتٌ عَلَى تِلْكَ ٱلْقِفَارْ
ظِبَاءُ بَرٍّ بِلا ذَاكَ ٱلنِّفَارْ

تَحْتَ ٱلثُّرَيَّا كَٱلثُّرَيَّا[1] يَحَارْ   عَقْلٌ بِهَا طَرْفَ ٱبْتِهَاجٍ يُجِيلْ

***

وَحَبَّذَا تِلْكَ ٱلرُّبَى وَٱلْحُقُولْ   وَٱلْغِيدُ وَٱلْفِتْيَانُ فِيهَا تَجُولْ
كَأَنَّهَا ٱلْغِزْلَانُ فَوْقَ ٱلسُّهُولْ
بِجَنْيِهَا لِلزُّهُورْ تَنْفِي ٱلْعَنَا
وَضَمِّهَا لِلصُّدُورْ تُلْفِي ٱلْمُنَى
زَهْرٌ عَلَى زَهْرٍ تَرَاهُ ٱنْحَنَى   كِلَاهُمَا مَرْآهُ يَشْفِي ٱلْغَلِيلْ

***

وَٱلشَّمْسُ إِينَاساً لِتِلْكَ ٱلزُّمَرْ   تَبْدُو فَتَخْفَى مِثْلَ لَمْحِ ٱلْبَصَرْ
وَتَتَوَارَى دَفَعَاتٍ أُخَرْ
كَٱلطِّفْلِ إِذْ يَخْتَبِي خَلْفَ ٱلظُّهُورْ
يَضْحَكُ لِلْمَلْعَبِ بَيْنَ ٱلْحُضُورْ
يَلْهُو وَيُلْهِيهِمْ بِمِلْءِ ٱلسُّرُورْ   وَٱللُّطْفُ مِنْ خَدَّيْهِ شَهْداً يَسِيلْ

***

وَإِنْ تَمِلْ يَاقُوتَةٌ لِلْمَغِيبْ   مِنْ لُبِّ لِيمَانٍ تَعَالَى ٱللَّهِيبْ
كَٱلصَّبِّ تِلْقَاءَ وِدَاعِ ٱلْحَبِيبْ

---

(١) المراد بالثريا الجبل المشرف على حقول النرجس ويسمى عندهم باسم النجم المعروف (les Pleiades)

وَتَمَّ سِنُّ ٱلْجَنُوبِ[1] فِي مُرْتَقَاهُ
يَكَادُ عَطْفاً يَذُوبُ ثَلْجُ كَسَاهُ
ضَمَائِمَ ٱلْوَرْدِ بِأُفْقٍ عَلَاهُ تَحِيَّةً يُهْدِي كَإِلْفٍ خَلِيلْ

***

هٰذِي بِـلَادٌ يَالَهَا مِنْ بِلَادْ زَيَّنَهَا مَعْبُودُهَا وَٱلْعِبَادْ
مِنَ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمِّ حَتَّى ٱلْوِهَادْ
وَمِنْ مَجَارِي ٱلنُّهُورْ إِلَى ٱلْقِفَارْ
وَمِنْ عَوَارِي ٱلصُّخُورْ إِلَى ٱلدِّيَارْ
أَيْدٍ تَسَابَقْنَ بِسُبْلِ ٱلْعَمَارْ وَلَيْسَ مَنْ مِنْهُنَّ ضَلَّ ٱلسَّبِيلْ

***

مَعَاهِدٌ لِلْعِلْمِ فِي كُلِّ نَادْ يَؤُمُّهَا ٱلطُّلَّابُ مِنْ كُلِّ وَادْ
مَصَانِعٌ شِيدَتْ بِأُسِّ ٱجْتِهَادْ
مَلَاجِئٌ لِلْيَتِيمْ وَلِلْـفَقِـيرْ
مِنْ وَطَنِيٍّ مُقِيمْ أَوْ مُسْتَجِيرْ
مُسْتَشْفَيَاتٌ بِٱلْعَدِيدِ ٱلْوَفِيرْ هَيْهَاتَ فِي ٱلدُّنْيَا لَهَا مِنْ مَثِيلْ

***

سَائِمَةٌ يَعْتَزُّ حُرَّاسُهَـا تَرِنُّ فِي ٱلْأَعْنَاقِ أَجْرَاسُهَـا
تُبْهِجُهُمْ فِي ٱلْحَقْلِ أَكْدَاسُهَا

---

(١) سن الجنوب (Dent de midi) جبل مشرف على بحيرة ليمان

وَدَاجِنٌ فِي ٱلْبُيُوتْ فِيهِ أَعْتَنِي
كَسْبٌ وَذُخْرٌ وَقُوتْ لِلْمُقْتَنِي
كُلُّ يَدٍ مِنْ كَدِّهَا تَجْتَنِي لَاخَامِلٌ فِيهَا وَلَا مُسْتَقِيلْ

. . .

وَحَيْثُ لَازَرْعَ فَغَابٌ كِثَافْ وَحَيْثُ لَاضَرْعَ فَخَيْرُ ٱحْتِرَافْ
وَمِنْ أَعَالِي ٱلطَّوْدِ حَتَّى ٱلضِّفَافْ
فِي نَائِيَاتِ ٱلْقُرَى سِلْكُ ٱلْبَرِيدْ
وَمُحْكَمَاتُ ٱلْعُرَى طُرْقُ ٱلْحَدِيدْ
مِثْلُ ٱلشَّرَايِينِ بِجِسْمٍ شَدِيدْ تُورِثُهُ ٱلْعَزْمَ لِعُمْرٍ طَوِيلْ

***

وَحَيْثُمَا تُمْسِي فَمَغْنَى طَرَبْ وَحَيْثُمَا تَغْدُو فَمَرْأَى عَجَبْ
حَدَائِقٌ تَصُدُّ دَاهِي ٱلْكُرَبْ
فَنَادِقٌ لِلضُّيُوفْ مِثْلَ ٱلْقُصُورْ
تَلْقَى نُزُولَ ٱلْأُلُوفْ فِيهَا تَمُوزْ
وَيَتَكَافَا زَائِرٌ وَٱلْمَزُورْ بِكَرَمِ ٱلْمَثْوَى وَمَالٍ جَزِيلْ

***

سُوِيسَرَا مُنْتَجَعَ ٱلرَّائِدِ وَبَهْجَةَ ٱلشَّارِدِ وَٱلْوَارِدِ
وَمَوْعِدَ ٱلرَّاحِلِ وَٱلْوَافِدِ
لَوْلَا ٱغْبِرَارُ ٱلسَّمَاءْ آنًا فَآنْ

تَقَلَّبٌ فِي ٱلْهَوَاءْ يَشْجُو ٱلْجَنَانْ
لَكُنْتِ فِرْدَوْساً بِهٰذَا ٱلزَّمَانْ عُمْرَ ٱلْخَلِيِّ ٱلْبَالِ دَهْراً يُطِيلْ

***

بَيْنَا تَرَى ٱلْغَيْمَ رُكَاماً رُكَامْ يَحْشُدُ مُزْبَدًّا جُيُوشَ ٱلظَّلَامْ
وَٱلْقَلْبُ خَفَّاقٌ لِهَوْلِ ٱلْقِتَامْ
وَقَاصِفَاتِ ٱلرُّعُودْ وَٱلزَّمْهَرِيرْ
وَٱلْغَيْثُ هَامٍ يَجُودْ سَيْلاً غَزِيرْ
إِذَا بِقَرْنِ ٱلشَّمْسِ زَاهٍ يُنِيرْ وَٱلْحَرُّ إِثْرَ ٱلْقُرِّ يُورِي ٱلشَّعِيلْ

***

وَبَيْنَمَا ٱلْحَرُّ يُثِيرُ ٱلشُّجُونْ عَلَى شُعَاعٍ بَاهِرٍ لِلْعُيُونْ
إِذَا بِغَيْمِ ٱلطُّودِ غَطَّى ٱلْحُزُونْ
وَٱلْجَوُّ بَعْدَ ٱلصَّفَاءْ قَدِ ٱكْفَهَرّْ
وَبَارِقُ ٱلْكَهْرَبَاءْ أَدْمَى ٱلْبَصَرْ
وَمَطَرٌ مِثْلَ ٱلزِّعَابِ ٱنْهَمَرْ حَتَّى لُبَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْهُ بَلِيلْ

***

ذَكَرْتُ لُبْنَانَ وَهَاجَ ٱلْحَنِينْ فُؤَادِيَ ٱلْعَانِي لِذَاكَ ٱلْعَرِينْ
قَدْ عَزَّ مَنْآهُ طِوَالَ ٱلسِّنِينْ
فَأَيْنَ تِلْكَ ٱلْفُصُولْ بِلَا ٱنْحِرَافْ

وَأَيْنَ تِلْكَ ٱلتُّلولْ وَٱلْجوُّ صَافْ
وَأَيْنَ مَاءٌ فِيهِ مُحْيٍ وَشَافْ وَأَيْنَ ذَيَّاكَ ٱلنَّسِيمُ ٱلْعَلِيلْ

* * *

فَهَلْ تُرَى يَفسَحُ آتِي ٱلْأَجَلْ حَتَّى بِهِ تُغمَضُ مِنكَ ٱلْمُقَـلْ
وَأَرْضُ سُورِيَّا مَحَطُّ ٱلْأَمَلْ
وَلَوْ زَمَانًا يَسِيرْ قَبْلَ ٱلْفَوَاتْ
إلى حِمَاهَا تَسِيرْ تُلْفِي ٱلرُّفَاتْ
وَأَهلَهَا تُلفِي قُبَيْـلَ ٱلْمَمَاتْ بِمَرْتَعِ ٱلرَّغْدِ وَعَيْشٍ خَضِيلْ

« نهر الصفا »

« موشح لرشيد بك نخله »

يَا صَفَا ٱلْعَيْشِ عَلَى نَبْعِ ٱلصَّفَا حَسْبُ حَظِّي مِنكَ ذِكْرَى وَكَفَى
لَا رَعَى ٱللهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْوَفَا
إِنْ تَـكُن تُنْسَى عُهُودٌ بَيْنَنَا !

* * *

أَنْتَ أَحلامُ ٱللَّيَالِي ٱلْمَاضِيَاتْ ذَهَبِيُّ ٱلذِّكْرِ فِضِيُّ ٱلصِّفَاتْ
عَنبَرِيُّ ٱلتُّرْبِ دَهرِيُّ ٱلنَّبَات
كَوْثَرِيُّ ٱلْمَاءِ دُرِّيُّ ٱلسَّنَا

* * *

شَجَرُ ٱلصَّفْصَافِ حَوْلَيْكَ رَكَعْ وَٱنْحَنَى ٱلنَّعْثُ مُذْ ٱلبُطْمُ خَشَعْ
وَهَوَى ٱلشَّرْبِينُ وَٱلدُّلْبُ خَضَعْ
وَتَهَادَى ٱلمَيْسُ وَٱلْحَوْزُ ٱنْثَنَى

***

لَفَّكَ ٱلْوَزَّالُ سَاقاً فَوقَ سَاق إِذْ رَأَى ٱللَّبْلابَ يَصْبُو لِلعِنَاق
فُرِشَ ٱلْعَوْسَجُ مَنْعاً لِلتَّلاق
وَلَهُ ٱلنَّرْجِسُ بَثَّ ٱلأَعْيُنَا

***

غَارَتِ ٱلدِّفْلَى وَغَارُ ٱلْغَابِ غَارْ وَتَلَظَّى ٱلشِّيحُ حِقْدًا وَٱلْعَرَار
ضَحِكَ ٱلفُلُّ عَلى طَيْشِ ٱلْبَهَار
وَغَدَا ٱلرَّنْدُ يُنَاغِي ٱلسَّوْسَنَا

***

فَشَجَا ٱلأَطْيَارَ مِنْهَا نَغَمَاتْ حَفُّ أَوْرَاقٍ يُحَاكِي ٱلزَّفَرَاتْ
وَغَدَا يَفْتِنُ شَدْوُ ٱلشَّادِيَاتْ
كُلَّ مَنْ فِي عُمْرِهِ مَا ٱفْتَتَنَا ! ...



الباب الرابع

الشعر الحديث

١ً الشعر الوصفي

الداء (١)

« بقلم المرحوم سليمان البستاني »

أَلَمْ تَسْأَمْ وَعَيْشُكَ بَاتَ مُرًّا تُوَسَّدُ مِنْ لَظَى ٱلْآلَامِ جَمْرَا
تُقَلَّبُ فِي فِرَاشِ ٱلسُّقْمِ جَنْباً لِجَنْبٍ مُوقَداً بَطْناً وَظَهْرَا
وَجَفْنُكَ لَا يَذُوقُ ٱلْغُمْضَ سُهْداً وَإِنْ هَجَعَتْ عُيُونُ ٱلنَّاسِ طُرًّا
إِذَا ٱنْقَشَعَ ٱلظَّلَامُ رَصَدْتَ لَيْلًا وَإِنْ هَجَمَ ٱلدُّجَى رَاقَبْتَ فَجْرَا
تَلُوحُ لَكَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْبِيضُ سُوداً وَوَجْهُ ٱلْأُفْقِ يَبْدُو مُكْفَهِرًّا
يَقُولُ لَكَ ٱلْإِسَى صَبْراً وَأَنَّى عَلَى هٰذَا ٱلْعَذَابِ تُطِيقُ صَبْرَا
إِذَا عَالَجْتَ عُضْواً هِجْتَ عُضْواً وَإِنْ دَاوَيْتَ رَأْساً هِضْتَ صَدْرَا
كَأَنَّ بِكُلِّ عِرْقٍ مِنْكَ دَاءً تُسَكِّنُ عِلَّةً فَتَثُورُ أُخْرَى
فَمِنْ وَخْزٍ يَحِزُّ ٱلْعَظْمَ هَصْراً وَمِنْ نَخْسٍ يُؤُزُّ ٱللَّحْمَ عَصْرَا

---

(١) نظمها في احد مستشفيات سويسرا في ١٧ تموز سنة ١٩١٨ بعد انتياب الحمى له واشتداد آلامها عليه

وَمِنْ عَصَبٍ تَقَطَّعَ خِلْتَ فِيهِ صِلاَءً مِنْ حَمِيمٍ مُسْتَمِرًّا
وَأَحْشَاءٍ تَقُولُ بِهَا كُلُومٌ عَلَى كَبِدٍ مِنَ ٱلنِّيرَانِ حَرَّى
وَأَعْضَاءٍ تَرَجْرَجَتِ ٱرْتِجَافاً وَأَبْصَارٍ تَكَادُ تَرِيغُ حَسْرَى

* * *

وَقَالُوا صِفْ عِلاَجَكَ قُلْتُ ضَيْمٌ أُحَمَّلُهُ لِدَفْعِ ٱلضُّرِّ ضُرًّا
فَحِينَ أَهُبُّ مِمَّا قَدْ دَعَوْهُ رُقَاداً وَهْوَ مِنِّي قَدْ تَبَرَّا
لِكَهْفِ ٱلْكَهْرَبَاءِ أُقَادُ حَتَّى مَجَارِيهَا تُسَاقُ إِلَيَّ جَرَّا
كَأَنَّ لَهَا شُعُوراً بِٱلتِيَاعِي فَتُسْمِعُنِي أَنِينَ ٱلْحُزْنِ جَهْرَا
فَمِنْ ظَهْرٍ إِلَى بَطْنٍ وَفَخْذٍ صَفَائِحُ تُرْمِضُ ٱلْأَعْضَاءَ حَرًّا
إِذَا عَلَتِ ٱلْأَدِيمَ وَأَلْهَبَتْهُ ذَرَتْ كُلَفاً بِهِ سُوداً وَحُمْرَا
فَأَلْقَى بَعْدَ ذٰلِكَ فِي فِرَاشِي زَمَاناً خِلْتُ مِنْهُ ٱلْجُزْءَ دَهْرَا
وَقَدْ غُمِسَتْ رِفَادَاتٌ بِمَاءٍ غَلَى حَتَّى كَوَى كَيًّا أَشَرَّا
فَأَسْلَفِي فَتَأْتِينِي تِبَاعاً إِلَى أَنْ يَقْرَعَ ٱلنَّاقُوسُ ظُهْرَا
فَيُوْتَى لِي بِزَادٍ مِنْ إِدَامٍ زَهِيدٍ يُورِثُ ٱلزُّهَّادَ كُفْرَا
عَلَيَّ فَكُلُّ ذِي رُوحٍ حَرَامٌ سَوَاءٌ مَا نَشَا بَرًّا وَبَحْرَا
كَذَا ٱلثَّمَرُ ٱلشَّهِيُّ وَكُلُّ بَقْلٍ إِنِ ٱحْلَوْلَى سَوَاءٌ أَوْ أَمَرَّا
وَكُلُّ تَوَابِلِ ٱلزَّادِ ٱلْمُزَجَّى أَيُبْساً كُنَّ أَمْ قُدِّمْنَ خُضْرَا
فَإِنْ رَمَقِي سَدَدْتُ بِهِ أُعِيدَا ٱلْـ نَّطُولُ بِنَارِهِ شِفْعاً وَوِتْرَا

أَظَلُّ بِصَبْرِ أَيُّوبٍ أُكَوَّى   بِــهِ حَتَّى يَحِينَ ٱلْوَقْتُ عَصْرَا
فَأُدْخَلُ مِسْبَحَ ٱلْكِبْرِيتِ فِيـهِ   أُقِيمُ دَقَائِقـاً خَمْساً وَعَشْرَا
فَمِنْ نَارٍ إِلَى نَارٍ فَنَارٍ   وَهٰـذَا مُنْتَهَى ٱلنِّيرَانِ تَتْرَى
وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ جَرَعَاتِ مَاءٍ   وَلَا مَا صُبَّ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ قَطْرَا
وَلَا مَـاءَ ٱلْمِضَخَّةِ حَيْثُ تَلْقَى   لَظَى سَـقَرٍ وَقُرًّا مُزْمَهِرًّا
وَلَا ٱلْإِبَرَ ٱلنَّوَاخِسَ نَافِثَـاتٍ   مُخَدِّرَ أَزْمَـةٍ لَزْبَاءَ تَطْرَا
وَلَا مَا جَاءَ غِبًّا بَعْدَ غِبٍّ   وَلَا مَا أَمْرُهُ قَـدْ كَانَ يُسْرَا
وَلٰكِنْ عَنْ مَرَارَةِ كُـلِّ يَوْمٍ   أُحَـدِّثُ لِلْمَلَا عِبَراً وَذِكْرَى
وَإِنْ أَزِفَ ٱلْمَسَاءُ وَخُرْتُ عَزْماً   أَتَى ٱلْمَسَّادُ مِهْرَاعـاً مِكَرًّا
فَيَدْلُكُ بِٱلْمَرَاهِمِ جِسْمَ حَيٍّ   كَمَيْتٍ، يُصْعِدُ ٱلْأَنْفَـاسَ زَفْرَا
وَأُعْطَى ٱلْقُوتَ مَا أُعْطِيتُ قَبْلًا   فَأَقْبَـلُهُ بِكُرْهِ ٱلنَّفْسِ جَبْرَا
وَيَرْجِعُ بَعْدَ ذَا ٱلْمَسَّادُ لَيْلًا   فَيُلْفِينِي ضَئِيـلًا مُقْشَعِرًّا
وَكَادَتْ تَبْلُغُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّرَاقِي   وَكِدْتُ أَرَى حَيَاةَ ٱلْمَرْءِ نُكْرَا
فَذَا دَائِي وَذَاكَ عِـلَاجُ دَائِي   وَلَسْتُ بِعَالِمٍ أَيًّا أَمَرَّا

* * *

تَحُفُّ بِكَ ٱلْأُسَاةُ وَلَسْتَ تَقْضِي   لِذَاكَ ٱلْعَطْفِ مَا بَالَغْتَ شُكْرَا
وَمِنْ حَـوْلَيْكَ ثَمَّ مُمَرِّضَاتٌ   حَنِينَ ٱلْأُمَّهَاتِ تَخِذْنَ نَذْرَا
وَمَا يُجْدِي ٱلْعِلَاجُ وَجُهْدُ آسٍ   بِدَاءٍ أَثْقَـلَ ٱلْجُثْمَانَ وَقْرَا

وَبَرَّحَ فِي خَلَايَا ٱلْجِسْمِ حَتَّى   تَجَاوَزَهَا وَفِي ٱلنَّفْسِ ٱسْتَقَرَّا
فَتِلْكَ ٱلْعِلَّةُ ٱلْكُبْرَى لَدَيْهَا   حَسِبْتُ مَضَاضَةَ ٱلْأَدْوَاءِ نَزْرَا
وَحِيدٌ فِي بِلَادٍ لَسْتَ مِنْهَا   وَإِنْ طَابَتْ وَكَانَ ٱلْأُنْسُ وَفْرَا
بَعِيدٌ عَنْ حِمَى أَهْلٍ وَرَهْطٍ   بِهِ نَثَرَتْهُمُ ٱلْأَقْدَارُ نَثْرَا
رِيَاضٌ زَاهِرَاتٌ بِتْنَ بُوراً   وَدُورٌ عَامِرَاتٌ بِتْنَ قَفْرَا
وَأَعْمَالٌ وَآمَالٌ تَلَاشَتْ   بِرَصْفِ بِنَائِهَا أَفْنَيْتَ عُمْرَا
بِنَاءٌ شَامِخٌ قَدْ دُكَّ دَكّاً   وَطَوْدٌ رَاسِخُ ٱلْأَرْكَانِ خَرَّا

* * *

أَشَأْنُكَ ذَا وَبَعْدُ تَرُومُ عَيْشاً   وَتَعْقِدُ نِيَّةً وَتَقُولُ شِعْرَا
أَجَلْ إِنَّ ٱلرَّغَائِبَ خَادِعَاتٌ   يَقُدْنَ ٱلنَّفْسَ حَيْثُ عَمَدْنَ قَسْرَا
وَلٰكِنِّي وَحَقِّكَ لَيْسَ حِرْصاً   عَلَى ٱلدُّنْيَا ٱسْتَطَبْتُ بِهَا ٱلْمَقَرَّا
خَبَرْتُ هِنَاتِهَا ٱلْجُلَّى وَإِنِّي   بَلَوْتُ مَذَاقَهَا حُلْواً وَمُرَّا
فَلَيْسَ بِرَائِعِي عَنْهَا ٱرْتِحَالٌ   وَلَيْسَ بِرَائِقِي أَنْ أَسْتَمِرَّا
كَفَتْنِي قِسْمَتِي مِنْهَا وَلَيْسَ ٱلْأُولَى   قَدْ جَاوَزُوا ٱلسِّتِّينَ كُثْرَا
عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ ٱلْيَأْسَ عَجْزاً   يُثَبِّطُ هِمَّةً وَيَزِيدُ قَهْرَا
وَيُؤْلِمُنِي ٱنْتِثَارُ نِتَاجِ جُهْدِي   وَقَدْ سَدَلَ ٱلزَّمَانُ عَلَيْهِ سِتْرَا
وَلِي وَطَنٌ تَثَقَّلَ كَاهِلَاهُ   وَأَهْلُوهُ يُعَانُونَ ٱلْأَمَرَّا
لَهُمْ وَلَهُ عَلَيَّ دُيُونُ حُرٍّ   أَرُومُ وَفَاءَهَا فَأَمُوتَ حُرَّا

وَبَعْدَ قَضَاء ذٰلِكَ لَا أُبَالِي أَطَالَ ٱلْعُمْرُ أَمْ أُلْحِدْتُ قَبْرَا
وَإِنْ تَغْلِ ٱلْمَنِيَّةُ قَبْلَ هٰذَا فَإِنَّ بِنِيَّةِ ٱلْإِخْلَاصِ عُذْرَا

نابليون الاول وجندي يموت

« لخليل مطران »

أَمَاتَ أُولٰئِكَ ٱلْجُنْدُ ٱلْكِرَامُ وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ أَثَرٌ مُقَامُ
سِوَى قَوْلِ ٱلرُّوَاةِ حَيُوا لِيَقْضُوا مُنَى رَجُلٍ كَبِيرٍ ثُمَّ نَامُوا
تَفَانَوْا فِي بِنَاء ٱسْمٍ عَظِيمٍ وَمَا أَسْمَاؤُهُمْ إِلَّا ٱلرَّغَامُ
يُسَخِّرُ رَبُّكَ ٱلدُّنْيَا لِفَانٍ لَهُ وَلِرَبِّهِ فِيهِ مَرَامُ
وَقَدْ يُلْقِي مَحَبَّتَهُ عَلَيْهِ فَتُوشِكُ أَنْ تُوَحِّدَهُ ٱلْأَنَامُ
كَذَاكَ أَحَبَّ نَابُلْيُونَ جُنْدٌ هُمُ بِفَخَارِهِ نَهَضُوا وَقَامُوا
أَبَالِسُ لَا تُرَدُّ وَلَا تُلَاقَى مَلَائِكُ لَا تُصَدُّ وَلَا تُضَامُ
أَعِزَّةُ يَوْمَ أُسْتِرْلِتْسَ كَانُوا قَلِيلًا وَٱلْعِدَى كُثُرٌ ضِخَامُ
تَلَاقَوْا مُقْبِلِينَ عَلَى ٱشْتِيَاقٍ وَلٰكِنْ لَا وِدَادُ وَلَا سَلَامُ
وَكَانَتْ قُبْلَةُ ٱلْأَشْوَاقِ فِيهِمْ ضِرَابًا لَا تَقِرُّ عَلَيْهِ هَامُ
وَطَالَ وَمَا شَفَى لَهُمُ غَلِيلًا مِنَ ٱلْوَجْدِ ٱلتَّعَانُقُ وَٱلْتِزَامُ
فَلَمْ يَكُ مُجْدِيَ ٱلرُّوسِ ٱلتَّفَانِي وَلَا ٱلْحُلَفَاء بَأْسٌ وَٱقْتِحَامُ
وَلَا عَصَمَ ٱلصَّقِيعُ وَكَانَ مِنْهُ مَعَاقِلُ خَلْفَهَا لَهُمُ ٱعْتِصَامُ
وَقُيِّضَ لِلْفِرَنْسِيِّينَ نَصْرٌ أَتَاهُمْ فَوْقَ مَا ظَنُّوا وَرَامُوا

فَطَابُوا فِي ٱلْغَبُوقِ بِهِ نُفُوساً   وَلَذَّ لَهُمْ مَعَ ٱلظَّفَرِ ٱلْمُدَامُ
وَحَدَّثَ قَوْمَهُ ٱلصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ   بِمَا كَانَتْ وَقَائِعُهُ ٱلْجِسَامُ
وَكَانَ فَتًى لَهُ سِيمَا زَعِيمٍ   يُنَكِّرُهُ ٱلتَّفَرُّدُ وَٱلظَّلَامُ
عَرِيضُ ٱلْجَبْهَةِ ٱلْغَرَّاءِ يَبْدُو   بِهَا شَعَرٌ كَمَا دَقَّ ٱلْغَمَامُ
حَدِيدُ ٱلنَّاظِرَيْنِ إِذَا أُثِيرَا   فَمِصْبَاحَانِ مِلْؤُهُمَا ضِرَامُ
تَرَاهُ ٱلْعَيْنُ جَبَّاراً عَظِيماً   لِهَيْبَتِهِ وَإِنْ قَصُرَ ٱلْقَوَامُ
يَمُرُّ بِهِمْ وَقَدْ ثَمِلُوا ٱفْتِخَاراً   وَإِعْيَاءً فَكُلُّهُمُ نِيَامُ
إِذَا تَعِبَ ٱلْجُنُودُ فَلَيْسَ بِدْعٌ   بِأَنْ لَا يَتْعَبَ ٱلْمَلِكُ ٱلْهُمَامُ
فَطَافَ بِهِمْ وَبِٱلْجَرْحَى ٱفْتِقَاداً   وَكَانَ مَبَرَّةً مِنْهُ ٱللِّمَامُ (١)
وَفَارَقَهُمْ إِلَى حَيْثُ ٱسْتَقَرَّتْ   مِنَ ٱلْقَتْلَى ٱلْجَمَاجِمُ وَٱلْعِظَامُ
يَدُوسُ عَلَى ٱلرُّفَاتِ وَلَا ٱهْتِمَامٌ   وَيَعْثُو (٢) فِي ٱلدِّمَاءِ وَلَا ٱغْتِمَامُ
وَيَنْظُرُ مَا جَنَاهُ قَرِيرَ عَيْنٍ   وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلَامُ
إِذِ ٱسْتَرْعَاهُ نَزْعُ فَتًى جَدِيلٍ (٣)   بِجَانِبِهِ يُصَارِعُهُ ٱلْحِمَامُ
فَطَأْطَأَ نَحْوَهُ رَأْساً لَدَيْهِ   تَحَدَّبَتِ ٱلْقَيَاصِرَةُ ٱلْعِظَامُ
وَخَاطَبَ رَاقِداً مَنْ يَلْتَقِيهِ
بِمَجْلِسِهِ ٱلْمُلُوكُ وَهُمْ قِيَامُ

---

(١) اللمام الزيارة غير الطويلة (٢) يفسد (٣) النزع قرب الموت ، والجديل الصريع على الارض

وَأَلْقَى رُكْبَتَيْهِ عَلَى صَعِيدٍ (١) يُمَازِجُ تُرْبَهُ ٱلدَّمُ وَٱلْحُطَامُ (٢)
وَلَمْ يَكُ جَاثِياً لِلّٰهِ إِلَّا وَمَرْكَعُهُ عَلَى عُمُدٍ يُقَامُ
فَحَلَّ عَنِ ٱلْفَتَى ثَوْبًا خَضِيباً كَأَنَّ ثُقُوبَهُ فِيهِ كَلَامُ
وَأَبْصَرَ فِي تَرَائِبِهِ صُدُوعاً عَلَى دَخَلٍ يَعِزُّ لَهَا ٱلْتِئَامُ (٣)
فَلَمَّا ثَابَ لِلْعَافِي (٤) شُعُورٌ نَفَاهُ ٱلضَّعْفُ عَنْهُ وَٱلسَّقَامُ
وَأَدْرَكَ مَنْ بِجَانِبِهِ تَرَاءَى بِطَرْفَيْهِ ٱلْكَلِيلَيْنِ ٱضْطِرَامُ
فَآسَاهُ مُعَالِجُهُ بِقَوْلٍ جَمِيلٍ وَٱلْمُؤَاسَاةُ ٱقْتِسَامُ (٥)
وَزَادَ نَدًى فَقَلَّدَهُ وِسَاماً وَكُلُّ جِرَاحَةٍ فِيهِ وِسَامُ
تَلَقَّاهُ وَفِي عَيْنَيْهِ شُكْرٌ تُسَلْسِلُهُ مَدَامِعُهُ ٱلسِّجَامُ
وَأَنْطَقَهُ ٱلْوَلَاءُ وَكَمْ شَهِيدٍ قُبَيْلَ ٱلْمَوْتِ يُحْيِيهِ ٱلذِّمَامُ
فَقَالَ تَعِيشُ يَا مَلِكِي وَتُفْدَى وَمَاتَ وَفِي مُحَيَّاهُ ٱبْتِسَامُ

«وله في وصف الليل من قصيدة»

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيِّرِ ٱلنَّجْمِ غَضٍّ فِيهِ لَا يَهْتَدِي ٱلضَّلُولُ طَرِيقَا
ضَمَّنِي مُثْقَلًا بِهِمِّي كَبَحْرٍ ضَمَّ فِي جَوْفِهِ ٱلْبَعِيدِ غَرِيقَا
أَحْسَبُ ٱلسَّرْجَ فِي حَشَاهُ قُرُوحاً وَأَرَى ٱلشُّهْبَ فِي سَمَاهُ حُرُوقَا

---

(١) الصعيد المرتفع من الارض (٢) الحطام الهشيم وما تكسر من اليبيس
(٣) الترائب جمع تريبة وهي عظام الصدر او اليدان والرجلان او موضع القلادة والدخل الفساد في الجسم (٤) الهالك (٥) اي مشاركة في المصاب

قَدْ تَلَقَّيْتُـهُ وَكَانَ كَثِيفاً ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَكَانَ رَقِيقَا
فَرَأَيْتُ ٱلظَّـلامَ يَلْطُفُ مُنْحَـلًّا وَيُلْقِي عَلَيَّ ظِـلًّا دَقِيقَا
وَرَأَيْتُ ٱلظِّلَّ ٱلدَّقِيقَ مُحِيطاً بِي كَمَا يَحْضُنُ ٱلشَّقِيقُ شَقِيقَا
ثُمَّ لَاحَتْ ذُكَاءُ (١) لِي فَتَوَلَّى حَلَكُ (٢) ٱللَّيْلِ بِٱلضِّيَاءِ مَسُوقَا

« وله من اخرى في وصف روض »

أَيُّهَا ٱلرَّوْضُ كُنْ لِقَلْبِي سَلاماً وَمَلاذاً مِنَ ٱلشَّقَاءِ ٱلْمُـلازِمْ
زَهَرٌ ذَابِلٌ كَأَنِّي أَرَاهُ ثَمِلاً مِنْ أَنْفَاسِهِ فِي ٱلْكَمَائِمْ
وَغَدِيرٌ صَافٍ أَقَامَ سِيَاجاً حَوْلَهُ بَاسِقٌ مِنَ ٱلدَّوْحِ قَائِمْ
تَتَنَاغَى بِيضٌ مِنَ ٱلطَّيْرِ فِيهِ سَابِحَاتٌ وَتَحْتَهَا ٱلنَّجْمُ عَائِمْ
كَيْفَمَا سِرْنَ فَٱلطَّرِيقُ عُقُودٌ نُظِّمَتْ مِنْ مَحَاجِرٍ وَمَبَاسِمْ
حَبَّـذَا ٱلْبَدْرُ مُؤْنِساً يَتَجَلَّى كَحَبِيبٍ بَعْـدَ ٱلتَّغَيُّبِ قَادِمْ
حَبَّـذَا رَسْمُهُ ٱلْبَرَايَا كَأَبْهَى مَا تَرَى ٱلْعَيْنُ فِي صَحِيفَةِ رَاسِمْ
حَبَّذَا ٱلْمَاءُ وَٱلْمَصَابِيحُ فِيهِ كَبَنَانٍ يَزِينُهَا بِخَوَاتِمْ
جَنَّةٌ بَانَتِ ٱلْمَكَارِهُ عَنْهَـا وَهْيَ بِكْرٌ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلْمَحَارِمْ
إِنَّمَا أَهْلُهَـا طُيُورٌ حِسَانٌ إِنْ دَعَاهَا ٱلصَّبَاحُ قَامَتْ تُنَادِمْ
وَضِيَاءٌ يَمُوجُ فِي ٱلْمَاءِ حَتَّى لَنَرَاهُ كَأَنَّهُ مُتَـلاطِمْ
وَمُرُوجٌ مُدَبَّجَـاتٌ كَوَشْيٍ أَتْقَنَتْ صُنْعَهُ حِسَانُ ٱلْمَعَاصِمْ

(١) ذكاء اسم علم للشمس غير منصرف للعلمية والتأنيث (٢) شدة السواد

وَغُصُونٌ تَهُزُّهَا نَسَمَاتٌ كَهُودٍ تَهُزُّهُنَّ رَوَائِمْ(١)

« وله ايضاً من قصيدة في اشعة رتنجن »

جَلَسْتُ إِلَى هِنْدَ ذَاتَ مَسَاءٍ وَآنَسَنَا ٱلْقَمَرُ ٱلسَّاهِرُ
فَحَدَّثْتُهَا عَنْ ضِيَاءٍ عَجِيبٍ يُسَرُّ بِرُؤْيَتِهِ ٱلزَّائِرُ
لَهُ زُرْقَةُ ٱلْمَاءِ لٰكِنَّهُ شِرَارٌ مِنَ ٱلنَّارِ مُطَايِرُ
كَمُنْتَشِرٍ مِنْ غُبَارِ ٱلزُّمُرُّ دِ يَحْمِلُهُ لَهَبٌ ثَائِرُ
كَأَنَّ بِهِ لِلْعُيُونِ عُيُونًا فَكُلُّ خَفِيٍّ بِهِ ظَاهِرُ
يُرِينَا ٱلْجُسُومَ أَضَالِعَ جَفَّتْ وَزَايَلَهَا حُسْنُهَا ٱلنَّاضِرُ
هَيَاكِلُ مُحْكَمَةٌ شَادَهَا لَطِيفٌ لِمَا شَاءَهُ قَادِرُ
يُرَفْرِفُ فِيهَا ٱلْفُؤَادُ كَمَا يُرَفْرِفُ فِي ٱلْقَفَصِ ٱلطَّائِرُ
بِهٰذَا ٱلضِّيَاءِ يُرَى كُلُّ جِرْمٍ عَنِ ٱلْعَيْنِ يَسْتُرُهُ سَاتِرُ
وَلٰكِنَّهُ لَا يُرِينَا ٱلضَّمِيرَ وَلَا مَا يَجُولُ بِهِ ٱلْخَاطِرُ
فَجِئْنَا مَكَانًا كَثِيفَ ٱلدُّجَى يُنِيرُ سِرَاجٌ بِهِ سَاهِرُ
يُفِيضُ ضِيَاءً وَمِنْ حَوْلِهِ ظَلَامٌ مُحِيطٌ بِهِ غَامِرُ
عَلَى كَثَبٍ وَيُرَى قَاصِياً كَمَا يُنْظَرُ ٱلْكَوْكَبُ ٱلسَّافِرُ
فَدَانَيْتُهُ وَلِهِنْدٍ فُؤَادٌ خَفُوقٌ وَفِكْرٌ بِهِ حَائِرُ
فَلَمَّا رَأَتْنِي أَضَالِعَ سُوداً يُحِيطُ سَدِيمٌ(٢) بِهَا بَاهِرُ

(١) جمع الرائمة وهي الوالدة العاطفة على ولدها اللازمة له (٢) السديم الضباب الرقيق

كَلَوْحِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُمَوَّجِ بِٱلنُّو ... رِ خَطَّ رُمُوزاً بِـهِ سَاحِرُ
أَبَتْ أَنْ أَرَاهَا وَقَدْ زَالَ عَنْهَا ... جَمَالُ مَلَامِحِهَـا ٱلزَّاهِرُ
فَيَا هِنْدُ إِنْ زَالَ مِنْكِ ٱلْجَمَالُ ... فَحَسْبُ ٱلْمُنَى قَلْبُكِ ٱلطَّاهِرُ

« وله ايضاً في اشتباه الضياء [(١)] »

مِزَاجٌ رَقِيقٌ وَجِسْمٌ نَحِيفْ ... وَقَلْبٌ رَفِيقٌ وَظِلٌّ خَفِيفْ
وَلَفْظٌ لَعُوبٌ وَلَحْظٌ وَثُوبٌ ... وَعَقْلٌ رَصِينٌ وَرَأْيٌ حَصِيفْ
كَذَاكِ خُلِقْتِ فَكُنْتِ كَمَا ... يَشَاءُ ٱلصِّبَى وَٱلضَّمِيرُ ٱلْعَفِيفْ
وَلَمْ تَرْتَضِي ٱلْحُسْنَ إِلَّا ٱلصَّحِيحَ ... وَلَا ٱلطَّبْعَ إِلَّا ٱلْأَنِيسَ ٱلْأَلِيفْ
وَلَيْلَةِ بَـدْرٍ صَفَا جَوُّهَـا ... وَبَاحَ بِسِرِّ ٱلسُّكُونِ ٱلْحَفِيفْ [(٢)]
وَأَلْقَتْ بِسَمْعِ ظِلَالِ ٱلرِّيَاضِ ... لِنَجْوَى قُلُوبٍ بِهِنَّ تُطِيفْ
وَصَبَّ عَلَى ٱلنِّيلِ شِبْهَ ٱلسُّيُولِ ... مُنِيرُ ٱلدُّجَى مِنْ سَنَاهُ ٱلضَّعِيفْ
فَمَوَّجْنَهُ [(٣)] ثُمَّ ضَاحَكْنَـهُ ... وَجَارَيْنَهُ فِي دِعَابٍ لَطِيفْ
رَأَيْتُكِ خَلَّابَـةً لِلْعُقُو ... لِ فِي مُتَجَلًّى سَنِيٍّ مُنِيفْ
مُنًى وَمَمَانٍ أَبَى ٱلْحُسْنُ أَنْ ... تُرَى فِي مِثَالِ ٱلتُّرَابِ ٱلْكَثِيفْ

---

(١) قيلت في فتاة حسن وادب بعد ترويحة نفس على شاطئ النيل في ضوء القمر وكانت الفتاة تد تباعدت عن رفاقها دقيقـة وهي لابسة ملبساً ابيض فلما نظر الرفاق اليها من بعدٍ كانت تلرح وتخفي كالطيف لتلاعب النور في موقفها بين مصبّ النور ومنعكسه من النيـل (٢) الدويّ واكثر استعماله لصوت الرياح والاجنحة (٣) الضمير راجع الى الفتيات اللواتي كنّ معها

فَخَيَّلَهَا ٱلْبَدْرُ رُوحاً بَـدَتْ على ٱلْبُعْدِ فِي حُلَّةٍ مِنْ شُفُوفْ
تَلُوحُ وَتَخْفَى كَأَنَّ ٱلأَشِعَّةَ آنًا تَرَاءٍ وَآنًا سُجُوفْ[١]
فَيُلْقِي شُعَاعٌ عَلَيْهَا نَصِيفاً[٢] وَيَنْزَعُ آخَرُ عَنْهَا ٱلنَّصِيفْ

« وله ايضاً في الطفلة البوبرية »

أَدْمَاءُ فَتَّانَــةٌ لَعُوبٌ خَفِيفَةٌ مَا لَهَــا قَرَارْ
كُلُّ مَكَانٍ تَكُونُ فِيهِ يُقْلِقُهُ وَثْبُهَــا مِرَارْ
كَأَنَّهـا طَائِرٌ حَبِيسٌ فِي قَفَصٍ يَبْتَغِي ٱلْفِـرَارْ
لَطَافَةٌ فِي بَدِيعِ حُسْنٍ وَرِقَّةٌ فِي مِزَاجِ نَارْ
صَغِيرَةٌ أَمْرُهَا كَبِيرٌ وَهٰكَذَا ٱلشَّأْنُ فِي ٱلصِّغَارْ
حَارَ بِهَا فِكْرُ وَالِدَيْهـا وَٱلْفِكْرُ فِي مِثْلِهَــا يَحَارْ
وَلَيْلَةٍ بَاتَهَا أَبُوهَــا مُسَهَّداً فَاقِدَ ٱصْطِبَارْ
رَأَتْهُ فِيهَا كَثِيرَ غَمٍّ يَبْدُو عَلَى وَجْهِهِ ٱصْفِرَارْ
يَجْثُو عَلَى مَهْدِهَا وَيَبْكِي بِأَدْمُعٍ ذُرَّفٍ حِرَارْ
وَيَنْثَنِي حَائِراً جَزُوعاً يَمْضِي وَيَأْتِي بِلا ٱخْتِيَارْ
وَأَبْصَرَتْ أُمَّهَا عَبُوساً وَفِي ٱلْمَآقِي مِنْهَـا ٱحْمِرَارْ
تَجْلُو سِلاحاً يَثُورُ مِنْـهُ آنًا وَمِنْ لَحْظِهَا شِرَارْ
مَاذَاكَ شَأْنُ ٱلْحِسَانِ لٰكِنْ فِي ٱلشَّرِّ مَا يَدْفَعُ ٱلْخِيَارْ

(١) جمع سجف وهو الستر (٢) النصيف كل ما غطى الرأس واللثام

مَا أَثِمَتْ بِٱلَّذِي أَعَدَّتْ   مِنْ عُدَدِ ٱلْقَتْلِ وَٱلدَّمَارْ
بَلِ ٱلْأَثِيمُ ٱلَّذِي دَعَاهَا   قَسْراً فَلَبَّتْ عَلَى ٱضْطِرَارْ
لَمْ يَشْغَلِ ٱلْخَطْبُ فِكْرَ أَدْمَا   وَسْنَى وَلَمْ يَعْرُهَا ٱلْحِذَارْ
فَهَوَّمَتْ (١) قَلْبُهَا خَلِيٌّ   وَفِي ٱلْمُحَيَّا مِنْهَا ٱفْتِرَارْ
كَأَنَّ أَنْفَاسَهَا صَلَاةٌ   تَقُولُهَا ٱلرُّوحُ فِي سِرَارْ
مَا ذَنْبُ هٰذِي ٱلْفَتَاةِ تَغْدُو   سَبِيَّةَ ٱلظُّلَّمِ ٱلشِّرَارْ
أَمِنْ سَرِيرِ ٱلصِّغَارِ تُلْقَى   إِلَى سَرِيرٍ مِنَ ٱلصَّغَارْ
تَنَبَّهَتْ بَاكِراً وَكَانَتْ   مِنْ قَبْلُ لَمْ تَأْلَفِ ٱبْتِكَارْ
مَرَّ بِهَا ٱلْهَمُّ وَهْوَ عَادٍ   يَنْتَهِبُ ٱلْبَرَّ وَٱلْبِحَارْ
كَطَائِرٍ رَاقَهُ غَدِيرٌ   فَرَفَّهُ جَانِحاً (٢) وَطَارْ
وَٱسْتَمَعَتْ فِي ٱلْغَدَاةِ قِيلاً   أَنَّ أَبَاهَا لِلْحَرْبِ سَارْ
وَأَنَّ قَوْماً جَاؤُوا لِيُفْنُوا   أُمَّتَهَا بُغْيَةَ ٱلنُّضَارْ
لَا يَرْحَمُونَ ٱلصِّغَارَ مِنْهُمْ   وَلَا يَرِقُّونَ لِلْكِبَارْ
وَلَا يُرَاعُونَ حَقَّ حُرٍّ   وَلَا يَصُونُونَ عَهْدَ جَارْ
وَأَنَّ كُلَّ ٱلْبُويرِ خَفُّوا   لِيَدْفَعُوهُمْ عَنِ ٱلدِّمَارْ
وَأَنَّ أَنْصَارَهُمْ قَلِيلٌ   وَأَنَّ أَعْدَاءَهُمْ كِثَارْ

---

(١) هزّت رأسها من النعاس او نامت قليلًا (٢) رفّهُ قبّله باطراف شفتيه وجانحًا مائلًا ومقبلًا

مَضَوْا وَلَا رَاحِلٌ يُرَجّى عَوْداً لِأَهْلٍ لَهُ وَدَارْ
فَرَاعَهَا ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَقَرَّتْ حَزِينَةً ذٰلِكَ ٱلنَّهَارْ
حَتَّى إِذَا مَا ٱلْمَسَاءُ أَمْسَى وَٱنْسَدَلَ ٱللَّيْلُ كَٱلسِّتَارْ
جَثَتْ عَلَى مَهْدِهَا بِمَا لَمْ تَعْهَدْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوَقَارْ
شِبْهَ مَلَاكٍ أَغَرَّ بَاكٍ عَلَيْهِ سِيمَاءُ ٱلِٱنْكِسَارْ
تَدْعُو وَمَا لُقِّنَتْ وَلٰكِنْ عَلَّمَهَا ٱلْحُزْنُ ٱلِٱبْتِكَارْ
« يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ يَا مَنْ يَحْمِي ضَعِيفاً بِهِ ٱسْتَجَارْ
أَنْصُرْ أَبِي وَٱنْتَقِمْ لِقَوْمِي وَلَا تُبِحْ هٰذِهِ ٱلدِّيَارْ
كَذَاكَ هُمْ كُلُّهُمْ جُنُودٌ لِصَدِّ عَادٍ أَوْ أَخْذِ ثَارْ
لَا يُفْرَقُ ٱلْمُقْتَنِي حُسَاماً عَنِ ٱلَّتِي تَقْتَنِي ٱلسِّوَارْ
كَبِيرُهُمْ قَائِدٌ بَنِيهِ إِلَى رَدًى أَوْ إِلَى ٱنْتِصَارْ
وَطِفْلُهُمْ ضَارِعٌ إِلَى مَنْ إِذَا بَرِيءٌ دَعَا أَجَارْ

« ولقد ذكرتك »

« من قصيدة للشاعر نفسه »

إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى ٱلتَّعِلَّةِ بِٱلْمُنَى فِي غُرْبَةٍ قَالُوا تَكُونُ دَوَائِي
إِنْ يَشْفِ هٰذَا ٱلْجِسْمَ طِيبُ هَوَائِهَا أَيُلَطِّفُ ٱلنِّيرَانَ طِيبُ هَوَاءِ
عَبَثٌ طَوَافِي فِي ٱلْبِلَادِ وَعِلَّةٌ فِي عِلَّةٍ مَنْفَايَ لِٱسْتِشْفَاءِ
مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مُتَفَرِّدٌ بِكَآبَتِي . مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي

شاكٍ إلى ٱلبحرِ ٱضطرابَ خواطري فيُجيبُني بِرِيَاحِهِ ٱلهوجاء
ثاوٍ إلى صخرٍ أصمٍّ وليتَ لي قلباً كهذي ٱلصخرةِ ٱلصمّاء
يَنتابُها موجٌ كموجِ مكارهي ويَفُتُّها كٱلسُّقمِ في أعضائي
وٱلبحرُ خفّاقُ ٱلجوانبِ ضائقٌ كَمَداً كصدري ساعةَ ٱلإمساء
تغشى ٱلبريّةَ كُدرةٌ وكأنّها صعدتْ إلى عيني منْ أحشائي
وٱلأفقُ مُعتكرٌ قريحٌ جفنُهُ يُغضي على ٱلغمراتِ وٱلأقذاء

.....

ولقدْ ذكرتُكِ وٱلنّهارُ مُودِّعٌ وٱلقلبُ بينَ مَهابةٍ ورجاء
وخواطري تبدو تُجاهَ نواظري كَلمى كدامِيةِ ٱلسّحابِ إزائي
وٱلدّمعُ مِنْ جفني يسيلُ مُشعشِعاً بِسَنى ٱلشّعاعِ ٱلغاربِ ٱلمُترائي
وٱلشّمسُ في أُفقٍ يسيلُ نُضارُهُ فوقَ ٱلعقيقِ على ذرًى سوداء
مرّتْ خِلالَ غمامتينِ تحدُّرا وتقطّرتْ كٱلدّمعةِ ٱلحمراء
فكأنّ آخرَ دمعةٍ لِلكونِ قدْ مُزِجتْ بِآخرِ أدمُعي لِرِثائي
وكأنّني آنستُ يومي زائلاً فرأيتُ في ٱلمِرآةِ كيفَ مسائي

على قبر نابوليون

« لاحمد شوقي بك من قصيدة »

قِفْ على كَنزٍ بِباريسَ دَفِينْ مِنْ فَريدٍ في ٱلمَعالي وثَمِينْ
وٱفتقِدْ جوهرةً مِنْ شرفٍ صدَفُ ٱلدّهرِ بِتِربِها ضَنينْ

قَدْ تَوَارَتْ فِي ٱلثَّرَى حَتَّى إِذَا ... قَدُمَ ٱلْعَهْدُ تَوَارَتْ فِي ٱلسِّنِينْ
لَمْ تُذِبْ نَارُ ٱلْوَغَى يَاقُوتَهَا ... وَأَذَابَتْهُ تَبَارِيحُ ٱلْحَنِينْ
لا تَلُومُوهَا أَلَيْسَتْ حُرَّةً ، ... وَهَوَى ٱلْأَوْطَانِ لِلْأَحْرَارِ دِينْ

* * *

هَلْ دَرَى ٱلْمَرْمَرُ مَاذَا تَحْتَهُ ... مِنْ قُوَى نَفْسٍ وَمِنْ خُلُقٍ مَتِينْ
يَمَّحِي ٱلْمَيْتُ وَيَبْلَى رَمْسُهُ ... وَيَئُولُ ٱلرَّبْعَ مَا عَالَ ٱلْفَطِينْ
حَصِّنُوا مَا شِئْتُمُ مَوْتَاكُمُ ... هَلْ وَرَاءَ ٱلْمَوْتِ مِنْ حِصْنٍ حَصِينْ
لَيْسَ فِي قَبْرٍ وَإِنْ نَالَ ٱلسُّهَى ... مَا يَزِيدُ ٱلْمَيْتَ وَزْناً وَيَزِينْ
فَٱنْزِلِ ٱلتَّارِيخَ قَبْرًا أَوْ فَنَمْ ... فِي ٱلثَّرَى غُفْلاً كَبَعْضِ ٱلْهَادِمِينْ
وَٱخْدَعِ ٱلْأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ فَلَنْ ... تَجِدَ ٱلتَّارِيخَ فِي ٱلْمُنْخَدِعِينْ

* * *

يَا عُصَامِيًا حَوَى ٱلْمَجْدَ سِوَى ... فَضْلَةٍ قَدْ قُسِّمَتْ فِي ٱلْمُعْرِقِينْ
أُمُّكَ ٱلنَّفْسُ قَدِيماً أَكْرِمَتْ ... وَأَبُوكَ ٱلْفَضْلُ خَيْرُ ٱلْمُنْجِبِينْ
لَا يَقُولَنَّ ٱمْرُؤٌ أَصْلِي فَمَا ... أَصْلُهُ مِسْكٌ وَأَصْلُ ٱلنَّاسِ طِينْ

* * *

أَرَأَيْتَ ٱلْخَيْرَ وَافَى أُمَّةً ... لَمْ يَنَالُوا حَظَّهُمْ فِي ٱلنَّابِغِينْ
يَصْلُحُ ٱلْمُلْكُ عَلَى طَائِفَةٍ ... هُمْ جَمَالُ ٱلْأَرْضِ حِيناً بَعْدَ حِينْ
مَلَأُوا ٱلدُّنْيَا ، عَلَى قِلَّتِهِمْ ... وَقَدِيماً مُلِئَتْ بِٱلْمُرْسَلِينْ

يَحْسُنُ ٱلدَّهْرُ بِهِمْ مَا طَلِعُوا   وَبِهِمْ يَزْدَادُ حُسْناً آفِلِينْ
قَدْ أَقَامُوا قُدْوَةً صَالِحَةً   وَمَضَوْا أَمْثِلَةً لِلْمُحْتَذِينْ

* * *

قُمْ إِلَى ٱلْأَهْرَامِ وَٱخْشَعْ وَٱطَّرِحْ   خُيَلَةَ ٱلصَّيْدِ وَزَهْوَ ٱلْفَاتِحِينْ
وَتَمَهَّلْ إِنَّمَا تَمْشِي إِلَى   حَرَمِ ٱلدَّهْرِ وَمِحْرَابِ ٱلْقُرُونْ
فَتَرَى ٱلْأَحْيَاءَ فِي مُعْتَرَكٍ   وَتَرَى ٱلْمَوْتَى عَلَيْهِمْ مُشْرِفِينْ
عِظَةٌ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى وَإِنْ   بَعُدَ ٱلْعَهْدُ فَهَلْ يَعْتَبِرُونْ
هَٰذِهِ ٱلْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمُ   كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونْ

* * *

يَا كَثِيرَ ٱلصَّيْدِ لِلصَّيْدِ ٱلْعُلَى   قُمْ تَأَمَّلْ كَيْفَ صَادَتْكَ ٱلْمَنُونْ
قُمْ تَرَ ٱلدُّنْيَا كَمَا غَادَرْتَهَا   مَنْزِلَ ٱلْغَدْرِ وَمَاءَ ٱلْخَادِعِينْ
وَتَرَ ٱلْحَقَّ عَزِيزًا فِي ٱلْقَنَا   هَيِّناً فِي ٱلْعُزَّلِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينْ
وَتَرَ ٱلْأَمْرَ يَداً فَوْقَ يَدِ   وَتَرَ ٱلنَّاسَ ذِئَاباً وَضَئِينْ
وَتَرَ ٱلْعِزَّ لِسَيْفٍ نَزِقٍ   فِي بِنَاءِ ٱلْمُلْكِ أَوْ رَأْيٍ وَزِينْ (١)
سُنَنٌ كَانَتْ وَنَظْمٌ لَمْ يَزَلْ   وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ ٱلْمُصْلِحِينْ

---

(١) أصيل

« أم اليتيم »

« من قصيدة لمعروف الرصافي »

رَمَتْ مِسْمَعِي لَيْلاً بِأَنَّةِ مُؤْلِمِ ... فَأَلْقَتْ فُؤَادِي بَيْنَ أَنْيَابِ ضَيْغَمِ
وَبَاتَتْ تُوَالِي فِي ٱلظَّلَامِ أَنِينَهَا ... وَبِتُّ لَهَا مُرْمًى بِنَهْشَةِ أَرْقَمِ
فَيَهْفُو بِقَلْبِي صَوْتُهَا مِثْلَمَا هَفَتْ ... بِقَلْبِ فَقِيرِ ٱلْقَوْمِ رَنَّةُ دِرْهَمِ
إِذَا بَعَثَتْ لِي أَنَّةً عَنْ تَوَجُّعٍ ... بَعَثْتُ إِلَيْهَا أَنَّةً عَنْ تَرَحُّمِ
تُقَطِّعُ فِي ٱللَّيْلِ ٱلْأَنِينَ كَأَنَّهَا ... تُقَطِّعُ أَحْشَائِي بِسَيْفٍ مُثَلَّمِ
يَهُزُّ نِيَاطَ[1] ٱلْقَلْبِ بِٱلْحُزْنِ صَوْتُهَا ... إِذَا ٱهْتَزَّ فِي جَوْفِ ٱلظَّلَامِ ٱلْمُخَيِّمِ
تُرَدِّدُهُ وَٱلصَّمْتُ فِي ٱللَّيْلِ سَائِدٌ ... بِلَحْنٍ ضَئِيلٍ فِي ٱلدُّجُنَّةِ مُبْهَمِ
كَأَنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ عِنْدَ ٱرْتِجَافِهَا ... تُصِيخُ إِلَى ذَاكَ ٱلْأَنِينِ ٱلْمُجَمْجَمِ
فَمَا خَفَقَانُ ٱلْقَلْبِ إِلَّا لِأَجْلِهَا ... وَمَا ٱلشُّهْبُ إِلَّا أَدْمُعُ ٱلنَّجْمِ تَرْتَمِي
لَقَدْ تَرَكَتْنِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ سَاهِراً ... أَخَا مَدْمَعٍ جَارٍ وَرَأْسٍ مُهَوِّمِ
أَرَى فَحْمَةَ ٱلظَّلْمَاءِ عِنْدَ أَنِينِهَا ... فَأَعْجَبُ مِنْهَا كَيْفَ لَمْ تَتَضَرَّمِ
فَأَصْبَحْتُ ظَمْآنَ ٱلْجُفُونِ إِلَى ٱلْكَرَى ... وَإِنْ كُنْتُ رَيَّانَ ٱلْحَشَا مِنْ تَأَلُّمِي
وَأَصْبَحَ قَلْبِي وَهْوَ كَٱلشِّعْرِ لَمْ تَدَعْ ... لَهُ شُعَرَاءُ ٱلْقَوْمِ مِنْ مُتَرَدَّمِ
وَبَيْتٍ بَكَتْ فِيهِ ٱلْحَيَاةُ شَقَاوَةً ... وَلَاحَتْ بِوَجْهِ ٱلْعَابِسِ ٱلْمُتَجَهِّمِ
بِهِ أَلْقَتِ ٱلْأَيَّامُ أَثْقَالَ بُؤْسِهَا ... فَهَاجَتْ بِهِ ٱلْأَحْزَانُ فَاغِرَةَ ٱلْفَمِ

---

(١) النياط عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين اذا قطع مات صاحبه

كَأَنِّي أَرَى ٱلْبُنْيَانَ فِيهِ مُهَدَّماً   وَمَا هُوَ بِٱلْخَاوِي وَلَا ٱلْمُتَهَدِّمِ
وَلٰكِنَّ زِلْزَالَ ٱلْخُطُوبِ هَوَى بِهِ   إِلَى قَعْرِ مَهْوَاةِ ٱلشَّقَاءِ ٱلْمُجَسَّمِ
دَخَلْتُ بِهِ عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ عَلَى ٱلَّتِي   سَقَانِي بُكَاهَا فِي ٱلدُّجَى كَأْسَ عَلْقَمِ
فَأَلْفَيْتُ وَجْهاً خَدَّدَ ٱلدَّمْعُ خَدَّهُ   وَمُحْمَرَّ جَفْنٍ بِٱلْبُكَا مُتَوَرِّمِ
وَجِسْماً نَحِيفاً أَنْهَكَتْهُ هُمُومُهُ   فَكَادَتْ تَرَاهُ ٱلْعَيْنُ بَعْضَ تَوَهُّمِ
لَقَدْ جَثَمَتْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ وَحَوْلَهَا   صَغِيرٌ لَهَا يَرْنُو بِعَيْنَيْ مُيَتَّمِ
تَرَاهُ وَمَا إِنْ جَاوَزَ ٱلْخَمْسَ عُمْرُهُ   يُدِيرُ لِحَاظَ ٱلْيَافِعِ ٱلْمُتَفَهِّمِ
بَكَى حَوْلَهَا جُوعاً فَغَذَّتْهُ بِٱلْبُكَا   وَلَيْسَ ٱلْبُكَا إِلَّا تَعِلَّةَ مُعْدِمِ
وَأَكْبَرُ مَا يَدْعُو ٱلْقُلُوبَ إِلَى ٱلْأَسَى   بُكَاءُ يَتِيمٍ جَائِعٍ حَوْلَ أَيِّمِ[1]
وَقَفْتُ وَقَدْ شَاهَدْتُ ذٰلِكَ مِنْهُمَا   لِمَرْيَمَ أَبْكِي رَحْمَةً وَٱبْنِ مَرْيَمِ
وَقَفْتُ لَدَيْهَا وَٱلْأَسَى فِي عُيُونِهَا   يُكَلِّمُنِي عَنْهَا وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
وَسَاءَلْتُهَا عَنْهَا وَعَنْهُ فَأَجْهَشَتْ[2]   بُكَاءً وَقَالَتْ أَيُّهَا ٱلدَّمْعُ تَرْجِمِ
وَلَمَّا تَنَاهَتْ بِٱلْبُكَاءِ تَضَاحَكَتْ   مِنَ ٱلْيَأْسِ ضِحْكَ ٱلْهَازِئِ ٱلْمُتَهَكِّمِ
فَقَدْ جَمَعَتْ ثَغْراً مِنَ ٱلضِّحْكِ مُفْعَماً   إِلَى مَحْجِرٍ[3] بَاكٍ مِنَ ٱلدَّمْعِ مُفْعَمِ
فَتُذْرِي دُمُوعاً كَٱلْجُمَانِ تَنَاثَرَتْ[4]   وَتَضْحَكُ عَنْ مِثْلِ ٱلْجُمَانِ ٱلْمُنَظَّمِ
فَلَمْ أَرَ عَيْناً قَبْلَهَا سَالَ دَمْعُهَا   بُكَاءً وَفِيهَا نَظْرَةُ ٱلْمُتَبَسِّمِ

---

(١) الأيم من لا زوج لها (٢) اجهش بالبكاء همّ به وتهيأ له (٣) المحجر ما دار بالعين (٤) تصب

وَمُذْ عَرَضَتْ لِلإبْنِ مِنها ٱلتِفَاتَةٌ ... أَشارَتْ إِلَيْهِ بِٱلْمَدَامِعِ أَنْ قُمِ
فَقَامَ إِلَيْها خَائِرَ ٱلْجِسْمِ فَٱنْثَنَتْ ... عَلَيْهِ فَضَمَّتْهُ بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَظَلَّتْ لَهُ تَرْنُو بِعَيْنٍ تَجُودُهُ ... بِفَذٍّ مِنَ ٱلدَّمْعِ ٱلْغَزِيرِ وَتَوْأَمِ
فَقَالَ لَها لَمَّا رَآنِيَ وَاقِفاً ... أُرَدِّدُ فِيهِ نَظْرَةَ ٱلْمُتَوَسِّمِ (١)
سَلِي ذَا ٱلْفَتَى يا أُمُّ أَيْنَ مَضَى أَبِي ... وَهَلْ هُوَ يَأْتِينَا مَسَاءً بِمَطْعَمِ
فَقَالَتْ لَهُ وَٱلْعَيْنُ تَجْرِي غُرُوبُها (٢) ... وَأَنْفَاسُها يَقْذِفْنَ شُعْلَةَ مُضْرَمِ
أَبُوكَ تَرَامَتْ فِيهِ سِفْرَةُ رَاحِلٍ ... إِلى ٱلْمَوْتِ لَا يُرْجَى لَهُ يَوْمُ مَقْدَمِ
وَلَوْلَاكَ لَٱخْتَرْتُ ٱلْحِمَامَ تَخَلُّصاً ... بِنَفْسِيَ مِنْ أَتْعَابِ عَيْشٍ مُذَمَّمِ
فَأَنْتَ ٱلَّذِي أَخَّرْتَ أُمَّكَ مَرْيَماً ... عَنِ ٱلْمَوْتِ أَنْ يُودِي بِأُمِّكَ مَرْيَمِ

﴿ وصف الساعة ﴾

« للشاعر نفسه »

وَخَرْسَاءَ لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ لِسَانُها
سِوَى صَوْتِ عِرْقٍ نَابِضٍ بِحَشَاهَا
حَكَتْ لَهْجَةَ ٱلتَّمْتَامِ لَفْظاً وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُفْصِحَ إِلَّا بِٱلزَّمَانِ لُغَاهَا
لَها ضَرَبَانٌ فِي ٱلْحَشَى قَدْ حَكَتْ بِهِ ... فُؤَاداً تَغَشَّاهُ ٱلْهَوَى وَحَكَاهَا
جَرَتْ حَرَكَاتُ ٱلدَّهْرِ فِي ضَرَبَانِها ... وَبَاتَتْ مَوَاقِيتُ ٱلْوَرَى بِعَمَاهَا
عَلَى وَجْهِهَا خُطَّتْ عَلَائِمُ تَهْتَدِي ... بِها ٱلنَّاسُ فِي أَوْقَاتِها لِمُنَاهَا

---

(١) المتفرس والمتأمل (٢) جمع غرب وهو مسيل الدمع

مَشَتْ بَيْنَ آنَاتِ ٱلزَّمَانِ تَقِيسُهُ   وَمَا هُوَ إِلَّا مَشْيُهَا وَخُطَاهَا
بِهَا يَتَقَاضَى ٱلنَّاسُ مَا يُوعَدُونَهُ   وَيُرْشِدُ ضُلَّالَ ٱلزَّمَانِ هُدَاهَا
غَدَتْ كَأَخِي ٱلإِيمَانِ تَأْكُلُ فِي مِعىً[1]   وَمَا أَكْلُهَا إِلَّا ٱلْتِوَاءُ مِعَاهَا
تَدُورُ عَلَيْهَا عَقْرَبٌ دَوْرَ حَائِرٍ   بِبَهْمَاءَ عُمِّيَتْ فِي ٱلظَّلَامِ صُوَاهَا[2]
تُرِيكَ مَكَانَ ٱلشَّمْسِ فِي دَوَرَانِهَا   إِذَا حَجَبَتْ عَنْكَ ٱلْغُيُومُ ضِيَاهَا
فَأَعْجِبْ بِهَا مَصْنُوعَةً جَاءَ صُنْعُهَا   نَتِيجَةَ أَفْكَارِ ٱلْوَرَى وَحِجَاهَا
بَنَتْهَا ٱلنُّهَى فِي ٱلْغَابِرِينَ بَسِيطَةً   فَتَمَّ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ بِنَاهَا
تُنَادِي بَنِي ٱلْأَيَّامِ فِي نَقَرَاتِهَا   أَنِ ٱسْعَوْا بِجِدٍّ بَالِغِينَ مَدَاهَا
وَلَا تُهْمِلُوا ٱلْأَوْقَاتَ فَهْيَ بَوَاتِرٌ   تُقَطِّعُ أَوْصَالَ ٱلْحَيَاةِ شَبَاهَا

﴿ الهزار الصدّاح او الطفل البكر ﴾

« للخوري بطرس البستاني »

مَرْحَباً بِٱلْهَزَارِ يَشْدُو طَرُوبَا   فَوْقَ غُصْنِ ٱلدَّلَالِ يَسْبِي ٱلْقُلُوبَا
نَغَمَاتٌ تَجْلُو ٱلْهُمُومَ عَنِ ٱلصَّدْ   رِ وَتَنْفِي عَنِ ٱلْفُؤَادِ ٱلْكُرُوبَا
مَا غِنَاءُ ٱلْهَزَارِ إِلَّا مُدَامٌ   يَتَمَشَّى بَيْنَ ٱلْعُرُوقِ دَبِيبَا

---

(١) اشارة الى ما جاء في الحديث : المؤمن يأكل في مِعىً واحد والكافر في سبعة امعاء . وهو مثل لان المؤمن لا يأكل الا من الحلال ويتوقى الحرام والشبهة والكافر لا يبالي ما أكل ومن اين اكل وكيف اكل (٢) جمع صُوَّة وهي حجر يكون علامة في الطريق

إنَّمَا ٱلطِّفْلُ بُلْبُلٌ يَتَغَنَّى فِي حِمَاهُ فَيُخْرِسُ ٱلعَنْدَلِيبَا
إنَّمَا ٱلطِّفْلُ زَهْرَةٌ تَمْلَأُ ٱلعَيْـ ـنَ جَمَالًا وَتُفْعِمُ ٱلنَّفْسَ طِيبَا
إنَّمَا ٱلطِّفْلُ كَوْكَبٌ يُلْبِسُ ٱلرَّبْـ ـعَ رِدَاءً مِنَ ٱلبَهَاءِ قَشِيبَا

***

حَبَّذَا ٱلطِّفْلُ يَوْمَ يَمْرَحُ رِيمًا بَيْنَ سِرْبِ ٱلظِّبَا وَيَعْدُو وَثُوبَا
حَبَّذَا ٱلطِّفْلُ يَوْمَ يَغْدُو طَلُوبًا لِلْمَعَالِي وَلِلْعُلُومِ كَسُوبَا
حَبَّذَا ٱلطِّفْلُ يَوْمَ يُضْحِي فَتِيًّا وَلَهُ عَزْمَةٌ تُذِلُّ ٱلصُّعُوبَا
حَبَّذَا ٱلطِّفْلُ وَهْوَ كَهْلٌ رَصِينٌ وَلَهُ ٱلرَّأْيُ كَٱلشِّهَابِ ثُقُوبَا
حَبَّذَا ٱلطِّفْلُ وَهْوَ شَيْخٌ وَقُورٌ وَلَهُ فِكْرَةٌ تُرِيهِ ٱلغُيُوبَا

***

إِيهِ يَا بُلْبُلَ ٱلرِّيَاضِ تَرَنَّمْ إِنَّ مِنْ حَوْلِكَ ٱلسَّمِيعَ ٱلمُجِيبَا
وَلَكَ ٱلصَّدْرُ حِينَ تَصْدَحُ غُصْنٌ فَتَنَقَّلْ عَلَى ٱلصُّدُورِ حَبِيبَا
وَتَفَكَّهْ بِحُبِّ أُمٍّ رَؤُومٍ تَرْتَجِي أَنْ تَرَاكَ نَجْلًا نَجِيبَا
وَٱرْشُفِ ٱللُّطْفَ مِنْ أَبِيكَ زُلَالًا وَٱرْعَ مِنْهُ مَرْعَى ٱلحَنَانِ خَصِيبَا
وَتَدَلَّلْ مَا شِئْتَ فَٱلقَلْبُ يُسْبَى بِدَلَالٍ يَكُونُ سِحْرًا مُذِيبَا
أَنْتَ أُنْسٌ لِوَالِدَيْكَ وَسَلْوَى حَبَّذَا ٱلأُنْسُ بِٱلبَنِينَ نَصِيبَا
فَخَرِيفُ ٱلحَيَاةِ يَغْدُو رَبِيعًا حِينَ تَغْدُو لَدُنَ ٱلقَوَامِ رَطِيبَا
مَلَكٌ أَنْتَ فِي ٱلسَّرِيرِ وَدِيعٌ فِي هَوَاكَ ٱلغَرِيبُ يَحْكِي ٱلنَّسِيبَا
فَإِذَا مَا سَكَتَّ تَسْبِي نُهَانَا وَإِذَا مَا نَطَقْتَ تُعْيِي ٱلخَطِيبَا

رُبَّ ثَغْرٍ رَصَّعْتَهُ بِٱبْتِسَامٍ كَانَ مَجْرَى لِلْكَهْرَبَاءِ عَجِيبَا
رُبَّ دَمْعٍ نَثَرْتَهُ كَٱللَّآلِي كَانَ كَالنَّارِ فِي ٱلصُّدُورِ شُبُوبَا
وَمُنَاغَاتُكَ ٱللَّطِيفَةُ تَشْفِي مِنْ سَقَامٍ يُعْيِي ٱلطَّبِيبَ ٱلْأَرِيبَا

* * *

أَنْتَ لَا تَدْرِي مَا ٱلْحَيَاةُ وَمَا أَسْـ ـرَارُهَا حِينَمَا تُغَنِّي طَرُوبَا
كَمْ رَأَيْنَاكَ فِي ٱلْحِمَى تَتَغَنَّى وَسَمِعْنَا بَعْدَ ٱلْغِنَاءِ نَحِيبَا
هَلْ تَرَاءَتْ لِمُقْلَتَيْكَ ٱلْأَمَانِي زَاخِرَاتٍ فَخُضْتَهُنَّ لَعُوبَا
أَمْ تَعَامَيْتَ عَنْ صُرُوفِ ٱللَّيَالِي فَتَوَهَّمْتَهَا سَرَابًا كَذُوبَا
أَمْ رَأَيْتَ ٱلْخُطُوبَ وَهْيَ جِبَالٌ فَوْقَ هَامِ ٱلْوَرَى فَخِفْتَ ٱلْخُطُوبَا
أَمْ رَأَيْتَ ٱلْحَيَاةَ كَٱلشَّمْسِ تَبْدُو وَتُدَانِي عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ ٱلْغُرُوبَا
أَمْ عَرَفْتَ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ ٱغْتِرَابٍ فَكَرِهْتَ ٱلْمَقَامَ فِيهَا غَرِيبَا
أَمْ رَأَيْتَ ٱلدِّمَاءَ تَجْرِي بِحَارًا مُذْ غَدَا ٱلْمَرْءُ فِي ٱلْمَلَاحِمِ ذِيبَا
فَحَذِرْتَ ٱلْحَيَاةَ بَيْنَ ٱلضَّوَارِي مَعْ طُغَاةٍ يَأْبُونَ إِلَّا ٱلْحُرُوبَا
كُلُّهُمْ يَدَّعِي ٱلتَّمَدُّنَ صِرْفًا وَهْوَ لِلْحَرْبِ لَا يَزَالُ رَكُوبَا
أَيُّ حَرْبٍ كَهٰذِهِ ٱلْحَرْبِ شُؤْمًا لَمْ تَرَ ٱلْمُرْدَ قَبْلَهَا قَطُّ شِيبَا (١)

* * *

لَا تَخَفْ أَيُّهَا ٱلصَّغِيرُ ٱلرَّزَايَا إِنْ تَحَامَيْتَ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْعُيُوبَا
مَا شَقَاءُ ٱلْحَيَاةِ إِلَّا مِنَ ٱلْمَرْ ءِ إِذَا عَاشَ فِي ٱلْأَنَامِ مَعِيبَا

---

(١) اقترح هذه القصيدة على ناظمها احد خرّيجيه القدماء في ايام الحرب الكبرى

كُلُّ مَنْ يَأْلَفُ ٱلْمَخَابِثَ يُمْسِي … فِي سِبَاقِ ٱلْعُلَى جَزُوعاً هَيُوبَا
وَٱلَّذِي يُحْدِثُ ٱلْمَجَازِرَ يَلْقَى … أَبَداً رَبَّهُ عَلَيْهِ غَضُوبَا
سَالِمِ ٱلنَّاسَ وَٱعْتَزِلْ كُلَّ شَرٍّ … يَبْقَ غَيْثُ ٱلْهَنَا عَلَيْكَ سَكُوبَا
وَٱصْنَعِ ٱلْخَيْرَ مَا حَيِيتَ وَجَانِبْ … كُلَّ أَمْرٍ يُلْقِي عَلَيْكَ ٱلذُّنُوبَا
فَٱلَّذِي يَزْرَعُ ٱلْبَلَاءَ بِقَوْمٍ … آمِنِ ٱلسِّرْبِ[1] يَحْصُدُ ٱلتَّأْدِيبَا
يَحْسَبُ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ فِي نَعِيمٍ … وَهْوَ يُصْلَى طَيَّ ٱلضُّلُوعِ ٱللَّهِيبَا
كُلُّ مَنْ يَصْرِفُ ٱلزَّمَانَ شَرِيفاً … فَهْوَ فِي ٱلنَّاسِ كَوْكَبٌ لَنْ يَغِيبَا
وَهْوَ حَيٌّ بِٱلذِّكْرِ وَٱلذِّكْرُ يَبْقَى … فِي فُؤَادِ ٱلتَّارِيخِ مِسْكاً وَطِيبَا
هَا أَبُوكَ ٱلْمِفْضَالُ يَحْيَا جَلِيلاً … مُحْرِزاً فِي ٱلْوَرَى ٱلْمَقَامَ ٱلْمَهِيبَا
أَنْزَلَتْهُ ٱلْقُلُوبُ فِيهَا أَمِيراً … مُذْ دَعَاهُ ٱلنَّدَى فَلَبَّى مُجِيبَا
فَتَشَبَّهْ بِفَضْلِهِ تَحْيَ رَغْداً … وَتَرَ ٱلسَّعْدَ فِي يَدَيْكَ رَبِيبَا[2]
وَتَمَتَّعْ بِعَطْفِ أُمِّكَ وَٱنْعَمْ … بِحُنُوٍّ يُنْسِيكَ حَتَّى ٱلْحَلِيبَا
أَيُّهَا ٱلطِّفْلُ كُنْ فَتًى عَبْقَرِيًّا … وَٱحْيَ فِي قُطْرِكَ ٱلْعَزِيزِ حَسِيبَا
وَٱمْلَأَنَّ ٱلتَّارِيخَ مَجْداً وَفَخْراً … وَٱنْشُرَنَّ ٱلْآثَارَ فِيهِ طُيُوبَا
مِثْلَكَ ٱلنَّابِغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ كَانُوا … فَعَسَى أَنْ تَكُونَ أَسْمَى نَصِيبَا
جِئْتَ بِكْراً لِوَالِدَيْكَ فَذَاقَا … مِنْ مَلَذَّاتِ ذِي ٱلْحَيَاةِ ضُرُوبَا[3]
وَغَداً تُصْبِحُ ٱلْأَدِيبَ ٱلْمُرَجَّى … بَيْنَ قَوْمٍ يُؤَلِّهُونَ ٱلْأَدِيبَا

---

(١) القلب والبال (٢) مملوكاً (٣) انواعاً

﴿ من المهد الى اللحد ﴾

« من قصيدة للشاعر نفسه »

عَلى صَفَحَاتِ ٱلْعُمْرِ خَطَّتْ يَدُ ٱلدَّهْرِ
عِظَاتٍ لِذِي ٱلذِّكْرَى تُسَطَّرُ بِٱلتِّبْرِ
عَرَفْتُ بِهَا سِرَّ ٱلْحَيَاةِ وَكُنْهَهَا وَمَا تَحْتَوِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْحُلْوِ وَٱلْمُرِّ
فَمَا ٱلْعُمْرُ إِلَّا مَرْحَلاتٌ نَجُوزُهَا عَلى ٱلشَّوْكِ أَحْيَاناً وَحِيناً عَلى ٱلزَّهْرِ
تَشِيدُ لَنَا ٱلْأَحلامُ بُرْجَ سَعَادَةٍ فَتَنْسِفُهُ ٱلْأَيَّامُ بِٱلنُّوَبِ ٱلْحُمْرِ

« الطفل »

وَمَهْدٍ بِهِ نَامَ ٱلصَّغِيرُ مُقَمَّطاً كَأَنِّي بِهِ ٱلْعُصْفُورُ يَرْقُدُ فِي ٱلْوَكْرِ
يُرِيدُ حَرَاكاً وَٱلْقِمَاطُ يَصُدُّهُ فَيَلْبَثُ مَغْلُولَ ٱلْيَدَيْنِ عَلى قَسْرِ
وَلَيْسَ لَهُ شَكْوَى سِوَى عَبَرَاتِهِ فَتَنْثُرُهَا عَيْنَاهُ دُرًّا عَلى ٱلنَّحْرِ
إِذَا هَزَّ صَوْتُ ٱلطِّفْلِ مُهْجَةَ أُمِّهِ فَبَرْقُ ٱلْهَوَى مَا بَيْنَ قَلْبَيْهِمَا يَجْرِي
تُنَاغِيهِ نَشْوَى مِنْ مَلامِحِ وَجْهِهِ فَيُصْغِي إِلى أَنْغَامِهَا بَاسِمَ ٱلثَّغْرِ
وَتُنْشِدُهُ شِعْرَ ٱلْهَوَى فَيُعِيدُهُ بِلَهْجَتِهِ ٱلْعَجْمَاءِ شِعْراً مِنَ ٱلسِّحْرِ
بِمَرْآهُ يَغْدُو ٱلسُّهْدُ أَشْهَى مِنَ ٱلْكَرَى إِلَيْهَا وَجِنْحُ ٱللَّيْلِ أَزْهَى مِنَ ٱلْفَجْرِ
تَرَاهُ بِمِرْآةِ ٱلْغَرَامِ كَأَنَّهُ أَخُو ٱلْبَدْرِ أَوْ أَبْهَى ضِيَاءً مِنَ ٱلْبَدْرِ
وَطَوْراً تَخَالُ ٱلدَّهْرَ يَنْضُو حُسَامَهُ عَلى غُصْنِهِ ٱلْمَيَّاسِ فِي زَهْرَةِ ٱلْعُمْرِ

فَيَثْقُبُ سُوسُ ٱلْهَمِّ جِذْعَ فُؤَادِهَا
وَيَقْذِفُ مِنْ حَوْلَيْهِ مَوْجاً مِنَ ٱلذُّعْرِ
أَلَا إِنَّ عَيْشَ ٱلْأُمِّ مُرٌّ مَذَاقُهُ
وَعَيْشَ ٱبْنِهَا فِي ٱلْمَهْدِ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْأَسْرِ

« الصبي »

وَيَوْمٍ بِهِ طَابَتْ عَنِ ٱلنَّاسِ مُهْجَتِي فَلَمْ أَرَ لِلسَّلْوَى سَبِيلاً سِوَى ٱلْقَفْرِ
خَرَجْتُ وَفِي صَدْرِي ٱلْهُمُومُ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنَ ٱلظَّلْمَاءِ قَامَتْ عَلَى صَدْرِي
فَمُذْ أَشْرَفَتْ عَيْنِي عَلَى زَهْرَةِ ٱلرُّبَى وَقَدْ كَلَّلَتْهَا بِٱلْجُمَانِ يَدُ ٱلْقَطْرِ
رَأَيْتُ جُيُوشَ ٱلْبِشْرِ شَدَّتْ عَلَى ٱلْأَسَى
فَلَمْ تُبْقِ لِلْأَتْرَاحِ فِي ٱلصَّدْرِ مِنْ إِثْرِ
هُنَالِكَ نَهْرٌ تَعْقِدُ ٱلرِّيحُ فَوْقَهُ زُرُودَ لُجَيْنٍ أَوْ سَلَاسِلَ مِنْ دُرِّ
عَلَى ضَفَّتَيْهِ ٱلدَّوْحُ مَدَّتْ ظِلَالَهَا لَهَا نَفَحَاتٌ دُونَهَا عَبَقُ ٱلْعِطْرِ
إِذَا بِفَرَاشٍ مَرَّ يَعْدُو وَرَاءَهُ صَبِيٌّ ذَكَتْ فِي خَدِّهِ جَذْوَةُ ٱلْحَرِّ
فَلَمْ يَرَ غَيْرَ ٱلدَّوْحِ مِنْ مَلْجَإٍ لَهُ فَلَاذَ بِهَا عَيَّانَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْكَرِّ
وَقَدْ حَانَ مِنْ ذَاكَ ٱلصَّبِيِّ ٱلْتِفَاتَةٌ فَأَبْصَرَ نَمْلاً سَاحِباً حَبَّةَ ٱلْبُرِّ
فَأَلْقَى عَلَيْهِ ٱلْقَبْضَ ظُلْماً وَعَنْوَةً وَجَرَّدَهُ مِمَّا حَوَاهُ مِنَ ٱلذُّخْرِ
فَقُلْتُ بِنَفْسِي هٰذِهِ صُورَةُ ٱلَّذِي
يُذِيقُ ٱلْوَرَى صَابَ ٱلْمَظَالِمِ وَٱلْقَهْرِ

فَمَنْ يَنْصُبِ ٱلْأَشْرَاكَ لِلطَّيْرِ فِي ٱلصِّبَا
فَإِنْ شَبَّ يَنْصُبْ لِلْوَرَى شَرَكَ ٱلْمَكْرِ

« الشاب »

نَظَرْتُ إِلَى أَهْلِ ٱلشَّبِيبَةِ نَظْرَةً تَجَلَّتْ بِهَا شَمْسُ ٱلْحَقَائِقِ فِي فِكْرِي
لَهُمْ عِزَّةٌ قَعْسَاءُ تَأْبَى صَغَارَةً وَهِمَّتُهُمْ مِنْ دُونِهَا هِمَّةُ ٱلنَّسْرِ
يَغُوصُونَ فِي بَحْرِ ٱلْمَفَاخِرِ جُهْدَهُمْ لِيَسْتَخْرِجُوا دُرَّ ٱلْمَعَالِي مِنَ ٱلْقَعْرِ
أُسُودٌ أُبَاةُ ٱلضَّيْمِ فِي سَاحَةِ ٱلْوَغَى تَقُدُّ مَوَاضِي عَزْمِهِمْ مُهْجَةَ ٱلصَّخْرِ
وَأَوْطَانُهُمْ لَا يُسْتَبَاحُ ذِمَارُهَا يُحَامُونَ عَنْهَا بِٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ

« الكهل »

رَعَى ٱللهُ أَعْلَامَ ٱلْحَصَافَةِ وَٱلْهُدَى
وَصَانَ رِجَالَ ٱلْحَزْمِ مِنْ عُصَبِ ٱلْغَدْرِ
وَحَيَّا مَغَاوِيرَ ٱلْحُرُوبِ تَحِيَّةً تُرَدِّدُهَا يَوْمَ ٱلْوَغَى أُسْدُ ٱلْخِدْرِ
هُمْ عُدَّةُ ٱلْأَوْطَانِ يَحْمُونَ عِزَّهَا بِبَأْسٍ عَلَى حَدِّ ٱلظُّبَى أَبَداً يَجْرِي
وَلَا نَالَتِ ٱلْحُلَى ٱلْكُهُولَ فَإِنَّهُمْ لَيَجْنُونَ زَهْرَ ٱلرُّشْدِ مِنْ فَنَنِ ٱلْخُبْرِ
لَهُمْ عَزْمَةُ ٱلْفِتْيَانِ لٰكِنَّ قَلْبَهُمْ بَصِيرٌ بِأَخْلَاقِ ٱلْوَرَى عَارِكُ ٱلدَّهْرِ
فَلَا تَسْتَفِزُّ ٱلْمُطْرِبَاتُ قُلُوبَهُمْ
وَلَيْسُوا أُسَارَى ٱللَّهْوِ كَٱلْخُودِ فِي ٱلْخِدْرِ
فَهُمْ بَيْنَ حَدَّيْ حِدَّةٍ وَرَزَانَةٍ فَمَا هُمْ بِأَطْوَادٍ وَلَا شَارِبِي خَمْرِ

إذَا رُزِقَ ٱلْكَهْلُ ٱلْبَنِينَ غَذَاهُمُ بِآدَابِهِ ٱلْحُسْنَى وَأَخْلاقِهِ ٱلْغُرِّ
يُلَقِّنُهُمْ فِي ٱلْمَهْدِ حُبَّ بِلادِهِمْ وَيَجْعَلُهُمْ مِنْ مَعْشَرِ ٱلسُّوءِ فِي حِجْرِ
وَيَحْجُبُ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ كُلَّ لَفْظَةٍ تُؤَدِّي بِهِمْ يَوْماً إلى هُوَّةِ ٱلْوِزْرِ
وَيُبْعِدُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ كُلَّ مَشْهَدٍ يُثَبِّتُ فِي ٱلْأَذْهَانِ جُرْثُومَةَ ٱلشَّرِّ
إذَا ٱعْوَجَّ خُلْقٌ فِيهِمِ هَبَّ مُسْرِعاً يُثَقِّفُهُ غَضّاً فَيَنْجُو مِنَ ٱلْكَسْرِ
وَإِنْ بَدَرَتْ مِنْهُمْ بَوَادِرُ حِدَّةٍ يُؤَدِّبُهُمْ بِٱللَّحْظِ لَا ٱلضَّرْبِ وَٱلْهَجْرِ
فَلَحْظَتُهُ أَمْضَى مِنَ ٱلسَّيْفِ عِنْدَهُمْ وَهَيْبَتُهُ تُغْنِي عَنِ ٱلْعُنْفِ وَٱلزَّجْرِ
وَإِنْ فَعَلُوا صُنْعاً جَمِيلًا جَزَاهُمُ جَزَاءً يُحَلِّي عِنْدَهُمْ عَمَلَ ٱلْبِرِّ
يُدِيرُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلافِ حَنَانِهِ كُؤُوساً تُنَسِّيهِمْ مُعَتَّقَةَ ٱلْخَمْرِ
وَأَشْرَفُ مَا يَأْتِيهِ فِي جَنْبِ خَيْرِهِمْ إزَاحَةُ سِتْرِ ٱلْجَهْلِ عَنْ سَاحَةِ ٱلصَّدْرِ
فَيُنْفِقُ فِي هٰذِي ٱلسَّبِيلِ نُضَارَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ ٱلْعِلْمَ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّرِّ

« الشيخ »

وَشَيْخٍ جَلِيلٍ كَلَّلَ ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ
كَتَكْلِيلِ غُصْنِ ٱلرَّوْضِ بِٱلنَّوْرِ وَٱلزَّهْرِ
إذَا فَلَّتِ ٱلْأَيَّامُ حَدَّ مَضَائِهِ فَآرَاؤُهُ تُغْنِيكَ عَنْ رَوْنَقِ ٱلْفَجْرِ
وَإِنْ جَنَّ لَيْلُ ٱلْمُشْكِلاتِ تَأَلَّقَتْ لَهُ حِكْمَةٌ أَزْهَى مِنَ ٱلشُّهُبِ ٱلْغُرِّ
فَلا تُخْطِئُ ٱلْمَرْمَى سِهَامُ ظُنُونِهِ وَيَقْرَأُ طِرْسَ ٱلْغَيْبِ فِي صَفْحَةِ ٱلْفِكْرِ
فَكَمْ نَكْبَةٍ جَلَّى ٱلشُّيُوخُ غُيُومَهَا وَلَوْلَاهُمُ ضَاقَتْ بِهَا حِيَلُ ٱلْقُطْرِ

وَكَمْ أَزْمَةٍ كَرَّتْ عَلى ٱلنَّاسِ كَرَّةً
فَرُدَّتْ عَلى ٱلْأَعْقَابِ بِٱلرَّأْيِ لَا ٱلسُّمْرِ
لَقَدْ صَقَلَتْ كَفُّ ٱلتَّجَارِبِ ذِهْنَهُمْ
وَبِٱلصَّقْلِ يَغْدُو ٱلذِّهْنُ أَمْضَى مِنَ ٱلْبُتْرِ
فَبَاتُوا عَلى خُبْرٍ بِأَطْوَارِ دَهْرِهِمْ وَعِلْمٍ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلنَّفْعِ وَٱلضُّرِّ
إِذَا كَرَّ جَيْشُ ٱلْخَطْبِ جَنَّدَ فِكْرُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْآرَاءِ صَمْصَامَةً تَبْرِي
أَلَا إِنَّ رَأْيَ ٱلشَّيْخِ أَنْفَعُ لِلْوَرَى
مِنَ ٱلْعَضْبِ فِي كَفِّ ٱلْفَتَى ٱلْبَاسِلِ ٱلْغِرِّ
لَهُ مَطْلَعٌ زَانَتْهُ هَالَةُ حِكْمَةٍ كَأَنِّي بِهَا مِنْ حَوْلِهِ هَالَةُ ٱلْبَدْرِ
وَمَجْلِسُهُ مَنْثُورَةٌ فِي أَدِيمِهِ عُقُودُ جُمَانٍ أَوْ شُذُورٌ مِنَ ٱلتِّبْرِ
تَحُفُّ بِهِ فِي كُلِّ نَادٍ مَهَابَةٌ كَمَا حُفَّتِ ٱلْأَبْطَالُ بِٱلْمَجْدِ وَٱلنَّصْرِ
عَلى أَنَّ عُمْرَ ٱلشَّيْخِ مُرٌّ وَلَوْ غَدَا عَلى عَرْشِ عِزٍّ فِي سَمَا ٱلنَّهْيِ وَٱلْأَمْرِ
تَرَاهُ أَوَانَ ٱلْقَرِّ يَهْتَزُّ رِعْدَةً وَإِنْ حَلَّ فَصْلُ ٱلْقَيْظِ ذَابَ مِنَ ٱلْحَرِّ
يَنُوحُ عَلى عَهْدِ ٱلشَّبِيبَةِ نَادِبًا قُوَاهُ وَقَدْ خَانَتْهُ فِي مَغْرِبِ ٱلْعُمْرِ
فَلَا غَرْوَ إِنْ يَأْسَفْ عَلى زَمَنِ ٱلصِّبَا
فَقَدْ بَاتَ مِثْلَ ٱلْقَوْسِ مُحْدَوْدِبَ ٱلظَّهْرِ
وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُ ٱلْعَزَائِمُ وَٱلْقُوَى وَأَضْحَى يُعَانِي لَوْعَةَ ٱلْعَجْزِ وَٱلْقَهْرِ
يَرَى حَوْلَهُ أَنَّ ٱلْمَنَايَا رَوَاصِدٌ لِتُنْشِبَ فِي أَحْشَائِهِ مِخْلَبَ ٱلصَّقْرِ

وَفِي يَدِهَا ٱلْمِنْحَاتُ تَنْحِتُ قَبْرَهُ   وَتَحْفُرُهُ كَفُّ ٱلرَّدَى أَيَّمَا حَفْرِ
فَلَيْسَ يَغِيبُ ٱلْمَوْتُ عَنْ عَيْنِ فِكْرِهِ   وَلَا تُصْرَفُ ٱلْأَنْظَارُ عَنْ لُجَّةِ ٱلْقَبْرِ
فَتَبًّا لِدُنْيَا يَغْمُرُ ٱلنَّاسَ هَمُّهَا   وَلَذَّاتُهَا فِيهَا عَصِيرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا حَلِيفَ سَعَادَةٍ
فَأَعْرِضْ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَأَقْبِلْ عَلَى ٱلْبِرِّ
فَخَيْرُ ٱلْوَرَى مَنْ زَانَ أَيَّامَ عُمْرِهِ   بِمَا يُبْهِجُ ٱلْأَلْبَابَ فِي مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ

﴿ اللغة العربية ﴾

« من قصيدة لامين ناصر الدين »

دَعِ ٱلْيَرَاعِ فَكَمْ مِنْ حَامِلٍ قَلَمًا   لَوْلَا تَنَكُّرُهُ لَٱسْتَرْعِيَ ٱلنَّعَمَا
مِنَ ٱلْغَضَاضَةِ أَنْ يُعْنَى أَخُو أَدَبٍ   بِمَا يُعَانِيهِ مَنْ لَا يَفْهَمُ ٱلْكَلِمَا
يَا مَنْ يَرَى ٱللُّغَةَ ٱلْفُصْحَى وَقَدْ نُكِبَتْ
بِكُلِّ دَهْيَاءَ رَدَّتْ نُورَهَا ظُلَمَا
هَوَتْ مِنَ ٱلذُّرْوَةِ ٱلْعَلْيَاوَبَثَّ لَهَا   شَرَّ ٱلْغَوَائِلِ قَوْمٌ ضَيَّعُوا ٱلْهِمَمَا
مِنْ كُلِّ أَبْلَهَ صَلْدِ ٱلذِّهْنِ ذِي رَعَنٍ
وَكُلِّ فَظٍّ إِذَا لَا يَنْتَهُ عَرَمَا
وَكُلِّ جَعْدِ ٱلْقَفَا لَوْلَا تَبَخْتُرُهُ   لَخِلْتَهُ صَخْرَةً أَوْ خِلْتَهُ صَنَمَا
مِنَ ٱلْغُرُورِ تَرَى فِي خَدِّهِ صَعَرًا   لَا يَنْقَضِي وَتَرَى فِي أَنْفِهِ شَمَمَا
يَظَلُّ يَرْقُمُ فِي أَوْرَاقِهِ جُمَلًا   مِنْ سَاقِطِ ٱللَّفْظِ مُغْتَرًّا بِمَا رَقَمَا

كَأَنَّهُ إِذْ يَمُجُّ ٱلْحِبْرَ مِرْقَمُهُ جَانٍ مِنَ ٱللُّغَةِ ٱلْفُصْحَى يُرِيقُ دَمَا
وَلَوْ تَلَوْتَ عَلَيْهِ مَا يُسَطِّرُهُ مِنَ ٱلسَّفَاسِفِ وَٱلْأَوْهَامِ مَا فَهِمَا
لَوْ كَانَ فِي عَهْدِ فِرْعَوْنٍ وَدَوْلَتِهِ لَشَادَ فِرْعَوْنُ مِنْ حُوشِيِّهِ هَرَمَا
سَمْجُ ٱلتَّعَابِيرِ سَمْجُ ٱلذَّوْقِ مُتَّخِذٌ مِنَ ٱلْبَلَادَةِ أُسْلُوبًا بِهِ ٱتَّسَمَا
يَعْدُو عَلَى ٱلْجُمَلِ ٱلْفُصْحَى فَيَمْسَخُهَا وَيَسْتَحِلُّ مِنَ ٱلتَّزْيِيفِ مَا حُرِمَا
وَيَجْعَلُ ٱلْفَاعِلَ ٱلْمَرْفُوعَ مُنْتَصِباً وَيَجْعَلُ ٱلرَّفْعَ فِي ٱلْمَفْعُولِ مُلْتَزَمَا
وَيَنْظِمُ ٱلشِّعْرَ رَثًّا لَفْظُهُ فَمَتَى يَسْمَعْهُ صَاحِبُ لُبٍّ يَشْتَهِ ٱلصَّمَمَا
وَيَسْتَجِيزُ مِنَ ٱلْإِبْهَامِ أَقْبَحَهُ فَلَيْسَ يَفْهَمُ إِلَّا ٱللهُ مَا نَظَمَا
وَإِنْ أَبَنْتَ لَهُ يَوْماً مَغَالِطَهُ يُؤَجِّجُ ٱلْحِقْدُ فِي أَحْشَائِهِ ضَرَمَا
وَيَدَّعِي أَنَّهُ مَا زَلَّ قَطُّ وَلَا كَانَتْ لَهُ هَفْوَةٌ يَوْماً وَلَا وَهَمَا
وَأَنَّهُ نَاثِرٌ أَلْفَاظُهُ دُرَراً وَأَنَّهُ نَاظِمٌ أَبْيَاتُهُ حِكَمَا
وَأَنَّهُ ٱلْعَلَمُ ٱلْفَرْدُ ٱلَّذِي رَفَعَتْ لَهُ مَفَاخِرُهُ فَوْقَ ٱلسُّهَى عَلَمَا
وَأَنَّهُ ٱلْعَبْقَرِيُّ ٱلْفَذُّ لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَأَنَّ لَهُ ٱلشَّأْنَ ٱلَّذِي عَظُمَا
لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى أَمْرٍ مَزَاعِمُهُ وَهَلْ يُصَدِّقُ إِلَّا ٱلْغِرُّ مَا زَعَمَا

* * *

يَا لِلْبَلَاغَةِ أَمْسَى وَشْيُهَا خَلَقاً وَأَصْبَحَ ٱلدُّرُّ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَحَمَا
يَا لِلْفَصَاحَةِ أَوْدَى ٱلْأَغْبِيَاءُ بِهَا وَرُبَّمَا جَهِلَ ٱلْمَغْرُورُ مَا ٱجْتَرَمَا
تَعَاوَرُوهَا بِأَقْلَامٍ وَأَلْسِنَةٍ أَخْنَتْ عَلَيْهَا وَلَمْ يَسْتَشْعِرُوا نَدَمَا

تخالُهم عرَبًا حتّى إذا نطَقوا في ٱلنّاسِ أو كتبوا لم يفضُلوا ٱلعجما
هذي ٱلطُّروسُ ٱلّتي ضمّتْ سُطورَهُمُ تكادُ تشكو إلى قُرّائِها أَلَما
قد حرّفوا ٱللّفظَ حتّى باتَ مُبتذَلا وأفحشوا ٱللّحنَ حتّى أضحكوا ٱلأُمَما
إنّ ٱلغبيَّ إذا أعطيتَهُ قلماً مِثلُ ٱلجَبانِ إذا قلّدتَهُ خذِما

***

يا لِلبيانِ ٱستباحوهُ وما تركوا مِن سِحرِهِ غيرَ ما قد أورثَ ٱلَّلمما
هٰذي جرائدُهُمْ بِٱللّغوِ حافِلَةٌ يَكادُ يجهلُ فِيها ٱلمرءُ ما عَلِما
بِيضٌ صحائفُها لكِنْ إذا تُلِيتْ تَسوَدُّ حتّى يُحاكي لونُها ٱلحُمَما
يظُنُّهمْ مَنْ يَراهُمْ سادةً نُجُباً وذُو ٱلحَصافَةِ لا يَرضاهُمُ خدَما
وتِلكَ أشعارُهُمْ ساموا ٱلبَيانَ بِها مَذَلّةً وأهانوا ٱلطِّرسَ وٱلقَلَما
سَفْسافُ لفظٍ وأوزانٌ مُنافِيَةٌ وزْنَ ٱلقَريضِ ومعنًى يُضحِكُ ٱلفَهِما
فضاعَ بينَهُمُ صَوتُ ٱلأديبِ وقدْ يَضيعُ صوتُ هَزارٍ جاوَرَ ٱلرَّخَما

***

يا معشرَ ٱللُّغَةِ ٱلفُصحى أما لكُمْ عطفٌ عليها يقيها ٱلنّائباتِ أما
تدارَكوها وذودوا ٱلعابِثينَ بِها وجدِّدوا مِن مَبانيها ٱلّذي ٱنهدَما
كانتْ لها عِندَكُمْ فِيما مضى ذِمَمٌ وليسَ مِن شأنِكُمْ أنْ تخفِروا ٱلذِّمَما

﴿ عَبرَة وعِبرة [1] ﴾

« من قصيدة لبشارة الخوري صاحب جريدة البرق »

قُلْ لِلشَّرْقِ حَاذِرِي أَنْ تَمِيدِي سَقَطَ ٱلعَرْشُ عَرْشُ عَبْدِ ٱلْحَمِيدِ
فَهَوَى رَبُّهُ وَكَانَتْ عَلَى رِجْـ لَيْهِ تَهْوِي قَبْلًا جِبَاهُ ٱلصِّيدِ
سُنَّةٌ لِلزَّمَانِ عِزٌّ وَذِلٌّ قُسِمَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَسُودِ
صَاحِبَ ٱلْعَرْشِ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلعَرْ شِ وَقَدْ كَانَ مُحْكَمَ ٱلتَّوْطِيدِ
صَاحِبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلَّتِي كُنْتَ مِنْهَا فِي مَقَامِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلْمَعْبُودِ
أَيْنَ تِلْكَ ٱلشِّفَاهُ تَلْثِمُ رِجْلَيْـ كَ وَتَدْعُو لِلْمُلْكِ بِٱلتَّأْيِيدِ
وَٱلرُّؤُوسُ ٱلْمُطَأْطَآتُ إِلَى ٱلْأَرْ ضِ قِيَامًا بِوَاجِبَاتِ ٱلسُّجُودِ
وَٱلْإِرَادَاتُ أَيْنَ تِلْكَ ٱلْإِرَادَا تُ ٱلْمُبِيدَاتُ كُلَّ حُرٍّ شَهِيدِ
ذَهَبَتْ مِثْلَمَا ذَهَبْتَ وَبَادَتْ مِثْلَمَا بِدْتَ يَا ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْمَجِيدِ

***

وَقْفَةً عِنْدَ قَصْرِ يَلْدِزَ لَيْلًا وَٱلْوَرَى بَيْنَ هُجَّدٍ وَرُقُودِ
رَقَدُوا فِي ٱلْمُهُودِ لٰكِنَّمَا ٱلْأَنْـ فُسُ مِنْهُمْ فِي قَبْضَةٍ مِنْ حَدِيدِ
كُلَّ فَجْرٍ تَهُبُّ مِنْ نَوْمِهَا ٱلْأُ مُّ وَتَهْفُو إِلَى سَرِيرِ ٱلْوَلِيدِ
حَيْثُ تَرْمِي بِنَفْسِهَا وَتُهَنِّيـ ـهِ بِفَجْرٍ مِنَ ٱلْحَيَاةِ جَدِيدِ
ثُمَّ تَجْثُو أَمَامَهُ وَتُنَادِي رَبِّ صُنْهُ مِنْ ظُلْمِ عَبْدِ ٱلْحَمِيدِ

(٢) نظمها الشاعر على اثر اعلان الدستور العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

وَقْفَـةً وَٱنْتَبِهْ لِخَشْخَشَةِ ٱلْقَيْـ ـدِ وَصَوْتِ ٱلْوَعِيدِ وَٱلتَّهْدِيـدِ
رَجُلٌ شَاحِبٌ يُقَـادُ إِلَى ٱلسِّجْـ ـنِ مُحَاطاً بِعُصْبَـةٍ مِنْ قُرُودِ
كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يُسَكِّنَ قَلْباً هَاجَ قَلْباً أَقْسَى مِنَ ٱلْجُلْمُودِ
أَلِفُوا ٱلظُّلْمَ فَٱلْمَـدَامِعُ أَشْهَى عِنْدَهُمْ مِنْ عُصَارَةِ ٱلْعُنْقُودِ
أَيُّ ذَنْبٍ جَنَى ٱلْفَتَى لِيُلاقِي مَا يُلاقِي مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ
كَانَ حُرًّا وَهَلْ سَمِعْتَ بِحُرٍّ عُمْرُهُ طَالَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْحَمِيدِي

***

عَاهِلَ ٱلْغَوْلِ لَفْتَةً ثُمَّ رَحِّبْ بِطَرِيـدٍ مِنَ ٱلْمُلُوكِ شَرِيدِ
قُلْ لَهُ يَا لِوِيسُ مَاذَا جَنَى ٱلْمُلْـ ـكُ وَمَا ذَا جَنَاهُ خَفْرُ ٱلْعُهُودِ
قُلْ لَهُ كَيْفَ ثُلَّ عَرْشُكَ وَٱلْعَرْ شُ عَلَيْـهِ يَرُفُّ مَجْدُ ٱلْجُدُودِ
قُلْ لَهُ كَيْفَ قَادَكَ ٱلْجُنْدُ بَيْنَ ٱلشَّـ ـعْبِ لِلْقَتْلِ رَاسِفاً بِٱلْقُيُـودِ
أَنْتَ لَمْ تَقْتُلِ ٱلرَّعِيَّةَ ظُلْماً طَمَعاً أَوْ تَعَلُّـلاً بِٱلْخُلُودِ
لَمْ تُضَيِّعْ أَنْتَ ٱلْبِلادَ وَلَمْ تُؤْ ثِرْ عَلَيْهَا عَيْشَ ٱلْجَبَانِ ٱلْكَنُودِ
فَلَئِنْ مُتَّ مُتَّ مَوْتاً حَمِيداً وَلَئِنْ عَاشَ عَاشَ غَيْرَ حَمِيدِ

***

إِيهِ عَبْدَ ٱلْحَمِيدِ حَدِّثْ عَنِ ٱلدَّهْـ ـرِ وَحَـدِّثْ عَنْ يَوْمِكَ ٱلْمَشْهُودِ
عِبْرَةٌ أَنْتَ لِلْوَرَى رَسَمَتْهَـا إِصْبَعُ ٱللهِ فِي كِتَابِ ٱلْوُجُودِ
كُنْتَ تُبْكِي فَصِرْتَ تَبْكِي وَعَهْدِي فِيكَ عَبْدَ ٱلْحَمِيـدِ غَيْرُ بَعِيدِ

يَا لَيَالِيهِ لَا تُرِيهِ ضَحَايَا ... هُ فَتَعْرُوهُ رِعْشَةُ ٱلرِّعْدِيدِ
وَٱرْحَمِيهِ فَٱلشَّيْخُ هَاوٍ وَمَا لِلشَّيْخِ مِنْ طَاقَةٍ عَلى ٱلتَّسْهِيدِ
كَانَ بِٱلْأَمْسِ وَٱلْبَرَايَا عَبِيدٌ فَغَدَا ٱلْيَوْمَ صَاغِراً لِلْعَبِيدِ

***

دُفِنَتْ أَعْصُرُ ٱلْمَظَالِمِ يَا شَرْ ... قُ فَرَحِّبْ بِعَصْرِكَ ٱلْمَوْلُودِ
وَٱبْتَسِمْ لِلْفَلَاحِ فَٱلتَّاجُ مَعْقُو ... دٌ عَلى مَفْرِقِ ٱلْفَتَى ٱلْمَنْدُودِ
زَالَ عَصْرُ ٱلسُّجُودِ يَا أُمَمَ ٱلْأَرْ ... ضِ فَهٰذَا عَصْرُ ٱلْإِخَاءِ ٱلْوَطِيدِ
ظَمِئَتْ هٰذِهِ ٱلنُّفُوسُ إِلى ٱلْمَجْ ... دِ فَلَا تَمْنَعُوا سَبِيلَ ٱلْوُرُودِ

« بين الجماجم »

« لمخائيل نعيمه »

حَدِّثِينِي عَنِ ٱلْحَيَاةِ عَسَى أُعْ ... طِي فُؤَادِي ٱللَّجُوجَ عَنْهَا جَوَابَا
حَدِّثِينِي عَنِ ٱلْقُلُوبِ ٱلَّتِي كَا ... نَتْ قُلُوبًا وَٱلْيَوْمَ صَارَتْ تُرَابَا
كَيْفَ كَانَتْ بِٱلْأَمْسِ تَمْلَى وَلَا تَحْ ... سِبُ لِلْمَوْتِ فِي ٱلْحَيَاةِ حِسَابَا
نَابِضَاتٍ حُبًّا وَبُغْضاً وَإِيمَا ... نًا وَشَكًّا وَرَاجِيَاتٍ ثَوَابَا
هَا أَنَا أَلْمَسُ ٱلتُّرَابَ فَلَا أَلْ ... مَسُ هَمًّا أَوْ غِبْطَةً أَوْ عَذَابَا
وَأُصِيخُ إِلى ٱلتُّرَابِ فَلَا أَسْ ... مَعُ شَكْوَى أَوْ لَهْفَةً أَوْ عِتَابَا
أَتُرَيْنَ ٱلْأَشْوَاقَ صَارَتْ بُرُوقاً وَدُمُوعَ ٱلْأَحْزَانِ أَضْحَتْ سَحَابَا

وَأَنِينَ ٱلْقُلُوبِ أَمْسَى رُعُوداً وَأَمَانِيُّهَا ٱسْتَحَالَتْ ضَبَابَا
أَمْ تَرَيْنَ ٱلتُّرَابَ عَادَ تُرَابًا وَسَرَابَ ٱلْأَهْوَاءِ عَادَ سَرَابَا

***

حَدِّثِينِي عَنِ ٱلْخُدُودِ ٱلَّتِي بِٱلْـ
أَمْسِ كَانَتْ مَذَابِحاً لِلْجَمَالِ
تُنْطِقُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْكُفْرِ وَٱلْكُفَّارِ بِٱلْحَمْدِ لِلْقَوِيِّ ٱلْمُتَعَالِي
نَتَبَارَى بِلَا ٱنْقِطَاعٍ إِلَيْهَا وَنُضَحِّي لَهَا بِأَغْلَى ٱلْغَوَالِي
كَمْ سَجَدْنَا أَمَامَهَا وَٱبْتَهَلْنَا وَقَرَعْنَا صُدُورَنَا فِي ٱللَّيَالِي
وَحَرَقْنَا ٱلْقُلُوبَ مِنَّا بُخُورًا وَنَظَمْنَا ٱلْعُيُونَ عِقْدَ لَآلِي
هَا أَتَيْنَا لِنُتْرِعَ ٱلرُّوحَ مِمَّا بَانَ فِيهَا لِطَرْفِنَا مِنْ كَمَالِ
وَغَرِيبٌ أَنْ لَا نَرَى حَيْثُ كَانَتْ غَيْرَ دُودٍ يَدِبُّ بَيْنَ ٱلرِّمَالِ
وَيْحَ قَلْبٍ يَرَى ٱلْخَيَالَ جَمَالًا وَيْحَ فِكْرٍ يَمْحُو جَمَالَ ٱلْخَيَالِ

***

حَدِّثِينِي عَنْ نَفْخَةٍ جَعَلَتْ آدَمَ حَيًّا وَكَانَ تُرْبًا وَمَاءْ
يَا لَهَا نَفْخَةً أَرَتْنَا بَصِيصاً فِي ظَلَامِ ٱلْبَقَا فَزِدْنَا عَمَاءْ
مَا لَمَحْنَا ٱلْحَيَاةَ حَتَّى رَأَيْنَا فِي ثَنَايَا ثَوْبِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْفَنَاءْ
فَغَدَوْنَا إِذَا رَجَوْنَا عَزَاءً صَارَ ذَاكَ ٱلْعَزَاءُ فِينَا بَلَاءْ
وَنَسِينَا أَنَّا تُرَابٌ فَلَا بِٱلْـ أَرْضِ نَرْضَى وَلَا نَنَالُ ٱلسَّمَاءْ

نَفْخَـةُ ٱللهِ أَيْنَ أَيْنَ ٱسْتَقَرَّتْ   بَعْدَ أَنْ عَادَتِ ٱلْجُسُومُ هَبَاءْ
أَلِى صَدْرِ خَالِقِ ٱلْكَوْنِ عَادَتْ   تَحْمِلُ ٱلْهَمَّ وَٱلْأَسَى وَٱلشَّقَاءْ
أَمْ طَوَتْهَا ٱلْأَقْدَارُ لٰكِنْ لِحِينٍ   أَمْ هَوَاءٌ كَانَتْ فَعَادَتْ هَوَاءْ

***

حَدِّثِينِي عَنِ ٱلْحَيَاةِ لِأُعْطِي   عَنْ حَيَاتِي أَمَامَ نَفْسِي حِسَابَا
فَعَسَى ٱلْخَافِقُ ٱلَّذِي ضِمْنَ صَدْرِي   لَا يَزِيدُ ٱلنِّيرَانَ فِيهِ ٱلْتِهَابَـا

﴿ بنت سوريا ﴾

« لايليا ابي ماضي »

لَيْسَ يَدْرِي ٱلْهَمَّ غَيْرُ ٱلْمُبْتَلِي   طَالَ جُنْحُ ٱللَّيْـلِ أَوْ لَمْ يَطُلِ
مَا لِهٰذَا ٱلنَّجْمِ مِثْلِي فِي ٱلثَّرَى   طَائِرَ ٱلنَّوْمِ شَدِيـدَ ٱلْوَجَلِ
أَتَرَاهُ   يَتَّقِي   طَارِئَـةً   أَمْ بِـهِ أَنِّي غَرِيبُ ٱلْمَنْزِلِ
كُلَّمَا طَالَعْتُ خَطْبـاً جَلَلاً   جَاءَنِي ٱلدَّهْرُ بِخَطْبٍ جَلَـلِ
أَشْتَكِي ٱللَّيْلَ وَلَوْ وَدَّعْتُـهُ   بِتُّ مِنْ هَمِّي بِلَيْـلٍ أَلْيَلِ
يَا بَنَاتِ ٱلْأُفْقِ مَا لِلصَّبِّ مِنْ   مُسْعِدٍ لِلنَّـاسِ هَلْ فِيكُنَّ لِي
لَا عَرَفْتُنَّ ٱلرَّزَايَا   إِنَّهـا   شَيَّبَتْ رَأْسِي وَلَمْ أَكْتَهِـلِ
سَهِدَتْ سُهْدِي ٱلدَّرَارِي إِنَّمَا   شَذَّ مَا بَيْنَ ٱلْمُعَنَّى وَٱلْخَـلِي
لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَعْجَبَهَـا   فَهْيَ لَا تَنْفَكُّ تَرْنُو مِنْ عَـلِ
أَنَا لَا أَغْبِطُهَـا   خَـالِدَةً   وَلَقَدْ أَحْسِدُهَـا لَمْ تَعْقِلِ

كُلَّمَا رَاجَعْتُ أَحْلامَ ٱلصِّبَا قُلْتُ يَا لَيْتَ ٱلصِّبَا لَمْ يَزُلِ
أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي فِي أَضْلُعِي إِنَّمَا ٱللَّذَّةُ جَهْلٌ فَٱجْهَلِ
تَحْمِلُ «ٱلرِّقَّةُ» فِي ٱلْعَضْبِ فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَاهَا فَكُنْ كَٱلْمُنْصَلِ
هِيَ فِي ٱلْغِيدِ ٱلْغَوَانِي قُوَّةٌ وَهِيَ ضُعْفٌ فِي فُؤَادِ ٱلرَّجُلِ
لَا يَغُرُّ ٱلْحُسْنُ ذَا ٱلْحُسْنِ فَقَدْ يَصْرَعُ ٱلْبُلْبُلَ صَوْتُ ٱلْبُلْبُلِ
تُقْتَلُ ٱلشَّاةُ وَلَا ذَنْبَ لَهَا هِيَ لَوْلَا ضُعْفُهَا لَمْ تُقْتَلِ
إِنْ تَكُنْ فِي ٱلْوَحْشِ كُنْ لَيْثَ ٱلشَّرَى
أَوْ تَكُنْ فِي ٱلطَّيْرِ كُنْ كَٱلْأَجْدَلِ
أَوْ تَكُنْ فِي ٱلنَّاسِ كُنْ أَقْوَاهُمُ لَيْسَتِ ٱلْعَلْيَاءُ حَظَّ ٱلْوَكِلِ

***

مَا لِقَوْمِي لَا وَهَى حَبْلُهُمُ قَنِعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِٱلْوَشَلِ
أَنَا مِنْ أَمْرِهِمِ فِي شُغُلٍ وَهُمُ عَنْ أَمْرِهِمْ فِي شُغُلِ
كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا عَاقَنِي ٱلْيَأْسُ عَنِ ٱلْمُسْتَقْبَلِ
نَحْنُ فِي ٱلْجَهْلِ عَبِيدٌ لِلْهَوَى وَمَعَ ٱلْعِلْمِ عَبِيدُ ٱلدُّوَلِ
نَعْشَقُ ٱلشَّمْسَ وَنَخْشَى حَرَّهَا مَا صَعِدْنَا وَهِيَ لَمَّا تَنْزِلِ
قَدْ مَشَى ٱلْغَرْبُ عَلَى هَامِ ٱلسُّهَى وَمَشَيْنَا فِي ٱلْحَضِيضِ ٱلْأَسْفَلِ

***

سَجَّلَ ٱلْعَارَ عَلَيْنَا مَعْشَرٌ سَجَّلُوا ٱلْمَرْأَةَ بَيْنَ ٱلْهَمَلِ

فهيَ إمّـا سِلْعَةٌ حامِلَةٌ سِلَعاً أَوْ آلَةٌ في مَعْمَـلِ
تتهاداها ٱلْمَـوَامِي وَٱلرُّبَى فهيَ كَٱلدِّينارِ بَيْنَ ٱلْأَنمُـلِ
لَا تُبالِي ٱلْقَيْظَ يَشوِي حَرُّهُ لَا وَلَا تحذَرُ بَرْدَ ٱلشَّمْأَلِ
وَلَها في كُلِّ بابٍ وَقفَةٌ كَٱمرِئِ ٱلْقَيْسِ حِيالَ ٱلطَّلَلِ
فهيَ كَٱلْعُصْفُورِ وَافَى صادِياً فَرَأَى ٱلصَّيَّادَ عِنْـدَ ٱلْمَنْهَلِ
كامِناً فَٱنْصاعَ يُدْنِيهِ ٱلظَّمَا ثُمَّ يُقْصِيهِ ٱتِّقاءُ ٱلْأَجَلِ
وَلَكَمْ طافَتْ بِهِ آمِـلَةً وَٱنْثَنَتْ تَقْطَعُ خَيْطَ ٱلْأَمَلِ
وَلَكَمْ مَدَّتْ إلى ٱلرِّفْدِ يَداً خُلِقَتْ في مِثْلِها لِلْقُبَلِ
مَا بِهَا ؟! لَا كانَ شرًّا ما بِهَا ما لَها مِنْ أَمرِها في خَبَلٍ ؟!
سائِلُوها أَوْ سَلُوا عَنْ حالِها إنْ جَهِلْتُمْ كُلَّ طِفْلٍ مُحْوِلِ
في سَبِيلِ ٱلْمالِ أَوْ عُشَّاقِهِ تَكْدَحُ ٱلْمَرْأَةُ كَدْحَ ٱلْإِبِلِ
ما تَراها وَهْيَ لَا حَوْلَ لَها تحتَ عِبْءٍ فادِحٍ كَٱلْجَبَلِ
شَدَّتِ ٱلْأَمْراسَ في ساعِدِها مَنْ رَأَى ٱلْأَمْراسَ حَوْلَ ٱلْجَدْوَلِ
جَشَّمُوها كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلٍ وَهْيَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ ٱلْمَنْزِلِ
فَإِذا فارَقَتِ ٱلدَّارَ ضُحًى لَمْ تَعُدْ إِلَّا قُبَيْلَ ٱلطَّفَلِ
أَلِفَتْ ما عَوَّدُوها مِثْلَما تَأْلَفُ ٱلظَّبْيَةُ طَعْمَ ٱلْحَنْظَلِ

***

بِنْتَ سُورِيَّا ٱلَّتِي أَبْكِي بِهَا هِمَّةَ ٱللَّيْثِ وَرُوحَ ٱلْحَمَلِ

مَا أَطَاعُوا فِيكِ أَحكامَ ٱلنُّهَى   لَا وَلَا قَولَ ٱلكِتَابِ ٱلمُنْزَلِ
قَدْ أَضاعُوكِ وَمَا ضَيَّعتِهِمْ   فَأَضَاعُوا كُلَّ أُمٍّ مُشبِلِ

***

قُلْ لَهُمْ إِنْ تَطْلُبُوا ٱلْمَجْدَ فَلا   تَطْرَحُوا آدَابَكُمْ فِي ٱلسُّبُلِ

﴿ السجينة ﴾

« للشاعر نفسه »

لَعمرُكَ مَا حُزنِي لِمَالٍ فَقَدْتُهُ   وَلَا خَانَ عَهْدِي فِي ٱلْحَيَاةِ حَبِيبُ
وَلٰكِنَّنِي أَبكِي وَأَندبُ زَهرَةً   جَنَاهَا وَلُوعٌ بِٱلزُّهُورِ لَعُوبُ
رَآهَا يَحُلُّ ٱلْفَجرُ عِقدَ جُفُونِهَا   وَيُلقِي عَلَيْهَا تِبْرَهُ فَيَذُوبُ
وَيَنْفُضُ عَنْ أَعطَافِهَا ٱلنُّورَ لُؤْلُؤًا   مِنَ ٱلطَّلِّ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
فَعَالَجَهَا حَتَّى ٱسْتَوَتْ فِي يَمِينِهِ   وَعَادَ إِلَى مَغْنَاهُ وَهْوَ طَرُوبُ
وَشَاءَ فَأَمسَتْ فِي ٱلْإِنَاءِ سَجِينَةً   لِتَشْبَعَ مِنْهَا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ
ثَوَتْ بَيْنَ جُدْرَانٍ كَقَلْبِ مَضِيمِهَا   تَلَمَّسُ فِيهِ مَنْفَذًا فَتَخِيبُ
فَلَيْسَتْ تُحَيِّي ٱلشَّمْسَ عِنْدَ شُرُوقِهَا   وَلَيْسَتْ تُحَيِّي ٱلشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ
وَمَنْ عُصِبَتْ عَيْنَاهُ فَالْوَقْتُ كُلُّهُ   لَدَيْهِ — وَإِنْ لَاحَ ٱلصَّبَاحُ — غُرُوبُ

***

لَهَا ٱلْحُجْرَةُ ٱلْحَسْنَاءُ فِي ٱلْقَصْرِ إِنَّمَا   أَحَبُّ إِلَيْهَا رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ

وَأَجْمَلُ مِنْ نُورِ ٱلْمَصَابِيحِ عِنْدَهَا ... حُبَاحِبُ[1] تَمْضِي فِي ٱلدُّجَى وَتَؤُوبُ
وَمِنْ فَتَيَاتِ ٱلْقَصْرِ يَرْقُصْنَ حَوْلَهَا ... عَلَى نَغَمَاتٍ كُلُّهُنَّ عَجِيبُ
وَأَجْمَلُ مِنْهُنَّ ٱلْفَرَاشَاتُ فِي ٱلضُّحَى ... لَهَا كَٱلْأَمَانِي سَكْنَةٌ وَوُثُوبُ
وَأَبْهَى مِنَ ٱلدِّيبَاجِ وَٱلْخَزِّ عِنْدَهَا ... فِرَاشٌ مِنَ ٱلْعُشْبِ ٱلْخَضِيلِ رَطِيبُ
وَأَحْلَى مِنَ ٱلسَّقْفِ ٱلْمُزَخْرَفِ بِٱلدُّمَى ... فَضَاءٌ تُشِعُّ ٱلشُّهْبُ فِيهِ رَحِيبُ
تَحِنُّ إِلَى مَرْأَى ٱلْغَدِيرِ وَصَوْتِهِ ... وَتُحْرَمُ مِنْهُ وَٱلْغَدِيرُ قَرِيبُ
إِذَا سُقِيَتْ زَادَتْ ذُبُولًا كَأَنَّمَا ... يُرَشُّ عَلَيْهَا فِي ٱلْمِيَاهِ لَهِيبُ
وَكَانَتْ قَلِيلُ ٱلطَّلِّ[2] يُنْعِشُ رُوحَهَا ... وَكَانَتْ بِمَيْسُورِ ٱلشُّعَاعِ تَطِيبُ
بِهَا مِنْ أُنُوفِ ٱلنَّاشِقِينَ تَوَعُّكٌ ... وَمِنْ نَظَرَاتِ ٱلْفَاسِقِينَ نُدُوبُ
وَفِيهَا كَمَقْطُوعِ ٱلْوَرِيدَيْنِ صُفْرَةٌ ... وَفِيهَا كَمِصْبَاحِ ٱلْبَخِيلِ شُحُوبُ
تَمَشَّى ٱلضَّنَى فِيهَا وَأَيَّارُ فِي ٱلْحِمَى ... وَجَفَّتْ وَسِرْبَالُ ٱلرَّبِيعِ قَشِيبُ

* * *

أَيَا زَهْرَةَ ٱلْوَادِي ٱلْكَئِيبَةَ إِنَّنِي ... حَزِينٌ لِمَا أَصْبَحْتِ فِيهِ كَئِيبُ
وَأَكْثَرُ خَوْفِي أَنْ تَظُنِّي بَنِي ٱلْوَرَى ... سَوَاءً وَهُمْ مِثْلُ ٱلنَّبَاتِ ضُرُوبُ
وَأَعْظَمُ حُزْنِي أَنَّ خَطْبَكِ بَعْدَهُ ... مَصَائِبُ شَتَّى لَمْ تَقَعْ وَخُطُوبُ

---

(١) الحباحب ذباب يطير في الليل كأنه نار (٢) المطر الضعيف والندى

سَيَطْرَحُكِ ٱلإِنسَانُ خَارِجَ دَارِهِ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكِ ٱلعَشِيَّةَ طِيبُ
فَتُمْسِينَ لِلأَقْدَارِ فِيكِ مَلاعِبٌ   وَفِي صَفْحَتَيْكِ لِلنِّعَالِ نَصِيبُ

***

إِسَارُكِ يَا أُخْتَ ٱلرَّيَاحِينِ مُفْجِعٌ   وَمَوْتُكِ يَا بِنْتَ ٱلرَّبِيعِ رَهِيبُ
وَلٰكِنَّهَا ٱلدُّنْيَا وَلٰكِنَّهُ ٱلقَضَا   وَهٰذَا لَعَمْرِي مِثْلُ تِلْكَ غَرِيبُ
فَكَمْ شَقِيَتْ فِي ذِي ٱلحَيَاةِ فَضَائِلٌ   وَكَمْ نَعِمَتْ فِي ذِي ٱلحَيَاةِ عُيُوبُ
وَكَمْ شِيَمٍ حَسْنَاءَ عَاشَتْ كَأَنَّهَا   مَسَاوِئُ يُخْشَى شَرُّهَا وَذُنُوبُ

﴿ زهرة البنفسج ﴾

« للدكتور نقولا فياض »

هِيَ زَهْرَةٌ بِجِوَارِ سَاقِيَةٍ   نَبَتَتْ وَعَاشَتْ عِيشَةَ ٱلطُّهْرِ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ ٱلعُشْبِ مُتَّكَأً   وَسِوَى عِنَاقِ ٱلمَاءِ لَمْ تَدْرِ
فَٱسْتَيْقَظَتْ يَوْماً كَأَنَّ بِهَا   سُكْراً وَقَدْ شَرِبَتْ نَدَى ٱلفَجْرِ
تَبْكِي جَوًى وَتَقُولُ مَا أَمَلِي   لَوْ عِشْتُ خَالِدَةً بِذَا ٱلقَفْرِ
حَسْنَاءُ لٰكِنْ لَا عُيُونَ تَرَى   حُسْنِي وَلَا مِنْ عَارِفٍ قَدْرِي
هَلَّا صَعِدْتُ إِلَى ذُرَى جَبَلٍ   وَبَدَلْتُ هٰذَا ٱلكُوخَ بِٱلقَصْرِ
فَأَرَى ٱلجَدِيدَ مِنَ ٱلوُجُودِ وَمَا   تَحْوِي مَعَانِي ٱلكَوْنِ مِنْ سِحْرِ
قَالَتْ وَقَامَ بِهَا ٱلهَوَى فَمَشَتْ   فِي ٱلقَفْرِ مِثْلَ ظِبَائِهِ ٱلعُفْرِ
حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ وَمَا ٱبْتَعَدَتْ   وَقَفَتْ تُجِيلُ ٱلطَّرْفَ عَنْ كِبْرِ

فَرَأَتْ بِسَاطَ ٱلْعُشْبِ مُنْتَشِراً تَلوِي عَلَيْهِ مَعَاطِفُ ٱلنَّهَرِ
جَارَاتُهَا فِي ٱلْحَيِّ نَائِمَةٌ حُمْراً عَلى أَعْلامِهَا ٱلْخُضَرِ
فَٱسْتَبْشَرَتْ بِٱلْفَوْزِ وَٱنْطَلَقَتْ تَعْدُو وَلَا تَلوِي عَلى أَثَرِ
وَحَلا لَهَا ٱلسَّفَرُ ٱلْبَعِيدُ وَمَا حَسِبَتْ حِسَابَ ٱلْحُلْوِ وَٱلْمُرِّ
أَلْأَرْضُ مُوْعِرَةٌ وَمُحْرِقَةٌ فَكَأَنَّهَا تَمْشِي عَلى جَمْرِ
وَرَفِيقُهَا هُوجُ ٱلرِّيَاحِ وَقَدْ ثَارَتْ عَلَيْهَا ثَوْرَةَ ٱلْغَدْرِ
تَرْمِي بِهَا كُلَّ ٱلْجِهَاتِ فَلا تَرْتَاحُ مِنْ كَرٍّ إِلى فَرِّ
يَا لِلْبَنَفْسَجَةِ ٱلْجَمِيلَةِ مِنْ أَهْوَالِ مَا قَاسَتْهُ لَوْ تَدْرِي
عَزَّ ٱلسَّبِيلُ إِلى مَطَامِحِهَا فِي مَصْعَدِ ٱلْأَشْوَاكِ وَٱلْوَعْرِ
وَأَصَابَ أَرْجُلَهَا ٱلضَّعِيفَةَ مَا يُمْنِي ٱلْحَدِيدَ ٱلصُّلْبَ بِٱلْكَسْرِ
فَتَأَوَّهَتْ نَدَماً وَلَوْ قَدِرَتْ رَجَعَتْ عَلى أَعْقَابِهَا تَجْرِي
لٰكِنَّهَا تَاَلَتْ وَحَيَّرَهَا خَوْفُ ٱلسُّقُوطِ كَرَاكِبِ ٱلْبَحْرِ
فَتَشَبَّثَتْ بِٱلْأَرْضِ مُفْرِغَةً جُهْدَ ٱلْقِوَى وَبَقِيَّةَ ٱلصَّبْرِ
حَتَّى تَسَنَّمَتِ ٱلذُّرَى وَغَدَتْ فِي ٱلْأَوْجِ تَتْلُو آيَةَ ٱلشُّكْرِ

.....

لٰكِنَّهَا لَمْ تَلْقَ – وَا أَسَفِي – فِي ٱلْأَوْجِ غَيْرَ جَلامِدِ ٱلصَّخْرِ
لَا عُشْبَ يَنْبُتُ فِي جَوَانِبِهِ أَبَداً وَلَا أَثَرٌ لِمُخْضَرِّ
وَٱلْعَاصِفَاتُ كَأَنَّهَا أُسُدٌ فِي ٱلْجَوِّ تَزْأَرُ أَيَّمَا زَأْرِ

وَٱلْغَيمُ سَاوَى فِي تَلَبُّدِهِ مَا بَيْنَ نِصْفِ ٱللَّيْلِ وَٱلظُّهْرِ
فَجَنَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبَكَتْ كَٱلطِّفْلِ مِنْ تَعَبٍ وَمِنْ ذُعْرِ
وَٱلبَرْدُ أَفْسَدَ لَوْنَهَا كَمَداً مِنْ كُلِّ مُزْرَقٍ وَمُحْمَرِ
فَٱصفَرَّ ذَيَّاكَ ٱلْجَبِينُ كَمَا ذَهَبَتْ نَضَارَةُ ذٰلِكَ ٱلثَّغْرِ
مِنْ قَهْرِهَا أَنَّتْ وَقَدْ سُمِعَتْ وَسْطَ ٱلزَّوَابِعِ أَنَّـةُ ٱلْقَهْرِ
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَصبُ نَحْوَ عُلًى وَبَقِيتُ بَينَ عَرَائِسِ ٱلزَّهْرِ
ثُمَّ ٱرْتَمَتْ ضُعفاً وَأَخْرَسَهَا شَيْخٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ ٱلْقَبْرِ
وَتَصَلَّبَتْ أَعْضَاؤُهَا وَمَضَتْ بِٱلْمَوْتِ هَاوِيَةً إِلَى ٱلْقَعْرِ

***

مِسْكِينَةٌ قَدْ غَرَّهَا شَرَفٌ هُوَ كَٱلسَّرَابِ لِكُلِّ مُغْتَرِ
ظَنَّتْ بِأَنَّ[1] لَهَا ٱلْعَلَاءَ غِنًى فَإِذَا بِهِ فَقْرٌ عَلَى فَقْرِ
مَا كَانَ أَهْنَأَهَا وَأَسْعَدَهَا لَوْ لَمْ تُفَارِقْ ضَفَّةَ ٱلنَّهْرِ

﴿ ذكرى الحرب ﴾

« لبشاره الخوري صاحب جريدة البرق »

نحن في لبنان

طُلْتَ يَا لَيْلِيَ أَوْ لَمْ تَطُلِ مِثْلَكَ ٱلْفَجْرُ ٱلَّذِي سَوْفَ يَلِي
أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱسْتَطِلْ مَهْمَا تَشَا وَتَحَكَّمْ يَا كَرَى فِي ٱلْمُقَلِ

(١) ظن يتعدى الى معموله بنفسه لا بالباء فيقال ظننت ان

مَا يُفِيدُ ٱلنُّورُ فِي إِشْرَاقِهِ   إِنْ يَكُنْ أُطْفِئَ نُورُ ٱلْأَمَلِ
أَنَا مَهْمَا تَطْرُدِ ٱلشَّمْسُ ٱلدُّجَى   لَا تَزَلْ نَفْسِي بِلَيْلٍ أَلْيَلِ
أَعْشَقُ ٱللَّيْلَ وَمَالِي وَٱلضُّحَى   عِشْتَ يَا لَيْلُ أَلَا فَٱنْسَدِلِ
إِنْسَدِلْ تَحْجُبْ عَنِ ٱلطَّرْفِ ٱلشَّقَا   يَا لِطَرْفٍ بِٱلشَّقَا مُكْتَحِلِ
لَا يَرَى إِذْ تَطْلَعُ ٱلشَّمْسُ سِوَى   سَائِلٍ أَوْ عَاجِزٍ أَوْ وَكِلِ
عَصَفَ ٱلْفَقْرُ بِهِمْ فَٱنْتَشَرُوا   كَٱنْتِشَارِ ٱلْوَابِلِ ٱلْمُسْتَفْحِلِ
يَلْهَمُونَ ٱلْعُشْبَ مِنْ جُوعِهِمِ   وَيْحَهُمْ مَا تَرَكُوا لِلْهَمَلِ
بِجُسُومٍ هُزَّلٍ تَحْمِلُهَا   بِعَيَاءٍ وَاهِيَاتُ ٱلْأَرْجُلِ
وَوُجُوهٍ كَتَبَ ٱلْمَوْتُ عَلَى   صَفْحَتَيْهَا — هٰذِهِ ٱلْأَوْجُهُ لِي
صَدَقَ ٱلْمَوْتُ بِمَا قَدْ قَالَهُ   مَا تَرَى أَشْلَاءَهُمْ فِي ٱلسُّبُلِ

حرب الهواء

لَيْتَنَا فِي ٱلْكَهْفِ حَتَّى يَنْقَضِي   — لَا شَفَاهُ ٱللهُ — جَهْلُ ٱلدُّوَلِ
سَعَّرُوهَا لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا   رَاسِخًا لَٱنْهَدَّ رُكْنُ ٱلْجَبَلِ
أَوْ أَصَابَتْ جَحْفَلًا مَا تَرَكَتْ   رَجُلًا حَيًّا بِذَاكَ ٱلْجَحْفَلِ
تَارَةً وَجْهَ ٱلثَّرَى حَرْبُهُمُ   وَأَحَايِينَ تَرَاهَا مِنْ عَلِ
تَقْذِفُ ٱلنَّارَ مَنَاطِيدُهُمُ   كَٱنْقِذَافِ ٱلنَّيْزَكِ ٱلْمُشْتَعِلِ
يَتَجَارَوْنَ عَلَى ٱلْأُفْقِ كَمَا   يَتَجَارَى ٱلنَّسْرُ إِثْرَ ٱلْأَجْدَلِ
تَسْبِقُ ٱلطَّيْرَ إِذَا سَابَقَهَا   وَهِيَ ٱلطَّيْرُ وَلَمَّا تَزَلِ

وَإِذَا مَـا سَعَّرُوهَـا فِي ٱلدُّجى وَتَرَقَّوْا لِلسِّمَاكِ ٱلْأَعْـزَلِ
وَتَرَامَوْا بِٱللَّظَى وَٱشْتَعَـلُوا وَتَهَاوَوْا كَٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْبِـلِ
خِلْتَ أَنَّ ٱلنَّجْمَ فِي عَالَمِـهِ بَاتَ فِي كَارِثَـةٍ لَا تَنْجَلِي
سَعَّرَ ٱلْحَرْبَ فَنَادَى (ٱلْمُشْتَرِي) يَا لِثَارَاتِ ٱلْعُلَى مِنْ (زُحَلِ)
وَبَدَا (ٱللَّيْثُ) عَلى أَنْيَابِـهِ قَطَرَاتٌ مِنْ دِمَـاءِ (ٱلْحَمَلِ)
بِدَعٌ لَوْ لَمْ تُشَاهَـدْ حُسِبَتْ مِنْ أَسَاطِيرِ ٱلشُّعُوبِ ٱلْأُوَلِ

حرب الغازات

وَرَمَوْا بِٱلْغَـازِ قَتَّالًا فَإِنْ يَنْتَشِرْ يَنْشُرْ حِبَالَ ٱلْأَجَـلِ
تَحْسَبُ ٱلْجَيْشَ وَقَـدْ نُشِّقَهُ أَخْضَرَ ٱلسُّنْبُلِ تَحْتَ ٱلشَّمْأَلِ
يَأْخُذُ ٱلْفَيْلَقَ إِذْ يُبْكِمُـهُ وَلَقَدْ يَأْخُـذُهُ بِٱلْخَبَلِ
وَلَقَدْ يَنْسَابُ فِي أَنْفَاسِـهِ مِثْلَمَا ٱنْسَابَ دَمٌ فِي مِفْصَـلِ
وَلَقَـدْ يَتْرُكُهُ ذَا صَمَمٍ وَلَقَدْ يَتْرُكُهُ ذَا شَلَلِ
عُـدَدٌ كَانَتْ لِتَشْفِي عِلَلًا صَيَّرُوهَا لِٱخْتِـلَاقِ ٱلْعِلَلِ

حرب الخنادق

وَلَجُوا بَطْنَ ٱلثَّرَى فَهْوَ بِهِمْ جَبْهَةُ ٱللَّيْثِ وَحَـدُّ ٱلْمُنْصُلِ
بَلْ عَرِينٌ يَبْعَثُ ٱلْهَوْلَ بِمَـا ضَمَّ مِنْ لَيْثٍ وَلَيْثٍ مُشْبِلِ
تَرَكُوا ضَرْبَ ٱلظُّبَى كَيْ يَضْرِبُوا فِي جَلَامِيـدِ ٱلصَّفَا بِٱلْمِعْوَلِ
وَإِذَا مَا خَنْدَقُ ٱلْأَعْدَا بَـدَا نَسَفُوهُ وَٱنْثَنَوْا فِي عَجَـلِ

فَهُنَا قَدْ زَلْزَلَتْ زِلْزَالَهَا وَرَمَتْ بِٱلْجَلْمَدِ ٱلْمُشْتَعِلِ
فَإِذَا ٱلتُّرْبُ لِمَنْ كَانُوا بِهِ كَفَنٌ بِٱلدَّمْعِ لَمْ يَغْتَسِلِ
وَإِذَا ٱلْخَنْدَقُ أَمْسَى مَنْزِلًا أَبَدِيًّا يَا لَهُ مِنْ مَنْزِلِ

حرب الغواصات

يَا لِعَيْنَيْكَ تَرَى غَوَّاصَةً نَزَلَتْ مِنْ قَعْرِهِ فِي ٱلْأَسْفَلِ
وَلَقَدْ تُلْمَحُ فِي ٱلْمَاءِ كَمَا يُلْمَحُ ٱلْمَعْنَى خِلَالَ ٱلْجُمَلِ
عَجَباً لِلْحُوتِ فِي أَحْشَائِهِ بَشَرٌ مَا يَأْمُرُوا يَمْتَثِلِ
حُوتُ يُونَانٍ حَوَاهُ رَجُلاً وَبِحُوتِ ٱلْيَوْمِ كَمْ مِنْ رَجُلِ
وُجِدَتْ كَيْ تَصِلَ ٱلسُّبْلَ وَقَدْ صَارَتِ ٱلْيَوْمَ لِقَطْعِ ٱلسُّبُلِ

ايها العصر

أَيُّهَا ٱلْعَصْرُ ٱلَّذِي آيَاتُهُ سَامَتْتْ آيَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُنْزَلِ
كَمْ تَنَقَّصْتَ عُصُوراً أَسْلَفَتْ وَيْلَنَا مِنْ عَصْرِكَ ٱلْمُكْتَمِلِ
جُرْتَ فِي ٱلْحُكْمِ عَلَيْهَا فَٱتَّئِدْ إِنَّمَا ٱلْعَدْلُ جَمِيلٌ فَٱعْدِلِ
قَسَماً لَوْ بُعِثَتْ وَٱتُّهِمَتْ بِٱلَّذِي جِئْتَ ٱرْتَدَتْ بِٱلْخَجَلِ
عَصْرُ نِيرُونٍ وَنِيرُونٌ مَعاً رَفَضَا لَوْ خُيِّرَا بِٱلْبَدَلِ
ضَحِكَ ٱلْجَهْلُ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَقَدْ فَاخَرَ ٱلْجِدَّ بِمَاضِي ٱلْكَسَلِ
قَدْكَ يَا عَصْرُ ٱخْتِرَاعاً إِنَّهُ مَكْمَنُ ٱلْوَيْلِ وَلٰكِنْ قَدْ طُلِي
كَٱلْمُرَائِي لَابِساً شَفَّافَةً لِلتُّقَى فَوْقَ فُؤَادٍ دَغِلِ

أَوْ كَصَمْصَامٍ بِخَدَّيْهِ ٱلرَّدَى كَامِنٌ وَٱلغِمْدُ زَاهِي ٱلْخَلَلِ
تَعْمُرُ ٱلْكَوْنَ لِكَيْ تَهْدِمَهُ لَيْتَ ذَيَّاكَ ٱلْبِنَا لَمْ يَكْمَلِ
وَتُرَبِّي ٱلطِّفْلَ كَيْ تَقْتُلَهُ لَيْتَ أَحْشَاءَ ٱلنِّسَا لَمْ تَحْمِلِ
يَا لَهَا مِنْ حِكْمَةٍ بَاهِرَةٍ مَنْ يَرُمْ إِدْرَاكَهَا يَنْخَذِلِ

خطب العلم بابنائه

يَا لِخَطْبِ ٱلعِلْمِ فِي أَبْنَائِهِ إِنَّهُ مِنْهُمْ بِدَاءٍ مُعْضِلِ
قَوَّسُوا مِنْ ظَهْرِهِ فِيمَا جَنَوْا فَهْوَ قَدْ شَابَ وَلَمْ يَكْتَهِلِ
نِعَمٌ عَقَّتْ لَهُ فِي جِيدِهِمْ فَهْيَ مِنْ كُفْرَانِهَا فِي عَطَلِ

الدول العظمى

دَوْلَةَ ٱلْمَاءِ وَلَا تَجْرِي إِذَا لَمْ تَشَانِي قَطْرَةٌ فِي جَدْوَلِ
بَعْدَ هٰذَا ٱلْمَجْدِ مَاذَا يُرْتَجَى هُوَ ذَا ٱلنَّجْمُ قَرِيبٌ فَٱعْتَلِي
مَا عَلَى ٱلْأُسْطُولِ مِنْ أُسْطُولِهِمْ[1] أَيَخَافُ ٱلْبَازُ شَرَّ ٱلْحَجَلِ
ذَكَرَ «ٱلسِّينُ» عُهُوداً لِلَّتِي تَيَّمَتْ مُهْجَتَهُ وَهْوَ خَلِي
فَإِذَا بِٱلنَّارِ فِي أَحْشَائِهِ وَإِذَا بِٱلْجُرْحِ لَمْ يَنْدَمِلِ
فَمَشَى يُقْسِمُ أَنْ لَا يَنْثَنِي عَنْ لِقَا (أَلْزَاسِهِ) أَوْ يُقْتَلِ
فَلَكَ ٱلْأَلْزَاسُ (يَا سِينُ) لَهُمْ إِنَّمَا ٱلْمُلْكُ لِرَبِّ ٱلْأَزَلِ
لَكَ عَرْشُ ٱلعِلْمِ فِي أُبْهَتِهِ وَلَهُ سُلْطَانُهُ فِي ٱلْمِلَلِ

---

(١) اشارة الى خوف انكلترا من اسطول المانيا

حلَمَ ٱلقيصرُ أنْ يرفعها دولةً (لِلسُّلفِ) فوقَ ٱلدُّوَلِ
وَٱستلذَّ ٱلحُلْمَ فٱستعجلَهُ بِالظُّبى ٱلبيضِ وَسُمرِ ٱلأَسَلِ
عقَّتِ ٱلبُلْغارُ وَٱلحُلْمُ قضى وتلاشى في شُهودِ ٱلحَمَلِ
قيصرَ ٱلرُّوسِ وَلَمْ يَحْلُمْ بِما حُزْتَهُ تاجُ ٱلمُعِمِّ ٱلمُخْوِلِ
لكَ نِصفُ ٱلنَّاسِ لَوْ تُنهِضُهُمْ كانتِ ٱلأَمْلاكُ بعضَ ٱلخَوَلِ

* * *

إيهِ غِلْيومُ ٱستزِدْ مِنْ حشدِها وَٱستَبِحْ أَبْناءَها وَٱسترسِلِ
إنَّما ٱلأُمَّةُ لِلجَيْشِ وَقَدْ رَضِيَتْ فَٱضْرِبْ بِها وَٱستَبْسِلِ
وَمُرِ ٱلمَعْمَلَ في تَسليحِها هُوَ يُدعى معمَلٌ فَليَعْمَلِ
وَٱمْلأِ ٱلبحرَ سَفيناً وَٱلفَضا (زِبلِيناً) ساءَ فَألُ ٱلأَعْزَلِ
وَمَتى يَنهَضْ عَزيزٌ فَأَرْدِهِ وَمَتى يَجْهَلْ مَليكٌ فَٱجْهَلِ
وَٱمْدُدِ ٱلخَطَّ [1] فَما ٱلخَطُّ سِوى أُفعُوانِ ٱلأَنكِليزِ ٱلأَقتَلِ
هُوَ يَمتَدُّ على ٱلأَرْضِ وَفي قَلْبِهِمْ يَمتَدُّ خَطُّ ٱلوَجَلِ
نَمْ على صَهوَتِهِ أَوْ لا تَنَمْ وَٱنطَلِقْ مِثلَ ٱلنَّسيمِ ٱلمُرْسَلِ
تَرْتَجي أَنْ تُصبِحَ ٱلكَفُّ وَأَنْ تُصبِحَ ٱلأَمْلاكُ بَعضَ ٱلأَنمُلِ
أَمَلٌ نَاجَزتَهُمْ مِنْ أَجلِهِ وَلَكَمْ يُرْدى ٱلفَتى بِٱلأَمَلِ

* * *

---

(١) خط بغداد

ويلات الحرب

يَا لِهَوْلِ ٱلْحَرْبِ فِي وَيْلاتِهَا رَمَتِ ٱلْكَوْنَ بِخَطْبٍ جَلَلِ
تَلْهَمُ ٱلْمَلْيُونَ لَا يُشْبِعُهَا وَمَتَى تُطْعَمْ أَخَاهُ تَأْكُلِ
كَمْ شُمُوسٍ فِي سَمَا ٱلْمَاضِي وَكَمْ مِنْ نُجُومٍ فِي سَمَا ٱلْمُسْتَقْبَلِ
وَيَتِيمَاتٍ فُنُونٍ جَمَّةٍ حُسِبَتْ مِنْ مُعْجِزَاتِ ٱلْأُوَلِ
فَإِذَا تِلْكَ ٱنْطَفَتْ شُعْلَتُهَا وَإِذَا هٰذِي كَبَالِي طَلَلِ
وَلَكَمْ رَوْضَةِ بَيْتٍ ذَبُلَتْ وَهْيَ لَوْلَا حَرُّهَا لَمْ تَذْبُلِ
وَفَتَاةٍ طِفْلَةٍ قَدْ سَأَلَتْ أُمَّهَا – أَيْنَ أَبِي لَمْ يُقْبِلِ
فَلَقَدْ طَالَتْ بِنَا غَيْبَتُهُ وَأَنَا ٱشْتَقْتُ لِتِلْكَ ٱلْقُبَلِ
وَلَكَمْ عَذْرَاءَ كَٱلْبَدْرِ عَلَى قَامَةٍ كَٱلْغُصْنِ ٱلْمُعْتَدِلِ
تُلْمَسُ ٱلنَّجْمَةُ فِي مَبْسِمِهَا وَيُرَى ذَوْبُ ٱلدُّجَى فِي ٱلْمُقَلِ
سَامَهَا ٱلْفَقْرُ وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَتَغَذَّى بِخُيُوطِ ٱلْمِغْزَلِ
فَأَبَاحَتْ ثَغْرَهَا مُرْغَمَةً وَهْيَ لَوْلَا جُوعُهَا لَمْ تَفْعَلِ
وَلَكَمْ كَهْلٍ سَقَى أَبْنَاءَهُ دَمَ أَحْشَاهُ وَلَمَّا يَأْتَلِي
رَاجِياً أَنْ يُطْعِمُوا وَالدَّهْمُ وَهْوَ شَيْخٌ مِنْ ثِمَارِ ٱلْعَمَلِ
فَإِذَا ٱلْأَبْنَاءُ فِي ٱلْحَرْبِ قَضَوْا وَإِذَا ٱلشَّيْخُ مِنَ ٱلْبَلْوَى بَلِي
إِنَّ هٰذَا مَا يُرَى لٰكِنْ مَا لَا يُرَى يَقْتُلُنَا فِي خَجَلِ
أَنَا مَهْمَا قُلْتُ فِي وَيْلاتِهَا كُنْتُ مِمَّنْ قَنِعُوا بِٱلْوَشَلِ

أَدَوَاتُ ٱلْحَرْبِ عَنْهَا أَضْرَبَتْ وَٱلْتَقَتْ أَجْمَعُهَا فِي مَحْفِلِ
وَقَفَ ٱلْفُولَاذُ فِيهِمْ خَاطِباً بِكَلامٍ كَالرَّحِيقِ ٱلسَّلْسَلِ
قَالَ: لَوْ أُنْصِفْتُ مَا كُنْتُ سِوَى سِكَّةٍ أَوْ مِعْوَلٍ أَوْ مِنْجَلِ
أُسْعِفُ ٱلإِنْسَانَ فِي ٱلْحَرْثِ وَلَا أَتَوَانَى عِنْدَ حَصْدِ ٱلسُّنْبُلِ
مُؤْثِرٌ لَوْ كُنْتُ مِسْمَاراً – وَلَا خَجَلٌ – فِي نَعْلِ طِفْلٍ مُخْوِلِ
أَمْنَعُ ٱلأَشْوَاكَ أَنْ تَجْرَحَهُ وَأَقِي أَرْجُلَهُ مِنْ بَلَلِ
مُؤْثِرٌ هٰذَا وَلَا يَسْتَلُّنِي ظَالِمٌ سَيْفاً فَذَا أَفْضَلُ لِي

***

عِنْدَ هٰذَا ٱلْخَشَبُ ٱهْتَزَّ وَقَدْ قَالَ – فَلْتَقْطَعْ يَمِينَ ٱلرَّجُلِ
حَبَّذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كُنْتُ بِهِ غُصُناً عِنْدَ ضِفَافِ ٱلْجَدْوَلِ
لِي مِنَ ٱلأَوْرَاقِ أَبْهَى حُلَلٍ وَمِنَ ٱلزَّهْرِ نَفِيسَاتُ ٱلْحُلِي
وَتُثَنِّينِي نُسَيْمَاتُ ٱلصَّبَا وَيُسَلِّينِي غِنَاءُ ٱلْبُلْبُلِ
أَحْمِلُ ٱلأَثْمَارَ يَجْنِيهَا بَنُو آدَمٍ سَائِغَةً كَٱلْعَسَلِ
فَإِذَا بِي تَارَةً مَرْكَبَةٌ تَحْمِلُ ٱلْمِدْفَعَ ثِقْلَ ٱلْجَبَلِ
وَإِذَا بِي تَارَةً فِي سَابِحٍ وَإِذَا بِي تَارَةً فِي مَعْقِلِ
أَنَا لَوْ أَنْصَفَنِي ٱلْمَرْءُ لَمَا كُنْتُ إِلَّا مِغْزَلاً فِي مَعْمَلِ
أَنْسِجُ ٱلصُّوفَ فَأَكْسُوهُ وَلَا أَشْتَكِي مِنْ تَعَبٍ أَوْ مَلَلِ

مُؤثِرٌ هـذا ولا يجعلني قبضةَ السَّيفِ - فذا أفضلُ لي

***

عِندَ هذا الكهربا قالتْ وقدْ لمعتْ أنوارُها للمُجتلي
قُوتِلَ الإنسانُ كمْ دمَّرَ بي وأنا روحُ النِّظامِ الأمثلِ
أحفظُ الأجرامَ في أفلاكِها وأقيها عادياتِ الخللِ
أنا مِلءُ الكونِ ما فيهِ سوى خدَمي أو خوَلي أو رُسُلي
قسماً لو كنتُ أدري أنَّهُ بِسوى الآثامِ لم يشتملِ
لتحجَّبتُ فلمْ أظهرْ لهُ ولما دنَّسَ يوماً هيكلي
ولما جشَّمني أثقالَهُ ولما فارقَ ظهرَ الجملِ
أنا لو خُيِّرتُ لاخترتُ الخفا ورُجوعي للخُمولِ الأوَّلِ
مُؤثِرٌ هذا ولا يجعلني شبحَ الهولِ - فذا أشرفُ لي

***

فانبرى البارودُ في حِدَّتِهِ وهوَ يغلي غليانَ المِرجلِ
قالَ - لمْ ينكبْ بِهِمْ مثلي ولمْ يحتملْ منكمْ بِهِ مُحتملي
قُوتِلوا منْ بشرٍ أفضلُهمْ إنْ يُفاضِلْ أيَّ وحشٍ يُفضلِ
أقذفُ المِدفعَ في أحشائِهِ للمنايا زمزماتُ الهولِ
حممٌ ظمأى متى ما انطلقتْ قدمُ الإنسانِ أروى منهلِ
تصدِمُ الحِصنَ فتذريهِ وقدْ قهقهتْ منْ شانئيهِ الجُهَّلِ

فَكَأَيِّ مِنْ صَفِيحٍ مُقْفَلٍ تَرَكَتْهُ وَهُوَ سَهْلُ ٱلْمَدْخَلِ
أَنَا لَوْ أَنْصَفَنِي ٱلنَّاسُ لَمَا كُنْتُ فِي ٱلنَّاسِ رَسُولَ ٱلْأَجَلِ
أَلْهِبُ ٱلْكَوْنَ وَفِي مِلْحِي شِفَا لَوْ أَرَادُوا لِٱلْتِهَابِ ٱلْعَضَلِ
أَنَا لَوْ خُيِّرْتُ لَٱخْتَرْتُ ٱلْبَقَا فِي يَدِ ٱلْآسِي وَ (بَنْكِ) ٱلصَّيْدَلِي
أُنْقِذُ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ آلَامِهِ وَلَقَدْ أَدْرَأُ بَعْضَ ٱلْعِلَلِ
مُؤْثِرٌ هٰذَا وَلَا يَجْعَلُنِي رَائِدَ ٱلْمَوْتِ فَهٰذَا أَشْرَفُ لِي

***

هٰذِهِ وَهِيَ جَمَادٌ أَنِفَتْ أَنْ تَرَى ٱلْإِنْسَانَ يَهْوِي مِنْ عَلِ
يَدَّعِي ٱلْعَقْلَ وَلٰكِنْ حَرْبُهُ أَنْبَأَتْنَا أَنَّهُ لَمْ يَعْقِلِ

﴿ ويل للناس من الناس ﴾

« لولي الدين يكن »

يُرِيدُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلدُّنْيَا هَنَاءً وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ ٱلزَّمَانُ
حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ
تَكَاثَرَتِ ٱلْهُمُومُ فَلَا يَرَاعٌ يُوَفِّيهَا ٱلشَّكَاةَ وَلَا لِسَانُ
أَمَانًا أَيُّهَا ٱلْخَصْمُ ٱلْمُعَادِي إِذَا دَانَ ٱلْعِدَى وَجَبَ ٱلْأَمَانُ

أأنْ [1] رَغبُوا إليكَ رَغبتَ عنهُمْ   لَقدْ هانَتْ رَغائِبُهمْ وَهانُوا
يُمنّي النّاسُ بَعضُهمْ بِخيرٍ   ألا كَذبُوا علي بَعْضٍ وَمانُوا
فَما لِلخيرِ في الدُّنيا أوانُ   وَلا لِلخيرِ في الأُخرى أوانُ
وَلكنّ الشّبابَ لَهُ جِماحٌ   لَيالِيَ ثُمّ يَعقُبُهُ الحِرَانُ
يَشُدُّ عِنانَهُ رَأيٌ جَميعٌ   إلى أمَدٍ فَيَسترخِي العِنانُ

***

وَداعٍ جاءَ يَدعُوني لِنُصحٍ   وَقَدْ وَهتِ النُّهى وَوَهى البَنانُ
تَعِبتُ مِنَ الكَلامِ فَليسَ يُجدِي   كَما أمّلتُ نَظْمٌ أوْ بَيانُ
وَما أسَفِي على عَهدٍ تَقَضّى   وَلكِنْ صُنتُ عَهداً لا يُصانُ
ظَلِلتُ أمِينَهُ دَهراً طَويلاً   وَكُنتُ أظُنُّ أنّي لا أُخانُ

***

وَدارٍ لا يَزُولُ القَتلُ عَنها   كَأنّ الحَربَ فِيها مِهرَجانُ
أهابَ بِها اليَراعُ فَلمْ تُجِبْهُ   وَناداها فَجاوَبتِ السّنانُ
تَظَلُّ بِها السّواعِدُ عامِلاتٍ   يُصرّفُها ضِرابٌ أوْ طِعانُ
بَكَتْ عَيني الشّبابَ وَحينَ جَفّتْ   مَدامِعُها غَدا يَبكِي الجَنانُ
لَعَمرُكَ ما لِذي نُصحٍ مَكانُ   وَلا لِلنُّصحِ في الدُّنيا مَكانُ

---

(١) همزة أن مفتوحة بلام التعليل المقدرة قبلها والمعنى : اترغب عنهم لانهم رغبوا اليك اي (سألوك)

فَدَعْنِي إِنَّ آمَالِي ٱسْتَكَفَّتْ فَلِي شَأْنٌ وَلِلآمَالِ شَانُ

﴿ كم تحت هذه السماء من اعين باكية ﴾

« للشاعر نفسه »

هَلْ يَعْقِلُ ٱلدَّهرُ وَهَلْ يَسْمَعُ فَمَا ٱلَّذِي يَشْكُو لَهُ ٱلْمُوجَعُ
تَجْرِي صُرُوفٌ لَا عَلَى نِيَّةٍ نَخَالُهَا تُبْطِئُ إِذْ تُسْرِعُ
وَكُلُّنَا شَاكٍ وَبَاكٍ عَلَى أَشْيَاءَ قَدْ زَالَتْ فَلَا تَرْجِعُ
كَمْ تَحْتَ جُونِ ٱللَّيْلِ مِنْ مُهْجَةٍ تَكَادُ لَا تُمْسِكُهَا ٱلْأَضْلُعُ
وَصَاحِبُ ٱلنِّعْمَةِ لَاهٍ بِهَا وَحَامِلُ ٱلنِّقْمَةِ لَا يَهْجَعُ
رُحْمَاكَ يَا خَالِقَ هٰذَا ٱلْوَرَى إِرْثِ لِبَلْوَاهُ إِذَا يَضْرَعُ
صَعْبٌ عَلَيْنَا بَعْضُ مَا قَدْ جَرَى أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَمَا نَصْنَعُ

﴿ البنفسجة ﴾

« لطانيوس عبده »

لَمَّا أَرَادَتْ رَبَّةُ ٱلْأَزْهَارِ أَنْ تَأْتِي ٱلطَّبِيعَةَ بِٱلْأَرَقِّ ٱلْأَلْطَفِ
خَلَقَتْ بَنَفْسَجَةَ ٱلْحُقُولِ وَأَصْبَحَتْ مَفْتُونَةً بِجَمَالِهَا ٱلْمُسْتَظْرَفِ
حَتَّى إِذَا غَارَتْ عَلَى حَسَنَاتِهَا وَغَدَتْ تَوَدُّ لَوَ أَنَّهَا لَمْ تُقْطَفِ
قَالَتْ لَهَا — مَاذَا أَزِيدُكِ يَا ٱبْنَتِي حَتَّى تَصِيرِي آيَةَ ٱللُّطْفِ ٱلْخَفِي
قَالَتْ — إِذَا شِئْتِ ٱلْمَزِيدَ فَغَطِّنِي يَا أُمُّ بِٱلْأَوْرَاقِ حَتَّى أَخْتَفِي

٢ الشعر القصصي

﴿ عروة وعفراء ﴾

لبشاره الخوري صاحب جريدة البرق

مَهْدَ ٱلْغَرَامِ وَمَسْرَحَ ٱلْغِزْلَانِ   حَيْثُ ٱلْهَوَى ضَرْبٌ مِنَ ٱلْإِيمَانِ
حَيَّتْكَ مِنْ أَرْوَاحِ عُرْوَةَ نَفْحَةٌ   قُدْسِيَّةٌ كَٱلرُّوحِ فِي ٱلْأَبْدَانِ
أَنَا وَفْدُ أَبْنَاءِ ٱلصَّبَابَةِ سَاجِدٌ   مِنْ تُرْبِ عُذْرَةَ فِي أَذَلِّ مَكَانِ
أَسْتَنْزِلُ ٱلْوَحْيَ ٱلَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ   شُعَرَاءُ عُذْرَةَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْفَانِي
فَتَسُوغُ فِي أُذُنَيْ «جَمِيلٍ» رَنَّتِي   وَتَطِيبُ نَفْسُ «كُثَيِّرٍ» بِبَيَانِي

***

بَلَدُ ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ وَهْوَ كِنَايَةٌ   عَنْ حُبِّ أَشْرَفِ مَجْمَعٍ إِنْسَانِي
يَتَعَانَقُ ٱلرُّوحَانِ فِيهِ صَبَابَةً   وَيَعِفُّ أَنْ يَتَعَانَقَ ٱلْجَسَدَانِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِعَاشِقَيْنِ فَقُلْ هُمَا   مَلَكَانِ مُتَّصِلَانِ مُنْفَصِلَانِ
مَا دَارَ ثَمَّ سِوَى ٱلْحَدِيثِ كَأَنَّهُ   رَاحٌ يُدِيرُ كُؤُوسَهَا ٱلْمَلَكَانِ

***

سَلْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامَ عَنْ غُصَصِ ٱلْهَوَى
تَسْمَعْ جَوَابَ فَتَى ٱلْغَرَامِ ٱلْعَانِي
تَحْنَانَ سَاجِعَةِ ٱلْحَمَائِمِ فِي ٱلضُّحَى   وَزَفِيرَ أَعْوَادِ ٱلْجَحِيمِ ٱلثَّانِي
وَلَهُ حَدِيثٌ كَٱلدُّمُوعِ إِذَا جَرَتْ   جَذَبَتْ نَظَائِرَهَا مِنَ ٱلْأَجْفَانِ

عَلَمُ ٱلْهَوَى مِنْ آلِ عُذْرَةَ عُرْوَةٌ   كَذِبَ ٱلأُلَى قَالُوا لَهَا عَلَمَانِ

فكان هناك زغلولان ...

وُلِدَ ٱلْفَتَى ٱلْعُذْرِيُّ عُرْوَةُ بَعْدَ مَا   دَارَتْ بِوَالِدِهِ رَحَى ٱلْحَدَثَانِ
فَإِذَا بِعُرْوَةَ فِي مَضَارِبِ عَمِّهِ   هَصْرٍ فَكَانَ هُنَاكَ زُغْلُولَانِ
عَفْرَاءُ إِبْنَتُهُ مَعَ ٱبْنِ شَقِيقِهِ   وَكِلَاهُمَا فِي ٱلْعُمْرِ دُونَ ثَمَانِ
لَمْ يَلْبَسَا رِيشَ ٱلْهَوَى لٰكِنَّمَا   هُوَ رِيشُ أَحْلَامٍ وَرِيشُ أَمَانِي
وَإِذَا تَضُمُّهُمَا ٱلْحُقُولُ فَإِنَّهَا   ظَفِرَتْ بِبَاسِتَيْنِ مِنْ رَيْحَانِ
يَتَرَاكَضَانِ بِهَا – فَإِنْ هُمَا بُوغِتَا   فِيهَا – فَبِٱلْأَوْرَاقِ يَخْتَبِئَانِ
وَلَطَالَمَا وَقَفَا عَلَى ٱلْوَادِي وَقَدْ   صَرَخَا هُنَاكَ لِيَلْتَقِي ٱلصَّدَيَانِ
مَزَجَا فَلَوْ خَطَرَتْ لِعَفْرَا فِكْرَةٌ   بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةَ ٱلشَّفَتَانِ
وَإِذَا ٱلْتَقَى ٱلنَّظَرَانِ تَلْمَعُ أَسْطُرٌ   يَعْيَا بِحَلِّ رُمُوزِهَا ٱلْوَلَدَانِ
حَتَّى إِذَا كَبُرَا تَوَلَّى شَرْحَ مَا   لَمْ يَفْهَمَا قَلْبَاهُمَا ٱلْخَفِقَانِ
فَإِذَا ٱلْوِدَادُ هَوًى وَصَادَفَ تُرْبَةً   بِكْراً فَطَابَ مَغَارِساً وَمَجَانِي

***

وَيْحَ ٱلْمُحِبِّ إِذَا تَمَلَّكَهُ ٱلْهَوَى   نَمَّتْ بِهِ عَيْنَانِ فَاضِحَتَانِ
عَبَثاً يُحَاوِلُ ذُو ٱلْهَوَى كِتْمَانَهُ   عَبَثُ ٱلْهَوَى يَقْوَى عَلَى ٱلْكِتْمَانِ
دَرَى بِهِ هَصْرٌ – وَكَانَ يَسُوءُهُ   مِنْ عُرْوَةَ بْنِ شَقِيقِهِ يُتْمَانِ
وَأَهَمُّ يُتْمَيْ عُرْوَةٍ فِي عَيْنِهِ   يُتْمُ ٱلْغِنَى – لَوْ يَسْمَعُ ٱلْأَبَوَانِ

فَشَكا إِلَيْهِ مِنْهُ حُبٌّ فَتاتِـهِ شَفَتانِ تَخْتَلِجانِ تَخْتَذِلانِ
فَأَجابَهُ هَصْرٌ — وَكانَ مُخاتِلًا — سَتَنالُ مَنْ تَهْوَى فَكُنْ بِأَمانِ

* * *

نُعْمَى عَلى كَبِدِ ٱلْفَتى سَقَطَتْ كَما سَقَطَ ٱلنَّـدَى سَحَراً عَلى حَرّانِ
فَأَحَسَّ أَنَّ لَهُ جَنـاحَيْ طائِرٍ وَبَدَتْ لَهُ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ دَوانِي
فَجَرَى يُرَقِّصُ عُودَهُ ٱلشِّعْرِيَّ عَلى صَدْرِ ٱلْمُرُوجِ وَمِعْصَمِ ٱلْغُدْرانِ
فَيَصُوغُ هَيْنَمَـةَ ٱلنَّسِيمِ قَصائِداً وَيَرُدُّ زَمْزَمَةَ ٱلْغَدِيرِ أَغانِي

* * *

مَـا راعَـهُ إِلَّا مَقالَةُ عَمِّهِ — إِنِّي أَراكَ عَنِ ٱلْغِنَى مُتَوانِي
سِرْ لِلشَّآمِ بِمَتْجَرٍ ... فَأَطاعَـهُ وَعَصا ٱلْفُؤادُ فَظَلَّ فِي ٱلْأَوْطانِ

* * *

بَيْنا ٱلْفَتى فِي ٱلشّامِ يَكْدَحُ لِلْغِنَى كانَتْ حَبِيبَتُهُ تُزَفُّ لِثـانِ
فَتَنَتْ مَحاسِنُهـا أُثالَةَ وَهْوَ مِنْ هَصْرٍ لَهُ نَسَبانِ مُلْتَزِمانِ
نَسَبُ ٱلدِّماءِ وَفَوْقَهُ نَسَبُ ٱلْغِنَى نَسَبانِ مَحْبُوبانِ مُحْتَرَمانِ
فَأَنالَهُ عَفْراءَ صَفْـقَةَ تاجِرٍ حَسَبَ ٱلْبَناتِ مَلابِساً وَأَوانِي

* * *

مَا عامِلٌ فِي ٱلْحَقْلِ حَمَّلَ يَوْمَهُ ما لَيْسَ يَحْمِلُ مِثْلَهُ ٱلْهَرَمانِ
يَمْشِي لِمَنْزِلِهِ بِنَفْسٍ مُغـالِبٍ مُرَّ ٱلشَّقا بِحَـلاوَةِ ٱلْوِجْدانِ

يمحو بفكرته عبوسة دهره بتبسم في آله وحنانِ
يمشي وما هو إن دنا حتى رأى في كوخه المحبوب سحب دخانِ
ورأى اشتعال النار في أحشائه وبكا النسا وتهافت الشبانِ
فأحس بالجلى فأسرع ليته أودى ولم تسرع به القدمانِ
فرأى قرينته الحبيبة جثة وبجنبها ولداه محترقانِ
ما خطب هذا وهو أهول ما رأت عين وما سمعت به أذنانِ
بأشد من قول الرواة لعروة عفراء أمست زوجة لفلانِ
خلع النحول عليه أفجع ما ارتأى داء وأبلى ما اكتساه عانِ
سقم تشف به الضلوع كأنها قطع الزجاج بمائل الجدرانِ
فغدا به مثلاً تناقله إلى أقصى القبائل ألسن الركبانِ

***

ما حاضر الروحاء (١) دون مناله وخد السرى في الأمعز الصوانِ
ليحول دون فتى الهوى وفتاته إن الهوى نوع من الطيرانِ
فمشى إلى أرض الحبيب دليله عينان إنسانا هما غرقانِ
يلقي القصائد في الطريق وحشوها أنفاس مكلوم الحشا ولهانِ
كالنعجة البيضاء حين مرورها بين الصخور وشائك العيدانِ
تلقي على الأشواك من أصوافها خصلا مخضبة بأحمر قانِ

---

(١) بلد اثالة حيث تقيم عفراء

وَدَرَى أُثَالَةُ أَنَّ عُرْوَةَ فِي ٱلْحِمَى وَبِمَا بِعُرْوَةَ مِنْ هَوًى وَهَوَانِ
وَأُثَالَةٌ رَجُلُ ٱلْمَحَامِدِ بَيْتُهُ بَيْتُ ٱلْفَخَارِ وَمُلْتَقَى ٱلضِّيفَانِ
فَأَبَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى رَجُلًا كَعُرْوَةَ مُبْعَداً مُتَدَانِي
فَمَشَى إِلَيْهِ عَاتِباً : «أَفَأَنتَ فِي بَلَدِي وَلَسْتَ بِخَيْمَتِي وَخُوَانِي
إِنِّي عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِنَّكَ نَازِلٌ عِنْدِي وَإِلَّا سَاءَنِي حِرْمَانِي
— عُذْراً فَإِنِّي رَاجِعٌ لِحَوَادِثٍ نَزَلَتْ بِنَا مَا كُنَّ فِي ٱلْحِسْبَانِ
— لَا عُذْرَ ! لَا ! لَا عُذْرَ
— أَنْظِرْنِي إِذَنْ
لِغَدٍ
— إِذَنْ فَجْرِ ٱلنَّهَارِ ٱلثَّانِي»
وَتَفَارَقَا فَإِذَا بِعُرْوَةَ رَجْمَةٌ تَهْوِي عَلَيْهَا ٱنْقَضَّ صَاعِقَتَانِ
وَأَشَارَ نَحْوَ أُثَالَةٍ بِجُفُونِهِ — سَتَرَى ٱلْمُرُوءَةُ أَنَّنَا كُفْوَانِ»

***

هَجَرَ ٱلدِّيَارَ لِوَقْتِهِ تَسْعَى بِهِ قَدَمَانِ هَازِلَتَانِ شَاكِيَتَانِ
هَجَرَ ٱلدِّيَارَ دِيَارَ عَفْرَاءَ ٱلَّتِي طَبَعَتْ حُشَاشَتَهُ عَلَى ٱلْأَحْزَانِ
حَتَّى إِذَا «وَادِي ٱلْقُرَى» رَحُبَتْ بِهِ رَحُبَتْ بِشِلْوٍ لُفَّ فِي أَكْفَانِ
جُثْمَانُهُ فِي ٱلْقَبْرِ لَكِنْ رُوحُهُ أَبَداً مُرَفْرِفَةٌ عَلَى ٱلْوِدْيَانِ

* * *

رَنَّ ٱلنَّعِيُّ بِأُذْنِ عَفْرَاءَ فَهَلْ شَاهَدْتَ غُصْناً مِنْ رَطِيبِ ٱلْبَانِ
لَعِبَتْ بِهِ هُوجُ ٱلْعَوَاصِفِ فَٱلْتَوَى مُتَقَصِّفاً وَأُصِيبَ بِٱلرَّجَفَانِ
هِيَ مِثْلُهُ حَاشَا ٱلدُّمُوعَ وَأَنَّـةً مِنْ صَدْرِ مُحْتَضِرٍ بِهِ جُرْحَانِ
فَأَتَتْ أَثَالَةَ وَٱلدُّمُوعُ سَوَابِحٌ فَتَلَثَّمَ ٱلْفِضِّيُّ بِٱلْمَرْجَانِ
قَالَتْ — لِتَعْلَمَ أَنَّ عُرْوَةَ كَانَ لِي إِلْفاً وَنَحْنُ وَعُرْوَةٌ حَدَثَانِ
وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَاهُ لَا عَنْ رِيبَةٍ يُخْزَى بِهَا رَجُلِي وَيُخْفَضُ شَانِي
هَلَّا أَذِنْتَ بِأَنْ أَزُورَ تُرَابَهُ أَفَمَا أَبِي وَأَبُو ٱلْفَتَى أَخَوَانِ
— مَنْ ذَا يُمَانِعُ أَنْ تَفِيهِ حَقَّهُ

سِيرِي

فَمَا هِيَ غَيْرُ بَعْضِ ثَوَانِ
حَتَّى رَأَيْتَ بِقَبْرِ عُرْوَةَ بَانَةً مَحْنِيَّةً — وَا لَهْفَتَا لِلْبَـانِ
وَسَمِعْتَ أَيَّةَ زَفْرَةٍ وَشَهِدْتَ أَيَّـةَ نَزْوَةٍ وَلَمَسْتَ أَيَّ حَنَانِ
—... وَاعُرْوَتَاهُ ... وَلَمْ تُتِمَّ نِدَاءَهَا حَتَّى ٱرْتَمَتْ فَإِذَا هُنَا مَيْتَانِ

* * *

ضَمُّوا ٱلْفَتَاةَ إِلَى ٱلْفَتَى فِي حُفْرَةٍ مِنْ فَوْقِهَا غُصْنَانِ مُلْتَفَّانِ
رُوحَانِ ضَمَّهُمَا ٱلْهَوَى فَتَعَانَقَا وَتَعَاهَدَا فَتَعَانَقَ ٱلْكَفَنَانِ

﴿ خولة بنت الازور واخوها ضرار ﴾

« في اوائل الفتح الاسلامي »

« لشبلي بك ملاط »

أَدُمُوعُ خَوْلَةَ أَمْ عَقِيقُ ٱلْوَادِي أَيَّامَ نَادَى لِلْجِهَادِ مُنَادِ
لَمْ تَبْكِ أُخْتُ ضِرَارَ خَوْفاً إِنَّمَا شَوْقاً بَكَتْ لِشَهَادَةٍ وَجِهَادِ
غَبَطَتْ أَخَاهَا وَهْوَ يَعْرِضُ رُمْحَهُ فَوْقَ ٱلْجَوَادِ لِغَزْوَةٍ وَجِلَادِ
يَا خَوْلَ إِنَّ أَبِي وَجَدِّي ٱسْتُشْهِدَا قَبْلِي عَلَى مَرْأَى ٱلنَّبِيِّ ٱلْهَادِي
وَأَنَا عَلَى آثَارِ مَنْ دَرَجُوا وَمَنْ سَعِدُوا مِنَ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ
فَإِذَا قَعَدْتُ عَنِ ٱلْجِهَادِ تَوَانِياً فَلِمَ ٱدَّخَرْتُ مُثَقَّفِي وَجَوَادِي
لَبَّيْكِ إِنَّ دَمِي لِسُلْطَانِي وَمَا مَلَكَتْ يَدَايَ لِدَوْلَتِي وَبِلَادِي
فَسَلِي كُمَاةَ ٱلْحَرْبِ يَا ٱبْنَةَ حِمْيَرٍ وَٱلْبِيضُ قَدْ سُلَّتْ مِنَ ٱلْأَغْمَادِ
يُنْبِئْكِ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ أَنَّنِي شَبَحُ ٱلْحِمَامِ وَلَيْثُ بَطْنِ ٱلْوَادِي
أَيْ يَا ٱبْنَةَ ٱلْمُسْتَشْهِدِينَ أَعِزَّةً بِيضِ ٱلْوُجُوهِ إِلَى ٱلْجِنَانِ صَوَادِي
لَا تُكْبِرِي فَتْحَ ٱلشَّآمِ وَخَالِدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَكْبَرُ ٱلْقُوَّادِ
يَتَرَاوَحَانِ مُلَاءَةَ ٱلْفَتْحِ ٱلَّذِي أَعْلَى بِهِ ٱلْإِسْلَامُ أَيَّ عِمَادِ
وَتَنَظَّرِي خَبَبَ ٱلْعِتَاقِ وَفَوْقَهَا أَعْقَابُ يَعْرُبَ رَائِحٌ وَمُغَادِ
مِنْ حِمْيَرٍ أَجْدَادُنَا وَكِنَانَةٍ وَذَوِي يَزِيدَ وَطَيِّئٍ وَمُرَادِ
يَتَسَابَقُونَ إِلَى ٱلْفُتُوحِ كَأَنَّهُمْ فَوْقَ ٱلسُّرُوجِ رَوَاسِخُ ٱلْأَطْوَادِ

بُورِكْتَ يَا ٱبْنَ أَبِي وَقَّدِّسَ وَالِدٌ يُحْيِيهِ مِثْلُ ضِرَارَ فِي ٱلْأَوْلَادِ
فَٱذْهَبْ وَعِنْدَ ٱللهِ أَجْرُكَ قَائِمٌ فِي يَوْمِكَ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمِ مَعَادِ
وَعَلَى هِرَقْلَ ٱلْيَوْمَ ثُمَّ غَداً عَلَى مِصْرٍ وَمَا فِي مِصْرَ مِنْ أَجْنَادِ
هَيْهَاتِ تَثْبُتُ لِلْمُقَوْقَسِ دَوْلَةٌ وَلَمَا سُيُوفُ ٱلْعُرْبِ بِٱلْمِرْصَادِ
لَا تَبْعُدَنَّ فَكُلُّ مُلْكٍ لَمْ يَكُنْ عَدْلُ ٱلْمُلُوكِ لَهُ مِنَ ٱلْأَعْضَادِ
لَانَتْ بِكَفِّ ٱلْغَازِينَ قَنَاتُهُ وَعَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْخَرَابِ عَوَادِ
أَوَ لَيْسَ أَنَّ ٱلْقَوْمَ هَانَ مُلُوكُهُمْ وَٱسْتَسْلَمُوا لِغَوَايَةٍ وَفَسَادِ
فَٱنْظُرْ إِلَيْهِمْ كَيْفَ إِنَّ بِلَادَهُمْ سَئِمَتْ لِمَا تَلْقَى مِنِ ٱسْتِبْدَادِ
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فِي غَزَوَاتِهِ مُتَمَسِّكاً بِعَدَالَةٍ وَسَدَادِ
جَمَعَتْ بَنِيهِ يَدُ ٱلتُّقَى وَهَدَاهُمُ تَحْتَ ٱللِّوَا ٱلنَّبَوِيِّ أَكْرَمُ هَادِ
وَٱلرَّاشِدُونَ ٱلْغُرُّ مِنْ خُلَفَائِهِ فَجْرُ ٱلْهُدَى وَصَبَاحُ كُلِّ رَشَادِ
هٰذَا أَبُو بَكْرٍ وَذَا عُمَرٌ عَلَى تَقْوَى ٱلْإِلٰهِ وَخَلَّةِ ٱلزُّهَّادِ
فَأَبْشِرْ إِذاً فَٱلنَّصْرُ مَكْتُوبٌ لَنَا مِنْ أَرْضِ فِرْعَوْنٍ إِلَى بَغْدَادِ

***

لِلّٰهِ دَرُّ أَبِيكِ يَا ٱبْنَةَ أَزْوَرٍ أُلْهِمْتِ مَا يُوحَى إِلَى ٱلْعُبَّادِ
وَثَنَى عِنَانَ جَوَادِهِ وَمَشَى بِهِ ذَاكَ ٱلْمُحَجَّلُ مِشْيَةَ ٱلْمُتَهَادِي

***

أَضِرَارُ دُونَكَ جَيْشَ وَرْدَانٍ فَقَدْ دَلَّتْ طَلَائِعُهُ عَلَى ٱسْتِعْدَادِ

وَٱحمِلْ عَلَيْهِ وَرَافِعَ ٱلطَّائِيَّ مَعاً بِكَتِيبَةٍ مِنْ قَوْمِنَا ٱلْأَمْجَادِ
فَلَقَدْ جَعَلْتُكَ قَائِداً لِكُمَاتِهِمْ عِنْدَ ٱشْتِبَاكِ أَسِنَّةٍ وَحِدَادِ
فَٱضْرِبْ بِهِمْ فِي بَيْتِ لَهْيَا ضَرْبَةً يَتَحَدَّثُ ٱلسَّارِي بِهَا وَٱلْغَادِي

***

قَلَّدْتَنِي يَا ٱبْنَ ٱلْوَلِيدِ صَنِيعَةً وَرَفَعْتَ قَدْرِي وَٱسْتَطَلْتَ نِجَادِي
فَإِذَا جَبُنْتُ فَلا نَمَتْنِي حِمْيَرٌ وَإِذَا قُتِلْتُ فَحَبَّذَا ٱسْتِشْهَادِي
وَهَمَا كَمَا يَهْفُو ٱلشِّهَابُ مُكَبِّراً وَٱنْقَضَّ مُنْصَبّاً عَلَى ٱلْأَضْدَادِ
فَتَعَوَّذُوا مِنْ طَعْنِهِ وَتَنَافَرَتْ أَرْوَاحُهُمْ فَرَقاً عَنِ ٱلْأَجْسَادِ
حَتَّى ٱسْتَحَالَ إِهَابُهُ ٱلنَّارِي إِلَى لَوْنِ ٱلْعَقِيقِ وَحُمْرَةِ ٱلْفِرْصَادِ
وَإِذَا بِوَرْدَانٍ يُنَادِي بِٱبْنِهِ هَمْدَانُ دُونَكَ رُوحَ هٰذَا ٱلْبَادِي
وَرَأَى ضِرَارٌ وَجْهَ طَالِبِهِ وَقَدْ حَفَّتْهُ بِيضُ ظُبًى وَسُمْرُ صِعَادِ
فَسَعَى إِلَيْهِ وَٱلسِّنَانُ بِكَفِّهِ مِثْلَ ٱلشِّهَابِ ٱلثَّاقِبِ ٱلْوَقَّادِ
وَسَطَا عَلَيْهِ وَشَكَّ حَبَّةَ قَلْبِهِ بِٱلرُّمْحِ شِكَّةَ حَاقِدٍ جَلَّادِ
فَتَغَلْغَلَ ٱلرُّمْحُ ٱلْأَصَمُّ بِصُلْبِهِ مَا بَيْنَ أَضْلاعٍ لَهُ أَصْلادِ
وَأَرَادَ سُرْعَةَ نَزْعِهِ فَإِذَا بِهِ فِي كَفِّهِ قَلَمٌ بِغَيْرِ مِدَادِ
فَٱحْتَاطَهُ وَيَمِينُهُ مَجْرُوحَةٌ مِنْ عُصْبَةِ ٱلْمَقْتُولِ كُلُّ مُعَادِ
وَتَمَكَّنُوا مِنْ أَسْرِهِ وَمَضَوْا بِهِ أَسَداً هَصُوراً مُوثَقاً بِقِيَادِ

***

أَدْرِكْ ضِرَاراً يَا أَمِيرُ فَإِنَّهُ ... فِي حَوْزَةِ ٱلْأَعْدَاءِ بِٱلْأَصْفَادِ
فَٱهْتَزَّ خَالِدُ هِزَّةً عَرَبِيَّةً ... وَتَنَادَتِ ٱلْفُرْسَانُ أَيَّ تَنَادِ
وَتَدَفَّقُوا مُتَدَافِعِينَ كَأَنَّهُمْ ... تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ ٱلْبَحْرُ فِي إِزْبَادِ
هٰذَا وَبَيْنَا خَالِدٌ فِي شَوْطِهِ ... دَامِي ٱلْحُسَامِ يُدِلُّ بِٱلْإِنْشَادِ
لَفَتَتْ نَوَاظِرَهُ بَسَالَةُ فَارِسٍ ... مُتَلَثِّمٍ مُتَوَشِّحٍ بِسَوَادِ
مُسْتَلْئِمٍ حَسَنِ ٱلشَّمَائِلِ ضَارِبٍ ... بِحُسَامِهِ فِي ٱلْهَامِ وَٱلْأَكْبَادِ
حَنِقاً يَدُقُّ كَتِيبَةً بِكَتِيبَةٍ ... وَيَكَادُ يَلْهَمُهَا مِنَ ٱلْأَحْقَادِ
وَرِجَالُ وَرْدَانٍ تَفِرُّ أَمَامَهُ ... خَوْفَ ٱلْبُغَاثِ ٱلصَّقْرَ عِنْدَ طِرَادِ
فَتَسَاءَلَتْ عَنْهُ قَبَائِلُ يَعْرُبٍ ... وَتَطَاوَلَتْ مِنْهُمْ إِلَيْهِ هَوَادِ
مَنْ ذَا يَكُونُ لَعَلَّهُ مَلِكٌ أَتَى ... بِٱلنَّصْرِ لِلْإِسْلَامِ وَٱلْإِسْعَادِ
وَجَرَى إِلَيْهِ خَالِدٌ حَتَّى دَنَا ... مِنْهُ وَنَادَاهُ نِدَاءَ وِدَادِ
مَنْ أَنْتَ يَا هٰذَا ٱلْفَتَى فَأَجَابَهُ ... صَوْتٌ يَشِفُّ عَنِ ٱلْكَآبَةِ هَادِي
أَنَا خَوْلَةٌ أَنَا أُخْتُ فَارِسِ حِمْيَرٍ ... فَلَأُلْبِسَنَّ ٱلْقَوْمَ حُلَّةَ عَادِ
أَوْ أَسْتَرِدُّ أَخِي ضِرَاراً — وَٱخْتَفَتْ ... فِي ٱلْجَيْشِ تُرْعِدُ أَيَّمَا إِرْعَادِ
فَأَشَارَ خَالِدُ أَنْ تَشُدَّ رِجَالُهُ ... مَعَهَا فَشَدُّوا شِدَّةَ ٱلْآسَادِ
وَتَصَيَّدُوا أَصْحَابَ وَرْدَانٍ كَمَا ... يَتَصَيَّدُ ٱلرِّئْبَالُ سِرْبَ نِقَادِ
فَتَبَدَّدَتْ تِلْكَ ٱلْجُيُوشُ وَلَمْ يَعُدْ ... مِنْهَا إِلَى حِمْصٍ سِوَى آحَادِ

***

أَمَّا ضِرَارُ فَلَمْ يَبِنْ أَثَرٌ لَهُ وَكَأَنَّ خَوْلَةَ لَمْ تَفُزْ بِمُرَادِ

***

فَاسْتَمْطَرَتْ صَوْبَ الْجُفُونِ كَأَنَّهُ سِمْطٌ مِنَ الْعِقْيَانِ فَوْقَ جِسَادِ (١)
وَتَحَوَّلَتْ نَحْوَ الْخِيَامِ حَزِينَةً ثَكْلَى تَرِنُّ كَآبَةً وَتُنَادِي
أَضِرَارُ لَهْفَ فُؤَادِ أُخْتِكَ خَوْلَةٍ أَضِرَارُ كَيْفَ أَعِيشُ بَعْدَ فُؤَادِي
تَاللهِ لَوْ أُنْعَى إِلَيْكَ قَتِيلَةً لَمَلَأْتَ بِاسْمِي صَفْحَةَ الْآبَادِ
وَطَلَبْتَ ثَأْرِي وَالسَّمَاءُ صَوَارِمٌ وَالْأَرْضُ تَخْفُقُ بِالْقَنَا الْمَيَّادِ
أَشَقِيقُ أَيْنَ تُرَابُ وَجْهِكَ كَائِنٌ فَأَضُمَّ طِيبَ رَمَادِهِ لِرَمَادِي
لَا لَا فَثَأْرُكَ ثُمَّ مَوْتِي وَاسْتَوَتْ غَضْبَى كَلَيْثِ الْغَابِ فَوْقَ جَوَادِ
وَإِذَا بِخَالِدَ مُقْبِلٌ مُتَهَلِّلاً يَشْدُو لَهُ الشَّادِي وَيَحْدُو الْحَادِي
يَا خَوْلُ إِنَّ ضِرَارَ حَيٌّ فَابْشِرِي
مَوْلَايَ كَادَ أَسًى يَضِيعُ رَشَادِي
فَأَخِي ضِرَارٌ فِي الشَّدَائِدِ عُدَّتِي فَإِذَا أُصِبْتُ بِهِ فَقَدْتُ عَتَادِي
كَرَماً وَرُدَّ عَلَيَّ بَهْجَةَ وَجْهِهِ أَوْ مُتُّ مِنْ كَمَدٍ وَطُولِ سُهَادِ

***

إِنِّي رَافِعَ الطَّائِي عَلَيْكَ بِفِتْيَةٍ مِنْ قَوْمِنَا مُسْتَبْسِلِينَ شِدَادِ
وَالْحَقْ ضِرَاراً قَبْلَ حِمْصَ فَإِنْ يَصِلْ حِمْصاً فَلَيْسَ لَهُ بِحِمْصٍ فَادِ
مَا كَادَ خَالِدُ يَنْتَهِي أَوْ يَسْتَوِي صُمُّ الدُّرُوعِ عَلَى مُتُونِ جِيَادِ

(١) الجساد الزعفران وهو مستعار هنا للاصفرار في الجسم

حَتَّى رَأَوْا رَهَجَ ٱلْغُبَارِ وَخَوْلَةً تَطْوِي مَعَالِمَ تَحْتَهُ وَبَوَادِي
فَتَلاحَقَتْ فُرْسَانُ رَافِعَ خَلْفَهَا لَا تَسْتَقِرُّ عَلى رُبًى وَوِهَادِ
وَإِذَا أَمَامَهُمُ ضِرَارُ يَسُوقُهُ بِقُيُودِهِ نَفَرٌ مِنَ ٱلْأَرْصَادِ
جَاءَتْكَ خَوْلَةُ يَا ضِرَارُ وَعَاجَلَتْ حُرَّاسَهُ بِشَبَاةِ أَسْمَرَ صَادِ
فَتَمَزَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ وَتَقَدَّمَتْ وَحَنَانُهَا خَلَلَ ٱلْمَدَامِعِ بَادِ
وَتَعَانَقَتْ وَشَقِيقَهَا فَتَمَازَجَتْ عَبَرَاتُ مُلْتَقِيَيْنِ بَعْدَ بِعَادِ

***

أَضِرَارُ دَوَّخْنَا ٱلشَّآمَ وَمَهَّدَتْ فِيهِ يَدُ ٱلْإِسْلامِ كُلَّ مِهَادِ
فَٱضْرِبْ بِنَا مِصْراً فَإِنَّ تُرَابَهَا ذَهَبٌ بِوَادِي ٱلنِّيلِ أَمْرَعِ وَادِ
وَكِلَا ٱلشَّآمِ وَمِصْرَ عُضْوٌ وَاحِدٌ وَٱلْفَتْحُ بَيْنَهُمَا عَلى مِيعَادِ
وَمَشَى ٱلْغُزَاةُ ٱلْفَاتِحُونَ فَلَمْ يَقِفْ بِطَرِيقِهِمْ فِي ٱلْخَافِقَيْنِ أَعَادِي
وَٱسْتَبْطَنَ ٱلتَّارِيخُ لِلْإِسْلامِ مِنْ غُرَرِ ٱلْفُتُوحِ إِلى ٱلْفَخَارِ هَوَادِي

***

قُلْ لِلأُلَى عَزَّتْ بِهِمْ أَوْطَانُهُمْ
وَتَسَوَّدُوا مِنْ طَارِفٍ وَتِلادِ
كُونُوا ضِرَاراً فِي ٱلْجِهَادِ وَخَوْلَةً
إِنَّ ٱلْجُدُودَ تَعِيشُ بِٱلْأَحْفَادِ

الوفاء (١)

«لالياس فياض»

رَبَّةَ ٱلشِّعْرِ عَنْ رِجَالِ ٱلْوَفَاء   حَدِّثِينَا وَٱبْغِي جَمِيلَ ٱلثَّنَاء
حَدِّثِينَا عَنْ قَوْمِنَا ٱلْعُرْبِ أَهْلِ ٱلْـ   مَجْدِ قِدْماً وَٱلْعِزَّةِ ٱلْقَعْسَاء
عَنْ رُعَاةٍ جَاؤُوا حُفَاةً مِنَ ٱلْقَفْـ   ـرِ فَحَازُوا مُلْكاً عَلَى ٱلدُّنْيَاء
رَفَعَتْهُمْ أَخْلاَقُهُمْ فَتَسَامَوْا   ثُمَّ هَانُوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ ٱلْعَلاَء
وَبِنَاءُ ٱلْأَخْلاَقِ أَعْلَى وَأَبْقَى   مِنْ بِنَاءِ ٱلْمَعَاقِلِ ٱلشَّمَّاء

***

إِنْ عَفَتْ مِنْهُمُ ٱلرُّبُوعُ فَلَمْ يَعْـ   ـفُ حَدِيثٌ لَهُمْ طَوِيلُ ٱلْبَقَاء
صَفَحَاتُ ٱلتَّارِيخِ مَلْأَى بِمَا يُؤْ   ثَرُ عَنْهُمْ مِنْ نَخْوَةٍ وَإِبَاء
وَٱلَّذِي تَسْمَعُونَهُ ٱلْآنَ مِنِّي   نُقْطَةٌ مِنْ عُبَابِ ذَاكَ ٱلْمَاء

***

أَخَذَ ٱلسَّيْفُ مِنْ أُمَيَّةَ فَٱلشَّا   مُ وَحِمْصٌ كَٱلْوَرْدَةِ ٱلْحَمْرَاء
رَاحَ مَنْ رَاحَ مِنْهُمْ طُعْمَةَ ٱلسَّيْـ   ـفِ وَهَامَ ٱلْبَاقُونَ فِي ٱلصَّحْرَاء

***

أَيْنَ قَصْرٌ لِإِبْرَهِيمَ مُنِيفٌ   كَانَ أَبْهَى ٱلْقُصُورِ فِي ٱلْفَيْحَاء
وَفِرَاشٌ مِنَ ٱلْحَرِيرِ وَثِيرٌ   مِنْ فِرَاشِ ٱلتُّرَابِ وَٱلْحَصْبَاء

---

(١) حكاية ماجرى للامير ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك الاموي يوم فر من سيف ابي العباس السفاح واحتمى عند رجل من العرب

ذَلَّ نَجلُ ٱلْمُلوكِ وَٱلدَّهرُ مَشْغُو ف بِذُلِّ ٱلْأَقْيَالِ وَٱلْعُظَمَاء
هَائِمٌ فِي ٱلْقِفَارِ يُعلِنُهُ ٱللَّيْ لُ وَيُخفِيهِ عَنكَ طَرْفُ ذُكَاء
مُتزَيٍّ خَوفَ ٱلرَّقِيبِ بِزِيّ ٱلْ عَبِيدِ مَنْ كانَ فَارِسَ ٱلْهَيْجَاء

***

عِنْدَمَا أَبصَرَ ٱلْخَلَاصَ مُحَالًا وَوَهَى عَزْمُهُ مِنَ ٱلْإِعْيَاء
عَاجَ بِٱلْكُوفَةِ ٱبْتِغَاءَ صَدِيقٍ كَانَ يَرْجُو بِهَا مِنَ ٱلْأَوْفِيَاء
غَيْرَ أَنَّ ٱلْعُيُونَ كَانَتْ عَلَيْهِ تَقْتَفِي إِثْرَهُ أَشَدَّ ٱقْتِفَاء
وَرَأَى ٱلْجُنْدَ فِي ٱلدُّرُوبِ وَقَدْ سَ دُّوا عَلَيْهِ أَبْوَابَ كُلِّ رَجَاء
فَٱنْتَحَى جَانِبَ ٱلْمَدِينَةِ يَبْغِي مَنْزِلًا قَدْ رَآهُ فَخْمَ ٱلْبِنَاء
حَطَّ عَنْهُ ٱلْقِنَاعَ وَٱسْتَقْبَلَ ٱلْبَا بَ فَأَمْسَى فِي رَحْبِ ذَاكَ ٱلْفِنَاء
وَإِذَا صَاحِبُ ٱلْمَكَانِ وَقَدْ أَقْ بَلَ بَيْنَ ٱلْأَتْبَاعِ وَٱلرُّفَقَاء
قَالَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ مِنَ ٱلْأَقْوِيَاء
مَرْحَباً مَرْحَباً . وَأَفْرَدَ فِي ٱلْقَصْ رِ لَهُ حُجْرَةً بِلَا إِبْطَاء
فَأَقَامَ ٱلْأَيَّامَ فِي خَيْرِ مَا يَرْ غَبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاء
لَيْسَ يَدْرِي ٱلْمُضِيفُ مَنْ هُوَ وَلَمْ يَسْ أَلْهُ عَنْ ذَاكَ عَادَةَ ٱلْكُرَمَاء

***

وَرَأَى أَنَّ صَاحِبَ ٱلْقَصْرِ يَمْضِي   كُلَّ يَوْمٍ مَعْ رَهْطِهِ ٱلْأُمَنَاءِ
يَذْهَبُ ٱلصُّبْحَ وَهْوَ طَلْقُ ٱلْمُحَيَّا   ثُمَّ يَأْوِي مُقَطِّباً فِي ٱلْمَسَاءِ
فَٱعْتَرَاهُ رَيْبٌ فَقَالَ لَهُ يَوْ   ماً وَقَدْ أُجْلِسَا مَعاً لِلْعَشَاءِ
بِأَبِي أَنْتَ مَا ٱلَّذِي أَوْجَبَ ٱلْهَـ   ـمَّ وَمَا لِي أَرَاكَ نِضْوَ عَنَاءِ
قَالَ قَدْ كَانَ إِبْرَهِيمُ بْنُ سُلَيْمَا   نَ بَغَانَا بِٱلظُّلْمِ وَٱلْإِعْتِدَاءِ
قَتَلَ ٱلْوَالِدَ ٱلْحَنُونَ وَأَبْقَى   حَسْرَتِي بَعْدَهُ وَطُولَ بُكَائِي
وَأَتَانِي بِٱلْأَمْسِ أَنَّ غَرِيمِي   مُخْتَفٍ هَا هُنَا عَنِ ٱلرُّقَبَاءِ
فَأَنَا بَاحِثٌ عَلَيْهِ لِأَقْضِي   مِنْهُ ثَارِي وَتَشْتَفِي حَوْبَائِي (١)
قَالَ مَنْ هُوَ أَبُوكَ قَالَ هُوَ ٱللَّيْـ   ـثُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَكْرَمِ ٱلْآبَاءِ

***

فَلَوَ اَنَّ ٱلْجِبَالَ دُكَّتْ عَلَيْهِ   لَمْ تَرُعْهُ كَهَذِهِ ٱلْأَنْبَاءِ
عَجَباً سَاقَهُ ٱلْقَضَاءُ إِلَى بَيْـ   ـتِ أَلَدِّ ٱلْخُصُومِ وَٱلْأَعْدَاءِ
كَرِهَتْ نَفْسُهُ ٱلْحَيَاةَ وَقَدْ ضَا   قَ بِعَيْنَيْهِ رَحْبُ ذَاكَ ٱلْفَضَاءِ
قَالَ يَا هَذَا إِنَّ حَقَّكَ عِنْدِي   وَاجِبٌ بَعْدَ هَذِهِ ٱلْآلَاءِ
فَأَنَا مُرْشِدٌ خُطَاكَ إِلَى خَصْـ   ـمِكَ أَقْضِي بِذَاكَ بَعْضَ ٱلْوَفَاءِ
قَالَ مَنْ ذَاكَ قَالَ إِنِّي أَنَا ٱلْقَا
تِلُ فَٱثْأَرْ وَٱسْفُكْ بِعَدْلٍ دِمَائِي

(١) نفسي

ضَحِكَ ٱلشَّابُ . قَالَ وَيْحَكَ هَلْ مَ
لَّكَ طُولُ ٱلْبِعَادِ وَٱلإِخْتِفَاء
فَٱشْتَهَيْتَ ٱلرَّدَى أَجَابَ بَلِ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي قُلْتُهُ وَرَبِّ ٱلسَّمَاء
وَأَقَامَ ٱلدَّلِيلَ حَتَّى جَلا ٱلشَّكَّ عَنِ ٱلسَّامِعِينَ كُلَّ جَلاء

.....

فَٱسْتَشَاطَ ٱلْفَتَى بِغَيْظٍ وَصَارَتْ مُقْلَتَاهُ كَٱلْجَمْرَةِ ٱلْحَمْرَاء
هَمَّ يَقْضِي عَلَيْهِ فِي ٱلْحَالِ لٰكِنْ حَالَ أَمْرٌ أَهَمُّ دُونَ ٱلْقَضَاء
قَالَ كُنْ مَنْ تَشَاء إِنَّكَ ضَيْفِي وَهْوَ عِنْدِي مِنْ أَقْدَسِ ٱلْأَشْيَاء
لَسْتُ وَٱللهِ خَافِراً ذِمَّتِي مَعْكَ وَقَدْ نِلْتَ مِنْ طَعَامِي وَمَائِي
إِنْ تَكُنْ وَالِدِي قَتَلْتَ فَعِنْدَ ٱللهِ تَلْقَى ٱلْجَزَاء يَوْمَ ٱلْجَزَاء
غَيْرَ أَنِّي أَرْجُو ٱبْتِعَادَكَ إِذْ أَخْشَى مِنَ ٱلنَّفْسِ ثَوْرَةَ ٱلْأَهْوَاء
فَٱنْصَرِفْ آمِناً وَأَعْطَاهُ مَنْ أَوْصَلَهُ سَالِماً إِلَى ٱلْبَيْدَاء

***

تِلْكَ آبَاؤُنَا وَذَاكَ تُرَاثُ ٱلْمَجْدِ مِنْهُمْ بَاقٍ إِلَى ٱلْأَبْنَاء
شَرَفٌ فِي سَمَاحَةٍ وَذَكَاءٌ فِي وَقَارٍ وَقُدْرَةٌ فِي وَفَاء



﴿ جابر عثرات الكرام ﴾

« لجرجي عطيه »

شَهَرَ ٱلعِدَاءَ عَلَيْهِ دَهْرٌ قُلَّبُ[1] مَا ٱنْفَكَّ يَلْهُو بِٱلرِّجَالِ وَيَلْعَبُ
كَسَدَتْ تِجَارَتُهُ وَجَفَّ ٱلْمَكْسَبُ فَوَهَتْ[2] عَزَائِمُهُ وَضَاقَ ٱلْمَذْهَبُ
وَغَدَا عَلَى جَمْرِ ٱلغَضَا[3] يَتَقَلَّبُ

لَهْفَانُ فَارَقَ قَوْمَهُ فِي ٱلْبَادِيَهْ وَثَوَى بِبَغْدَادَ ٱلعَرُوسِ ٱلزَّاهِيَهْ
حَيْثُ ٱلْحَضَارَةُ شَمْسُهَا مُتَلَالِيَهْ وَٱلْفَوْزُ دَانٍ[4] وَٱلتِّجَارَةُ نَامِيَهْ
وَٱلسَّعْدُ يَبْسُمُ وَٱلْمَعِيشَةُ تَعْذُبُ

وَبِأَرْضِهَا ٱتَّخَذَ ٱلتِّجَارَةَ حِرْفَةً فَحَوَى بِهَا وَفْراً[5] وَأَحْرَزَ ثَرْوَةً
وَحَبَاهُ أَهْلُوهَا هَوًى وَمَوَدَّةً إِذْ صَادَفُوا مِنْهُ شَمَائِلَ[6] حُرَّةً
فَحَلَا لَهُ عَيْشٌ هُنَالِكَ طَيِّبُ

وَلِمَيْلِهِ نَحْوَ ٱلعُلَى أَنْ يَرْتَقِي قَدْ بَاتَ يُكْثِرُ مِنْ زِيَارَةِ جِلَّقٍ[7]
فَأَحَبَّهُ فِيهَا ٱلْخَلِيفَةُ إِذْ لَقِي مِنْهُ صَفَا ذَوْقٍ وَرِقَّةَ مَنْطِقٍ
وَغَدَا يُجِلُّ مَقَامَهُ وَيُقَرِّبُ

فَدَنَتْ إِلَيْهِ ٱلقَاصِيَاتُ مِنَ ٱلْمُنَى[8] وَٱلْجَاهُ مَجْلَبَةٌ لِأَسْبَابِ ٱلغِنَى

---

(١) كثير التقلب (٢) ضعفت (٣) شجر من الاثل صلب الخشب
(٤) قريب (٥) مالاً كثيراً (٦) طباعاً (٧) دمشق (٨) القاصي البعيد
والمنى الآمال

يَعْنُو بِهِ ٱلْأَمْرُ ٱلْعَسِيرُ بِلا عَنا[١] وَبَدَا يَذُوقُ لَذِيذَ كَاسَاتِ ٱلْهَنَا
وَصفَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَتَمَّ ٱلْمَأْرَبُ[٢]

لٰكِنْ هِيَ ٱلْأَيَّامُ لَاتَبْقَى عَلَى حَالٍ وَطَبْعُ ٱلدَّهْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَا
بَيْنَا يُذِيقُ ٱلْمَرْءَ كَاسَاتِ ٱلطِّلا[٣] حَتَّى تَرَاهُ يُذِيقُهُ كَأْسَ ٱلْبِلَى
وَٱلْمَرْءُ قَسْراً مِنْ يَدَيْهِ يَشْرَبُ[٤]

مَا أَبْطَأَتْ أَنْ حَلَّتِ ٱلنَّكَبَاتُ بِخُزَيْمَةٍ وَتَوَالَتِ ٱلْعَثَرَاتُ
فَسَطَتْ عَلَى أَعْمَالِهِ ٱلْأَزَمَاتُ وَتَنَاهَبَتْ أَمْوَالَهُ ٱلْآفَاتُ
فَغَدَا أَلِيفَ خَصَاصَةٍ يَتَعَذَّبُ[٥]

لَمْ يَبْقَ بَاقٍ قَطُّ مِمَّا جَمَّعَهْ قِدْماً فَبَاعَ أَثَاثَهُ وَٱلْأَمْتِعَهْ
وَبِبَيْعِ خَاتِمِهِ ٱلْمُزَيِّنِ إِصْبَعَهْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عِنْدَهُ ذُو مَنْفَعَهْ
يَجِدُ ٱلْكَفَافَ بِبَيْعِهِ إِذْ يَسْغَبُ[٦]

فَدَعَا حَلِيلَتَهُ[٧] وَقَالَ لَهَا : « قَدْ صَمَّمْتُ أَلْزَمَ مَنْزِلِي أَرْجُو ٱلْمَدَدْ
فَإِذَا أَتَانِي ٱلْعَوْنُ مِنْ رَبِّي ٱلصَّمَدْ[٨] فَبِهِ وَإِلَّا مُتُّ لَمْ أُزْعِجْ أَحَدْ
فَمَعُونَةً مِنْ غَيْرِهِ لَا أَطْلُبُ

---

(١) يعنو يخضع والعناء التعب (٢) الحاجة (٣) عصير العنب
(٤) قسراً اي كرهاً (٥) الخصاصة الفقر (٦) الكفاف ما يكتفى به ويسغب يجوع (٧) الحليلة الزوجة (٨) الدائم

فَإِذَا أَرَدْتِ فَبَيْتَ أَهْلِكِ فَاقْصِدِي تَثْوِي هُنَاكَ بِظِلِّ عَيْشٍ أَرْغَدِ»
قَالَتْ : « مَعَاذَ ٱللهِ أَتْرُكَ سَيِّدِي فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَفِي ٱلزَّمَانِ ٱلْأَسْعَدِ
قَدْ كُنْتُ مِنْهُ بِنِعْمَةٍ أَتَقَلَّبُ

هَيْهَاتِ أَرْضَى غَيْرَ رَبْعِكَ مَرْتَعاً إِنْ عِشْتَ عِشْتُ وَإِنْ تَمُتْ مُتْنَا مَعَا»
فَعَلَى ٱلْوَفَاءِ تَعَاهَدَا وَتَوَدَّعَا وَإِذَا عُيُونُ ٱلْخَلْقِ نَامَتْ هُجَّعَا
فَمِنَ ٱلْأَعَالِي عَيْنُ دِيكٍ تَرْقُبُ

وَدَرَى بِحَالِ خُزَيْمَةٍ وَبِمَا نَوَى جَارٌ لَهُ فَٱلْتَاعَ وَٱلْقَلْبُ ٱكْتَوَى
فَمَضَى وَلِلْوَالِي بِبَغْدَادٍ رَوَى حَالَ ٱلْمُصَابِ لَعَلَّهُ يَجِدُ ٱلدَّوَا
إِنَّ ٱلْأَكَارِمَ لِلْعَظَائِمِ تُنْدَبُ

فَأَجَابَ عِكْرِمَةُ ٱلْأَمِيرُ عَلَى ٱلْبَلَدْ يَا صَاحِبِي فُقَرَاؤُنَا لَيْسَتْ تُعَدْ
إِنْ نَحْنُ أَمْدَدْنَاهُمُ ٱحْتَجْنَا ٱلْمَدَدْ فَلْيَتَّكِلْ كُلٌّ عَلَى ٱلْمَوْلَى ٱلْأَحَدْ
فَمِنَ ٱلْمُهَيْمِنِ رِزْقُ كُلٍّ يُطْلَبُ

فَمَضَى لِخَيْبَةِ سَعْيِهِ مُتَأَثِّرَا
ذَاكَ ٱلْوَسِيطُ ٱلنَّدْبُ[١] لٰكِنْ مَا دَرَى
أَنَّ ٱلْأَمِيرَ يُكِنُّ مَا لَمْ يُظْهِرَا[٢] فَٱلْحُرُّ يُولِي فَضْلَهُ مُتَسَتِّرَا
وَثَنَا ٱلْأَنَامِ وَمَدْحَهُمْ يَتَجَنَّبُ

---

(١) الندب السريع الى الفضائل (٢) يُكِنُّ يُضمر

جنَّ[1] ٱلظَّلامُ فقَامَ يَعدُو مُسْرِعاَ يأْتَمُّ دارَ خُزَيمَةٍ مُتَقَنِّعاَ[2]
وَيُقِلُّ كِيساً أَلفَ دِينَارٍ وَعَى[3] وَافَى خُزَيمَةَ كَيْ يُشَاهِدَ مَنْ دَعَا
فَرَأَى ٱمرءًا بِلِثَامِهِ يَتَحَجَّبُ

حَيَّاهُ مُبْتَسِماً وَقَالَ لَهُ: «أَلَا إِنِّي عَلِمْتُ بِمَا دَهَاكَ مِنَ ٱلْمَلَا
فَإِلَيْكَ هٰذَا ٱلكِيسَ أَنفِقْهُ عَلَى إِصْلاحِ شَأْنِكَ رَيْثَمَا يَمْضِي ٱلْبَلَا
وَعَسَى قَرِيباً حَيْثُ بُؤْسُكَ يَغْرُبُ»[4]

فَأَجَابَ: «يَامَوْلَايَ أَقبَلُ فَضْلَكَا وَلَكَ ٱلثَّنَا مِنِّي فَجُدْ لِي بِٱسْمِكَا»
فَأَبَى وَهَمَّ بِٱلِٱنْصِرَافِ فَأَمْسَكَا بِرِدَاهُ يَبْغِي سُؤْلَهُ أَنْ يُدْرِكَا
فَأَجَابَ: «لَيْسَ لِعِلْمِكَ ٱسْمِي مُوجِبُ

أَنَا لَا أَبُوحُ بِهِ وَمَنْ بَرَأَ ٱلنَّسَمْ لٰكِنَّنِي أُنْبِيكَ يَا حُرَّ ٱلشِّيَمْ
أَنِّي مُقِيلُ عِثَارِ أَرْبَابِ ٱلكَرَمْ[5] ثُمَّ ٱنْثَنَى مُتَوَارِيًا تَحْتَ ٱلظُّلَمْ
وَخُزَيْمَةٌ مِنْ صُنْعِهِ مُتَعَجِّبُ

وَخِلالَ ذَا كَانَتْ عَقِيلَةُ عِكْرِمَهْ قَدْ أَنكَرَتْ إِبْطَاءَهُ مُتَوَهِّمَهْ
سَأَلَتْهُ لَمَّا عَادَ عَمَّا أَلْزَمَهْ لِتَغَيُّبٍ فَرَوَى أُمُوراً مُبْهَمَهْ
فَغَدَتْ إِلَيْهِ كُلَّ سُوءٍ تَنْسُبُ

---

(١) جنَّ الليل اظلم (٢) يأتمّ يقصد والمتقنع اللابس القناع (٣) وعى جمع وحوى (٤) يغرب يغيب (٥) اقال عثاره اي رفعه من سقوطه

وَٱشْتَدَّ ثَائِرُهَا فَخَافَ ٱلْعَاقِبَهْ وَدَعَا غُلاماً كَانَ ثَمَّ مُصَاحِبَهْ
فَأَفَادَهَا هٰذَا بِمَا هِيَ طَالِبَهْ وَرَوَى ٱلْحَدِيثَ لَهَا فَلَمْ تَرْ شَائِبَهْ
فِي ذَا ٱلصَّنِيعِ وَزَالَ مَا تَتَرَيَّبُ

أَمَّا خُزَيْمَةُ فَهُوَ مِنْ غَدِهِ ٱبْتَدَا
فِي رَأْبِ صَدْعِ[1] أُمُورِهِ حَسَبَ ٱلْهُدَى
فَشَرَى لَوَازِمَ بَيْتِهِ مُتَفَقِّدَا وَٱسْتَأْنَفَ ٱلْعَمَلَ ٱلْقَدِيمَ وَجَدَّدَا
وَأَكَبَّ ثَمَّ عَلَى ٱلتِّجَارَةِ يَدْأَبُ[2]

فَبِٱلِاجْتِهَادِ تَحَسَّنَتْ أَحْوَالُهُ وَبِعَوْنِ رَبِّكَ يُسِّرَتْ أَعْمَالُهُ
فَتَكَاثَرَتْ فِي فَتْرَةٍ أَمْوَالُهُ وَتَحَقَّقَتْ بِنُهُوضِهِ آمَالُهُ
وَغَدَا وَقَفْرُ رَجَاهُ رَوْضٌ مُخْصِبُ

عَادَ ٱلزَّمَانُ يُنِيلُهُ أَوْطَارَهُ لِيُعِيضَهُ عَنْ وَقْتِ بُؤْسٍ زَارَهُ
كَمْ قَدْ تَذَكَّرَ مَنْ أَقَالَ عِثَارَهُ وَلَكَمْ تَمَنَّى أَنْ يُمِيطَ سِتَارَهُ[3]
وَبِدُونِ جَدْوَى كَانَ عَنْهُ يُنَقِّبُ[4]

وَبُعَيْدَ حِينٍ جَاءَ جِلِّقَ زَائِرَا فِيهَا ٱلْخَلِيفَةَ فَٱلْتَقَاهُ ذَاكِرَا
بِلَذِيذِ عِشْرَتِهِ زَمَانًا غَابِرَا وَأَعَزَّهُ وَأَقَرَّ مِنْهُ ٱلنَّاظِرَا
وَعَلَيْهِ أَنْشَأَ لِلتَّأَخُّرِ يَعْتَبُ

---

(١) الرأب الاصلاح والصدع الشق (٢) يدأب يجد (٣) يميط يبعد
(٤) ينقب يبالغ في الفحص

فَرَوَى لَهُ مَا نَالَ مِنْ جَوْرِ ٱلزَّمَنْ   وَبِأَيِّ وَاسِطَةٍ أُقِيلَ مِنَ ٱلْمِحَنْ
حَتَّى تَمَنَّى ٱلْعَاهِلُ ٱلْجَوَّادُ أَنْ[1]   يَدْرِي بِمُنْقِذِهِ لِيُكْسِبَهُ ٱلْمِنَنْ
إِنَّ ٱلَّذِي يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبُ

وَلَدُنْ أَرَادَ خُزَيْمَةٌ أَنْ يَرْجِعَا   وَلَّاهُ بَغْدَادَ ٱلْمَلِيكُ تَبَرُّعَا
وَعَلَيْهِ شَدَّدَ أَنْ يُحَاسِبَ مُسْرِعَا   بِٱلْمَالِ سَالِفَهُ فَإِنْ يَكُ ضَيَّعَا
شَيْئاً فَفِي ظُلَمِ ٱلسُّجُونِ يُغَيَّبُ

وَافَى حِمَاهُ خُزَيْمَةٌ وَتَرَبَّعَا   فِي ٱلْمَنْصِبِ ٱلْعَالِي وَعِكْرِمَةً دَعَا
وَبَدَا يُحَاسِبُهُ فَبَانَ مُضَيِّعَا   مَالًا فَأَثْقَلَ بِٱلْقُيُودِ وَأُودِعَا
قَعْرَ ٱلسُّجُونِ كَمَا يُجَازَى ٱلْمُذْنِبُ

وَهُنَاكَ أَمْسَى فِي أَشَدِّ ٱلْكُرْبَةِ   فَأَتَتْ إِلَيْهِ زَوْجُهُ وَأَلَحَّتِ
فِي أَنْ يُبَيِّنَ نَفْسَهُ لِخُزَيْمَةِ   لِيُزِيلَ عَنْهُ شَرَّ تِلْكَ ٱلْمِحْنَةِ
فَأَجَابَهَا : « قَدْ سَاءَ مِنْكِ ٱلْمَطْلَبُ

أَتَاجِتُ مَا قَدْ جِئْتُ مِنْ عَمَلٍ أَبَرَّ   حُبًّا بِرَبِّي لَا بِعَوْنٍ مُنْتَظَرْ
أَفَأَبْتَغِي عَنْ أَجْرِهِ أَجْرَ ٱلْبَشَرْ »
زَادَتْهُ إِلْحَاحاً فَحَلَّ بِهِ ٱلْكَدَرْ
فَتَرَاجَعَتْ وَفُؤَادُهَا يَتَلَهَّبُ

---

(١) العاهل الملك

صَبَرَتْ إلى أَنْ كادَ يُهلِكُهَا ٱلأَلَمْ
فَأَتَتْ لِدَارِ خُزَيْمَةٍ ذَاتِ ٱلشَّمَمْ[١]
قَالَتْ: «خُزَيْمَةُ أيُّهَا ٱلْمَوْلَى أَلَمْ تَعْرِفْ مُقِيلَ عِثَارِ أَرْبَابِ ٱلكَرَمْ»
فَأَجَابَ: «لَا وَأَنَا بِذٰلِكَ أَرْغَبُ»
قَالَتْ: «بِسِجْنِكَ بِٱلقُيُودِ مُصَفَّدُ[٢]
هُوَ» وَٱنْبَرَتْ[٣] تَرْوِي ٱلْحَدِيثَ وَتَسْرُدُ
تَفْصِيلَ مَا قَدْ كَانَ مِمَّا يَشْهَدُ لِأَخِي ٱلْوَفَاءِ بِصِدْقِهَا وَيُؤَكِّدُ
فَعَرَتْ خُزَيْمَةَ حُرْقَةٌ وَتَلَهُّبُ
وَأَتَى سَرِيعاً سِجْنَ عِكْرِمَةَ ٱلأَجَلْ
وَعَلَى يَدَيْهِ وَأَخْمَصَيْهِ بِٱلْقُبَلْ[٤]
أَهْوَى أَمَامَ ٱلْحَاضِرِينَ بِلَا خَجَلْ وَبَدَا يَفُكُّ قُيُودَهُ وَمِنَ ٱلْمُقَلْ
يَنْهَلُّ مَدْمَعُهُ ٱلْغَزِيرُ ٱلصَّيِّبُ[٥]
وَيَقُولُ وَاخَجَلِي وَعَثْرَةَ مَأْمَلِي إِنِّي أَسَأْتُ لِمُنْجِدِي ٱلْمُتَفَضِّلِ[٦]
بِٱللهِ عِكْرِمَةُ ٱتْرُكَنَّ ٱلْقَيْدَ لِي وَٱرْجِعْ لِمَنْصِبِكَ ٱلْقَدِيمِ ٱلْمُعْتَلِي
فَٱلْقَيْدُ لِي وَلَكَ ٱلْعُلَا وَٱلْمَنْصِبُ»

---

(١) الشمم الارتفاع (٢) المصفَّد الموثق (٣) انبرى تصدَّى
(٤) الاخمص ما لا يصيب الارض من باطن القدم والمراد به هنا القدم (٥) الكثير الاندفاع (٦) المنجد المساعد

فَأَبَى وَقَالَ: «هُوَ ٱلْخَلِيفَةُ قَدْ أَمَرْ بِإِقَالَتِي مَا مِنْ إِطَاعَتِهِ مَفَرّ»
إِذْ ذَاكَ أَرْسَلَهُ لِمَنْزِلِهِ ٱلْأَغَرْ بِتَجِلَّةٍ وَحَفَــاوَةٍ ثُمَّ ٱبْتَدَرْ[1]
عَنْ ذِي ٱلْحَوَادِثِ لِلْخَلِيفَةِ يَكْتُبُ

وَعَقِيبَ أَنْ بَسَطَ ٱلْقَضِيَّةَ مُخْبِرَا سَأَلَ ٱلْخَلِيفَةَ أَنْ يُشِيرَ بِمَا يَرَى
فَأَجَابَهُ : إِنِّي سُرِرْتُ بِمَا جَرَى إِذْ قَدْ وَجَدْتَ ٱلْمُنْقِذَ ٱلْمُتَنَكِّرَا
ذَاكَ ٱلَّذِي بِصَنِيعِهِ أَنَا مُعْجَبُ

وَلَقَدْ تَرَكْتُ ٱلْمَبْلَغَ ٱلْمُتَأَخِّرَا لِي عِنْــدَهُ إِذْ حَقُّهُ أَنْ يُعْذَرَا
مَنْ كَانَ لَا يَنْفَكُّ يُنْجِدُ مُعْسِرًا طَيَّ ٱلْخَفَاءِ فَوَاجِبٌ أَنْ يُشْكَرَا
وَبِصُنْعِهِ ٱلْأَمْثَالُ دَوْماً تُضْرَبُ

وَلِيَتِهِ سَامِي رِضَايَ وَشُكْرِهِ وَلِّيتُهُ قُطْرَ ٱلْعِرَاقِ بِأَسْرِهِ
وَٱلْبَثْ خُزَيْمَــةُ سَائِراً فِي إِثْرِهِ وَأَدِرْ بِبَغْدَادَ ٱلْأُمُورَ بِأَمْرِهِ
وَٱرْجِعْ إِلَيْهِ بِمَا يَشُقُّ وَيَصْعُبُ

وَلْــيَزْوِ أَمْرُكُمَا وَيُنْشَرْ ذِكْرُهُ
لِيَبِينَ مَغْزَاهُ وَيُفْقَهَ سِرُّهُ
فَٱلصَّانِعُ ٱلْعُرْفِ ٱلْمُقَدَّمُ بِرُّهُ
مَا إِنْ يَضِيعُ وَلَوْ تَأَخَّرَ أَجْرُهُ
وَٱلْمُرْتَجِي بِٱللهِ لَيْسَ يُخَيَّبُ

---

(١) الحفاوة الاكرام وابتدر اسرع

٣ في المدح والتهنئة

« من قصيدة لاحمد شوقي بك في الدستور المصري »

أُعِدَّتِ ٱلرَّاحَةُ ٱلْكُبْرَى لِمَنْ تَعِبَا وَفَازَ بِٱلْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلَبَا (١)
وَمَا قَضَتْ مِصْرُ مِنْ كُلٍّ لُبَانَتَهَا حَتَّى تَجُرَّ ذُيُولَ ٱلْغِبْطَةِ ٱلْقُشُبَا (٢)
فِي ٱلْأَمْرِ مَا فِيهِ مِنْ جِدٍّ فَلَا تَقِفُوا مِنْ وَاقِعٍ جَزَعاً أَوْ طَائِرٍ طَرَبَا
لَا تُثْبِتُ ٱلْعَيْنُ شَيْئاً أَوْ تُحَقِّقُهُ إِذَا تَحَيَّرَ فِيهَا ٱلدَّمْعُ وَٱضْطَرَبَا
وَٱلصُّبْحُ يُظْلِمُ فِي عَيْنَيْكَ نَاصِعُهُ إِذَا سَدَلْتَ عَلَيْهِ ٱلشَّكَّ وَٱلرِّيَبَا
إِذَا طَلَبْتَ عَظِيماً فَٱصْبِرَنَّ لَهُ أَوْ فَٱحْشُدَنَّ رِمَاحَ ٱلْخَطِّ وَٱلْقُضُبَا
وَلَا تَعُدَّ صَغِيرَاتِ ٱلْأُمُورِ لَهُ إِنَّ ٱلصَّغَائِرَ لَيْسَتْ لِلْعُلَى أُهَبَا
وَلَنْ تَرَى صُحْبَةً تُرْضَى عَوَاقِبُهَا كَٱلْحَقِّ وَٱلصَّبْرِ فِي أَمْرٍ إِذَا ٱصْطَحَبَا
إِنَّ ٱلرِّجَالَ إِذَا مَا أُلْجِئُوا لَجَأُوا إِلَى ٱلتَّعَاوُنِ فِيمَا جَلَّ أَوْ حَزَبَا (٣)

* * *

لَا رَيْبَ أَنَّ خُطَى ٱلْآمَالِ وَاسِعَةٌ وَأَنَّ لَيْلَ سُرَاهَا صُبْحُهُ ٱقْتَرَبَا (٤)
قَدْ فَتَّحَ ٱللهُ أَبْوَاباً لَعَلَّ لَنَا وَرَاءَهَا فُسَحَ ٱلْآمَالِ وَٱلرُّحَبَا (٥)
لَا تَعْدَمُ ٱلْهِمَّةُ ٱلْكُبْرَى جَوَائِزَهَا سِيَّانِ مَنْ غَلَبَ ٱلْأَيَّامَ أَوْ غُلِبَا

---

(١) اي لم يفتر ولم يقصر في طلبه (٢) اللبانة الحاجة والقشب جمع القشيب وهو الجديد (٣) حزبه الامر اصابه واشتد عليه (٤) السرى سير عامة الليل (٥) الرحب جمع رحبة وهي من المكان ساحته

وَكُلُّ سَعْيٍ سَيَجْزِي ٱللهُ سَاعِيَهُ   هَيْهَاتَ يَذْهَبُ سَعْيُ ٱلْمُحْسِنِينَ هَبا
لَمْ يُبْرَمِ ٱلْأَمْرُ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكُمْ   أَسَاءَ عَاقِبَةً أَمْ سَرَّ مُنْقَلَبا
نِلْتُمْ جَلِيلًا وَلَا تُعْطَوْنَ خَرْدَلَةً   إِلَّا ٱلَّذِي دَفَعَ ٱلدُّسْتُورُ أَوْ جَلَبا
تَمَهَّدَتْ عَقَبَاتٌ غَيْرُ هَيِّنَةٍ   تَلْقَى رِكَابُ ٱلسُّرَى مِنْ مِثْلِهَا نَصَبا
وَأَقْبَلَتْ عَقَبَاتٌ لَا يُذَلِّلُهَا
فِي مَوْقِفِ ٱلْفَصْلِ إِلَّا ٱلشَّعْبُ مُنْتَخِبا
لَهُ غَداً رَأْيُهُ فِيهَا وَحِكْمَتُهُ   إِذَا تَمَهَّلَ فَوْقَ ٱلشَّوْكِ أَوْ وَثَبا
كَمْ صَعْبَ ٱلْيَوْمُ مِنْ سَهْلٍ هَمَمْتَ بِهِ   وَسَهَّلَ ٱلْغَدُ فِي ٱلْأَشْيَاءِ مَا صَعُبا
ضُمُّوا ٱلْجُهُودَ وَخَلُّوهَا مُنَكَّرَةً   لَا تَمْلَأُوا ٱلشِّدْقَ مِنْ تَعْرِيفِهَا عَجَبا
أَفِي ٱلْوَغَى وَرَحَى ٱلْهَيْجَاءِ دَائِرَةٌ
تُحْصُونَ مَنْ مَاتَ أَوْ تُحْصُونَ مَا سُلِبا
خَلُّوا ٱلْأَكَالِيلَ لِلتَّارِيخِ إِنَّ لَهُ   يَدًا تُؤَلِّفُهَا دُرًّا وَمَخْشَلَبا[1]
أَمْرُ ٱلرِّجَالِ إِلَيْهِ لَا إِلَى نَفَرٍ   مِنْ بَيْنِكُمْ سَبَقَ ٱلْأَنْبَاءَ وَٱلْكُتُبا
أَمْلَى عَلَيْهِ ٱلْهَوَى وَٱلْحِقْدُ فَٱنْدَفَعَتْ   يَدَاهُ تَرْتَجِلَانِ[2] ٱلْمَاءَ وَٱللَّهَبا
إِذَا رَأَيْتَ ٱلْهَوَى فِي أُمَّةٍ حَكَماً   فَٱحْكُمْ هُنَالِكَ أَنَّ ٱلْعَقْلَ قَدْ ذَهَبا
قَالُوا ٱلْحِمَايَةُ زَالَتْ قُلْتُ لَا عَجَبٌ   بَلْ كَانَ بَاطِلُهَا فِيكُمْ هُوَ ٱلْعَجَبا
رَأْسُ ٱلْحِمَايَةِ مَقْطُوعٌ فَلَا عَدِمَتْ   كِنَانَةُ ٱللهِ حَزْماً يَقْطَعُ ٱلذَّنَبا

(١) المخشلب : خرز ابيض يشبه الدر (٢) ارتجل الشيء اورده من غير تأمل ولا فكر

لَوْ تَسْأَلُونَ « أَلِنبي » يَوْمَ جَنْدَلَهَا بِأَيِّ سَيْفٍ عَلَى يَأْفُوخِهَا ضَرَبَا
أَبِالَّذِي جَرَّ يَوْمَ ٱلسِّلْمِ مُتَّشِحاً أَمْ بِالَّذِي هَزَّ يَوْمَ ٱلْحَرْبِ مُخْتَضِبا
أَمْ بِالتَّكَاتُفِ حَوْلَ ٱلْحَقِّ فِي بَلَدٍ مِنْ أَرْبَعِينَ يُنَادِي ٱلْوَيْلَ وَٱلْحَرَبَا
« يَافَاتِحَ ٱلْقُدْسِ خَلِّ ٱلسَّيْفَ نَاحِيَةً
لَيْسَ ٱلصَّلِيبُ حَدِيداً كَانَ بَلْ خَشَبا »
« إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَيْنَ ٱنْتَهَتْ يَدُهُ وَكَيْفَ جَاوَزَ فِي سُلْطَانِهِ ٱلْقُطُبا »
عَلِمْتَ أَنَّ وَرَاءَ ٱلضَّعْفِ مَقْدِرَةً وَأَنَّ لِلْحَقِّ لَا لِلْقُوَّةِ ٱلْغَلَبا »

***

يَا ٱبْنَ ٱلسَّنَا[(١)] عَالِياً وَٱلْعِزِّ مُمْتَنِعاً وَٱلْبَأْسِ مُحْتَدِماً وَٱلْعُرْفِ مُنْسَكِبا
بَاهِ ٱلْمُلُوكَ بِهٰذَا ٱلتَّاجِ إِنَّ لَهُ
فِي جَوْهَرِ ٱلشَّمْسِ لَا فِي ٱلْمَاسِ مُنْتَسَبا
وَٱحْمِلْ نَوَائِبَ قَوْمٍ أَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَسَيِّدُ ٱلْقَوْمِ أَقْضَاهُمْ لِمَا وَجَبا
لَقَدْ بَدَأْتَ فَأَتْمِمْ غَيْرَ مُدَّخِرٍ جُهْداً وَلَا هِمَّةً لَا تَعْرِفُ ٱلتَّعَبا
هٰذِي ٱلْفُتُوحُ كِتَابٌ أَنْتَ حِلْيَتُهُ جُهُودُ آلِكَ فِيهِ فُصِّلَتْ ذَهَبا
أُمْنِيَّةٌ دَأَبَتْ مِصْرٌ لِتُدْرِكَهَا وَٱللّٰهُ وَٱلنَّاسُ فِي إِنْصَافِ مَنْ دَأَبا
وَلَمْ نَرَ ٱلشَّعْبَ مَجْمُوعاً وَمُفْتَرِقاً إِلَّا عَلَى جَانِبَيْهَا ٱنْضَمَّ وَٱنْشَعَبا[(٢)]

***

(١) يخاطب فؤاداً سلطان مصر (٢) تفرق

«فؤادُ» حلّيتَ جِيدَ ٱلنِّيلِ مَأْثُرَةً   حذَوْتَ فِي صَوْغِهَا آبَاءَكَ ٱلنُّجُبَا
وَإِنَّ لِلْمَجْدِ آفَاتٍ إِذَا جُمِعَتْ   وَجَدْتَهُنَّ ٱثْنَتَيْنِ: ٱلْحِقْدَ وَٱلْغَضَبَا

***

إِنْ سَرَّكَ ٱلْمُلْكُ تَبْنِيهِ عَلَى أُسُسٍ   فَٱسْتَنْهِضِ ٱلْبَانِيَيْنِ ٱلعِلْمَ وَٱلْأَدَبَا
وَٱرْفَعْ لَهُ مِنْ جِبَالِ ٱلْحَقِّ قَاعِدَةً   وَمُدَّ مِنْ سَبَبِ ٱلشُّورَى لَهُ طُنُبَا (١)

***

قُلْ لِلْكِنَانَةِ قَوْلَ ٱلصِّدْقِ مِنْ مَلِكٍ
مُؤَيَّدٍ بِٱلْهُدَى لَا يَنْطِقُ ٱلْكَذِبَا (٢)
دَارُ ٱلنِّيَابَةِ قَدْ صُفَّتْ أَرَائِكُهَا
لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا ٱلْأَحْجَارَ وَٱلْخُشُبَا (٣)
أَلْيَوْمَ يَا قَوْمُ إِذْ تَبْنُونَ مَجْلِسَكُمْ
تَبْنُونَ لِلْعَقِبِ ٱلْأَيَّامَ وَٱلْحِقَبَا (٤)
فَمَا هُوَ ٱلْفَرْدُ إِنْ شِئْتُمْ سَمَا صَعَدًا   إِلَى ٱلثُّرَيَّا وَإِنْ شِئْتُمْ هَوَى صَبَبَا (٥)
وَإِنْ رَضِيتُمْ عَمَرْتُمْ رُكْنَهُ ثِقَةً   وَإِنْ غَضِبْتُمْ تَرَكْتُمْ رُكْنَهُ خَرِبَا



(١) الطنب حبل الخباء   (٢) الكنانـــة لقب مصر   (٣) جمع خشب
(٤) الحقب السنون   (٥) الصبب الحدور والصعد ضده

« وقال الخوري بطرس البستاني في حفلة يوبيل »

« الاب لويس شيخو اليسوعي »

كَلَّ ٱلْيَرَاعُ وَمَا كَلَلْتَ فَقِفْ بِهِ   وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلذِّكْرِ ٱلَّذِي أَحْرَزْتَهُ
ذِكْرٌ يُخَلِّدُهُ ٱلَّذِي صَنَّفْتَهُ   وَجَمَعْتَهُ وَضَبَطْتَهُ وَشَرَحْتَهُ
أَفَمَا لِمَضْنِكَ فِي حَيَاتِكَ رَاحَةٌ   يَوْماً فَيَنْسَى كُلَّ مَا حَمَّلْتَهُ
أَوَ مَا لِرُوحِكَ مِنْ فَرَاغٍ سَاعَةٌ   مِنْ بَعْدِ مَا جَاهَدْتَ مَا جَاهَدْتَهُ
حَتَّى تَرَى أَنَّ ٱلْبِلَادَ مُقِرَّةٌ   أَبَداً بِفَضْلٍ طَالَمَا عَمَّمْتَهُ
أَيُّ ٱمْرِئٍ فِي قُطْرِنَا لَمْ يَلْتَقِطْ   مِمَّا نَثَرْتَ مِنَ ٱلْيَرَاعِ وَصُغْتَهُ
لُغَةٌ حَمَلْتَ لِوَاءَهَا مُنْذُ ٱلصِّبَا   وَنَشَرْتَهُ فِي ٱلْخَافِقَيْنِ وَصُنْتَهُ
تَرْنُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَنْظِمُ عِقْدَهَا   فَتَقَرُّ مُقْلَتُهَا بِمَا نَظَّمْتَهُ
كَمْ زَادَ رَوْنَقَهَا بِمَا نَسَّقْتَهُ   وَزَهَا مُحَيَّاهَا بِمَا نَقَّحْتَهُ
وَلَكَمْ عَلَا بَيْنَ ٱللُّغَاتِ مَقَامُهَا   لَمَّا تَحَلَّتْ بِٱلَّذِي رَصَّعْتَهُ
مَا «ٱلْمَشْرِقُ» ٱلْوَهَّاجُ إِلَّا كَوْكَبٌ   مَلَأَ ٱلْبِلَادَ هُدًى بِمَا أَوْدَعْتَهُ
مَا «ٱلْمَشْرِقُ» ٱلصَّدَّاحُ إِلَّا بُلْبُلٌ   سَكِرَتْ بِهِ ٱلْآذَانُ مُذْ أَنْطَقْتَهُ
تَصْبُو إِلَيْهِ نُفُوسُنَا كَلَفاً بِمَا   حَبَّرْتَهُ فِيهِ وَمَا أَبْدَعْتَهُ
أَنْشَأْتَ لِلْأَعْرَابِ أَنْفَسَ مُتْحَفٍ
مِمَّا ٱكْتَشَفْتَ لَهُمْ وَمَا ٱسْتَنْبَطْتَهُ

لَوْلاكَ ظَلَّتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ ٱلثَّرَى آثَارُهُمْ فَاهْنَأْ بِمَا ٱسْتَخْرَجْتَهُ
لَكَ فِي ٱلصُّدُورِ مَهَابَةٌ قَامَتْ عَلَى عَرْشٍ بِجَيْشِ ٱلْمَكْرُمَاتِ خَفَرْتَهُ
فَٱلْتَفَّ تَحْتَ لِوَائِكَ أَشْرَفُ مَوْكِبٍ وَمَشَى وَرَاءَكَ فَيْلَقٌ دَرَّبْتَهُ
وَعَزِيمَةٍ ذَابَ ٱلْحَدِيدُ وَلَمْ تَذُبْ وَبَدَا لَهَا ٱلصَّعْبُ ٱلْجَمُوحُ فَرُضْتَهُ
أَرْهَفْتَهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلٍ فَنَضَا عَلَيْكَ حُسَامَهُ فَشَطَرْتَهُ
إِنَّ ٱلْحَمِيَّةَ فِي فُؤَادِكَ شُيِّدَتْ مُنْذُ ٱلْفُتُوَّةِ مَعْقِلًا عَزَّزْتَهُ
وَحَمَيْتَهُ مِنْ كُلِّ طَارِئَةٍ وَلَمْ تَدَعِ ٱلْغُوَاةَ تَدُكُّ مَا حَصَّنْتَهُ
خَمْسِينَ عَاماً قَدْ طَوَيْتَ مُحَلِّقاً كَٱلنَّسْرِ تَهْزَأُ بِٱلَّذِي عَارَكْتَهُ
وَشِعَارُكَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ يَصُونُهُ قَلَمٌ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ وَقَفْتَهُ
قَلَمٌ نَبَتْ كُلُّ ٱلصَّوَارِمِ دُونَهُ لَمْ يَنْثَلِمْ حَدَّاهُ مُذْ جَرَّدْتَهُ
وَشَحَذْتَ بِٱلْحُجَجِ ٱلْقَوَاطِعِ غَرْبَهُ
فَٱنْسَلَّ جَيْشُ ٱلْبُطْلِ حِينَ شَحَذْتَهُ
لَا تُغْمِدِ ٱلسَّيْفَ ٱلَّذِي ثَلَمَ ٱلظُّبَى وَرَفَعْتَنَا فَوْقَ ٱلرُّبَى وَرَفَعْتَهُ
لَوْ كَانَ يَلْقَى ذُو ٱلنُّبُوغِ جَزَاءَهُ وَيَنَالُ فِي دُنْيَاهُ مَا قَدْ نِلْتَهُ
لَأُعِيدَ لِلشَّرْقِيِّ غَابِرُ عِزِّهِ وَأَرَاكَ مِنْ آيَاتِهِ مَا شِئْتَهُ
أَوْ كَانَ يُنْصَبُ فِي ٱلْحَيَاةِ لِمُحْسِنٍ أَثَرٌ عَلَى مَا شَادَ مِمَّا شِدْتَهُ
نَصَبُوا لَكَ ٱلتِّمْثَالَ فَوْقَ مَنَارَةٍ
شَمَّاءَ مِنْ مَجْمُوعِ مَا أَنْشَأْتَهُ

« وقال الشاعر نفسه »

« مهنئاً احد تلامذته القدماء(١) بلسان صديق له »

عَقَدَ ٱلإِلْفَانِ عَقْدَ ٱلفَرْقَدَيْنْ   يَوْمَ تَمَّ ٱلعَقْدُ بَيْنَ ٱلمُهْجَتَيْنْ
وَحَرِيٌّ بِهِمَا بُرْجُ ٱلعُلَى   بَعْدَ أَنْ حَلَّا سَمَاءَ ٱلمُقْلَتَيْنْ
غَادَةٌ هَيْفَاءُ قَدْ أَبْدَعَهَا   مَنْ بَرَاهَا آيَةً لِلأَدَبَيْنْ(٢)
جَمَعَتْ خَلْقاً وَخُلْقاً سَلِساً   وَكَمَالُ ٱلحُسْنِ جَمْعُ ٱلحِلْيَتَيْنْ
أَشْرَبَتْهَا أُمُّهَا حُبَّ ٱلعُلَى   وَأَبُوهَا قَدْ سَقَاهَا ٱلحِكْمَتَيْنْ
حِكْمَةَ ٱلتَّقْوَى وَهَلْ مِنْ حِكْمَةٍ   مِثْلِهَا تُسْعِدُهَا فِي ٱلعَالَمَيْنْ
حِكْمَةَ ٱلعِلْمِ ٱلَّذِي يَرْفَعُهَا   بَيْنَ أَرْبَابِ ٱلنُّهَى فِي ٱلخَافِقَيْنْ
يَا ٱبْنَ بَيْتِ ٱلفَضْلِ طِبْ نَفْساً بِمَا   حُزْتَهُ مِنْ شِيَمٍ لَا مِنْ لُجَيْنْ
قَدْ رَشَفْتَ ٱلجُودَ مِنْ مَنْبَعِهِ   وَٱلعُلَى ٱسْتَصْفَيْتَهَا مِنْ مَعْدِنَيْنْ
وَوَرِثْتَ ٱلعِزَّ عَنْ خَيْرِ أَبٍ   وَإِبَاءَ ٱلنَّفْسِ عَنْ مَأْسَدَتَيْنْ
لَيْسَ يُعْلِي ٱلمَرْءَ فِي ٱلدُّنْيَا سِوَى   حَسَبٍ قَدْ نَالَهُ بِٱلأَصْغَرَيْنْ
كُلُّ مَجْدٍ لَمْ يَقُمْ يَوْماً عَلَى   أُسِّ فَضْلٍ كَانَ وَاهِي ٱلجَانِبَيْنْ
كَانَ لِي وَالِدُكَ ٱلبَرُّ أَباً   كَادَ يُنْسِينِي حَنَانَ ٱلأَبَوَيْنْ
وَلَأَنْتَ ٱليَوْمَ لِي أَوْفَى أَخٍ   وَكَفَانَا أَنَّنَا كَٱلأَخَوَيْنْ
فَٱحْيَ يَا «مِيشَالُ» فِي رَوْضِ ٱلهَنَا   أَبَداً مَعْ « أَمَلِي » كَٱلزَّهْرَتَيْنْ

---

(١) هو حضرة الشاب الاديب ميشال افندي الجميل الذي اقترن بالآنسة المهذبة املي كريمة الدكتور امين الجميل (٢) ادب النفس وادب الجسد

إنَّمَا لُبْنَانُ يَزْهُو بِكُمَا . مِثْلَمَا تَزْهُو ٱلسَّمَا بِٱلنَّيِّرَيْنْ
قَدْ رَأَى فِي صَدْرِهِ زَنْبَقَتَيْنْ وَرَأَى فِي نَحْرِهِ لُؤْلُؤَتَيْنْ
إِنْ تَبَاهَى أَوْ تَهَادَى طَرَبًا بِكُمَا مَا بَيْنَ أَهْلِ ٱلْمَشْرِقَيْنْ
فَٱلْمَعَالِي أَرَّخَتْهَا يَدُهُ وَحِلاهُ صَاغَ مِنْ جَوْهَرَتَيْنْ .

سنة ١٩٢٥

« وقال الشاعر نفسه من قصيدة يهنئ بها احد اصدقائه »
« بوسام المعارف »

صَدْرُكَ ٱلرَّحْبُ وَٱلْمَنَاقِبُ فِيهِ زَاهِيَاتٌ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلْمُضِيَّهْ
قَدْ أَرَانَا مِنَ ٱلْبَيَانِ شُعَاعاً وَمِنَ ٱلْفَضْلِ حُلَّةً سُنْدُسِيَّهْ
وَسَقَانَا مِنْ نَثْرِهِ سَلْسَبِيلًا وَمِنَ ٱلنَّظْمِ خَمْرَةً بَابِلِيَّهْ
إِنَّ صَدْراً رَصَّعْتَهُ بِٱلْمَعَالِي لَجَدِيرٌ بِٱلشَّارَةِ ٱلذَّهَبِيَّهْ
وَفُؤَاداً أَرْوَيْتَهُ فِي صِبَاهُ مِنْ زُلَالِ ٱلْمَعَارِفِ ٱلْعَصْرِيَّهْ
لَحَرِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ مَنَاراً وَحَقِيقٌ بِٱلتَّهْنِئَاتِ ٱلسَّنِيَّهْ
عَرَفَتْكَ ٱلْبِلَادُ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ بُلْبُلًا فِي رُبُوعِهَا ٱلْأَدَبِيَّهْ
مُطْرِبًا مِسْمَعَ ٱلْعُلَى بِقَوَافٍ غَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِهَا ٱلشَّاعِرِيَّهْ
حَوْلَكَ ٱلنَّشْءُ يَشْرَبُونَ نَمِيراً مِنْ مَجَارِي آدَابِكَ ٱلْكَوْثَرِيَّهْ
حَمَلُوا رَايَةَ ٱلْجِهَادِ وَنَالُوا قَصَبَ ٱلسَّبْقِ فِي مَجَالِ ٱلْحَمِيَّهْ
إِنْ تَكُنْ وَاحِداً فَحَوْلَكَ جَيْشٌ دَرَّبَتْهُ أَقْوَالُكَ ٱلْحِكَمِيَّهْ

لُغَةُ ٱلعُرْبِ قَدْ حَمَيْتَ حِمَاهَا ... بِيَرَاعٍ أَمْضَى مِنَ ٱلْمَشْرَفِيَّهْ
أَيْنَما كُنْتَ يَنْشَقُ ٱلنَّاسُ عَرْفاً ... مِنْ أَزَاهِيرِ أَصْغَرَيْكَ ٱلذَّكِيَّهْ
وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوسُ سَكَارَى ... بِٱلتَّهَانِي تُهْدَى إِلَيْكَ نَقِيَّهْ
فَٱلْوِسَامُ ٱلْخَطِيرُ يَهْتَزُّ فَخْراً ... فَوْقَ صَدْرٍ تَزِينُهُ ٱلْأَرْيَحِيَّهْ
فَهَنِيئاً لَكَ ٱلْوِسَامُ وَأَوْلَى ... بِٱلتَّهَانِي آثَارُكَ ٱلْوَطَنِيَّهْ
كُلُّ مَنْ يَزْرَعُ ٱلْجَمِيلَ كَثِيراً ... يَحْصُدُ ٱلشُّكْرَ مِنْ قُلُوبٍ وَفِيَّهْ
يَا فِرَنْسَا وَأَنْتِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ... آيَةُ ٱللهِ فِي سَمَا ٱلْعَبْقَرِيَّهْ
عَلِّمِينَا كَيْفَ ٱلنُّبُوغُ يُجَازَى ... لِنَرَاهُ فِي ٱلْأُمَّةِ ٱلْعَرَبِيَّهْ

« وقال وديع عقل صاحب جريدة الوطن يمدح احمد شوقي بك »
« في الحفلة التي اقامها له الادباء في بيروت »

أَيْنَ فَخْرَ ٱلدِّينِ [1] فَٱلضَّيْفُ أَمِيرٌ ... حَلَّ فِي ذِمَّةِ لُبْنَانَ ٱلْكَبِيرْ
أَيْنَ فَخْرُ ٱلدِّينِ يَسْتَقْبِلُهُ ... بِفَصِيحِ ٱلضَّادِ : أَهْلاً بِٱلْأَمِيرْ
أَيْنَ رَبُّ ٱلْقَدَنِ [2] ٱلرَّاسِي عَلَى ... صَدْرِ بَيْتِ ٱلدِّينِ صِنْواً لِلسَّدِيرْ
يُصْدِرُ ٱلْأَمْرَ بِإِعْدَادِ ٱللُّهَى ... وَبِسَاطِ ٱلْخَزِّ وَٱلْمَهْدِ ٱلْوَثِيرْ
إِنَّ مِصْراً عَرَفَتْ أَوْلَادَهَا ... أَكْرَمَ ٱلْأَضْيَافِ فِي ظِلِّ «بَشِيرْ» [3]

***

(١) فخر الدين المعني امير جبل لبنان (٢) القدن القصر والمراد به هنا قصر بيت الدين (٣) الامير بشير الشهابي الكبير امير جبل لبنان

خَفِّفِي لَوْمَكِ يَا جَارَتَنَا وَٱقْنَعِي لِلضَّيْفِ مِنَّا بِٱلْيَسِيرْ
فَٱلَّذِي أَنْزَلَ إِبْرَاهِيمَ [١] فِي قَصْرِهِ أَمْسَى نَزِيلاً فِي حَفِيرْ
حَالَ ذَاكَ ٱلْعِزُّ ذُلاًّ وَمَضَى بِٱلسَّرِيرِ ٱلدَّهْرُ مَعْ رَبِّ السَّرِيرْ
كَبُرَتْ أَلْقَابُنَا لٰكِنَّهَا أُلْقِيَتْ كُبْرَى عَلَى كُلِّ صَغِيرْ
فَٱقْنَعِي يَا مِصْرُ بِٱلْبَاقِي لَنَا يَجْتَلِيهِ ٱبْنُكِ نَزْراً مِنْ كَثِيرْ

* * *

إِيْ أَمِيرَ ٱلشِّعْرِ لَا تَجْزَعْ فَمَا غَيَّرَ ٱلدَّهْرُ بِنَا غَيْرَ ٱلْعَشِيرْ
هُوَ ذَا لُبْنَانُ مَا تَشْهَدُهُ حَافِظاً نِعْمَةَ بَارِيهِ ٱلْقَدِيرْ
يَفْتَدِي شِعْرَكَ بِٱلرُّوحِ وَمَا ٱلرُّوحُ فِيهِ غَيْرُ رَيًّا وَخَرِيرْ
وَفِدَاكَ ٱلثَّلْجُ فِي صِنِّينِهِ وَفِدَاكَ ٱلْأَرْزُ وَٱلْمَاءُ ٱلنَّمِيرْ
وَفِدَاكَ ٱلْبُلْبُلُ ٱلصَّدَّاحُ فِي مُنْحَنَى وَادِيهِ وَٱلظَّبْيُ ٱلْغَرِيرْ

* * *

عَمْرَكَ ٱللهَ أَمَا نَاجَيْتَهُ تَسْتَمِدُّ ٱلْوَحْيَ مِنْهُ لِلضَّمِيرْ
مِنْ ضُحَاهُ عِنْدَمَا تُلْقِي عَلَى نَهْرِهِ ٱلصَّافِي خُيُوطاً كَٱلْحَرِيرْ
وَشَذَاهُ عِنْدَ مَا تَغْدُو ٱلصَّبَا وَلَهَا بَيْنَ رَوَابِيهِ زَفِيرْ
وَدُجَاهُ عِنْدَمَا يَحْسُرُهَا نَجْمُهُ ٱللَّامِعُ وَٱلْبَدْرُ ٱلْمُنِيرْ
هَاتِ يَا شَوْقِي مَا أَلْهَمْتَهُ إِنَّ فِي لُبْنَانَ وَحْياً كَثَبِيرْ [٢]

---

(١) ابراهيم باشا المصري بن الامير محمد علي (٢) جبل في مكة

حَبَّذَا ٱلصَّيْفُ وَلَوْ مَرَّتْ بِهِ غَفَلاتُ ٱلدَّهْرِ كَٱلْحِلْمِ ٱلْقَصِيرْ
وَرَعَى ٱللهُ هَجِيراً كُلَّمَا زَارَ مِصْراً زَارَنَا ضَيْفٌ خَطِيرْ
كَادَ لُبْنَانٌ عَلَى رَغْمِ ٱلْوَفَا يَشْتَهِي لَوْ دَامَ فِي مِصْرَ ٱلْهَجِيرْ
فَيَطُولُ ٱلْمِهْرَجَانُ ٱلْمُجْتَلَى حَوْلَ مَنْ أَزْرَى بِأَقْرَانٍ جَرِيرْ
مِهْرَجَانٌ لَيْتَهُ لَا يَنْقَضِي قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَنِي يَوْمِي ٱلْأَخِيرْ

***

دَوْلَةَ ٱلشِّعْرِ ٱسْتَجِدِّي مَا بَلِي وَٱسْتَعِيدِي بَهْجَةَ ٱلْعَيْشِ ٱلنَّضِيرْ
أَلْقَوَافِي بَايَعَتْ شَوْقِيَّهَا وَمَشَى مِنْهَا عَلَى ٱلشَّرْقِ بَشِيرْ
فَٱسْتَثَارَ ٱلْعُرْبَ فِي أَصْقَاعِهِمْ لِدُعَاءٍ شَقَّ أَكْبَادَ ٱلْأَثِيرْ
عِشْ أَمِيرَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعُظْمَى عَلَى عَرْشِهَا ٱلْعَالِي لَكَ ٱللهُ نَصِيرْ
وَمَتَى ٱسْتَوْزَرْتَ لِلدَّوْلَةِ لَا تَنْسَ لُبْنَانَ يَكُنْ مِنْهُ وَزِيرْ

« وقال الشيخ امين تقي الدين »

« من قصيدة في تهنئة مدرسة الحكمة بيوبيلها الذهبي »

بَنُوكِ فُدِيتِ يَا أُمَّ ٱلْبَنِينَا هُمُ أَهْلُ ٱلْوَفَا لَوْ تَعْلَمِينَا
دَعَوْتِهِمِ فَلَبَّيْنَا كَأَنَّا رَجَعْنَا لِلصِّبَا لَمَّا دُعِينَا
أَحَبُّ مِنَ ٱلْكُهُولَةِ وَهْيَ حَقٌّ خَيَالٌ لِلطُّفُولَةِ زَارَ حِينَا
وَأَشْهَى مِنْ لَيَالِي ٱلْحُبِّ عِيدٌ نَظَمْتِ بِهِ بَنِيكِ ٱلْمُخْلِصِينَا
صِبَاكِ وَأَنْتِ فِي ٱلْخَمْسِينَ غَضٌّ وَشَابَ بَنُوكِ دُونَ ٱلْأَرْبَعِينَا

أمَا وَاللهِ مَا هَانُوا وَلٰكِنْ نَزَلْنَا لِلجِهَادِ مُغَامِرِينَا
نُجَاهِدُ لِلحَيَاةِ وَتَزْدَرِيهَا وَتُجْهِدُنَا وَمَا أنْ تَزْدَرِينَا
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى حَرْبٍ ضَرُوسٍ وَجَدْتُ سِلاَحَهَا عِلْماً وَدِينَا
إذَا أعْدَدْتَ نَفْسَكَ لِلمَعَالِي فَأعْدِدْ فِي الصِّبَا الخُلُقَ المَتِينَا
أجَلُّ العِلْمِ تَرْبِيَةُ المَبَادِي كَذَا عَلَّمْتَنَا وَكَذَا رَبِينَا

***

سَلِي الدُّنْيَا أكَانَ بَنُوكِ فِيهَا سِوَى المُتَفَوِّقِينَ النَّابِغِينَا
وَمَا فَضَلُوا سِوَاهُمْ غَيْرَ أنَّا تَعَلَّمْنَا كَذٰلِكَ أنْ نَكُونَا
إذَا وَطَنِيَّةٌ بَاهَتْ بِقَوْمٍ أرَى لُبْنَانَ أرْفَعَهُمْ جَبِينَا
أشَدُّ الحُبِّ مَا يُدْعَى هُيَاماً فَمَا يُدْعَى إذَا بَلَغَ الجُنُونَا
سَلِي أمَّ اللُّغَاتِ فَكُلُّ قُطْرٍ فَتَحْنَاهُ لَهَا الفَتْحَ المُبِينَا
أقَمْنَا مَجْدَهَا أنَّى أقَمْنَا وَكُنَّا دُونَهُ الحِصْنَ الحَصِينَا
مَتَى ذَكَرَ البَيَانُ لَنَا جَمِيلاً ذَكَرْنَا شَيْخَهُ الفَذَّ الرَّصِينَا[1]
وَفِي الأقْلاَمِ عَثْرَتَهَا فَسِرْنَا عَلَى دَرْبِ الفَصَاحَةِ آمِنِينَا
مَشَى وَالفَضْلَ أخْلاَقاً وَعِلْماً فَأيُّ تَدَعْهُ تَدَعُ القَرِينَا
كَأنَّ المَجْدَ أثْقَلَ كَاهِلَيْهِ وَنَاءَ بِحِمْلِهِ فَمَشَى رَزِينَا

---

(١) يريد به الشيخ عبد الله البستاني اللغوي المشهور صاحب «معجم البستان» الذي له الفضل الكبير على تعزيز اللغة العربية في هذا المعهد العلمي

فَمَا ٱلسَّبْعُونَ تَحْيِــهِ وَلٰكِنْ   هِيَ ٱلعَظَمَاتُ نَدْعُوهَا سِنِينَا

***

قِفِي أُمَّ ٱلْبَنِينَ وَحَدِّثِينَا   أَحَادِيثَ ٱلصِّبَا لَوْ تَذْكُرِينَا
بَنُوكِ ٱلْيَوْمَ صُورَتُنَا قَدِيماً   فَمَا ٱخْتَلَفَتْ حَيَاةُ ٱلطَّالِبِينَا
وَنَحْنُ مِثَالُهُمْ لِغَدٍ فَقُولِي   لَهُمْ أَنْ يَقْرَأُوا ٱلْأَيَّامَ فِينَــا
لَعَلَّ غَداً يُلاقِيهِمْ بِخَيْرٍ   فَشَرُّ ٱلْيَوْمِ أَقْبَحُ مَا لَقِينَــا
نُرِيدُ لِقَوْمِنَا وَطَناً عَزِيزاً   وَيَأْبَى ٱلْجَهْلُ إِلَّا أَنْ يَهُــونَا
أَلَا لَيْتَ ٱلْمَــكَارِمَ كُنَّ صُمّاً   فَلَمْ يَسْمَعْنَ فِي ٱلْوَطَنِ ٱلْأَنِينَا
تَطَاعَنَ أَهْلُهُ عَبَثاً وَعَفْواً   وَلَسْتُ أَرَى سِوَى ٱلْوَطَنِ ٱلطَّعِينَا
ضَمِنْتِ لَنَا ٱلسَّعَادَةَ يَوْمَ كُنَّا   بِظِلِّكِ إِخْوَةً مُتَضَامِنِينَــا
أُشَبَّاناً نُبَشِّرُ بِٱلتَّــآخِي   وَشِيباً نَسْتَثِيرُ ٱلْجَاهِلِينَا
وَعَظْنَا ٱلْقَوْمَ لَوْ عَقَلُوا وَلٰكِنْ   عَصَانَا ٱلدَّاءُ إِذْ أَمْسَى دَفِينَا
ذَرِينَا وَٱلْخُطُوبَ فَقَدْ أَتَيْنَا   لِعِيدِكِ رَغْمَ ذَاكَ مُهَنِّئِينَا
أَبُوكِ أَجَلَّهُ ٱلتَّارِيخُ ذِكْراً   وَأَكْبَرَ فِيــهِ فَضْلَ ٱلْوَالِدِينَا
بَنَى ٱلْأَخْلَاقَ فِي لُبْنَانَ لَمَّا   بَنَاكِ فَكَانَ خَيْرَ ٱلْمُصْلِحِينَا
يَمِينُ ٱللهِ إِذْ لَوْلَا ٱلْقَوَافِي   لَقُلْنَا ٱلْقَوْلَ لَمْ نُقْسِمْ يَمِينَا
حَيَاتُكِ نِعْمَةُ ٱلدُّنْيَا عَلَيْنَا   إِذَنْ عِيشِي مَعَ ٱلدُّنْيَا مِئِينَا

« وقال حليم دموس يمدح الشيخ احمد عباس الازهري »
« في حفلة اليوبيل الذهبي التي اقيمت له في كليته الاسلامية »

يَقُولُونَ لِي: هَلْ تَعْرِفُ ٱلشَّيْخَ قَبْلَمَا ... دُعِيتَ إِلَى ٱلتَّكْرِيمِ قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا
وَلٰكِنَّنِي آنَسْتُ بَعْضَ سَنَائِهِ ... فَكَانَ دَلِيلًا لِي لِكَيْ أَعْرِفَ ٱلْكُلَّا
أَلَمْ يَطْوِ فِي ٱلتَّهْذِيبِ خَمْسِينَ حِجَّةً ... وَمِنْ عَزْمِهِ كَلَّ ٱلزَّمَانُ وَمَا كَلَّا
وَهَلْ يَخْتَفِي رَوْضٌ سَرَتْ نَفَحَاتُهُ ... وَأَلْقَتْ عَلَى لُبْنَانَ أَدْوَاحُهُ ٱلظِّلَّا
أَجَلْ قَدْ عَرَفْنَاهُ بِطَائِرِ ذِكْرِهِ ... فَآثَارُهُ شَتَّى وَأَثْمَارُهُ جُلَّى
إِذَا كَانَ يَأْبَى أَنْ نُبَيِّنَ فَضْلَهُ ... أَبَى ٱلْعِلْمُ وَٱلْإِنْصَافُ أَنْ نَكْتُمَ ٱلْفَضْلَا
تُكَرِّمُهُ ٱلْأَوْطَانُ تَكْرِيمَ سَيِّدٍ ... يَرَى كُلَّ صَعْبٍ فِي سَبِيلِ ٱلْعُلَى سَهْلَا
عَرَفْنَا بَنِيهِ ٱلنَّاشِئِينَ بِظِلِّهِ ... فَوَارِسَ عِلْمٍ تَمْلَأُ ٱلْحَزْنَ وَٱلسَّهْلَا
كَوَاكِبُ فِي شَرْقِ ٱلْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ... تُنِيرُ ٱلَّذِي بِٱلْجَهْلِ فِي لَيْلِهِ ضَلَّا
وَكَمْ مِنْ شَهِيدٍ مِنْهُمُ ضَمَّهُ ٱلثَّرَى ... وَلٰكِنَّهُ فِي (سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى) حَلَّا
أَرَى ٱلْمَثَلَ ٱلْأَعْلَى حَبِيبَ أَخِي ٱلنُّهَى ... وَلَمْ أَرَ غِرًّا هَامَ بِٱلْمَثَلِ ٱلْأَعْلَى

• • •

بَحَثْتُ مَلِيًّا عَنْ تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... وَعَنْ عُرْوَةٍ وُثْقَى بِهَا نَجْمَعُ ٱلشَّمْلَا
وَنَادَيْتُ قَوْمِي وَٱلْمُنَى تَرْحَمُ ٱلْمُنَى ... وَنَاشَدْتُهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا ٱلْعَارَ وَٱلذُّلَّا
وَأَنْ يُنْشِئُوا لِلْحُبِّ صَرْحًا مُمَرَّدًا ... وَأَنْ يَدْفِنُوا ٱلْحِقْدَ ٱلْمُذَمَّمَ وَٱلْغِلَّا

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلْعِلْمِ وَٱللُّغَةِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا وَقَفْنَا ٱلرُّوحَ وَٱلْقَلْبَ وَٱلْعَقْلَا
فَمَا لُغَةُ ٱلْأَوْطَانِ إِلَّا حَيَاتُهَا وَمَا قَامَ عَرْشُ ٱلْمُلْكِ إِنْ عَرْشُهَا ثُلَّا
فَعُدْتُ إِلَى أُمِّ ٱللُّغَاتِ لِأَنَّنِي وَحَقِّ هَوَاهَا مَا وَجَدْتُ لَهَا مِثْلَا
تَعَشَّقَهَا (ٱلْعَبَّاسُ) فَٱبْتَسَمَتْ لَهُ وَبَاتَ بِهَا صَبًّا وَبَاتَتْ بِهِ جَذْلَى
تَعَشَّقَهَا طِفْلاً وَكَهْلاً وَيَافِعاً
وَمَا زَالَ – وَهُوَ ٱلشَّيْخُ – فِي حُبِّهَا طِفْلاً

* * *

أَعَبَّاسُ أَرْضَيْتَ ٱلْبِلَادَ وَأَهْلَهَا وَحَسْبُكَ أَنْ تُرْضِي بِلَادَكَ وَٱلْأَهْلَا
وَعَهْدٌ عَلَى أَهْلِ ٱلْوَفَاءِ وَذِمَّةٌ بِأَنْ يَقْدِرُوا مَنْ لِلثَّنَاءِ غَدَا أَهْلَا
هَنِيئاً لِأَعْوَامٍ حِسَانٍ تَكَلَّلَتْ بِإِكْلِيلِ مَجْدٍ زَانَ خِطَّتَكَ ٱلْمُثْلَى
فَفِي صَفْحَةِ ٱلتَّارِيخِ يَخْلُدُ ذِكْرُهَا وَفِي دَوْلَةِ ٱلْآدَابِ آيَاتُهَا تُتْلَى

« وقال ايضاً في يوبيل الاب لويس شيخو الذهبي »

نِعْمَ ٱلْحَيَاةُ حَيَاةُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ فَرَبُّهَا خَالِدٌ فِي صَفْحَةِ ٱلْحِقَبِ
وَحَبَّذَا صِلَةُ ٱلْعِرْفَانِ مِنْ صِلَةٍ وَحَبَّذَا نَسَبُ ٱلْآدَابِ مِنْ نَسَبِ
خَمْسُونَ عَاماً وَكَمْ فِيهِنَّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ جِهَادٍ وَمِنْ جُهْدٍ وَمِنْ نَصَبِ
فَمِنْ كِتَابٍ وَتَنْقِيبٍ إِلَى سَهَرٍ إِلَى ٱغْتِرَابٍ إِلَى بَحْثٍ إِلَى طَلَبِ
فَمَا ٱنْتَهَى عَمَلٌ إِلَّا إِلَى عَمَلٍ وَمَا ٱنْقَضَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبِ

بِهِمَّـةٍ كَغِرَارِ ٱلسَّيْفِ مَاضِيَةٍ
إِلى ٱقْتِطَافِ «مَجَانِي» ٱلصُّحْفِ وَٱلْكُتُبِ

لَوْ قِيلَ فِي ٱلْهِنْدِ أَوْ فِي ٱلصِّينِ مَكْتَبَةٌ   لَطَارَ مِنْ قُطْبٍ قَاصٍ إِلى قُطْبِ
أَوْ قِيلَ فِي ٱلشُّهْبِ سِفْرٌ خَطَّهُ قَلَمٌ   لَرَاحَ يَنْشُدُهُ فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ
بِمِثْلِهِ فَلْتَتِهْ أُمُّ ٱللُّغَاتِ عَلَى   بِمِثْلِـهِ فَلْتُنَافِسْ دَوْلَةُ ٱلْأَدَبِ

***

يَا أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ يَا مَنْ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
إِلَّا ذَكَرْتُ مِثَالَ ٱلْجِدِّ وَٱلدَّأَبِ
سِرْ فِي جِهَادِكَ وَٱسْتَقْبِلْ تَحِيَّتَنَا
فَإِنَّ فِيهَا هُتَافَ ٱلْعَالَمِ ٱلْعَرَبِي
إِنْ يَفْرَحِ ٱلْغَرْبُ فِي يَوْمٍ يُؤَرِّخُهُ
فَالشَّرْقُ يَفْرَحُ فِي يُوبِيلِكَ ٱلذَّهَبِي

١٩٢٥

٤ في الرثاء

«قال خليل المطران في رثاء الشيخ ابراهيم اليازجي»

رَبَّ ٱلْبَيَانِ وَسَيِّدَ ٱلْقَلَمِ ... وَفَّيْتَ قِسْطَكَ لِلْعُلَى فَنَمِ
نَمْ عَنْ مَتَاعِبِهَا ٱلْجِسَامِ وَذَرْ[1] ... آلَامَهَا غُنْماً لِمُغْتَنِمِ
مَا أَصْغَرَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْقَرَهَا ... فِي جَنْبِ مَا لِلْمَيْتِ مِنْ عِظَمِ
يُغْضِي وَقَدْ آذَتْهُ دَائِبَةً ... عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ ٱلْكَرَمِ
مَا أَعْجَزَ ٱلْلَسِنَ ٱلْفَصِيحَ لَدَى ... مَا فِي لِسَانِ ٱلْمَيْتِ مِنْ بَكَمِ
مَا أَسْخَفَ ٱلْعَبَرَاتِ سَاكِبَةً ... وَٱلنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمِ
يَا مَنْ بَكَتْ لِفِرَاقِهِ أُمَمٌ ... كَانَتْ بِهِ مَحْسُودَةَ ٱلْأُمَمِ
أَلْآنَ جُزْتَ ٱلْوَهْمَ مُرْتَقِياً ... وَإِلَى ٱلصَّوَابِ خَلَصْتَ مِنْ حُلُمِ
أَكْمِلْ بَلَاغَكَ يَا حَكِيمُ وَقُلْ ... أَحَيَاتُنَا خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَدَمِ
أَمْ تِلْكَ أُمٌّ غَيْرُ عَاقِلَةٍ ... أُمٌّ بِلَا قَلْبٍ وَلَا رَحِمِ
أُمٌّ تُغَذِّي مِنْ وَلَائِدِهَا ... رِمَمًا تُمَشِّيهَا عَلَى رِمَمِ
مَا ٱلْخَلْقُ هَلْ أَدْرَكْتَ غَامِضَهُ ... وَأَزَحْتَ عَنْهُ غَيَاهِبَ ٱلظُّلَمِ
أَجْهَدْتَ فِكْرَكَ فِي تَعَقُّلِهِ ... وَصَدَرْتَ عَنْهُ وَارِداً كَظَمِي
سَاءَلْتَ عَنْهُ ٱلنَّجْمَ مُرْتَقِباً ... وَبَحَثْتَ بَيْنَ ٱلْحَرْفِ وَٱلرَّقَمِ
وَهَوَى بِكَ ٱلْوَادِي مَهَاوِيَهُ ... وَرَنَوْتَ مُنْطَاداً مِنَ ٱلْقِمَمِ

---

(١) دع واترك

تَبْغِي ٱلْحَقِيقَةَ سَاعِياً كَلِفاً   مِنْ كُلِّ مُطَّلَبٍ بِلا سَأَمِ
أَمَّا ٱلنِّظَامُ فَكُلُّهُ عَجَبٌ   فِي ٱلْكَوْنِ لِلْمُتَبَصِّرِ ٱلْفَهِمِ
أَلتُّرْبُ لِلْأَجْسَامِ مُصْطَنَعٌ   وَنَوَاسِمُ ٱلْأَرْوَاحِ لِلنَّسَمِ
وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ دَقَائِقِهَا   مَعْنًى كَمَعْنَى ٱلْكُلِّ لَمْ يُرَمِ
لَمْ تَدْرِ سِرًّا لِلْحَيَاةِ وَلَا   لِخُصُومَتَيْهَا ٱلْبُرْءِ وَٱلسَّقَمِ
وَنِزَاعِهَا ٱلْمُحْيِي ٱلْمُمِيتِ مَعاً   بَيْنَ ٱلصَّفَاءِ ٱلنَّزْرِ وَٱلْأَلَمِ
سِرٌّ لَوَ ٱنَّ ٱلْمَرْءَ يُدْرِكُهُ   عَقْلاً لَشِمْتَ سَنَاهُ مِنْ أَمَمِ
لٰكِنْ رَأَيْتَ ٱلْبِرَّ أَجْمَلَ مَا   تُحْدَى إِلَيْهِ سَوَابِقُ ٱلْهِمَمِ
وَٱلْبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ   لِلنَّاسِ فِي ٱلْإِرْشَادِ وَٱلْحِكَمِ
فَأَزَلْتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِي شَجَنٍ   بِٱلرَّائِقِ ٱلشَّافِي مِنَ ٱلْكَلِمِ
وَأَسَوْتَ مَكْلُومَ ٱلنُّفُوسِ إِساً   مَنْ يَقْرُنُ ٱلتَّضْمِيدَ بِٱلنَّغَمِ (1)
بِرَوَائِعٍ كَٱلْكَوْنِ بَاهِرَةٍ   مَا بَيْنَ مُنْتَثِرٍ وَمُنْتَظِمِ
جَمَّلْتَهَا بِجَمَالِهِ فَمَضَتْ   وَلَهَا جَلَالُ ٱلْكَوْنِ مِنْ قِدَمِ
يَا فَخْرَ دَارِ ٱلْأَنْبِيَاءِ أَلَمْ   يَضِقِ ٱلضَّرِيحُ بِمُحْتَوَى عَلَمِ
شَرَّفْتَهَا وَٱلْآنَ صِرْتَ إِلَى   مَهْوَى ٱلْجِبَالِ وَمَهْبِطِ ٱلشَّمَمِ
لٰكِنَّ ذِكْرَكَ خَالِدٌ أَبَداً   فِي ٱلنَّاسِ مَحْمُودٌ بِكُلِّ فَمِ
بِبَقَائِهِ وَرَدَاكَ (2) مَوْعِظَةٌ   لِلسَّائِرِ ٱلْمُفْضِي إِلَى ٱلرَّجَمِ

---

(1) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحي   (2) رداك وفاتك

«إخلَعْ عَنِ ٱسمِكَ فَانِياً خَلَقاً وَٱلْبَسْ جَمِيلَ ٱلذِّكْرِ تَسْتَدِمِ»

«وقال الشيخ عبد الله البستاني من مرثاة يرثي بها المرحوم»
«الشيخ ابراهيم وكان صديقاً حمياً له»

هَلْ غَادَرَ ٱلْمَوْتُ رَيْبَ ٱلدَّهْرِ ظَمْآنَا حَتَّى أَسَالَ مِنَ ٱلْأَجْفَانِ غُدْرَانَا
أَوْ سَاءَهُ أَنْ تَرَى عَيْنِي أَخَا أَدَبٍ حِيناً فَأَدَّبَهَا بِٱلدَّمْعِ أَحْيَانَا
أَنْزَلْتُ إِنْسَانَهَا فِيهَا فَأَغْرَقَهُ فِي لُجَّةِ ٱلْعَبَرَاتِ ٱلْبِيضِ غَضْبَانَا
أَيَحْسَبَنَّ فُؤَادِيَ ٱلْمَوْتُ نَارَ قِرًى يَدْعُو إِلَيْهَا مِنَ ٱلْأَشْجَانِ ضِيفَانَا
قَضَى خَلِيلِيَ إِبْرَاهِيمُ يُنْزِلُ مَا بَيْنَ ٱلْحَنَايَا مِنَ ٱلْأَحْزَانِ خُلَّانَا
لَا بِدْعَ إِنْ كُنْتُ مُجْزَاعاً أَمِيدُ جَوًى فَخَاطِرِي صَارَ لِلْبَلْبَالِ مَيْدَانَا
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرْعَى ٱلنُّجُومَ وَلَا أَبِيتُ بِٱلدَّمْعِ طُولَ ٱللَّيْلِ غَصَّانَا
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَلْقَى ٱلصَّبَاحَ وَلَا يَزَالُ أَبْلَجَ بِٱلْأَنْوَارِ مُزْدَانَا
قَدْ كَانَ يَفْتَرُّ عَنْ حَبِّ ٱلْغَمَامِ إِذَا وَطِئْتُ رَحْبَتَهُ بِٱلْبِشْرِ مَلْآنَا
مَا بَانَ مِنْ طَلْعَتِي أَنِّي حَلِيفُ أَسًى إِلَّا ٱنْثَنَى قَلِقاً أَسْوَانَ وَلْهَانَا
كَمْ كُحِّلَتْ بِسَوَادِ ٱللَّيْلِ أَعْيُنُنَا مَعاً وَعَيْنُ ٱلثُّرَيَّا فِيهِ تَرْعَانَا
وَكَمْ رَشَفْتُ سُلَافاً مِنْ طَلَاقَتِهِ بِهِ تَرَنَّحْتُ لَا بِٱلْخَمْرِ نَشْوَانَا
فَكَانَ يَنْثُرُ مِنْ أَلْفَاظِهِ دُرَراً وَدَّتْ عُيُونِي بِهَا لَوْ كُنَّ آذَانَا
نَادَمْتُهُ رَدَحاً وَٱلنَّجْمُ يَحْسُدُنَا لِأَنَّ ذَا ٱلْعَرْشِ لَمْ يَخْلُقْهُ إِنْسَانَا
كَأَنَّمَا فَرْقَدَا ٱلْعَلْيَاءِ قَدْ رَغِبَا بِأَنْ يَكُونَا عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ إِيَّانَا

فَنَازَعَتْنِي ٱلنَّوَى إِيَّاهُ يَتْبَعُهُ   شَوْقِي إِلَى مِصْرَ فَوْقَ ٱلنِّيلِ حَرَّانَا
فَصَارَ كُلُّ أَخٍ يَشْكُو صَبَابَتَهُ   إِلَى أَخِيهِ لَهِيفَ ٱلصَّدْرِ وَلْهَانَا
يَا مِصْرُ حَلَّكِ بَدْرُ ٱلْعِلْمِ لَيْسَ يَرَى   فِي نُورِهِ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ نُقْصَانَا
قَدْ بَانَ عَنْ بُرْجِهِ يَنْحُوكِ مُنْتَشِراً   مِنْهُ ضِيَاءٌ بَهِيٌّ لِلْوَرَى بَانَا
مَا ٱخْتَارَ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَمْصَارِ غَيْرَكِ إِذْ   رَآكِ مِصْراً بَدَا لِلنُّورِ مِيزَانَا
وَحَلَّ مُنْتَجِعاً فِيكِ ٱلرِّيَاضَ فَإِنْ   يَمُتْ فَنُجْعَتُهُ تُحْيِيهِ أَزْمَانَا
فَهَلْ رَفَعْتِ لَهُ شَأْناً كَمَا رَفَعَتْ   رَوَائِعُ ٱللُّغَةِ ٱلْفُصْحَى لَهُ شَانَا
وَهَلْ رَعَيْتِ لَهُ حَقَّ ٱلْجِوَارِ وَلَمْ   يَخْفُرْ ذِمَامَ ٱلْأُلَى يَرْعَوْنَ جِيرَانَا
وَهَلْ تَعَهَّدْتِهِ لَمَّا تَعَهَّدَهُ   سُقْمٌ أَحَلَّ لَهُ فِي ٱلرَّمْسِ جُسْمَانَا
قَدْ كَانَ فِينَا صَلِيبَ ٱلْعُودِ لَيْسَ يَهِي   مِنَ ٱلرِّيَاحِ وَإِنْ أَوْهَيْنَ عِيدَانَا
عَهِدْتُ فِيكَ نَسِيماً مُفْعَماً أَرَجاً   يُزِيلُ حَسْرَةَ مَنْ قَدْ كَانَ حَسْرَانَا
كَمْ مِنْ فَتًى ذَاقَ مُرَّ ٱلدَّاءِ لَذَّ لَهُ   حُلْوُ ٱلشِّفَاءِ بِرِيحٍ فَوْقَ حُلْوَانَا
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ إِبْرٰهِيمَ يَرْمُقُنِي   فَلَمْ يَدَعْ خَطْبُهُ فِي ٱلْقَلْبِ حُسْبَانَا
مَضَى وَفِي ٱلصَّدْرِ لَمْ يَنْفَكَّ مَسْكَنُهُ   فَٱعْجَبْ لِرَبْعٍ تَدَاعَى ضَمَّ سُكَّانَا
سَأَسْتَدِرُّ عَلَيْهِ مَا فَكَرْتُ بِهِ   حَوَالِبَ ٱلْعَيْنِ لَا أُحْمِي لَهَا شَانَا
أَقُولُ وَٱلْعَبَرَاتُ ٱلْحُمْرُ ذَارِفَةٌ   لَا زَالَ يَا صَدْرُ مَنْ يَثْوِيكَ رَيَّانَا
وَحَبَّذَا كُلُّ عَيْنٍ يَسْتَحِيلُ عَلَى   تِمْثَالِهِ دَمْعُهَا ٱلسَّفَّاحُ مَرْجَانَا
نَمْ يَا حَمِيمِي قَرِيرَ ٱلْمُقْلَتَيْنِ وَدَعْ   طَرْفِي عَلَى حِفْظِيَ ٱلْمِيثَاقَ يَقْظَانَا

إنْ يَغْتَنِمْ لَكَ مَنْ يَطْوِي ٱلْقِلَى وَسَناً فَلَنْ أَكُونَ عَنِ ٱلْعُيَّابِ وَسْنَانَا
أَوْ دَبَّ عَقْرَبُ مُغْتَابٍ إِلَيْكَ يُرَى مِنَ ٱلْيَرَاعَةِ فَوْقَ ٱلطِّرْسِ ثُعْبَانَا

« وقال خليل المطران من مرثاة يرثي بها المغفور له »
« سليمان البستاني »

إنْ بَكَى ٱلشَّرْقُ فَٱلْمُصَابُ أَلِيمُ وَقَلِيلٌ إِفِيهِ ٱلْأَدِيبُ ٱلْعَلِيمُ
أُمَّةٌ لَا يَعِيشُ مِثْلُكَ فِيهَا كَيْفَ حَالٌ كَحَالِهَا تَسْتَقِيمُ
لُذْتَ بِٱلْعَالَمِ ٱلْجَدِيدِ وَإِنْ شَـ ـطَّ وَمَا كَانَ طَائِلًا[1] مَا تَرُومُ
هَجْرَةٌ بَعْدَ هَجْرَةٍ بَعْدَ أُخْرَى وَهُمُومٌ فِي إِثْرِهِنَّ هُمُومُ
وَٱلْيَسِيرُ ٱلَّذِي تَصِيدُ عَسِيرٌ وَٱلضَّئِيلُ ٱلَّذِي تُرِيدُ جَسِيمُ
أَخْمَدَ ٱلْمَوْتُ ذٰلِكَ ٱلْعَزْمَ فِي نَدْ بٍ عَلَى ٱلضَّيْمِ سَاعَةً لَا يُقِيمُ
أَيُّ شَأْنٍ وَٱلْعَصْرُ مَا نَحْنُ فِيهِ شَأْنُ قَوْمٍ بِعَالِمٍ لَمْ يَقُومُوا
كُلَّ يَوْمٍ يُهْدِي إِلَيْهِمْ نَعِيماً وَلَهُ ٱلْبُؤْسُ بَيْنَهُمْ وَٱلْجَحِيمُ
أَفَذَاكَ ٱلتَّفْرِيطُ يُجْزِئُ مِنْهُ[2] أَنْ تُعَادَ ٱلْعِظَامُ وَهِيَ رَمِيمُ
إِنْ تُكَرَّمْ بَعْدَ ٱلْوَفَاةِ فَهَلَّا قَبْلَهَا كَانَ ذٰلِكَ ٱلتَّكْرِيمُ

* * *

يَا لَقَوْمِي هَلْ خِلْتُمُ ٱلشَّرْقَ عَفْواً قَدْ دَهَاهُ ٱلتَّشْتِيتُ وَٱلتَّقْسِيمُ
مَا ٱلَّذِي سَلَّطَ ٱلْجُمُودَ عَلَيْنَا أَهْوَاءُ ٱلْبِلَادِ وَٱلْإِقْلِيمُ

---

(١) الطائل الغنى (٢) اجزأ عن الشيء اغنى عنه

فَعَلامَ ٱلْفُنُونُ كانَتْ إِذَنْ مِنْـ ـنَا وَكَانَتْ مِنَّا كَذَاكَ ٱلْعُلُومُ
وَبِأَيِّ ٱلْأَسْبَابِ بُدِّلَتِ ٱلْحَا لُ فَعَكْسُ ٱلْحَدِيثِ ذَاكَ ٱلْقَدِيمُ
وَيْحُ أَهْلِ ٱلتَّثْقِيفِ مِنْ بِيئَةٍ[1] لَا مَالَ فِيهَا لَا غَيْرِهِ ٱلتَّعْظِيمُ
فَإِذَا أَيْسَرُوا أَصَابُوا تَجِلَّا تٍ وَإِلَّا رُمُوا بِخَبْلٍ وَلِيمُوا

***

أَيْ سُلَيْمَانُ أَيْنَ مِنَّا سُلَيْمَا نُ وَأَيْنَ ٱلْمَنْطُوقُ وَٱلْمَفْهُومُ
أَيْنَ مَنْ خِيلَ أَنَّهُ خَلَّدَتْـهُ دَوْلَتَاهُ ٱلْمَنْثُورُ وَٱلْمَنْظُومُ
أَيْنَ وَاعِي ٱللُّغَاتِ مُخْتَلِفَاتٍ لَمْ يَفُتْهُ مِنْهَا ٱللُّبَابُ ٱلصَّمِيمُ
أَيُّ بَحَّاثَةٍ أَرِيبٍ أَدِيبٍ بَانَ عَنَّا وَحَقُّهُ مَهْضُومُ
إِنْ يَقُمْ نَاصِحاً فَنِعْمَ ٱلْمُرَبِّي أَوْ يَقُلْ مَازِحاً فَنِعْمَ ٱلنَّدِيمُ
قَلَّ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ لَهُ فَضْلُهُ ٱلْجَـ ـمُّ وَتِلْكَ ٱلنُّهَى وَذَاكَ ٱلْخِيمُ[2]
خُلُقٌ ثَابِتٌ وَلَفْظٌ رَقِيقٌ وَفُؤَادٌ طَوْدٌ وَطَبْعٌ نَسِيمُ
أَرْيَحِيٌّ يُصِيبُ قِسْطاً وَفِيراً مِنْ نَدَاهُ ٱلْحَرِيبُ[3] وَٱلْمَحْرُومُ
لَمْ يُقَارِفْ فِعَالَا يَشِينُ وَلَمْ يَأْ تِ مِنَ ٱلْأَمْرِ مَا يَعَافُ ٱلْحَكِيمُ
كُلُّ عَقْدٍ وَإِنْ تَعَايَى عَلَى ٱلْحَـ ـلِّ بِهِ رَأْيُهُ ٱلْحَصِيفُ زَعِيمُ
ذِهْنُهُ ثَاقِبٌ لَهُ بَصَرُ ٱلنَّجْـ ـمِ مِنَ ٱلْأَوْجِ وَٱلشُّعَاعُ ٱلْقَوِيمُ

---

(١) البيئة المنزل ويريد بها هنا الاقليم والمحيط (٢) الطبيعة والسجية
(٣) الحريب المسلوب المال

إيْ سُلَيْمَانُ إنَّنِي لَأَسِيفٌ أَنْ يُقَالَ ٱلْفَقِيدُ وَٱلْمَرْحُومُ
سِرْ حَمِيداً إلى ٱلْخُلُودِ وَأَلْقِ ٱلْـ عِبْءَ إِنَّ ٱلْحَيَاةَ عِبْءٌ ذَمِيمُ
هٰكَذَا وَٱلْمُحِيطُ غَيْرُ عَظِيمٍ يَفْقِدُ ٱلْحِيلَةَ ٱلذَّكِيُّ ٱلْعَظِيمُ
فَكِبَارُ ٱلْأَحْلامِ تَغْرَقُ فِيهِ وَصِغَارُ ٱلْأَحْلامِ فِيهِ تَعُومُ

***

يَا مُعَزَّوْنَ فِي سُلَيْمَانَ صَبْراً وَلَنَا فِيكُمْ عَزَاءٌ كَرِيمُ
ذٰلِكُمْ أَنَّ فِي سَمَاءِ عَلاكُمْ كُلَّ شَمْسٍ تَخْبُو تَلِيهَا نُجُومُ

« وقال ايليا ابو ماضي من مرثاة رثاه بها »

كُلُّ مَيْتٍ مَهْمَا عَلَا فِي حَيَاتِهْ كُلُّ ثَاوٍ تَحْتَ ٱلثَّرَى مِنْ لِدَاتِهْ
لَا حُدُودٌ وَلَا مَقَايِيسُ فِي ٱلْمَوْ تِ تَسَاوَى ٱلْجَمِيعُ فِي سَاحَاتِهْ
حَاصِدٌ حَقْلُهُ ٱلْوُجُودُ وَمَا ٱلْأَحْـ يَاءُ إِلَّا كَشَوْكِهِ وَنَبَاتِهْ
مَنْ نَجَا مِنْهُ وَهْوَ فِي رَوْحَاتِهْ إِنَّمَا قَدْ نَجَا إِلَى غَدَوَاتِهْ
رُبَّ قَبْرٍ نَمْشِي عَلَيْهِ وَفِيهِ شَهَوَاتٌ تُرْبِي عَلَى ذَرَّاتِهْ
كُلُّ ذِي رَغْبَةٍ دَنَتْ أَوْ تَسَامَتْ سَوْفَ يَمْضِي يَوْماً بِلَا رَغَبَاتِهْ
لَيْسَ عُمْرُ ٱلْفَتَى وَإِنْ طَالَ إِلَّا مَا حَوَتْهُ ٱلْحَيَاةُ مِنْ مَكْرُمَاتِهْ
يَعِظُ ٱلنَّابِغُ ٱلْخَلَائِقَ حَيّاً إِنَّمَا مَوْتُهُ أَجَلُّ عِظَاتِهْ

***

مَا ٱلرَّدَى بِٱلْحَدِيثِ فِي ٱلنَّاسِ لٰكِنْ نَكْبَةُ ٱلْعِلْمِ ضَاعَفَتْ رَوْعَاتِهْ

فَقَدَ ٱلْخَلقُ وَاحِداً مِنْ بَنِيهِ وَأَضاعَ ٱلْقَرِيضُ خيرَ حُماتِـهْ
شاعِرٌ كانَ يَرْقُصُ ٱلدَّهرُ أَحيا نًا وَيَبْكِي حِيناً على نَغَماتِـهْ
مُنْشِئٌ رَقَّ لَفظُـهُ كَسَجَايا هُ وَرَفَّ ٱلْجَمالُ فِي جَنَباتِـهْ
تَوَّجَ «ٱلضَّادَ» بِٱلْمَلاحَـةِ حَتَّى خَالَها ٱلْقَوْمُ بَعضَ مُخْتَرَعاتِهْ
نَقَلَ ٱلْأَعصُرَ ٱلْخَوَالِي إِلَيْنَا فِي كِتَابٍ لِلّٰهِ مِنْ مُعْجِزَاتِهْ
فَرَأَيْنَا هُومِيرَ يُنْشِدُ فِينَا شِعْرَهُ مِثْلَ وَاحِدٍ مِنْ رُوَاتِـهْ
كانَ فِي دَوْلَةِ ٱلسُّيُوفِ وَزِيراً أَلْمِيًّا وَدَوْلَةً فِي ذَاتِهْ
مَا بَكَيْنَا ٱلرُّفَاتَ لَمَّا بَكَيْنَا كَمْ رُفَاتٍ فِي ٱلْأَرْضِ مِثْلُ رُفَاتِهْ
بَلْ بَكَيْنا لِأَنَّنَا قَدْ حُرِمْنَا بِٱلْمَنُونِ ٱلْمَزِيدَ مِنْ آيَاتِهْ
رَاعَنَا أَنْ يَزُولَ عَنَّا وَأَنَّا لَمْ نُطِقْ أَنْ نُطِيلَ حَبْلَ حَيَاتِهْ
قَدْ أَرَدْنَا حَمْلَ ٱلْبَشَائِرِ لِلْعا مِ فَكُنَّا لِأَهْلِهِ مِنْ نُعاتِهْ
إِنَّ فِي «مِصْرَ» وَ«ٱلشَّآمِ» دَوِيًّا مَا سَمِعْنَاهُ قَبْلَ يَوْمِ وَفَاتِهْ
وَأَحسَّ «ٱلْعِرَاقُ» حِينَ أَتَاهُ ٱلنَّعْيُ طَعْمَ ٱلرَّدَى بِماءِ «فُرَاتِهْ»
وَبِلُبْنَانَ رَجْفَةٌ تَتَمَشَّى فِي يَنَابِيعِهِ وَفِي نَسَماتِهْ
فَتَحَ ٱلْمَوْتُ حِينَ أَغْمَضَ عَيْنَيْـ ـهِ عُيُونَ ٱلْوَرَى عَلى حَسَنَاتِهْ
فَهْوَ مَاضٍ لَهُ جَلالَةُ آتٍ مِنْ فُتُوحَاتِهِ وَمِنْ غَزَوَاتِهْ
وَٱلْفَتى ٱلْعَبْقَرِيُّ يُولَدُ إِذْ يُوْ لَدُ فِي مَهْدِهِ وَيَوْمَ مَمَاتِهْ

« وقال بولس غانم من موثاة رثاه بها »

أَيَا جَبَلَيْ لُبْنَانَ قَدْ دُكَّ مِنْكُمَا أَعَزُّكُمَا رُكْناً وَأَبْقَاكُمَا مَجْدَا
هَوَى مِنْكُمَا ٱلطَّوْدُ ٱلَّذِي كَانَ عَالِياً فَدَيْتُكُمَا صِنْوَيْنِ قَدْ أَمْسَيَا فَرْدَا
فَيَا أَرْزُ هٰذَا ٱلْخَالِدُ ٱلذِّكْرِ قَدْ قَضَى فَهَيِّئْ لَهُ مِنْ عُودِكَ ٱلْخَالِدِ ٱللَّحْدَا
وَيَا ثَلْجَهُ مَاتَ ٱلَّذِي كَانَ ثَوْبُهُ
قَشِيباً فَحُكْ مِنْ ثَوْبِكَ ٱلنَّاصِعِ ٱلْبُرْدَا
وَيَا رَوْضَهُ ٱلْبَاكِي عَلَيْهِ بِطَلِّهِ أَلَا ٱنْثُرْ عَلَيْهِ مِنْ أَسَالِيبِكَ ٱلنَّدَّا
وَيَا شَرْقُ مَا أَشْقَى مَصِيرَكَ بَعْدَهُ وَيَا مِصْرُ كَمْ أَكْبَرْتِ فِي فَقْدِهِ فَقْدَا
وَيَا دَارَهُ بَغْدَادَ أَوْحَشْتِ بَعْدَهُ وَيَا نَجْدُ فَابْكِي كَمْ بَكَى شِعْرُهُ نَجْدَا
وَيَا بَرَدَى وَٱلنِّيلَ جُودَا مَدَامِعاً وَفِضْ يَا فُرَاتُ ٱلْمَاءَ مِنْ ذِكْرِهِ شَهْدَا
وَيَا رُوحَ هُومِيرُوسَ سِيرِي بِرُوحِهِ إِلَى عَدَنٍ أَسْكَنْتُمَا أَبَداً خُلْدَا
تَعَارَفْتُمَا رُوحَيْنِ رُوحاً أَسِيرَةً بِجِسْمٍ وَأُخْرَى مِنْهُمَا حُرَّةٌ سُعْدَى
وَبَيْنَكُمَا كَرَّتْ دُهُورٌ فَكُنْتُمَا تَعُدَّانِ سَاعَاتِ ٱللِّقَاءِ بِهَا عَدَّا
شَتِيتَيْنِ حَتَّى أَلَّفَ ٱلْمَوْتُ فَٱنْهَلَا عَلَى ظَمَإٍ مِنْ عَذْبِ شِعْرِكُمَا بَرْدَا
وَيَا صَحْبَ أَخِيلٍ خُذُوا بِيَمِينِهِ فَقَدْ كُفَّ مِنْ عَيْنَيْهِ يُمَاهُمَا سُهْدَا
وَيَا أَهْلَهُ فَٱنْعُوا سُلَيْمَانَ لِلْوَرَى فَدَاهُ ٱلْوَرَى طُرًّا أَجَلُّ مِثْلُهُ يُفْدَى

* * *

أَبَا ٱلْعِلْمِ وَٱلتَّارِيخِ وَٱلْلُّسْنِ نَاجِنِي فَقَدْ طَالَمَا أَسْمَعْتَ مِنْ فَمِكَ ٱلرُّشْدَا

أَمَا كُنتَ أَوْفَى ٱلنَّاسِ فَضْلاً وَحِكْمَةً وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلاً وَأَبْعَدَهُمْ قَصْدَا
وَكَانَتْ لَكَ ٱلنَّفْسُ ٱلأَبِيَّةُ وَٱلرِّضَى تَعُدُّ كَفَافَ ٱلعَيْشِ عَنْ عِفَّةٍ رِفْدَا
فَكَمْ رُتَبٍ أَصْفَادِ رِقٍّ نَبَذْتَهَا كَذَا ٱللَّيْثُ لَا يَرْضَى وَلَوْ ذَهَباً قِدَّا
تَرَكْتَ لِأَجْيَالِ ٱلغَدَاةِ صَحَائِفاً مِنَ ٱلْمَجْدِ قَدْ أَجْدَتْكَ بَيْنَ ٱلْمَلَا حَمْدَا
فَمِنْ عِبْرَةٍ تُتْلَى وَذِكْرَى لِغَافِلٍ وَإِلْيَاذَةٍ مِنْ حُسْنِهَا ٱنْتَظَمَتْ عِقْدَا[1]
هِيَ ٱلصَّرْحُ صَرْحُ ٱلْمَجْدِ لَمَّا بَنَيْتَهُ رَفِيعاً هَدَدْتَ ٱلْجِسْمَ فِي رَفْعِهِ هَدَّا
هِيَ ٱلأَثَرُ ٱلبَاقِي بَذَلْتَ لَهُ ٱلصِّبَا بَلِ ٱلعُمْرَ قَدْ أَفْنَيْتَهُ مُجْهَداً كَدَّا
أَلَا فَٱسْأَلُوا عَنْهُ فَرُوقَ وَأَهْلَهَا فَقَدْ ذَكَرَتْ فَضْلاً وَهُمْ حَفِظُوا عَهْدَا
وَنَادُوا بِهِ فِي ٱلْمَجْلِسَيْنِ[2] مَنَابِراً عَلَاهَا فَلَمْ تَعْهَدْ لَهُ فَوْقَهَا نِـدَّا
وَطُوفُوا بِهِ دُورَ ٱلسِّيَاسَةِ إِنَّهَا دَرَتْهُ خِضَمّاً يَمْلِكُ ٱلجَزْرَ وَٱلْمَدَّا
وَقُولُوا لِأَرْبَابِ ٱلوِزَارَةِ بَعْدَهُ تَخَلَّوا خَلَا مَنْ يُحْسِنُ ٱلْحَلَّ وَٱلعَقْدَا
وَنَادُوا بِبَيْرُوتَ ٱلْحَزِينَةِ رَحِّبِي بِنَائِبِكِ ٱلأَوْفَى بِأَصْدَقِهِمْ وَعْدَا
دُعِيتِ قَدِيماً جُولِيَـا نِسْبَةً إِلَى ٱلسَّعَادَةِ فَٱبْكِي ٱلْيَوْمَ مِنْ بَعْدِهِ ٱلسَّعْدَا

---

(١) يريد بالذكرى كتابه الموسوم « عبرة وذكرى » وبالالياذة اليـاذة هوميروس التي عربها الفقيد عن اليونانية (٢) يريد بالمجلسين مجلسي النواب والاعيان العثمانيين اللذين كان الفقيد عضواً فيهما

وَقُولُوا لِلُبْنَانَ ٱلْجَرِيحِ قَضَى ٱلْفَتَى ٱلْأَبَرُّ بِلُبْنَانَ ٱلْكَرِيمُ أَبًا جَدًّا

***

فَيَا عَالِماً أَوْدَى وَيَا كَوْكَباً هَوَى وَكُنَّا بِهِ فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ نُهْدَى
حَنَنْتَ إِلَى لُبْنَانَ مَهْدِكَ فَٱتَّخِذْ بِلُبْنَانَ ظِلَّ ٱلْأَرْزِ فِي سَفْحِهِ مَهْدَا
قَضَيْتَ غَرِيباً لَا لَجُوجاً بِحَاجَةٍ وَلَا سَالِياً أَهْلًا وَلَا نَاسِياً وِدًّا
وَلٰكِنْ هَجَرْتَ ٱلدَّارَ سَعْياً لِخَيْرِهَا وَخِشْيَةَ قَوْلٍ قَرَّ فِي دَارِهِ عَبْدَا
وَقَدْ كُنْتَ رَبَّ ٱلدَّارِ حَتَّى تَبَدَّلَتْ وَحَتَّى أَقَامُوا دُونَ أَرْبَابِهَا سَدًّا
فَنَمْ يَا أَبَانَا فِي ظِلَالٍ وَنِعْمَةٍ كَذَا يُودِعُ ٱلْبَتَّارُ بَعْدَ ٱلْوَغَى غِمْدَا
هَنِيئاً لَكَ ٱلْمَثْوَى ٱلَّذِي قَدْ دَعَوْتَهُ عَرِينَكَ فَٱسْتَنْفِرْ بِهِ مَيْتاً أُسْدَا
كَذَا يُكْرَمُ ٱلصِّدِّيقُ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَيُجْزَى مِنَ ٱلْأَبْنَاءِ خَيْراً بِمَا يُسْدَى

« وقال خليل مطران يرثي سليم سركيس »

مَنْ عَذِيرِي وَٱلدَّمْعُ جَارٍ سَخِينُ إِنَّ جُرْحَ ٱلنَّوَى لَجُرْحٌ ثَخِينُ
فَقْدُ خَيْرِ ٱلصِّحَابِ أَوْدَى بِصَبْرِي وَأَرَانِي ٱلتَّبْرِيحَ كَيْفَ يَكُونُ
يَا حَبِيباً عَلَيْهِ ضُمَّ فُؤَادِي وَفُؤَادِي بِمَنْ يُحِبُّ ضَنِينُ
كَيْفَ فَارَقْتُهُ وَلَمْ يَتَفَطَّرْ جَزَعاً ذٰلِكَ ٱلْمُصَابُ ٱلْحَزِينُ

***

إِنَّ بِٱلشَّرْقِ بَعْدَ « سَرْكِيسَ » شَجْواً
شَرِقَتْ بِٱلدِّمَاءِ مِنْهُ ٱلْجُفُونُ

رُمِيَتْ مُهْجَةُ ٱلشَّآمِ وَسَالَتْ بِٱلصَّفَا فِي لُبْنانَ مِنْهُ ٱلْعُيُونُ
كُلُّ قُطْرٍ لِلْعُرْبِ فِيهِ مُقَامٌ أَوْ مَقَالٌ لَهُ بِهِ تَأْبِينُ
ذَاكَ حَقٌّ لَهُ عَلى نَاطِقِي ٱلضَّا دِ وَمَنْ بِٱلْوَفَاءِ مِنْهُمْ يَدِينُ

***

عَجَبٌ إِنْ خَبَا ٱلشِّهَابُ وَإِنْ أَعْـ قَبَ ذَاكَ ٱلْحِرَاكَ هٰذَا ٱلسُّكُونُ
أَ فَيَمْضِي سَرْكِيسُ أَحْوجَ مَا كَا نَتْ إِلَيْهِ ٱلْبِلادُ ذَاكَ غَبِينُ
كَانَ مِلْءَ ٱلْحَيَاةِ فَهْيَ وَقَدْ وَ لَّى فَرَاغٌ تُحِسُّ فِيهِ ٱلْمَنُونُ
يَا فَخَارَ ٱلْبَيَانِ مَاذَا دَهَاهُ فَهُوَ ٱلْيَوْمَ خَاشِعٌ مُسْتَكِينُ
يَتَلَقَّى ٱلْخُطُوبَ غَيرَ أَبِيٍّ وَعَلى نَفْسِهِ يَكَادُ يَهُونُ

***

يَا أَدِيباً إِذَا تَقَضَّتْ فُنُونٌ مِنْ إِجَادَاتِهِ تَلَتْهَا فُنُونُ
يُؤْثِرُ ٱلسَّهْلَ فِي ٱلْكَلامِ وَلِلْجَزْ لِ مَتَى تَدْعُهُ ٱلْبَلاغَةُ حِينُ
تَطْفِرُ ٱلْبَادِرَاتُ مِنْ نَبْعِهِ ٱلْعَذْ بِ وَفِي ٱلْمُسْتَقَرِّ فِكْرٌ رَصِينُ
ظَاهِرُ ٱلْقَوْلِ قَدْ يُرَى نَزِقاً وَٱلْـ رَّأْيُ فِي غَوْرِهِ ٱلْبَعِيدِ رَزِينُ
هُوَ لِلنَّاظِرِينَ نُورٌ مُبِينٌ وَهْوَ لِلْوَارِدِينَ مَاءٌ مَعِينُ

***

كَانَ سَرْكِيسُ فِي ٱلصِّحَافَةِ إِنْ قَا مَتْ صِعَابٌ يَرُوضُهَا فَتَهُونُ
كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي بِسِحْرٍ حَلالٍ قَدْ حَلا فِيهِ لِلْعُقُولِ ٱلْفُتُونُ
فَهَوَى إِذْ هَوَى شِهَابٌ مُنِيرٌ مِنْ بَنِيهَا وَٱنْهَدَّ رُكْنٌ رَكِينُ

« وقال ايضاً في رثائه »

أَيعقلُ حزني عن وداعك منطقي ... وأعلمُ أَنَّا عن قريبٍ سنلتقي
صديقي لا تبعدْ فما أَنا مبتغٍ ... من العيش إن تبعدْ وما أَنا متّقِ
سبقتَ وفي قلبي أَسى لتخلّفي ... ومن يجرِ في المضمار جريك يسبقِ
فوا حربا ما لوعة الشوق في غدٍ ... وبي قبل أَن تنأى لظى من تشوّقي
ويا شجو أطفالٍ ضعافٍ تركتهم ... وكنت عليهم مشفقاً أَيَّ مشفقِ

***

أفي الحقِّ أن تُلفى مدى الدهر هاجعاً ... تمرُّ بك الأحداث غير مؤرّقِ
ولن تنظم الآراء نظم موفّقٍ ... ولن تنثر الآراء نثر مفرّقِ
ولن تُعمل الأقلام وهي أَسنّةٌ ... فتطعن أهل البغي في كلّ مفرقِ

***

إذا بان (سركيس) الأديب فمن له ... براعة مفتنٍّ وعلمُ محقّقِ
ومن يُبتغى للأُنس في كلّ محفلٍ ... ومن يُرتجى للغوث في كلّ مأزقِ
ذكاءٌ له لمعُ الوميض إذا ورى ... فأشرق في جونٍ من السحب مطبقِ
ومعنًى كتفتيح الأزاهر بهجةً ... ولفظٌ كماء الجدول المترقرقِ

وَلُطْفُ حَدِيثٍ يُطْرِبُ ٱلسَّمْعَ آخِذٌ
بِكُلِّ طَرِيفٍ يَشْرَحُ ٱلصَّدْرَ مُونِقِ
وَمُبْتَكَرَاتٌ كُلَّ آنٍ جَدِيدَةٌ لَهَا مِنْ أَفَانِينِ ٱلْحُلَى كُلُّ رَوْنَقِ
إِلَى خُلُقٍ مَهْمَا يَقُلْ فِيهِ مَادِحٌ ثَنَاءً عَلَيْهِ قَالَتِ ٱلنَّاسُ أَخْلِقِ
وَعَزْمٌ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ نَاطَ بِبَعْضِهِ هُمُومَ ٱلْوَرَى مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

***

لَقَدْ شَغَلَتْهُ بِٱلْعُلَى عَنْ حُطَامِهَا حَيَاةٌ بِهَا مَنْ يُعْنَ بِٱلرِّزْقِ يُرْزَقِ
فَإِنْ لَمْ يُؤَازِرْ كَاسِبُوهَا أَدِيبَهُمْ فَهَلْ ذَنْبُهُ أَنْ كَانَ غَيْرَ مُوَفَّقِ
فَيَا مَنْ قَضَى وَٱلدَّوْحُ يُعْطِي ٱكْتِهَالَهُ بِقُوَّتِهِ مَا شَاءَ مِنْ حُسْنِ رَيِّقِ
فَدَيْتُكَ لَوْ فِي ٱلْأَرْضِ حَيٌّ مُخَلَّدٌ بِفَضْلٍ لَكُنْتَ ٱلْمَرْءَ مَا بَقِيتْ بَقِي
وَفَيْتَ لَهَا بِٱلْقِسْطِ لٰكِنْ تَنَكَّرَتْ مَنَازِلُهَا فَٱبْغِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱرْتَقِ

«وقال وديع عقل في رثائه»

لَمْ يَنَمْ نَوْمَةً سِوَاهَا خَلِيًّا إِنَّهُ أَنْفَقَ ٱلْحَيَاةَ شَجِيَّا
وَمُعَانِي ٱلسُّهَادِ خَمْسِينَ حَوْلًا يَسْتَطِيبُ ٱلْكَرَى وَلَوْ أَبَدِيَّا
مَاتَ سَرْكِيسُ فَٱنْعِهِ أَيُّهَا ٱلنَّا عِي إِلَى كُلِّ مَنْ تَرَى عَرَبِيَّا
مَاتَ مَنْ عَاشَ لِلذَّلِيلِ عَزِيزاً مَاتَ مَنْ عَاشَ لِلضَّعِيفِ قَوِيَّا
نَكْبَةٌ بِٱلْبَيَانِ حَلَّتْ فَهَدَّتْ مِنْ مَبَانِي ٱلْبَيَانِ رُكْناً رَسِيَّا
رَاعَتِ ٱلنَّاطِقِينَ بِٱلضَّادِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ مَدْمَعاً عَلَيْهَا عَصِيَّا

وَهوَ لُبنانُ مُلتقى عَبَراتٍ جارِياتٍ مِنْ مِصْرَ مِنْ سُورِيّا
وَٱلصَّفَا دَمعُ مُقْلَتَيهِ يُلاقِيـ ها سَخِيًّا جرَى يُلاقِي سَخِيّا
إِنَّ سَرْكِيسَ نَجلُ لُبنانَ لٰكِنْ مَلأَ ٱلشَّرْقَ فَٱنْعِهِ شَرْقِيّا
ثكِلَتْهُ أُمُّ ٱللُّغاتِ وَقَدْ كا نَ فَتاها ٱلْبَرَّ ٱلجَرِيءَ ٱلْوَفِيّا
خلَّدَ ٱلفَخْرَ فِي مَهارِقِها سَـ يّارَةً تَنْضَحُ ٱلبَيانَ ٱلْوَضِيّا
غُرَرٌ مَنْ يَمُوتُ عَنْ مِثْلِها يَبْـ قَى وَلَوْ ماتَ دائِمَ ٱلذِّكْرِ حَيّا

***

يا رَبِيبَ ٱلصَّفَا هُوَ ٱلصَّيْفُ وافَى وَٱلصَّفَا شَيِّقٌ يُنادِيكَ هَيّا
فَرَشَ ٱلقاعَ لُؤْلُؤًا وَتَهَيّا يَسْتَحِثُّ ٱلْبُشْرَى فَجاءَتْ نَعِيّا
فَٱسْتَحالَ ٱلصَّفْوُ ٱكْدِراراً وَأَمسَى غُصَصاً ما شَرِبْتَ مِنْهُ هَنِيّا
وَظِلالُ ٱلصَّفْصافِ مَهْجُورَةٌ بَعْـ دَكَ لا رَبْرَبٌ بِهـا يَتَفَيّا
وَحشَةٌ خَيَّمَتْ بِوادِيـهِ فَٱلنَّدْ مانُ عَنْـهُ بِمَعْزِلٍ وَٱلْحُمَيّا
وَبَلِيلُ ٱلرِّياضِ صارَ هَجِيراً وَٱلكَنارُ ٱلصَّدّاحُ أَصْبَحَ عَيّا
غَيَّرَ ٱلدَّهْرُ كُلَّ أَحوالِنا حَـ تَّى صَبا ٱلأَرْزِ أَصْبَحَتْ غَيْرَ رَيّا

***

أَيُّ أَدِيباً قَضَى ٱلْحَياةَ شَرِيداً طَاوِيًا سَاحَةَ ٱبْنِ آدَمَ طَيّا
أَنتَ عُنْوانُ حَظِّ كُلِّ أَدِيبٍ كانَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ وَطَنِيّا
عِشْتَ حُرًّا وَلَيسَ فِي ٱلشَّرْقِ حُرٌّ يَسْتَطِيعُ ٱلْحَياةَ إِلَّا شَقِيّا

فَأَخُو ٱلْعِلْمِ فِيــهِ يَحْيَا فَقِيراً وَأَخُو ٱلْجَهْلِ فِيهِ يَحْيَا غَنِيَّا
قَدْ صَحِبْتَ ٱلدُّنْيَا أُنُوفاً فَلَمَّا خِفْتَ خَسْفاً أَعْرَضْتَ عَنْهَا أَبِيَّا
وَٱلَّذِي نَاصَبَ ٱلدَّوَاهِي جَرِيئاً لَا يُلَاقِي ٱلْمَنُونَ إِلَّا جَرِيَّا
نَمْ حَبِيبِي فَلَيْسَ فِي ٱلْقَبْرِ مَا تَخْشَاهُ حَظًّا يَشْقَى وَدَهْراً عَتِيَّا
نَمْ فَمَثْوَاكَ آمِنٌ لَا تُعَانِي فِيهِ مِمَّا عَانَيْتَ فِي ٱلْعَيْشِ شَيَّا
نَمْ وَدَعْنِي أَبْكِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَعْلَمُ مَا بِي لَكُنْتَ تَبْكِي عَلَيَّا

« وقال شبلي بك ملاط في رثائه »

أَبْقَيْتَنِي هَدَفَ ٱلْأَسَى وَهَجَرْتَنِي لَوْ كُنْتَ تَرْحَمُ مَنْ تُحِبُّ رَحِمْتَنِي
وَرَثَيْتَ لِي فِي لَوْعَتِي وَمَدَامِعِي وَبَقِيتَ بَعْدِي سَالِماً وَرَثَيْتَنِي
أَغْدُو بِذِكْرِكَ كَاسِفاً وَأَرُوحُ فِي جَزَعِي عَلَيْكَ وَفَرْطَ مَا حَمَّلْتَنِي
وَأَرَى خَيَالَكَ طَائِفاً بِنَوَاظِرِي يَا طَيْفُ لَا تَبْعُدْ وَإِنْ عَذَّبْتَنِي
أَنَّى ٱتَّجَهْتُ وَحَيْثُ كُنْتُ مَثَلْتَ لِي وَبَرَزْتَ فِي كَفَنٍ وَغَيْرَ مُكَفَّنِ
حَيًّا وَمَيْتاً لَا اَسَلْوَتُكَ سَاعَةً مَا عِشْتُ بَعْدَكَ يَا سَلِيمُ صَحِبْتَنِي
إِنْ كُنْتُ فِي بَيْرُوتَ كُنْتَ مُرَافِقِي أَوْ كُنْتُ فِي نَبْعِ ٱلصَّفَا حَدَّثْتَنِي
أَوْ فِي طَرَابُلُسٍ فَأَنْتَ بِهَا مَعِي وَمَعِي بِإِهْدِنَ إِذْ أَكُونُ بِإِهْدِنِ
قَسَماً لَعَمْرُ أَبِي وَحِلْفَةُ صَادِقٍ أَبْكَيْتَ لُبْنَانًا كَمَا أَبْكَيْتَنِي
وَٱسْتَوْحَشَ ٱلْوَادِي وَرِيعَ ٱلنِّيلُ فِي
خَطْبٍ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ أَغْبَرَ أَدْكَنِ

خَطبٌ عَلى ٱلأَدَبِ ٱلصَّميمِ وَأَهلِهِ بِٱلكاتِبِ ٱلمُتَفَنِّنِ ٱلمُتَمَرِّنِ
بِٱلغامِزِ ٱلحُكّامِ في ٱستِبدادِهِم غَمَزاتِ أَجرَإِ كاتِبٍ مُتَرَصِّنِ
بِٱلمُستَقِلِّ يَراعَةً أَيّامَ قَد كانَ ٱلبَلاءُ مُوَكَّلاً بِٱلأَلسُنِ
مَا جانَبَ ٱلعَهدَ ٱلحَميدِيَّ ٱلَّذي لَم يَنجُ مِنهُ كاتِبٌ لَم يَجبُنِ
حَتّى إِذا مَا ٱزوَرَّ عَبّاسٌ لَهُ وَلّى إِلى ٱلبَلَدِ ٱلقَصِيِّ ٱلآمِنِ
وَطَوى ٱلمَهاجِرَ ثائِراً لِبِلادِهِ في ٱلصُّحفِ بَينَ مُحَدِّثٍ وَمُدَوِّنِ
حَتّى ٱنتَحى مِصراً وَكانَ لَهُ بِها نَفَثاتُ أَظرَفِ كاتِبٍ مُتَفَنِّنِ
مُتَحَرِّكٌ في كُلِّ مَشرُوعٍ إِذا مَا رامَهُ هَيهاتِ عَنهُ يَنثَني
مَا أَنسَ لا أَنسَ ٱلكِنانَةَ يَومَ قَد كُنّا وَكانَ بِهِ لَنا ٱلعَيشُ ٱلهَني
وَحَدائِقُ ٱلشُّعَراءِ في أَيّامِهِ رَيّا ٱلأَزاهِرِ غَضَّةٌ لِلمُجتَني
قُل «لِلخَليلِ» مَضى صَديقُكَ فَٱبكِهِ
مَا شِئتَ وَٱندُب مَا ٱستَطَعتَ وَأَبِّنِ
وَإِذا مَرَرتَ بِدارِ «مَيٍّ» فَٱدعُها وَتَذَكَّرا عَهدَ ٱلصَّديقِ ٱلمُحسِنِ

* **

أَأَبا ٱلوَفاوَوَلِيَّ «أَنوَرَ» هاتِ لي مِن مُعجِزاتِكَ في ٱلحَديثِ وَعَزِّني
فَلَقَد أُهِبتُ بِمَن أُريدُ وَلَم يُجِب هَلّا ذَكَرتَ مَوَدَّتي وَسَمِعتَني
بِمَنِ ٱلزَّغاليلُ ٱلَّذينَ تَرَكتَهُم يَستَنجِدونَ عَلى ٱلزَّمانِ ٱلمُحزِنِ
أَودَيتَ في ٱلدُّنيا بِحَظِّكَ حَظَّهُم وَهَبَطتَ مَعَ آمالِهِم في مَدفَنِ

هَلْ يَشعَرُ ٱلقَوْمُ ٱلَّذِينَ خَدَمْتَهُمْ   وَيَقُومُ فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ خَدَمْتَنِي
أَنتَ ٱلغَنِيُّ صَنَائِعاً فَٱذْهَبْ وَلَا   تَجْزَعْ فكُلٌّ مِنْ بَنِيكَ بِهَا غَنِي
هٰذِي ٱلحَيَاةُ فَلا يَدُومُ بِهَا أَبٌ   لِٱبْنٍ وَلَا يُجْدِي عَنَاءُ ٱلمُعْتَنِي
تُطْوَى وَيُطْوَى ٱلنَّازِلُونَ فَلَيْسَ مِنْ
مُسْتَوْطِنٍ فِيهَا وَلَا مِنْ مَوْطِنِ
أَيْ نَازِلَ ٱلجَدَثِ ٱلمُقَدَّسِ تُرْبَةً   أَيُّ ٱلسَّبِيلِ إِلَى سُلُوكٍ دِلَّنِي
أَمْشِي إِلَى قَبْرٍ حَوَاكَ كَرَامَةً   وَأَغُضُّ مُحْتَرِماً ثَرَاكَ وَأَنْحَنِي

« وقال حليم دموس في رثاء السيد مصطفى المنفلوطي »

أَسًى فَاضَ مِنْ قَلْبِ مِصْرَ وَعَمْ   فَيَا لَهْفَ مِصْرَ لِخَطْبٍ أَلَمْ
لَقَدْ غَابَ عَنْهَا ٱلأَدِيبُ ٱلأَرِيبُ   وَفَارَقَهَا ٱلأَلْمَعِيُّ ٱلعَلَمْ
عَزِيزٌ عَلَى « ٱلنِّيلِ » فَقْدُ فَتَاهُ   فَفَقْدُ فَتَاهُ مُصَابٌ عَمَمْ
وَلَسْتُ أَقُولُ : قَضَى (مُصْطَفَى)   وَلٰكِنْ يَرَاعُ ٱلبَيَانِ ٱنْثَلَمْ
وَنَجْمُ ٱلبَيَانِ ٱلرَّفِيعُ خَبَا   وَرُكْنُ ٱلبَيَانِ ٱلمَنِيعُ ٱنْهَدَمْ
فَمَنْ لِلقِيَادَةِ مِنْ بَعْدِهِ   وَمَنْ لِلنِّضَالِ إِذَا مَا ٱحْتَدَمْ

* * *

فَيَا فَجْعَةَ ٱلأَدَبِ ٱلعَرَبِيِّ   بِرَبِّ ٱلبَيَانِ وَرَبِّ ٱلقَلَمْ
تَدَفَّقَ مِنْهُ جَمَالُ ٱلجَدِيدِ   وَمَا غَابَ عَنْهُ جَلَالُ ٱلقِدَمْ
فَمِنْ (نَظَرَاتٍ) كَلَمْعِ ٱلضُّحَى   وَمِنْ (عَبَرَاتٍ) كَشُهْبِ ٱلظُّلَمْ

وَمِنْ قَطَرَاتٍ كَقَطْرِ ٱلنَّـدَى وَمِنْ زَفَـرَاتٍ كَحَرِّ ٱلضَّرَمْ
كَنَوْحِ ٱلْحَمَامِ إِذَا مَـا بَكَى وَوَجْهِ ٱلصَّبَاحِ إِذَا مَا ٱبْتَسَمْ
لَقَدْ جَمَعَ ٱللهُ فِي وَاحِـدٍ نَضَارَةَ عَصْرِ ٱلْبَيَانِ ٱلْأَتَمْ
أَحَبَّ ٱجْتِيَازَ ٱلْحَيَاةِ ٱخْتِصَاراً فَمَرَّ عَلَيْهَـا مُرُورَ ٱلنَّسَمْ
تَأَلَّقَ بَدْراً وَحَلَّقَ نَسْراً فَهَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ ٱلنِّقَمْ
فَأَهْوَى إِلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ جَوِّهِ وَلَامَسَ صَخْرَ ٱلرَّدَى وَٱلْتَطَمْ
وَخَرَّ سَرِيعاً وَقَرَّ صَرِيعاً بِمَوْجِ ٱلْمَنَايَا وَلُجِّ ٱلْعَدَمْ
(إِذَا تَمَّ شَيْءٌ بَدَا نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِيـلَ تَمْ)

***

فَيَا مُوحِشَ ٱلْحَيِّ فِي حَيِّهِ وَيَا مُؤْنِسَ ٱلْمَيْتِ بَيْنَ ٱلرِّمَمْ
بَكَتْ فِيكَ أُمُّ ٱللُّغَاتِ ٱبْنَهَا بِمُقْلَةِ ثَاكِلَـةٍ لَمْ تَنَمْ
لَقَدْ أَرْضَعَتْكَ لِبَانَ هَوَاهَا فَدَمْعُ أَسَاهَا مَشُوبٌ بِـدَمْ
تَآلَفْتُمَا مُنْـذُ عَهْدِ ٱلصِّبَا فَيَا لِزَمَـانٍ مَضَى وَٱنْصَرَمْ
نَظَمْتَ ٱلْقُلُوبَ عَلَى حُبِّهَـا كَمَا ٱلدُّرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ ٱنْتَظَمْ
لَقَدْ كُنْتَ بَرّاً بِهَا مُولَعاً شَدِيدَ ٱلْحِفَاظِ وَفِيَّ ٱلذِّمَمْ
تُدَافِعُ عَنْهَا وَتَحْمِي حِمَاهَـا وَحَامِي ٱلْعُلُومِ كَحَامِي ٱلْعَلَمْ

***

فَيَا صِلَةً بَيْنَ عَهْدٍ قَدِيمٍ وَعَهْدٍ جَدِيدٍ شَجِيِّ ٱلنَّغَمْ

وَيَا رَابِطاً بَيْنَ شَتَّى ٱلنُّفُوسِ   لَكَ ٱلْخَيْرُ مَا بَيْنَ شَتَّى ٱلنِّعَمْ
مُحِبُّوكَ كُثْرٌ بِرَغْمِ ٱلنَّوَى   وَرَسْمُكَ فِي ٱلنَّابِغِينَ ٱرْتَسَمْ
وَشِعْرُكَ مِلْءُ ٱلْوُجُودِ فَسِرْ   وَنَثْرُكَ مِلْءُ ٱلْخُلُودِ فَنَمْ

« وقال فوزي عيسى اسكندر معلوف في رثائه »

دَعُوهَا أَمَامَ ٱلنَّعْشِ يَعْلُو زَفِيرُهَا   وَتَجْرِي مَآقِيها وَتُرْخَى شُعُورُهَا
فَفِي صَدْرِهَا غَصَّاتُ حُزْنٍ وَلَوْعَةٍ   إِذَا لَمْ تُصَعِّدْهَا كَوَاهَا سَعِيرُهَا
لَهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي ٱلْمَدَافِنِ وَقْفَةٌ   تُوَدِّعُ نَجْماً غَيَّبَتْهُ قُبُورُهَا
كَوَاكِبُ غَارَتْ كَوْكَبٌ إِثْرَ كَوْكَبٍ
فَلَيْسَ إِلَى غَيْرِ ٱلظَّلَامِ مَصِيرُهَا
دَعُوهَا فَهٰذَا ٱلْيَوْمُ وَٱللهِ يَوْمُهَا   وَقَدْ مَاتَ مَوْتَ ٱلْخَالِدِينَ أَمِيرُهَا
فَمَا لُغَةُ ٱلضَّادِ ٱلَّتِي نَحْنُ جُنْدُهَا   سِوَى دَوْلَةٍ هٰذَا ٱلْفَقِيدُ كَبِيرُهَا
تَوَلَّى إِلَى حِينٍ زِمَامَ سَرِيرِهَا   وَوَلَّى فَقَدْ يَخْلُو لِحِينٍ سَرِيرُهَا
بِعَصْرٍ غَدَا فِيهِ كَثِيراً بُغَاثُهَا   عَلَى حِينَ قَلَّتْ فِي ٱلْبَنِينَ نُسُورُهَا

***

تَعَشَّقَهَا فَتَّانَةً بَدَوِيَّةً   تَمُتُّ إِلَى خَيْرِ ٱلْجُذُورِ جُذُورُهَا
فَصَبَّتْ لَهُ ٱلْمَعْنَى زُلَالاً عُيُونُهَا   وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ٱللَّفْظَ دُرًّا بُحُورُهَا
فَأَبْدَعَ مَا شَاءَتْ وَشَاءَ بَدِيعُهَا   وَدَانَتْ لَهُ أَوْضَاعُهَا وَشُذُورُهَا
وَدَقَّتْ مَبَانِيهِ وَرَقَّتْ كَأَنَّهَا   سُلَافَةُ كَأْسٍ لَا يُمَلُّ عَصِيرُهَا

بِنَثْرٍ كَصَوْغِ ٱلشِّعْرِ وَقْعاً وَنَغْمَةً وَإِنْ لَمْ تُقَيِّدْهُ ٱلْقَوَافِي وَنِيرُهَا
يَسِيلُ كَأَنْفَاسِ ٱلنَّسِيمِ عَلِيلَةً إِلَى مَوْضِعِ ٱلْأَسْرَارِ تَوًّا مُرُورُهَا
وَمَا ٱلشِّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ وَرَوِيِّهِ وَلٰكِنَّهُ بَيْنَ ٱلنُّفُوسِ شُعُورُهَا
وَمَا جَوْهَرُ ٱلْإِبْدَاعِ إِلَّا بَلاغَةٌ وَكَمْ يَفْضُلُ ٱلْمَنْظُومَ فِيهَا نَثِيرُهَا

* * *

تَرَى فِيهِ بَيْنَ ٱلْمُنْشِئِينَ مُصَوِّراً يُرِيكَ شُؤُونَ ٱلْكَوْنِ شَتَّى أُمُورُهَا
فَتَقْرَأُ إِنْ تَقْرَأْهُ أَسْرَارَ نَفْسِهِ عَلا وَاضِحاً تَغْرِيدُهَا وَزَفِيرُهَا
وَتَنْشَقُ — فِي وَصْفِ ٱلْأَزَاهِرِ — نَفْحَةً
تَضَوَّعَ مِنْ كِمِّ ٱلسُّطُورِ عَبِيرُهَا
وَتَسْمَعُ — فِي وَصْفِ ٱلْمِيَاهِ — جَدَاوِلاً يُهَيْنِمُ فِي بُرْدِ ٱلطُّرُوسِ خَرِيرُهَا
وَتَلْبِسُ — فِي وَصْفِ ٱلْمَسَاءِ عَلَى ٱلسَّمَا غِلالَةَ تِبْرٍ يَرْتَدِيهَا أَثِيرُهَا
وَتَشْرَبُ — فِي وَصْفِ ٱلصَّبَاحِ — مِنَ ٱلنَّدَى
كُؤُوساً شِفَاهُ ٱلْوَرْدِ قَامَتْ تُدِيرُهَا
وَتُبْصِرُ — فِي وَصْفِ ٱلْجِبَالِ — خَرِيدَةً
يَبُثُّ فُتُونًا فِي ٱلْقُلُوبِ فُتُورُهَا
وَتَبْسِمُ إِنْ يَبْسِمْ وَتَبْكِي وَقَدْ بَكَى عَوَاطِفُ شَتَّى كَيْفَ شَاءَ يُثِيرُهَا

• • •

وَكَمْ نَظْرَةٍ عَصْمَاءَ فِي «نَظَرَاتِهِ» تَأَلَّقَ فِي قَلْبِ ٱلْحَقِيقَةِ نُورُهَا

وَكَمْ عَبْرَةٍ حَسْنَاءَ فِي (عَبَرَاتِـهِ) تَمَنَّتْ عُيُونُ ٱلْفَجْرِ لَوْ تَسْتَعِيرُهَا
وَكَمْ قِصَّةٍ غَرَّاءَ وَشْيُ بُرُودِهَـا فَتَاهَتْ عَلَى كُلِّ ٱلسُّطُورِ سُطُورُهَا
وَكَمْ آيَةٍ كَٱلْعِقْدِ أُحْكِمَ صَوْغُهُ تَوَدُّ ٱلْغَوَانِي لَوْ حَوَتْهُ نُحُورُهَا
وَكَمْ جُمْلَةٍ لَمْ يَسْمُ مَعْنًى لُبَابُهَا
سَمَتْ بِٱلْبَيَانِ ٱلْجَزْلِ مَبْنًى قُشُورُهَا
فَيَا فَجْعَةَ ٱلْأَقْلَامِ بَعْدَ بَرَاعَةٍ عَلَى سَائِرِ ٱلْكُتَّابِ عَزَّ نَظِيرُهَا
فَكَانَ نَدًى عِنْدَ ٱلسَّلَامِ مِدَادُهَا وَكَانَ صَلِيلًا فِي ٱلصِّدَامِ صَرِيرُهَا
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ ٱلْيَرَاعَةَ (مُصْطَفًى)
وَلَا كُلُّ مَنْ صَاغَ ٱلْقَوَافِي (جَرِيرُهَا)

***

بَكَتْ مِصْرُ فِي ٱلْوَادِي ٱلظَّلِيلِ هَزَارَهُ
وَنَاحَ عَلَيْـهِ نِيلُهَا وَغَدِيرُهَـا
فَفِي ٱلْوَطَنِ ٱلسُّورِيِّ حُزْنٌ يَمُضُّهُ وَفِي أَرْضِ لُبْنَانٍ أَسًى يَسْتَثِيرُهَا
وَتَسْمَعُ فِي بَرِّ ٱلْجَزِيرَةِ أَنَّـةً يُعِيدُ صَدَاهَا نَجْدُهَا وَعَسِيرُهَـا
وَمَا مِصْرُ إِلَّا كَعْبَةٌ عَرَبِيَّةٌ يُشِعُّ بِأَنْوَارِ ٱلْهِدَايَةِ طُورُهَـا
لَئِنْ دُفِنَتْ آدَابُ يَعْرُبَ حِقْبَةً فَفِي مِصْرَ مَهْدِ ٱلْعِلْمِ كَانَ نُشُورُهَا
لَقَدْ عَزَّزَتْهَا حِينَ ذَلَّ عَزِيزُهَـا وَقَدْ ظَاهَرَتْهَا حِينَ عَزَّ ظَهِيرُهَا
فَإِنْ جَرَحَتْ صَدْرَ ٱلْكِنَانَةِ رَمْيَةٌ فَكُلُّ بِلَادِ ٱلضَّادِ جَرْحَى صُدُورُهَا

« وقال بشاره الخوري في رثاء الشيخ محيي الدين الخياط »

وَقَفْنَ حِيَالَ ٱلْقَبْرِ مِنْ بَعْدِ مَا ٱنْثَنَى   عَنِ ٱلْقَبْرِ أَحْبَابُ ٱلَّذِي سَكَنَ ٱلْقَبْرَا
ثَلاثُ عَذَارَى كُلُّ عَذْرَاءَ شَمْعَةٌ   عَلَى عُنْقِهَا ٱلذَّاوِي لِمَدْمَعِهَا مَجْرَى
يَسِلْنَ كَمَا سَالَ « ٱلدَّفِينُ » تَهَالُكاً   عَلَى ٱلْعِلْمِ لَا شُكْراً أَرَادَ وَلَا أَجْرَا
وَيَهْمِسْنَ فَوْقَ ٱلْقَبْرِ مَا هَمَسَ ٱلنَّدَى   بِمَسْمَعِ زَهْرِ ٱلرَّوْضِ لَمَّا هَمَى فَجْرَا
فَقَرَّبْتُ خَطْوِي لَا يُحِسُّ بِيَ ٱلثَّرَى   كَطَيْفٍ إِلَى غَايَاتِهِ رَكِبَ ٱلْفِكْرَا
وَإِذْ صِرْتُ خَلْفَ ٱلْبَاكِيَاتِ خَشِيتُ أَنْ   يُنَبِّهَ مِنْهَا ٱلْحِسَّ زَفْرَاتِيَ ٱلْحَرَّى
فَأَلْقَيْتُ صَدْرِي فِي يَدَيَّ لَعَلَّنِي   أُعَالِجُهُ بِٱلصَّبْرِ — لَوْ أَحْمَدُ ٱلصَّبْرَا

***

وَمَا هِيَ إِلَّا وَقْفَةٌ كُنْتُ عِنْدَهَا   كَأَنِّي إِلَى ٱلدُّنْيَا بُعِثْتُ مِنَ ٱلْأُخْرَى
فَمَا رَاعَنِي فِي مَوْقِفِي غَيْرُ زَفْرَةٍ   عَلَى ذَلِكَ ٱلْمَثْوَى بِهَا بَاحَتِ ٱلْكُبْرَى
فَقَالَتْ لِأُخْتَيْهَا فَقَدْتُ بِهِ فَتًى   سَمَوْتُ بِهِ نَثْراً وَفُقْتُ بِهِ شِعْرَا
فُجِعْتُ بِهِ كَٱلزَّهْرِ يُفْجَعُ بِٱلنَّدَى   فَإِنْ أَنَا أَذْوَى فَٱلنَّدَى فَارَقَ ٱلزَّهْرَا
فَقَالَتْ لَهَا ٱلْوُسْطَى صَدَقْتِ وَقَدْ رَنَتْ   بِلَحْظٍ يَتِيمٍ يَصْدَعُ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّخْرَا
إِذَا فَقَدَتْ أُخْتِي مِنَ ٱلتَّاجِ دُرَّةً   فَإِنِّيَ مِنْ رُوحِي فَقَدْتُ بِهِ شَطْرَا

فَقَدْ كانَ مِنّي مَوضعَ ٱلحِسِّ في ٱلفَتى
وَكانَ ٱسمِيَ ٱلْمَحْبُوبُ في وَجْهِهِ يُقْرَا
فَقالَتْ لَها ٱلصُّغْرى صَدَقْتِ وَأَجْهَشَتْ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي آهِ مِنْ لَوْعَةِ ٱلصُّغْرى
فَما مَلَكَتْ مِنْ نَفْسِها فَضْلَ قُوَّةٍ لِتَرْثِي – بَلى كانَتْ مَدامِعُها حُمْرا
وَأَلْقَتْ عَلى ذاكَ ٱلضَّريحِ بِنَفْسِها فَأَلْقَتْ عَلَيْها نَفْسَها أُخْتُها ٱلكُبْرى

***

هُنا ٱنْسَحَقَتْ نَفْسِي فَلَمْلَمْتُ قُوَّتِي
وَهَرْوَلْتُ أَمْشِي مِشْيَةَ ٱلْمُنْتَشِي سُكْرَا
وَكُنْتُ قَرَأْتُ ٱسمَ ٱلعَذارَى مُسَطَّرَا
عَلى مَبْسِمٍ . سُبْحانَ مَنْ صَوَّرَ ٱلفَجْرا
فَما كانَتِ ٱلكُبْرى سِوَى ٱللُّغَةِ ٱلَّتِي بِها نَزَلَ ٱلقُرْآنُ لِلنَّاسِ بِالذِّكْرى
وَقَدْ كانَتِ ٱلوُسْطى ٱلْمُرُوءَةُ وَٱلَّتِي
رَمَتْ نَفْسَها وَهِيَ ٱلوَداعَةُ فَٱلصُّغْرى

***

لَئِنْ تَبْكِهِ هٰذِي ٱلفَضائِلُ فَٱلسَّما بَكَتْ مِنْهُ رُوحاً مِثْلَ نَجْمَتِها ٱلزَّهْرا

***

أَلا أَيُّها ٱلثَّاوِي ٱلمُكَفَّنُ بِٱلوَفا مُحِبُّوكَ جاؤُوا .. أَيْنَ طَلْعَتُكَ ٱلغَرّا

وَأَيْنَ ٱلنَّثِيرُ ٱلْجَزْلُ يَعْبَثُ بِٱلنُّهَى   وَأَيْنَ ٱلنَّظِيمُ ٱلْعَذْبُ نَحْسَبُهُ سِحْرَا
أَتَيْنَاكَ نَسْتَسْقِي ٱلْبَيَانَ وَعَهْدُنَا   قَرِيبٌ بِذَاكَ ٱلْوَجْهِ مُنْطَلِقاً بِشْرَا

***

لَهُ ٱللهُ مَا رَوَّى ٱلْغَلِيلَ بِلَفْظَةٍ
فِدًى لَكَ مُحْيِي ٱلدِّينِ أَكْبَادُنَا ٱلْحَرَّى
وَدَاعاً فَإِنَّا بَعْدَ حِينٍ سَنَلْتَقِي   تُفَرِّقُنَا ٱلدُّنْيَا وَتَجْمَعُنَا ٱلْأُخْرَى

«وقال الاستاذ ابراهيم الحوراني يرثي ابنه نسيباً»
«بلسان والدته الاسيفة»

قَلْبُ ٱلْغَرِيبِ عَلَى مُصَابِ نَسِيبِكِ   رَهْنُ ٱلْبَلِيَّةِ مِثْلَ قَلْبِ قَرِيبِكِ
فَتَعَذَّبِي نَفَذَ ٱلْقَضَاءُ بِمَا ٱشْتَهَى   قَلْبُ ٱلرَّزَايَا ٱلسُّودِ مِنْ تَعْذِيبِكِ
مَا وَقَّعَتْ وُرْقٌ عَلَى عِيدَانِهَا   لَحْنَ ٱلنَّوَى إِلَّا بِصَوْتِ نَحِيبِكِ
خَنْسَاءُ صَخْرٍ كَانَ أَكْبَرُ خَطْبِهَا   فِي ٱلْمَوْتِ أَصْغَرَ مِنْ صَغِيرِ خُطُوبِكِ
تَبْكِينَ يُوسُفَكِ ٱلْعَشِيَّةَ وَٱلضُّحَى   وَٱلْحُزْنُ يَلْهَبُ فِي حَشَا يَعْقُوبِكِ
يَا نَسْمَةَ ٱلْأَسْحَارِ حَيِّي رَمْسَهُ   فَثَرَاهُ أَطْيَبُ مِنْ جَمِيعِ طُيُوبِكِ



الباب الخامس

في المقامات



﴿ المقامة الصنعانية ﴾

« للحريري »

حَدَّثَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا ٱقْتَعَدْتُ غَارِبَ ٱلِاغْتِرَابِ(١). وَأَنْأَتْنِي(٢) ٱلْمَتْرَبَةُ(٣) عَنِ ٱلْأَتْرَابِ(٤). طَوَّحَتْ(٥) بِي طَوَائِحُ ٱلزَّمَنِ(٦). إِلَى صَنْعَاءَ ٱلْيَمَنِ. فَدَخَلْتُهَا خَاوِيَ ٱلْوِفَاضِ(٧). بَادِيَ ٱلْإِنْفَاضِ(٨). لَا أَمْلِكُ بُلْغَةً(٩). وَلَا أَجِدُ فِي جِرَابِي مُضْغَةً فَطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِهَا مِثْلَ ٱلْهَائِمِ. وَأَجُولُ فِي حَوْمَاتِهَا جَوَلَانَ ٱلْحَائِمِ. وَأَرُودُ فِي مَسَارِحِ لَمَحَاتِي. وَمَسَايِحِ غَدَوَاتِي وَرَوْحَاتِي. كَرِيماً أُخْلِقُ لَهُ دِيبَاجَتِي(١٠). وَأَبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي. أَوْ أَدِيباً تُفَرِّجُ رُؤْيَتُهُ غُمَّتِي. وَتُرْوِي رِوَايَتُهُ غُلَّتِي. حَتَّى أَدَّتْنِي

---

(١) اقتعده اتخذه قعدةً والغارب الكاهل وهو مقدَّم ظهر الدابة
(٢) ابعدتني (٣) الفقر (٤) جمع تِرب وتِرب الرجل الذي نشأ معه وتربى
(٥) رمت (٦) خطوبه وقواذفه (٧) جمع وفضة وهي خريطة من ادم
(٨) انفض الرجل اذا فني زاده وماله (٩) ما يتبلغ به من العيش (١٠) اي ابذل له وجهي

خَاتِمَةُ ٱلْمَطَافِ . وَهَدَتْنِي فَاتِحَةُ ٱلْأَلْطَافِ . إِلَى نَادٍ رَحِيبٍ . مُحْتَوٍ عَلَى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ . فَوَلَجْتُ غَابَةَ ٱلْجَمْعِ . لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ ٱلدَّمْعِ [1] فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ ٱلْحَلْقَةِ [2] . شَخْصاً شَخْتَ ٱلْخِلْقَةِ [3] . عَلَيْهِ أُهْبَةُ ٱلسِّيَاحَةِ . وَلَهُ رَنَّةُ ٱلنِّيَاحَةِ [4] . وَهُوَ يَطْبَعُ ٱلْأَسْجَاعَ [5] بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ . وَيَقْرَعُ ٱلْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ ٱلزُّمَرِ . إِحَاطَةَ ٱلْهَالَةِ بِٱلْقَمَرِ . وَٱلْأَكْمَامِ [6] بِٱلثَّمَرِ . فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ . وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ [7] . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي مَجَالِهِ [8] . وَهَدَرَتْ [9] شَقَاشِقُ [10] ٱرْتِجَالِهِ . أَيُّهَا ٱلسَّادِرُ [11] فِي غُلَوَائِهِ [12] . ٱلسَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلَائِهِ [13] ٱلْجَامِحُ فِي جَهَالَاتِهِ ٱلْجَانِحُ [14] إِلَى خُزَعْبِلَاتِهِ . إِلَامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيِّكَ . وَتَسْتَمْرِئُ [15] مَرْعَى بَغْيِكَ . وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ [16] . وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ . تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ . مَالِكَ نَاصِيَتِكَ [17] . وَتَجْتَرِئُ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ . عَلَى عَالِمِ سَرِيرَتِكَ .

---

(١) لاختبر سبب البكاء (٢) وسطها (٣) الشخت الدقيق النحيف (٤) انين الباكي بحزن (٥) يصوغها ويرتبها (٦) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع (٧) جمع فريدة وهي ما يجعل فاصلة بين الجواهر (٨) اسرع في طريقته (٩) ارتفعت (١٠) جمع شقشقة وهي في الاصل ما يخرجه البعير من فيه اذا هاج (١١) الذي لا يبالي بما صنع (١٢) اي غلوه ومجاوزته الحد (١٣) كبره (١٤) المائل (١٥) تعده مريئاً (١٦) تبلغ النهاية في الكبر (١٧) مقدم الرأس

وَتَتَوارَى [1] عَنْ قَرِيبِكَ . وَأَنتَ بِمَرْأَى رَقِيبِكَ . وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلى مَلِيكِكَ . أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ . إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ . أَوْ يُنقِذُكَ مَالُكَ . حِينَ تُوبِقُكَ [2] أَعْمَالُكَ . أَوْ يُغْنِي عَنكَ نَدَمُكَ . إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ . أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُكَ . يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ [3] . هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ [4] اهْتِدَائِكَ . وَعَجَّلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ . وَفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدَائِكَ [5] . وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ [6] فَهِيَ أَكْبَرُ أَعْدَائِكَ . أَمَا الْحِمَامُ مِيعَادُكَ . فَمَا إِعْدَادُكَ . وَبِالْمَشِيبِ إِنذَارُكَ . فَمَا إِعْذَارُكَ . وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ [7] فَمَا قِيلُكَ [8] . وَإِلَى اللهِ مَصِيرُكَ . فَمَنْ نَصِيرُكَ . طَالَمَا أَيْقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ . وَجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ [9] . وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ . وَحَصْحَصَ [10] لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ . وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ . وَأَمْكَنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ [11] فَمَا آسَيْتَ . تُؤْثِرُ فَلْساً تُوعِيهِ . عَلَى ذِكْرٍ تَعِيهِ [12] . وَتَخْتَارُ قَصْراً تُعْلِيهِ . عَلَى بِرٍّ تُولِيهِ [13] . وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ [14] . إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ [15] . وَتُغَلِّبُ

---

(١) اي تستتر (٢) تهلكك (٣) يوم الحشر (٤) سلكت والمحجة معظم الطريق (٥) اي كسرت حدة ظلمك (٦) كففتها ومنعتها عن القبيح (٧) اي مصيرك واصله النوم بالقائلة وهي الظهيرة (٨) اي فما قولك (٩) اي تأخرت (١٠) ظهر (١١) تحسن الى غيرك (١٢ اي تحفظه (١٣) تعطيه (١٤) من الهداية اي تسترشده وتطلب منهُ الهداية (١٥) من الهدية اي تطلب ان يهدى اليك

حُبِّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ . عَلى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ . يَوَاقِيتُ ٱلصِّلاتِ[(١)] . أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ ٱلصَّلاةِ . وَمُغَالَاةُ ٱلصَّدُقَاتِ . [(٢)] آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ ٱلصَّدَقَاتِ . وَصِحَافُ [(٣)] ٱلْأَلْوَانِ . أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ ٱلْأَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ [(٤)] ٱلْأَقْرَانِ [(٥)] آنَسُ لَكَ مِنْ تِلاوَةِ ٱلْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِٱلْعُرْفِ[(٦)] وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ . وَتَحْمِي [(٧)] عَنِ ٱلنُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ . وَتُزَحْزِحُ [(٨)] عَنِ ٱلظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ[(٩)] . وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا ٱنْصِبَابَهْ [(١٠)]
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهْ[(١١)]

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَّدَ عَجَاجَتَهُ [(١٢)] وَغَيَّضَ مُجَاجَتَهُ [(١٣)] وَٱعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ[(١٤)] وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ [(١٥)] . فَلَمَّا رَنَتِ [(١٦)] ٱلْجَمَاعَةُ إِلَى تَحَفُّزِهِ [(١٧)] . وَرَأَتْ تَأَهُّبَهُ لِمُزَايَلَةِ مَرْكَزِهِ [(١٨)] أَدْخَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ

---

(١) اي نفائس العطايا (٢) جمع صدُقة بالضم وهي ما يعطى للنساء من المهر (٣) جمع صحفة وهي اناء منبسط واسع (٤) مزاح (٥) جمع قرن بالكسر وهو المماثل (٦) المعروف (٧) تمنع (٨) تبعد (٩) تأتيه (١٠) اي ميله (١١) البقية اليسيرة في الاناء (١٢) اي سكن غبرته والمراد الكف عما كان فيه (١٣) اي ابتلع ريقه (١٤) هي قربة صغيرة واعتضدها اي جعلها في عضده (١٥) اي جعل عصاه تحت ابطه (١٦) نظرت (١٧) تهيوءه للقيام (١٨) اي لمفارقة موضعه

يَدَهُ فِي جَيْبِهِ . فَأَفْعَمَ(١) لَهُ سَجْلاً(٢) مِنْ سَيْبِهِ(٣) . وَقَالَ اصْرِفْ هٰذَا فِي نَفَقَتِكَ . أَوْ فَرِّقْهُ عَلَى رُفْقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُغْضِياً . وَانْثَنَى عَنْهُمْ مُثْنِياً . وَجَعَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشَيِّعُهُ . لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهْيَعُهُ(٤) . وَيُسَرِّبُ(٥) مَنْ يَتْبَعُهُ . لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُهُ . قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَأَتْبَعْتُهُ مُوَارِيًا(٦) عَنْهُ عِيَانِي(٧) . وَقَفَوْتُ أَثَرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي . حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَغَارَةٍ . فَٱنْسَابَ فِيهَا عَلَى غَرَارَةٍ(٨) . فَأَمْهَلْتُهُ رَيْثَمَا(٩) خَلَعَ نَعْلَيْهِ . وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ . ثُمَّ هَجَمْتُ عَلَيْهِ . فَوَجَدْتُهُ مُثَافِناً(١٠) لِتِلْمِيذٍ . عَلَى خُبْزٍ سَمِيذٍ . وَجَدْيٍ حَنِيذٍ(١١) . وَقُبَالَتَهُمَا خَابِيَةُ نَبِيذٍ . فَقُلْتُ لَهُ يَا هٰذَا أَيَكُونُ ذَاكَ خَبَرَكَ . وَهٰذَا مَخْبَرَكَ . فَزَفَرَ(١٢) زَفْرَةَ ٱلْقَيْظِ(١٣) . وَكَادَ يَتَمَيَّزُ(١٤) مِنَ ٱلْغَيْظِ . وَلَمْ يَزَلْ يُحَمْلِقُ(١٥) إِلَيَّ . حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيَّ . فَلَمَّا أَنْ خَبَتْ(١٦) نَارُهُ . وَتَوَارَى أُوَارُهُ(١٧) أَنْشَدَ :

لَبِسْتُ ٱلْخَمِيصَةَ(١٨) أَبْغِي ٱلْخَبِيصَهْ(١٩)

---

(١) ملأ (٢) السجل الدلو اذا كان فيها ماء (٣) اي عطائه (٤) المهيع الطريق الواضح (٥) يفرق (٦) مخفياً (٧) شخصي (٨) غفلة (٩) اي قدر ما (١٠) اي مجالساً (١١) مشوي على حجارة محماة (١٢) رددنفسهُ من شدة الغيظ (١٣) شدة الحر (١٤) يتقطع (١٥) يحدد نظره (١٦) خمدت (١٧) اختفى احتداده (١٨) كساء اسود مربع معلم (١٩) الحلوى

وَأَنْشَبْتُ شِصِّيَ[١] فِي كُلِّ شِيصَهْ[٢]
وَصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أُحْبُـولَةً[٣]
أُرِيغُ[٤] ٱلْقَنِيصَ[٥] بِهَا وَٱلْقَنِيصَهْ[٦]
وَأَلْجَأَنِي ٱلدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ
بِلُطْفِ ٱحْتِيَالِي عَلَى ٱللَّيْثِ[٧] عِيصَهْ[٨]
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ[٩] وَلَا نَبَضَتْ[١٠] لِيَ مِنْهُ فَرِيصَهْ
وَلَا شَرَعَتْ[١١] بِي عَلَى مَوْرِدٍ يُدَنِّسُ عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصَهْ
وَلَوْ أَنْصَفَ ٱلدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ لَمَا مَلَّكَ ٱلْحُكْمَ أَهْلَ ٱلنَّقِيصَهْ

ثُمَّ قَالَ لِيَ ٱدْنُ فَكُلْ . وَإِنْ شِئْتَ فَقُمْ وَقُلْ . فَٱلْتَفَتُّ إِلَى تِلْمِيذِهِ وَقُلْتُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ ٱلْأَذَى . لِتُخْبِرَنِّي مَنْ ذَا . فَقَالَ هٰذَا أَبُو زَيْدٍ ٱلسَّرُوجِيُّ سِرَاجُ ٱلْغُرَبَاءِ . وَتَاجُ ٱلْأُدَبَاءِ . فَٱنْصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ . وَقَضَيْتُ ٱلْعَجَبَ مِمَّا رَأَيْتُ

---

(١) صنارتي (٢) ضرب من اخبث السمك (٣) شبكة الصيد (٤) اطلب على وجه المكر (٥) الصيد الذكر (٦) الصيد الانثى (٧) الاسد (٨) مأواه (٩) حوادثه (١٠) تحركت (١١) دخلت

﴿ أَلْمَقَامَةُ ٱلسِّجِسْتَانِيَّةُ ﴾

« لبديع الزمان الهمذاني »

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ فَٱقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ [1] وَٱمْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ . وَٱسْتَخَرْتُ ٱللّٰهَ فِي ٱلْعَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي . وَٱلْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي . حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا فَوَافَيْتُ دُرُوبَهَا . وَقَدْ وَافَتِ ٱلشَّمْسُ غُرُوبَهَا . وَٱتَّفَقَ ٱلْمَبِيتُ حَيْثُ ٱنْتَهَيْتُ . فَلَمَّا ٱنْتَضِيَ [2] نَصْلُ ٱلصَّبَاحِ . وَبَرَزَ جَيْشُ ٱلْمِصْبَاحِ [3] . مَضَيْتُ إِلَى ٱلسُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلًا فَحِينَ ٱنْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ ٱلْبَلَدِ إِلَى نُقْطَتِهَا . وَمِنْ قِلَادَةِ ٱلسُّوقِ إِلَى وَاسِطَتِهَا . خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ [4] مَعْنًى . فَٱنْتَحَيْتُ رَفْدَهُ [5] حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ . مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ . قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ [6] وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي . وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي . أَنَا بَاكُورَةُ ٱلْيَمَنِ . وَأُحْدُوثَةُ ٱلزَّمَنِ . أَنَا أُدْعِيَّةُ [7] ٱلرِّجَالِ . وَأُحْجِيَّةُ [8] رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ [9] سَلُوا عَنِّي ٱلْبِلَادَ وَحُصُونَهَا . وَٱلْجِبَالَ

---

(١) اقتعد دابة اتخذها مركبا والطية المقصد والنيـة (٢) استل (٣) المصباح من اقاب الشمس (٤) العرق الاصل وما يجري فـيه الدم من البدن (٥) اي قصدت ان فد عليه (٦) القدال جماع موخر الرأس . وولاني قذاله جعلني واليا لقدا ه اي اتيته من خلفه (٧) لعز (٨) لغز (٩) ربات الحجال كناية عن النساء

وَحُزُونَها (١) . وَٱلْأَوْدِيَةَ وَبُطُونَها . وَٱلْبِحَارَ وَعُيُونَها . وَٱلْخَيْلَ وَمُتُونَها . مَنِ ٱلَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا . وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا وَنَهَجَ سَمْتَهَا (٢) وَوَلَجَ حَرَّتَها (٣) . سَلُوا ٱلْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا . وَٱلْأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَها . وَٱلْأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا . وَٱلْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا . وَٱلْخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا . وَٱلْحُرُوبَ وَمَضَايِقَهَا . مَنِ ٱلَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَها . وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا . وَمَنِ ٱلَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا . أَنَا وَٱللّٰهِ فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَسَفَرْتُ (٤) بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلصِّيدِ . وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ ٱلْخُطُوبِ ٱلسُّودِ . وَنَفَرْتُ مَعَ ذٰلِكَ عَنِ ٱلدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ ٱلْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ ٱللِّئَامِ . وَنَبَوْتُ عَنِ ٱلْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ ٱلسَّمْعِ ٱلشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ ٱلْكَلَامِ . وَٱلْآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ ٱلْكِبَرِ عَمَدْتُ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ ٱلْمَعَادِ . بِإِعْدَادِ ٱلزَّادِ . فَلَمْ أَرَ طَرِيقاً أَهْدَى إِلَى ٱلرَّشَادِ مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ . يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ . نَاثِرَ هَوَسٍ (٥) يَقُولُ هٰذَا أَبُو ٱلْعَجَبِ . لَا وَلٰكِنِّي أَبُو ٱلْعَجَائِبِ . عَايَنْتُهَا وَعَانَيْتُهَا . وَأُمُّ ٱلْكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا . وَأَخُو ٱلْأَغْلَاقِ (٦) صَعْباً

---

(١) جمع حزن خلاف السهل (٢) اي مهّد طريقها (٣) الحرة القطعة المستديرة واستعملها هنا فيما استدارت عليه الجبال من بطون الاودية (٤) سعيت بالصلح (٥) اراد ناثر كلام يصدر عن الهوس لانه لا يكاد يعقل انطباقه على الحقيقة لغرابته (٦) جمع علق وهو ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح . واخو الاغلاق ابو فتحها وهو المفتاح

وَجدتُها . وَهوْناً أَضعتُها . وَغالياً اشتريتُها . وَرخيصاً ابتعتُها [١] . فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَها المَوَاكِبَ . وَزَاحمتُ المَناكِبَ . وَرَعَيتُ الكَوَاكِبَ . وَأَنضَيتُ المَرَاكِبَ [٢] . دُفِعتُ إلى مَكارهِ تَنذَرْتُ مَعَهَا أَنْ لَا أَدَّخِرَ عَنِ المُسْلِمِينَ مَنافِعَهَا . وَلا بُدَّ لِي أَنْ أَخلَعَ رِبقَةَ [٣] هذِهِ الأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إلى أَعناقِكُمْ . وَأَعرِضَ دَوَائِي هذَا فِي أَسوَاقِكُمْ . فَلْيَشْتَرِ مِنّي مَنْ لَا يَتَقَزَّزُ مِنْ مَوْقِفِ العَبِيدِ . وَلَا يَأنفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ . وَلْيَصُنْهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ [٤] . وَسُقِيَ بِالمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ . قَالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ : فَدُرْتُ إلى وَجهِهِ لِأَعلَمَ عِلمَهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيخُنَا أَبُو الفَتحِ الإِسكَندَرِيُّ وَانتَظَرْتُ إِجفَالَ النَّعامَةِ [٥] بَيْنَ يَدَيهِ . ثُمَّ تَعَرَّضتُ فَقُلْتُ : كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هذَا فَقَالَ يُحِلُّ الكِيسُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ

﴿ المَقَامَةُ الحِكَمِيَّةُ ﴾

« للشيخ ناصيف اليازجي »

أَخبَرَ سُهَيلُ بنُ عَبَّادٍ قَالَ : خَرَجتُ فِي قَافِلَةٍ بِعِصَابَةٍ حَافِلَةٍ [٦] .

---

(١) بعتها (٢) اي هزلتها واضعفتها (٣) عروة (٤) جاءت باولاد نجباء
(٥) اراد باجفال النعامة انفضاض العامة من حوله (٦) اي مع جماعة كثيرة

فَكُنَّا نَصِلُ ٱلْإِسْآدَ (١) بِٱلتَّأْوِيبِ (٢) . وَنُرَاوِحُ بَيْنَ ٱلْإِهْذَابِ وَٱلتَّقْرِيبِ (٣) . حَتَّى أَفْضَتْ بِنَا ٱلرِّحْلَةُ . إِلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ . فَنَزَلْنَا ٱلْقَضُّ وَٱلْقَضِيضُ (٤) فِي أَكْنَافِ (٥) ذٰلِكَ ٱلْحَضِيضِ (٦) . فَرَاقَتْنَا (٧) فَاكِهَتُهُ وَفُكَاهَتُهُ (٨) . وَشَاقَتْنَا نُزْهَتُهُ وَنَزَاهَتُهُ (٩) . فَأَقَمْنَا ثَلَاثًا نَجْتَنِي قُطُوفَ أَفْنَانِهِ ٱلْمِيلَاءِ (١٠) . وَنَشْرَبُ صَافِيَ تِلْكَ ٱلْحُجَيْلَاءِ (١١) . حَتَّى إِذَا أَزِفَ (١٢) ٱلرَّحِيلُ . وَزُمَّتِ ٱلْهَجْمَةُ (١٣) وَٱلرَّعِيلُ (١٤) . قِيلَ هٰذَا يَوْمُ ٱلنَّيْرُوزِ (١٥) وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ ٱلْبُرُوزِ (١٦) فَلَبَدَ ٱلْقَيْرَوَانُ عَجَاجَتَهُ (١٧) . وَبَلَّدَ لَجَاجَتَهُ . وَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلْغَزَالَةُ (١٨) لُعَابَهَا (١٩) . وَضَرَبَتِ ٱلضُّحَى أَطْنَابَهَا . نَفَرَ (٢٠) ٱلْقَوْمُ ثُبَاتٍ (٢١) فِي تِلْكَ ٱلرِّبَاعِ (٢٢) . وَٱنْتَشَرُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ . فَلَمَّا ٱنْتَظَمَتِ

---

(١) سير الليل كله (٢) سير النهار كله (٣) الاهذاب الركض الشديد . والتقريب المشي السريع دون الركض . اي نستعمل هـذا تارةً وذاك اخرى (٤) اي باجمعنا . ويقال القضُّ الحصى الصغار والقضيض الحصى الكبار وهـذا مأخوذ منه اي نزلنا صغارنا وكبارنا (٥) جوانب (٦) الارض المنخفضة (٧) اعجبتنا (٨) طلاوته (٩) نظافته (١٠) اي نقطف ثمار اغصانه المائلة ثقلًا (١١) الماء الذي لاتصيبه الشمس (١٢) قرب (١٣) جماعة الابل (١٤) جماعة الخيل (١٥) موسم يكون في ايام الربيع فيخرج الناس فيه للتنزه . وقيل هو اول يوم في السنة (١٦) اي الخروج الى ظاهر المدينة (١٧) اي سكّنت القافلة غبارها (١٨) الشمس عند طلوعها (١٩) شعاعها (٢٠) انتشر (٢١) جماعات (٢٢) جمع ربَع

ٱلْفِئَام [١] . وَجَلَسَتِ ٱلْقِيَامُ فِي ٱلْخِيَام . نُحِرَتِ ٱلْجُزُرُ [٢] وَشُبَّتِ ٱلنَّارُ . وَفَاحَ ٱلْعُثَانُ [٣] وَٱلْقُتَارُ [٤] . وَأَخَذَ ٱلْقَوْمُ فِي تَدَاوُلِ ٱلْأَلْحَانِ . وَتَنَاوُلِ بِنْتِ ٱلْحَانِ [٥] . إِلَى أَنْ نَثَرَ ٱلْأَصِيلُ عَلَى نُورِ ٱلشَّمْسِ نَوْرَ ٱلْبَهَار [٦] . وَكَادَ جُرُفُ [٧] ٱلنَّهَارِ يَنْهَار [٨] . فَنَهَضْنَا . مِنْ حَيْثُ رَبَضْنَا . وَأَقْبَلْنَا . إِلَى حَيْثُ قَابَلْنَا . وَإِذَا مَوْكِبٌ مِنَ ٱلرِّجَالِ . قَدِ ٱزْدَحَمُوا عَلَى شَيْخٍ بَالٍ [٩] رَثِّ ٱلْجِسْمِ وَٱلسِّرْبَال [١٠] . وَهُوَ قَدْ أَنَّ مِنْ شِدَّةِ ٱلْكَلَال . وَشَرَعَ يُوصِي رَجُلاً بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَال . يَا بُنَيَّ لَا تُسَلِّمْ نَفْسَكَ إِلَى هَوَاكَ . وَلَا تَسْتَوْدِعْ سِرَّكَ سِوَاكَ . وَلَا تُفَوِّضْ أَمْرَكَ . إِلَّا لِمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَكَ . وَنَزِّهْ نَفْسَكَ عَنِ ٱلْخَسَائِسِ . وَقَلْبَكَ عَنِ ٱلدَّسَائِسِ وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ ٱلْخَلَلِ . قَبْلَ أَنْ تَحْفَظَ رِجْلَكَ مِنَ ٱلزَّلَلِ . وَٱقْتَصِدْ [١١] . فِي مَا تَعْتَمِدْ . وَلَا تَسْتَعْجِلْ . فِي مَا تَسْتَعْمِلْ . وَلَا تَهْرِفْ [١٢] . بِمَا لَا تَعْرِفْ . وَلَا تَطْمَعْ . فِي مَا تَجْمَعْ . وَلَا تُصَدِّقْ كُلَّ مَا تَسْمَعْ . وَلَا تَنْقُلِ ٱلْقَدَمَ . إِلَى مَا يُعْقِبُ ٱلنَّدَمَ . وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً [١٣]

---

(١) الجماعات (٢) الذبائح (٣) الدخان (٤) ما يفوح من بخار اللحم على النار (٥) الخمرة (٦) النَور الزهر . والبهار نبات له زهر اصفر . كنى بذلك عن اقتراب زوال الشمس (٧) الجُرف المكان المرتفع الذي اخذ السيل جوانبه (٨) يتهدم (٩) اي رثيث مأخوذ من بِلَى الثوب (١٠) الثوب (١١) لا تبالغ (١٢) اي لا تتكلم . واصله من الهرف وهو الاطناب في المدح او المدح عن غير خبرة . والعبارة مثل (١٣) نشاطاً وبطراً

وَلَا يَسْتَفِزَّكَ [١] ٱلدَّهْرُ فَرَحاً أَوْ تَرَحاً . وَلَا تَمْتَهِنِ ٱلضَّعِيفَ ٱلسَّاقِطَ. وَلَوْ كَانَ مَاقِطَ بْنَ لَاقِطٍ [٢] . وَلَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفاً . وَلَا بُغْضُكَ تَلَفاً . وَإِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ فَلَا تَبْطَرْ . وَإِذَا ٱفْتَقَرْتَ فَلَا تَضْجَرْ . وَإِذَا ٱبْتُلِيتَ فَٱصْطَبِرْ . وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلْعِبْرَةَ فَٱعْتَبِرْ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُطَاعَ. فَسَلْ مَا يُسْتَطَاعُ . وَإِذَا حَدَّثْتَ فَعَلَيْكَ بِٱلْإِيجَازِ . وَلَا تُلْبِسِ ٱلْحَقِيقَةَ بِٱلْمَجَازِ . وَلَا تَعِدْ إِلَّا وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْإِنْجَازِ . وَلَا تُبَادِرْ بِٱلْجَوَابِ. قَبْلَ ٱسْتِيفَاءِ ٱلْخِطَابِ . وَلَا تَقْضِ ٱلدَّيْنَ بِٱلدَّيْنِ . وَلَا تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ صَارِمٍ [٣] نَبْوَةً [٤] . وَلِكُلِّ جَوَادٍ [٥] كَبْوَةً [٦] . وَلِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةً [٧] . وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . وَلِكُلِّ دَهْرٍ رِجَالٌ . وَلِكُلِّ قَضَاءٍ جَالِبٌ . وَلِكُلِّ دَرٍّ حَالِبٌ . وَمَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ . حُمِدَتْ سِيرَتُهُ . وَمَنْ أَطَاعَ غَضَبَهُ . أَضَاعَ أَدَبَهُ . وَمَنْ تَأَنَّى . نَالَ مَا تَمَنَّى . وَمَنْ سَعَى . رَعَى [٨] وَمَنْ جَالَ. نَالَ . وَمَنْ قَلَّ . ذَلَّ . وَٱلْحُرُّ حُرٌّ . وَإِنْ مَسَّهُ ٱلضُّرُّ . وَٱلْكَذِبُ دَاءٌ . وَٱلصِّدْقُ شِفَاءٌ . وَطَعْنُ ٱللِّسَانِ . كَوَخْزِ ٱلسِّنَانِ . وَظَنُّ ٱلْعَاقِلِ . أَصَحُّ مِنْ يَقِينِ ٱلْجَاهِلِ . وَٱلظَّمَأُ ٱلْقَامِحُ [٩] . خَيْرٌ مِنَ

(١) يستخفك (٢) يقولون فلان ماقط بن لاقط اي خسيس دنيء . واللاقط هو العبد المعتق . والماقط عبد اللاقط فيكون عبد العبد (٣) سيف قاطع (٤) كلال (٥) فرس كريم (٦) عثار (٧) زلة (٨) اي صادف المرعى (٩) القامح الشديد

ٱلرَّأيِ ٱلفَاضِحِ . وَعَلَيْكَ بِٱلْمُحَاجَزَةِ (١) : قَبْلَ ٱلْمُنَاجَزَةِ (٢) . وَبِٱلإِينَاسِ . قَبْلَ ٱلإِبْسَاسِ (٣) . وَبِٱلعِتَابِ . قَبْلَ ٱلْعِقَابِ . وَٱسْتَعِذْ بِٱللّٰهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ . قَالَ : فَلَمَّا ٱسْتَتَمَّ كَلامَهُ قَالَ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ . وَإِنَّهَا لَمِنْ وَصَايَا لُقْمَانَ . فَٱدْرُسْهَا كُلَّمَا شَهِدْتَ ٱلشَّهْرَ (٤) وَٱذْكُرْ شَيْخَكَ ٱلَّذِي ٱعْتَرَكَ بِٱلدَّهْرَ . وَقَلَّبَ أَهْلَهُ ٱلْبَطْنَ وَٱلظَّهْرَ . فَعَرَفَ مِنْهُمُ ٱلسِّرَّ وَٱلْجَهْرَ . ثُمَّ ثَابَ (٥) إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرَّمَقِ (٦) فَتَجَلَّدَ . وَرَأْرَأَ (٧) بِحَدَقَتَيْهِ وَأَنْشَدَ :

إِنِّي لَقَدْ جَرَّبْتُ أَخلاقَ ٱلْوَرَى　　حَتَّى عَرَفْتُ مَا بَدَا وَمَا ٱخْتَفَى
كُلٌّ يَذُمُّ ٱلنَّاسَ فَٱلَّذِي نَجَا　　مِنْ ذَمِّهِ يَدْخُلُ فِي ذَمِّ ٱلْمَلا
وَٱلْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى ٱلْبُخْلِ إِذَا　　جَادَ فَجُودُهُ عَنِ ٱلعِرْضِ فِدَى
يُرِيدُ أَنْ يَغْتَرِفَ ٱلْبَحْرَ وَلَا　　يَتْرُكَ مِنْهُ قَطْرَةً تَرْوِي ٱلظَّمَا
يَنْسَى مِنَ ٱلْمُحْسِنِ طَوْداً (٨) قَدْ رَسَا　　وَلَيْسَ يَنْسَى ذَرَّةً مِمَّنْ أَسَا
وَلَا يُحِبُّ غَيْرَ نَفْسِهِ فَمَا　　أَحَبَّهُ فَهْوَ إِلَى ٱلنَّفْسِ ٱنْتَهَى
يَعْرِفُ كُلٌّ حَالَهُ فِي مَا مَضَى　　إِلَّا ٱلَّذِي كَانَ دَنِيًّا فَٱرْتَقَى

---

(١) الممانعة (٢) المبارزة والقتال . اي عليك بالمسالمة قبل المعاجلة في الشر (٣) هو ان يقال للناقة عند الحلب بَس بَس لتسكن وتدر . والمعنى عليك بالمؤانسة لصاحب الحاجة قبل طلبها (٤) اي كلما رأيت هلال الشهر (٥) رجع (٦) بقية الروح في المريض (٧) نظر نظراً مضطرباً (٨) جبلاً

وَكُلُّ عِلْمٍ يُدْرِكُ ٱلْمَرْءُ سِوَى عِرْفَانِ قَدْرِ نَفْسِهِ كَمَا ٱقْتَضَى
بِٱلْعَقْلِ وَٱلدِّينِ لَهُ كُلُّ ٱلرِّضَى أَمَّا بِمَالِهِ وَجَاهِهِ فَلَا
وَكُلَّمَا عَقْلُ ٱلْفَتَى قَلَّ ٱكْتَفَى بِهِ كَمَا ظَنَّ فَسُرَّ وَٱزْدَهَى
قَدْ طُبِعَ ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلظُّلْمِ فَمَا سَلِمَ أَمْرٌ لِٱمْرِئٍ إِلَّا بَغَى
يُؤْذِي ٱلْجَهُولُ نَفْسَهُ فَإِنْ جَنَى يَوْماً عَلَيْكَ لَا يُلَامُ بِٱلْأَذَى
وَيَـذْخَرُ ٱلشَّيْخُ لِدَهْرٍ وَيَرَى بِعَيْنِهِ ٱلْمَوْتَ لَدَى ٱلْبَابِ ٱسْتَوَى
يُنَعَّمُ ٱلْبَعْضُ بِمَالٍ يُخْتَبَى وَبَعْضُهُمْ بِبَذْلِهِ فِي مَا ٱشْتَهَى
مَنْ عَاشَ بِٱلتَّقْتِيرِ[1] مِنْ ذَوِي ٱلْغِنَى فَإِنَّهُ أَفْقَرُ مَنْ فَوْقَ ٱلثَّرَى
كُلٌّ يَعُدُّ نَفْسَهُ نِعْمَ ٱلْفَتَى فَمَنْ هُوَ ٱللَّئِيمُ مِنَّا يَا تُرَى
لَوْ عَرَفَ ٱلْإِنْسَانُ عَيْبَهُ لَمَا رَأَيْتَ عَيْباً فِيهِ مَا طَالَ ٱلْمَدَى
وَكُلُّ عَيْبٍ كَانَ مِنْ طَيِّ ٱلْحَشَى فِي ٱلْمَرْءِ يَنْمُو فِيهِ كُلَّمَا نَشَا
لَا يَشْعُرُ ٱلْجَاهِلُ بِٱلْجَهْلِ كَمَا لَا يَشْعُرُ ٱلسَّكْرَانُ إِلَّا إِنْ صَحَا
لَا يَعْرِفُ ٱلصَّحِيحُ قِيمَةً لِمَا كَانَ مِنَ ٱلصِّحَّةِ حَتَّى يَبْتَلِي
لَا يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَتَى إِلَّا مَتَى مَاتَ فَيُعْطَى حَقَّهُ تَحْتَ ٱلْبِلَى
لَوْ كَانَ كُلٌّ يَعْرِفُ ٱلْحَقَّ سُوَى لَكَانَ كُلُّ ٱلنَّاسِ أَهْلاً لِلْقَضَا
مَنْ قَالَ لَا أَغْلَطُ فِي أَمْرٍ جَرَى فَإِنَّهَا أَوَّلُ غَلْطَةٍ تُرَى
وَقَلَّمَا أَبْصَرْتَ نِعْمَةً عَلَى شَخْصٍ وَلَا تَقُولُ قَدْ ضَاعَتْ هُنَا

---

(١) ضيق العيش والشح

وَقَلَّمَا كَانَ شُجَاعاً فِي ٱللِّقَا إِلَّا عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ وَٱلْجُودُ كَذَا
وَكُلُّ مَا فِي غَيْرِ مَثْوَاهُ ثَوَى يَسْمُجُ فِي ٱلْعَيْنِ وَيُؤْذِي مَنْ رَأَى
وَكُلُّ مَا عَنْ مَنْهَجِ ٱلطَّبْعِ ٱلْتَوَى تُنْكِرُهُ ٱلنَّفْسُ وَلَوْ نَفْعاً جَنَى
وَكُلُّ مَنْ تَاهَ دَلَالاً وَٱدَّعَى مُسْتَكْبِراً فَذَاكَ نَاقِصُ ٱلْحِجَى [١]
وَكُلُّ مَنْ شَابَ عَلَى خُلْقٍ فَلَا تَنْصَحْهُ فَهْوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ ٱلْهُدَى
وَكُلُّ مَنْ لَا خَيْرَ مِنْهُ يُرْتَجَى إِنْ عَاشَ أَوْ مَاتَ عَلَى حَدٍّ سَوَا

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَبْيَاتِهِ ٱسْتَهَلَّتْ دُمُوعُهُ مِنَ ٱلْمَآقِي. وَقَالَ سُبْحَانَ ٱلْحَيِّ ٱلْبَاقِي. ثُمَّ سَجَا [٢] عَلَى مَضْجَعِهِ حَتَّى خُيِّلَ أَنَّ رُوحَهُ قَدْ بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِي [٣]. فَأَخَذَتِ ٱلْقَوْمَ ٱلشَّفَقَةُ. وَقَالُوا لِغُلَامِهِ خُذْ هٰذِهِ ٱلصَّدَقَةَ. إِنْ مَاتَ فَلِلتَّجْهِيزِ [٤] وَإِنْ عَاشَ فَلِلنَّفَقَةِ ثُمَّ وَلَّوْا ٱلْأَدْبَارَ. وَهُمْ يُضِجُّونَ بِٱلدُّعَاءِ لَهُ وَٱلِٱسْتِغْفَارِ. قَالَ سُهَيْلٌ. فَلَمَّا خَلَوْنَا وَٱنْتَفَتِ ٱلتَّقِيَّةُ [٥]. نَفَضَ عَنْ نَفْسِهِ غُبَارَ ٱلْمَنِيَّةِ. وَقَالَ يَا غُلَامُ ٱذْهَبْ بِهٰذِهِ ٱلدَّسْتَجَةِ [٦]. فَجِئْنَا بِمَا ٱشْتَرَبُ ٱلْهَفْتَجَةِ [٧]. فَٱبْتَهَجْتُ بِإِرْجَاءِ حَيْنِهِ [٨]. وَتَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ ٱلْخُزَامِيُّ بِعَيْنِهِ. فَعَجِبْتُ مِنْ رِيَائِهِ وَمَيْنِهِ [٩]. وَقُلْتُ يَا أَبَا لَيْلَى كَيْفَ تَعِظُ

---

(١) العقل (٢) شخص (٣) اعالي الصدر (٤) قصد حوائج دفنه (٥) الحذر (٦) الزجاجة الكبيرة (٧) سبعة اسابيع من الايام (٨) اي بتأخير موته (٩) كذبه

بِمَا ذَكَرْتَ . وَتَصِفُ ٱلنَّاسَ بِمَا أَنكَرْتَ فَأَشَاحَ[1] بِوَجْهِهِ خَجِلًا . ثُمَّ أَنْشَدَ مُرْتَجِلًا

وَصَفْتُ ٱلنَّاسَ بِٱلنُّكْرِ وَإِنِّي لَسْتُ بِٱلنَّاسِي
وَلٰكِنْ نَسِيَ ٱلْغَافِلُ أَنِّي أَحَدُ ٱلنَّاسِ

ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا عُبَادَةَ لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ . سُرْعَةُ ٱلْعَذْلِ . وَمَنْ لَا يُؤْخَذُ بِٱلْأَشْعَبِيَّةِ[2] فَخُذْهُ بِٱلشَّغْرَبِيَّةِ[3] وَإِنِّي قَدْ أَفَدْتُ مِنَ ٱلْحِكَمِ وَٱلْأَمْثَالِ . مَا لَا يُعَادَلُ بِدِرْهَمٍ وَلَا مِثْقَالٍ . فَإِمَّا أَنْ تَبْذُلَ كَمَا بَذَلَ ٱلْقَوْمُ . وَإِلَّا فَٱلسُّكُوتَ عَنِ ٱللَّوْمِ . قَالَ . فَأَمْسَكْتُ عَنْ مَعَاذِيرِهِ ٱلْمُلَفَّقَةِ . وَإِنْ لَمْ يَضَلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَهُ[4] . وَلَبِثْتُ فِي صُحْبَتِهِ بِٱلْعِرَاقِ . إِلَى أَنْ قَضَى ٱللّٰهُ بِٱلْفِرَاقِ



---

(١) اعرض (٢) اي من لا يطمع في معروفه (٣) حيلة بين المتصارعين
(٤) ودريص ولد الفأرة والنفق الجحر

الباب السادس

في اللغة

« مقتطف من نجعة الرائد وشرعة الوارد »

« للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي »

﴿ في ٱلنَّوْمِ وَٱلسَّهَرِ ﴾

يُقَالُ : قَدْ أَخَذَهُ ٱلنُّعَاسُ . وَخَالَطَهُ ٱلوَسَنُ . وَسَهِرَ حَتَّى ثَنَى ٱلنُّعَاسُ رَأْسَهُ . وَحَتَّى أَصْغَى ٱلنُّعَاسُ ٱلرُّؤُوسَ . وَمَالَتِ ٱلأَعْنَاقُ مِنَ ٱلكَرَى وَدَبَّتِ ٱلسِّنَةُ فِي ٱلجُفُونِ

وَرَأَيْتُهُ وَقَدْ عَلَتْهُ وَسْنَةٌ وَعَرَتْهُ نَعْسَةٌ . وَبَدَتْ فِي أَجْفَانِهِ فَتْرَةُ ٱلكَرَى وَرَأَيْتُ بِعَيْنِهِ كَسْرَةً مِنَ ٱلسَّهَرِ أَيِ ٱنْكِسَارًا . وَقَدْ رَانَ عَلَيْهِ ٱلنُّعَاسُ وَرَانَ بِهِ سُكْرُ ٱلكَرَى إِذَا غَلَبَهُ ٱلنُّعَاسُ

وَتَقُولُ : نَادَ ٱلرَّجُلُ إِذَا تَمَايَلَ مِنَ ٱلنُّعَاسِ . وَقَدْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ إِذَا حَرَّكَهُ وَهُوَ نَاعِسٌ . وَهَوَّمَ وَتَهَوَّمَ مِثْلُهُ

وَتَقُولُ : أَخَذَتْنِي عَيْنِي وَمَلَكَتْنِي وَغَلَبَتْنِي وَسَرَقَتْنِي إِذَا غَلَبَكَ ٱلنَّوْمُ فَأَغْفَيْتُ . وَيُقَالُ : تَهَالَكَ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلفِرَاشِ إِذَا تَسَاقَطَ عَلَيْهِ مِنْ غَلَبَةِ ٱلنُّعَاسِ . وَقَدْ أَخَذَ مَضْجَعَهُ . وَأَخَذَ مَرْقَدَهُ . وَأَوَى إِلَى فِرَاشِهِ . وَأَلْقَى رَأْسَهُ عَلَى وِسَادِهِ . وَبَاتَ مُتَوَسِّدًا ذِرَاعَهُ

وَتَقُولُ : هَوَّمَ ٱلرَّجُلُ وَتَهَوَّمَ إِذَا نَامَ نَوْمًا خَفِيفًا . وَمَا نِمْتُ غَيْرَ تَهْوِيمٍ

وَمَا ذُقْتُ ٱلنَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا . وَمَا نِمْتُ إِلَّا إِغْفَاءَةً . وَقَدْ نَامَ مِلْءَ عَيْنَيْهِ وَمِلْءَ جُفُونِهِ . وَأَثْقَلَهُ ٱلنَّوْمُ وَوَجَدْتُهُ فِي ثَقْلَةِ ٱلنَّوْمِ . وَإِنَّهُ لَيَغِطُّ فِي مَنَامِهِ وَيَخِطُّ أَيْ يَنْخَرُ

وَيُقَالُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ: سَهِرَ ٱلرَّجُلُ وَسَهِدَ وَهَجَدَ وَتَهَجَّدَ . وَقَدْ أَحْيَا لَيْلَهُ سَهَرًا إِذَا لَمْ يَنَمْ فِيهِ

وَتَقُولُ: ٱكْتَلَأَتْ عَيْنِي إِذَا لَمْ تَنَمْ مُرَاقَبَةً لِأَمْرٍ تَحْذَرُهُ . وَرَجُلٌ كَلُوءُ ٱلْعَيْنِ وَحَافِظُهَا وَشَدِيدُهَا إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَى ٱلسَّهَرِ لَا يَغْلِبُهُ ٱلنَّوْمُ وَإِنَّهُ لَكَلُوءُ ٱللَّيْلِ إِذَا كَانَ لَا يَنَامُ فِيهِ

وَيُقَالُ: أَرِقَ ٱلرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ نَوْمُهُ وَقَدْ آرَقَهُ ٱلْهَمُّ وَأَرَّقَهُ وَأَسْهَدَهُ وَبَاتَ يُسَامِرُ ٱلنَّجْمَ وَيَكْلَأُهُ وَيَرْصُدُهُ وَيَرْقُبُهُ . وَقَدْ هَجَرَ ٱلنَّوْمَ وَجَفَا ٱلرُّقَادَ وَٱكْتَحَلَ ٱلسُّهَادَ . وَبَاتَ لَا يَطْعَمُ ٱلنَّوْمَ وَلَا يَذُوقُ ٱلْكَرَى وَلَا يَطْمَئِنُّ جَنْبُهُ إِلَى مَضْجَعٍ . وَقَدْ نَبَا بِهِ فِرَاشُهُ وَقَلِقَ وِسَادُهُ وَأَقَضَّ عَلَيْهِ مَضْجَعُهُ وَنَبَا جَنْبُهُ عَنِ ٱلْفِرَاشِ وَتَجَافَى جَنْبُهُ عَنِ ٱلْمَضْجَعِ . وَبَاتَ لَيْلَهُ يَتَمَلْمَلُ قَلَقًا وَيَتَقَلَّبُ أَرَقًا

﴿ فِي ٱلْجُوعِ وَٱلشِّبَعِ ﴾

يُقَالُ: طَوِيَ ٱلرَّجُلُ وَخَمِصَ إِذَا خَلَا جَوْفُهُ وَضَمَرَ بَطْنُهُ مِنَ ٱلْجُوعِ وَهُوَ طَاوِي ٱلْبَطْنِ وَخَمِيصُهُ . وَقَدْ طَوَى نَهَارَهُ جَائِعًا . وَأَمْسَكَ عَنِ ٱلطَّعَامِ وَخَلَا عَنْهُ . وَيُقَالُ: ضَرِمَ ٱلرَّجُلُ إِذَا ٱشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَدْ تَلَهَّبَ جُوعًا وَأَصَابَهُ سُعَارُ ٱلْجُوعِ وَجَدَّ بِهِ ٱلْجُوعُ وَبَلَغَ مِنْهُ . وَقَدْ أَصَابَهُ جُوعٌ يُصَدِّعُ ٱلرَّأْسَ وَبَاتَ يَتَضَوَّرُ مِنَ ٱلْجُوعِ وَيَتَلَوَّى . وَرَأَيْتُ بَنِي فُلَانٍ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ ٱلْجُوعِ أَيْ يَصِيحُونَ وَيَتَبَاكَوْنَ

وَتَقُولُ فِي خِلَافِهِ : أَكَلَ حَتَّى ٱمْتَلَأَ وَٱنْتَفَخَ . وَقَدْ نَفَخَهُ ٱلطَّعَامُ وَأَثْقَلَهُ وَقَدْ كَظَّهُ ٱلطَّعَامُ إِذَا مَلَأَهُ حَتَّى لَا يُطِيقُ ٱلنَّفَسَ . وَٱكْتَظَّ هُوَ . وَبِهِ كِظَّةٌ

وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ أَكُولٌ بَطِينٌ وَمِبْطَانٌ . وَهُوَ رَغِيبُ ٱلْجَوْفِ وَرَحِيبُهُ . وَهُوَ رَجُلٌ تِلْقَامٌ وَلَهِمٌ وَزَرِدٌ وَمِبْلَعٌ إِذَا كَانَ كَثِيرَ ٱلْأَكْلِ شَدِيدَ ٱلِٱبْتِلَاعِ . وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ جُرَافٌ وَهُوَ كَثِيرُ ٱلْأَكْلِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ

﴿ فِي ٱلْعَطَشِ وَٱلرِّيِّ ﴾

يُقَالُ : ظَمِئَ ٱلرَّجُلُ وَصَدِيَ وَحَرَّ وَٱلْتَاحَ . وَإِنَّهُ لَحَرَّانُ ٱلصَّدْرِ وَحَرَّانُ ٱلْجَوَانِحِ . وَإِنَّهُ لَذُو أَضْلَاعٍ حِرَارٍ وَذُو كَبِدٍ حَرَّى

وَيُقَالُ : قَدْ جَهَدَهُ ٱلْعَطَشُ وَجَدَّ بِهِ وَبَلَغَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ عَطَشٌ فَاحِشٌ وَفَادِحٌ وَمُبَرِّحٌ وَأَخَذَهُ سُعَارُ ٱلْعَطَشِ وَأَخَذَهُ أُوَامٌ شَدِيدٌ وَأُوَارٌ شَدِيدٌ . وَقَدْ تَأَجَّجَ صَدْرُهُ عَطَشاً . وَٱلْتَهَبَتْ أَحْشَاؤُهُ مِنَ ٱلْعَطَشِ . وَأَذْكَى ٱلْعَطَشُ صَدْرَهُ وَأَلْهَبَ ضُلُوعَهُ . وَهٰذَا عَطَشٌ يُصْلِي ٱلضُّلُوعَ . وَقَدْ لَاحَهُ ٱلْعَطَشُ وَلَوَّحَهُ أَيْ غَيَّرَهُ وَأَضْمَرَهُ

وَيُقَالُ : رَجُلٌ مِعْطَاشٌ وَمِظْمَاءٌ وَمِصْدَاءٌ وَمِهْيَافٌ . وَتَقُولُ : رَوِيتُ مِنَ ٱلْمَاءِ وَٱرْتَوَيْتُ وَتَرَوَّيْتُ وَنَقَعْتُ . وَقَدْ شَفَيْتُ أُوَامِي وَبَرَّدْتُ فُؤَادِي . وَهٰذِهِ شَرْبَةٌ رَاعَتْ فُؤَادِي وَمَا ذُقْتُ شَرْبَةً أَنْقَعَ مِنْهَا وَلَا أَبْرَدَ عَلَى كَبِدٍ

وَهٰذَا مَاءٌ سَائِغٌ . سَلِسٌ . عَذْبٌ . رُضَابٌ . سَلْسَالٌ . قَرَاحٌ . زُلَالٌ . فُرَاتٌ . وَمَاءٌ نَاقِعٌ . نَاجِعٌ . نَمِيرٌ أَيْ مَرِيءٌ

﴿ فِي ٱلاِعْتِلَالِ وَٱلصِّحَّةِ ﴾

يُقَالُ : نَصَبَهُ ٱلمَرَضُ وَأَنْصَبَهُ إِذَا أَوْجَعَهُ . وَعَمَدَهُ ٱلدَّاءُ إِذَا ٱشْتَدَّ عَلَيْهِ وَفَدَحَهُ . وَقَدْ أَثْخَنَهُ ٱلمَرَضُ وَأَوْهَنَهُ

وَيُقَالُ : أَثْبَتَهُ ٱلمَرَضُ إِذَا مَنَعَهُ ٱلحَرَاكَ وَتَرَكَتْهُ مُثْبَتًا . وَبِهِ دَاءٌ ثُبَاتٌ وَإِنَّهُ مِسْقَامٌ وَمِمْرَاضٌ أَيْ كَثِيرُ ٱلسُّقْمِ

وَقَدْ تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَسْقَامُ وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْصَابُ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْجَاعُ . وَقَدْ تَخَوَّنَهُ ٱلسُّقْمُ إِذَا تَعَهَّدَهُ أَيِ ٱنْتَابَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَأَثْبَطَهُ ٱلمَرَضُ إِذَا لَمْ يَكَدْ يُفَارِقُهُ . وَبِهِ مَرَضٌ عِدَادٌ وَهُوَ ٱلَّذِي يَدَعُهُ زَمَانًا ثُمَّ يُعَاوِدُهُ . وَقَدْ عَادَّهُ ٱلدَّاءُ

وَيُقَالُ : قَدْ دَكَّهُ ٱلمَرَضُ أَيْ أَضْعَفَهُ وَهَدَّهُ . وَنَهِكَتْهُ ٱلعِلَّةُ وَٱنْتَهَكَتْهُ أَيْ أَضْنَتْهُ وَجَهَدَتْهُ . وَقَدْ بَانَتْ عَلَيْهِ نَهْكَةُ ٱلمَرَضِ وَرَأَيْتُهُ مَنْهُوكَ ٱلجِسْمِ ذَاوِيًا . خَاسِفًا . نَاحِلًا . مَهْزُولًا . مَجْهُودًا . وَرَأَيْتُهُ وَقَدْ ذَوَتْ نَضْرَتُهُ

وَتَقُولُ : أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ فَادِحَةٌ . وَإِنَّ بِهِ لَدَاءً دَوِيًّا أَيْ شَدِيدًا . وَبِهِ دَاءٌ مُزْمِنٌ . وَهٰذَا دَاءٌ عُضَالٌ . وَعُقَامٌ . وَعَيَاءٌ . وَقَدْ أَعْضَلَ ٱلدَّاءُ ٱلْأَطِبَّاءَ وَتَعَضَّلَهُمْ وَأَعْيَاهُمْ إِذَا غَلَبَهُمْ وَأَعْجَزَهُمْ . وَهٰذِهِ عِلَّةٌ لَا يَنْجَعُ فِيهَا ٱلدَّوَاءُ وَقَدْ أَشْفَى ٱلعَلِيلُ إِذَا تَعَذَّرَ شِفَاؤُهُ

وَتَقُولُ : ثَقِلَ ٱلمَرِيضُ . وَقَدْ أَثْقَلَهُ ٱلمَرَضُ وَتَبَلَّغَتْ بِهِ ٱلعِلَّةُ . وَٱسْتَعَزَّ بِهِ ٱلدَّاءُ وَٱسْتَعَزَّ عَلَيْهِ

وَيُقَالُ : ضَنِيَ ٱلرَّجُلُ إِذَا ثَقِلَ وَطَالَ مَرَضُهُ . وَقَدْ أَضْنَتْهُ ٱلعِلَّةُ . وَبِهِ ضَنًى وَهُوَ ٱلمَرَضُ ٱلمُخَامِرُ كُلَّمَا ظُنَّ أَنَّهُ قَدْ بَرَأَ نُكِسَ . وَٱلدَّنَفُ قَرِيبٌ مِنْهُ . وَقَدْ دَنِفَ ٱلرَّجُلُ . وَأَدْنَفَهُ ٱلمَرَضُ وَهُوَ دَنِفٌ

وَتَقُولُ : هٰذَا مَرَضٌ مُعْدٍ . وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْعَدْوَى . وَقَدْ أَعْدَانِي ٱلدَّاء .
وَأَعْدَانِي فُلَانٌ بِعِلَّتِهِ وَمِنْ عِلَّتِهِ

وَقَدْ وَبُؤَتِ ٱلْأَرْضُ وَوُبِئَتْ وَهِيَ أَرْضٌ وَبِيئَةٌ وَمَوْبُوءَةٌ . فَإِنْ كَانَتْ لَا تُوَافِقُ ٱلْأَبْدَانَ لِفَسَادٍ فِي هَوَائِهَا فَهِيَ وَبِيلَةٌ . وَإِنَّهَا لَذَاتُ وَبَالَةٍ وَوَبَالٍ وَقَدِ ٱسْتَوْبَلْتُهَا إِذَا وَجَدْتَهَا كَذٰلِكَ . وَإِنَّهَا لَأَرْضٌ دَوِيَّةٌ أَيْ ذَاتُ أَدْوَاء . وَأَرْضٌ مَسْقَمَةٌ . وَهٰذَا مَشْرَبٌ وَبِيلٌ وَدَوِيٌّ

وَيُقَالُ : جَاءَ فُلَانٌ يَسْتَطِبُّ لِوَجَعِهِ وَيَسْتَشْفِي مِنْ دَائِهِ وَيَسْتَوْصِفُ لِعِلَّتِهِ وَقَدِ ٱسْتَوْصَفَ ٱلطَّبِيبَ فَوَصَفَ لَهُ كَذَا وَنَعَتَ لَهُ كَذَا

وَهٰذَا دَوَاءٌ نَاجِعٌ وَعِلَاجٌ شَافٍ . وَهٰذَا طِبَابُ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ أَيْ مَا تُطَبُّ بِهِ
وَقَدْ عَالَجَ ٱلطَّبِيبُ ٱلْمَرِيضَ . وَدَاوَاهُ . وَطَبَّهُ . وَحَسَمَ عَنْهُ ٱلدَّاء
وَإِنَّهُ لَطَبِيبٌ حَاذِقٌ . وَنَطِسٌ . وَهُوَ مِنْ نُطُسِ ٱلْأَطِبَّاء

وَتَقُولُ : مَرَّضْتُ ٱلْعَلِيلَ وَوَصَّبْتُهُ إِذَا قُمْتَ عَلَيْهِ وَوَلِيتَهُ فِي مَرَضِهِ
وَتَقُولُ لِلْمَرِيضِ : كَيْفَ تَجِدُكَ ٱلْيَوْمَ . فَيَقُولُ : أَجِدُنِي أَمْثَلَ وَأَنَا ٱلْيَوْمَ أَصْلَحُ . وَقَدِ ٱرْفَضَّ عَنِّي ٱلْوَجَعُ أَيْ زَالَ . وَقَصَرَ عَنِّي ٱلْأَلَمُ أَيْ سَكَنَ . وَإِنِّي لَأَجِدُ خِفَّةً فِي جِسْمِي وَرَوْحاً فِي نَفْسِي أَيْ رَاحَةً وَنَشَاطاً

وَتَقُولُ فِي ٱلدُّعَاء : أَذِنَ ٱللهُ فِي شِفَائِكَ وَمَسَحَ مَا بِكَ أَيْ أَزَالَهُ وَعَافَاكَ مِنْهُ . وَمَسَحَ ٱللهُ عَلَيْكَ بِيَدِ ٱلْعَافِيَةِ . وَأَجْلَى ٱللهُ وَجَلَا عَنْكَ ٱلْمَرَضَ أَيْ كَشَفَهُ . وَمُعَافًى أَنْتَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ . وَفِي عَافِيَةٍ أَنْتَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

وَتَقُولُ : تَمَاثَلَ ٱلْعَلِيلُ وَٱنْدَمَلَ إِذَا قَارَبَ ٱلْبُرْء . وَقَدْ نَقِهَ مِنْ مَرَضِهِ وَهُوَ نَقِهٌ وَنَاقِهٌ إِذَا شُفِيَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ كَمَالُ صِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ . وَهُوَ فِي عَقِبِ ٱلْمَرَضِ إِذَا بَرَأَ وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَرَضِ . وَقَدْ رَاجَعَتْهُ أَعْقَابُ ٱلْعِلَّةِ

وَيُقَالُ: قَدْ صَحَّ جِسْمُهُ . وَصَلَحَ بَدَنُهُ . وَاكْتَنَزَ لَحْمُهُ . وَرَأَيْتُهُ مُتَقَمِّصاً لِبَاسَ ٱلْعَافِيَةِ . مُتَقَلِّباً فِي دِرْعِ ٱلْعَافِيَةِ

وَتَقُولُ : نُكِسَ ٱلرَّجُلُ فِي مَرَضِهِ إِذَا عَاوَدَهُ ٱلْمَرَضُ بَعْدَ ٱلنَّقَهِ . وَنَعُوذُ بِٱللهِ مِنَ ٱلنُّكْسِ وَٱلنُّكَاسِ . وَقَدْ أَكَلَ كَذَا فَنَكَسَهُ وَهَاضَهُ هَيْضاً

﴿ فِي ٱلْعَوَارِضِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ﴾

يُقَالُ : أَنَّ ٱلْمَرِيضُ أَنِيناً وَسَمِعْتُ أَنَّتَهُ . وَقَدْ تَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ وَتَنَفَّسَ صُعُدًا وَهُوَ تَنَفُّسٌ طَوِيلٌ بِمَشَقَّةٍ

وَيُقَالُ: اغْتَرَقَ ٱلرَّجُلُ نَفَسَهُ إِذَا ٱسْتَوْعَبَهُ فِي ٱلزَّفِيرِ وَهُوَ إِخْرَاجُ ٱلنَّفَسِ . وَأَخَذَهُ ٱلْفُوَاقُ وَهُوَ تَرْدِيدُ ٱلشَّهْقَةِ ٱلعَالِيَةِ

وَيُقَالُ: نَشَجَ ٱلبَاكِي إِذَا غَصَّ بِٱلْبُكَاءِ فِي حَلْقِهِ فَرَدَّدَ صَوْتَهُ فِي صَدْرِهِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ

وَتَقُولُ : اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنَ ٱلْبَرْدِ . وَقَفَّ شَعْرُهُ إِذَا ٱنْتَصَبَ مِنَ ٱلْفَزَعِ . وَرَأَيْتُهُ وَقَدْ أُرْعِدَتْ فَرَائِصُهُ وَأُرْعِشَتْ مَفَاصِلُهُ وَأَخَذَتْهُ ٱلرِّعْدَةُ وَٱلرِّعْشَةُ . وَتَقَعْقَعَتْ أَسْنَانُهُ وَتَقَرْقَفَتْ إِذَا ٱصْطَكَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَقَدْ تَقَعْقَعَتْ أَضْرَاسُهُ إِذَا ٱصْطَدَمَتْ فَسُمِعَ لَهَا صَوْتٌ

﴿ فِي ٱلْحُمَّيَاتِ ﴾

يُقَالُ : أَكَلَ كَذَا فَنَالَتْهُ عَنْهُ حُمَّى . وَهٰذَا طَعَامٌ مَحَمَّةٌ أَيْ يُحَمُّ عَلَيْهِ ٱلآكِلُ . وَطَعَامٌ مَوْرِدَةٌ كَذٰلِكَ . وَنَزَلُوا بِمَحَمَّةٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَهِيَ ذَاتُ ٱلْحُمَّى

وَيُقَالُ : تَعَنَّتْهُ ٱلْحُمَّى وَتَخَوَّنَتْهُ وَتَعَهَّدَتْهُ إِذَا تَرَدَّدَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ

أُخرَى . وَعَادَتْهُ إِذَا جَاءَتْهُ لِوَقْتٍ مَعلُومٍ . وَهُوَ يَرْقُبُ عِدَادَ ٱلْحُمَّى أَيْ وَقْتَهَا ٱلْمَعْرُوفَ ٱلَّذِي لَا تَكَادُ تُخْطِئُهُ . وَقَدْ وَرَدَتْهُ ٱلْحُمَّى إِذَا أَخَذَتْهُ فِي يَوْمِهَا . وَهٰذَا يَوْمُ وِرْدِهَا . وَهِيَ حُمَّى نَائِبَةٌ وَمُوَاظِبَةٌ إِذَا كَانَتْ تَنُوبُ كُلَّ يَوْمٍ . وَأَخَذَتْهُ حُمَّى ٱلْغِبِّ وَأَخَذَتْهُ ٱلْحُمَّى غِبًّا وَهِيَ ٱلَّتِي تَأْخُذُ يَوْماً وَتَدَعُ يَوْماً وَقَدْ أَغَبَّتْهُ ٱلْحُمَّى وَأَغَبَّتْ عَلَيْهِ . وَأَخَذَتْهُ حُمَّى ٱلرِّبْعِ وَقَدْ رَبَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْحُمَّى وَأَرْبَعَتْ عَلَيْهِ وَأَرْبَعَتْهُ

وَيُقَالُ: أَخَذَهُ رَسِيسُ ٱلْحُمَّى وَهُوَ بَدْؤُهَا وَأَوَّلُ مَسِّهَا . وَنَفَضَتْهُ ٱلْحُمَّى إِذَا أَخَذَتْهُ بِرِعْدَةٍ وَبَرْدٍ . وَقَدْ وَعَكَتْهُ ٱلْحُمَّى وَنَهَكَتْهُ وَدَكَّتْهُ أَيْ أَضْعَفَتْهُ وَأَخَذَتْهُ ٱلرُّحَضَاءُ وَهِيَ عَرَقُ ٱلْحُمَّى

وَتَقُولُ: خَمَدَتِ ٱلْحُمَّى وَفَتَرَتْ وَٱنْكَسَرَتْ إِذَا سَكَنَ فَوَرَانُهَا . وَقَدِ ٱنْكَسَرَتْ حِدَّتُهَا وَهَمَدَتْ فَوْرَتُهَا وَخَمَدَ وَطِيسُهَا

﴿ فِي ٱلْجِرَاحَاتِ ﴾

يُقَالُ: بِهِ قَرْحَةٌ دَامِيَةٌ . وَقَدْ كَثُرَتْ بِهِ ٱلْكُلُومُ وَٱلْكِلَامُ . وَقَدْ مَضَّهُ ٱلْجُرْحُ وَأَمَضَّهُ أَيْ أَوْجَعَهُ . وَقَدْ أَثْخَنَتْهُ ٱلْجِرَاحَةُ أَيْ أَوْهَنَتْهُ وَأَثْقَلَتْهُ . وَأَصَابَهُ جُرْحٌ أَشْفَى بِهِ عَلَى ٱلْخَطَرِ وَهَجَمَ بِهِ عَلَى ٱلْمَوْتِ . وَرَأَيْتُهُ وَقَدِ ٱنْفَجَرَ مِنْهُ ٱلدَّمُ وَٱنْبَجَسَ . وَجَاءَ وَجُرْحُهُ يَتَرَشَّشُ دَماً . وَقَدْ تَخَضَّبَ بِدَمِهِ وَتَضَرَّجَ وَتَخَلَّقَ . وَرَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ دَمٌ نَاقِعٌ وَدَمٌ أَيْ طَرِيٌّ . وَدَمٌ جَسَدٌ وَجَسِيدٌ وَجَاسِدٌ أَيْ جَامِدٌ قَدِيمٌ

وَتَقُولُ: رَقَأَ ٱلدَّمُ وَٱلْجُرْحُ إِذَا ٱنْقَطَعَ سَيَلَانُهُ وَجَفَّ

وَيُقَالُ: نَفَرَ ٱلْجُرْحُ وَشَخَصَ وَٱنْتَبَرَ إِذَا وَرِمَ . وَبَغَى وَنَغِلَ إِذَا فَسَدَ . وَقَدْ تَرَامَى ٱلْجُرْحُ إِلَى ٱلْفَسَادِ أَيْ أَفْضَى إِلَيْهِ . وَصَارَ فِيهِ قَيْحٌ وَمِدَّةٌ . وَسَالَ

مِنْهُ ٱلصَّدِيدُ وَهُوَ مَاءُ ٱلْجُرْحِ ٱلرَّقِيقُ ٱلْمُخْتَلِطُ بِٱلدَّمِ . وَقَدْ أَصَدَّ ٱلْجُرْحُ

وَتَقُولُ : أَسَا ٱلطَّبِيبُ ٱلْجُرْحَ إِذَا عَالَجَهُ . وَسَبَرَهُ وَٱسْتَبَرَهُ وَسَبَرَ غَوْرَهُ إِذَا قَاسَهُ لِيَعْرِفَ غَوْرَهُ . وَهُوَ ٱلْمِسْبَارُ وَٱلْمِسْبَرُ لِمَا تُقَاسُ بِهِ ٱلْجِرَاحَاتُ . وقَدْ جَسَّ ٱلْجُرْحَ بِمَجَسِّهِ

وَيُقَالُ : بَجَسَ ٱلْجُرْحَ وَبَجَّهُ وَبَضَعَهُ وَشَرَطَهُ إِذَا شَقَّهُ . وَهِيَ ٱلْمِبْضَعُ وَٱلْمِشْرَطُ وَٱلْمِشْرَاطُ لِلشَّفْرَةِ ٱلَّتِي يُشَقُّ بِهَا

وَيُقَالُ : نَقَشَ ٱلْعَظْمَ وَٱنْتَقَشَهُ إِذَا ٱسْتَخْرَجَ كِسَرَهُ وَمَا تَشَظَّى مِنْهُ أَيْ تَشَقَّقَ . وَقَدْ تَنَاوَلَهُ بِمِنْقَاشِهِ وَهُوَ مَا تُمْسَكُ بِهِ ٱلشَّظِيَّةُ وَٱلشَّوْكَةُ وَنَحْوُهَا لِتُسْتَخْرَجَ

وَيُقَالُ : ضَمَدَ ٱلْجُرْحَ وَضَمَّدَهُ إِذَا شَدَّهُ بِٱلضِّمَادِ وَٱلضِّمَادَةِ وَهِيَ ٱلْعِصَابَةُ . وَقَدْ عَصَبَهُ بِٱلْعِصَابَةِ . وَهِيَ مَا يُشَدُّ بِهِ ٱلْجُرْحُ

وَيُقَالُ : ضَمَدَهُ أَيْضاً إِذَا جَعَلَ عَلَيْهِ ٱلدَّوَاءَ وَإِنْ لَمْ يَشُدَّهُ وَذٰلِكَ ٱلدَّوَاءُ ٱلضِّمَادُ . وَهِيَ ٱلْأَضْمِدَةُ وَٱلْأَطْلِيَةُ وَٱلْمَرَاهِمُ لِمَا يُطْلَى بِهِ ٱلْجُرْحُ مِنَ ٱلْأَدْهَانِ وَنَحْوِهَا

وَيُقَالُ: غَبِرَ ٱلْجُرْحُ إِذَا ٱنْدَمَلَ عَلَى فَسَادٍ فَلَمْ يُؤْمَنِ ٱنْتِقَاضُهُ. وَجُرْحٌ وَعِرْقٌ غَبِرٌ. وَقَدْ تَنَسَّرَ ٱلْجُرْحُ إِذَا تَنَقَّضَ وَٱنْتَشَرَتْ مِدَّتُهُ . وَبَرَأَ ٱلْجُرْحُ عَلَى بَغْيٍ وعَلَى نَغَل

﴿ في الاحتضار ﴾

يُقالُ : احتُضِرَ فُلانٌ . وَحضرَتهُ الوَفاةُ . وَدَخلَ في النَّزعِ . وَقَدْ شارَفَهُ حِمامُهُ وَأَظلَّهُ . وَأَشفَى عَلى المَوتِ وَأَشرَفَ على التَّلَفِ . وَبَلَغَتْ رُوحُهُ التَّراقِيَ . وَلَمْ يَبقَ مِنهُ إلَّا حُشاشَةٌ وَرَمَقٌ . وَذَماءٌ أي بُقيَّةُ الرُّوحِ

وَتقولُ تَرَكتُهُ في مُعالَجَةِ الرُّوحِ وَمُعالَجَةِ النَّزعِ . وَنِزاعِ الرُّوحِ . وَقَلعِ الحَياةِ . وَسِياقِ المَوتِ . وَباتَ يُحَشرِجُ وَيُغَرغِرُ إذا تَرَدَّدَ نَفَسُهُ في حَلقِهِ عِندَ خُروجِ الرُّوحِ . وَقَدْ حَشرَجَتْ أَنفاسُهُ وَحَشرَجَ صَدرُهُ . وَنَزَلَتْ بِهِ غَشيَةُ المَوتِ . وَغَشِيَتهُ سَكرَةُ المَوتِ وَغَمرَتُهُ أي شِدَّتُهُ . وَهُوَ في سَكَراتِ المَوتِ وَغَمَراتِهِ . وَتَرَكتُهُ يُكابِدُ غُصَصَ المَوتِ

﴿ في المَوتِ ﴾

يُقالُ : قَضَى نَحبَهُ . وَقَضَى أَجَلَهُ . وَقُضِيَ عَلَيهِ . وَأَدرَكَتهُ الوَفاةُ . وَأَودَتْ بِهِ المَنِيَّةُ . وَعَلِقَتهُ أَسبابُ المَنِيَّةِ وَنَزَلَتْ بِهِ صَرعَةُ المَوتِ . وَقَدْ زَهَقَتْ نَفسُهُ وَفاضَتْ . وَلَفَظَ نَفسَهُ وَذاقَ حَتفَهُ . وَذاقَ مَصرَعَهُ . وَوَرَدَ حِياضَ المَنِيَّةِ . وَأَدرَكَهُ حَينُهُ . وَوافاهُ حِمامُهُ وَاختَرَمَتهُ المَنِيَّةُ . وَأَنشَبَتْ فِيهِ أَظفارَها وَقَدِ انقَضَى أَجَلُهُ . وَتَصَرَّمَ حَبلُ حَياتِهِ . وَانقَضَتْ أَيّامُهُ وَأَنفاسُهُ . وَاستَوفَى أَنفاسَهُ . وَقَدْ طُوِيَتْ صَحيفَتُهُ . وَمَضَى لِسَبيلِهِ

وَتَقولُ : قُبِضَ إلى رَحمَةِ اللهِ . وَمَضَى مُستَقبِلاً وَجهَ البَقاءِ . وَانقَطَعَ إلى دارِ البَقاءِ . وَانتَقَلَ إلى دارِ القَرارِ . وَلَقِيَ رَبَّهُ . وَانصَرَفَ إلى جِوارِ رَبِّهِ . وَقَدْ تَوَفّاهُ اللهُ إلَيهِ . وَاصطَفاهُ لِجِوارِهِ وَنَقَلَهُ إلى دارِ كَرامَتِهِ . وَاستَأثَرَ بِهِ

وَتَقُولُ : تَغَمَّدَهُ ٱللّٰهُ بِرَحْمَتِهِ • وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ سَحَائِبَ رَحْمَتِهِ . وَأَفَاضَ عَلَيْهِ سِجَالَ رَحْمَتِهِ . وَسَقَى ضَرِيحَهُ . وَجَادَ بِٱلرَّحْمَةِ ثَرَاهُ وَبَلَّ بِصَيِّبِ ٱلرَّحْمَةِ تُرَابَهُ . وَأَمْطَرَ عَلَى ضَرِيحِهِ سَحَائِبَ ٱلرِّضْوَانِ . وَأَسْكَنَهُ جِوَارَهُ • وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ • وَكَتَبَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّعَادَةِ وَأَحْصَاهُ بَيْنَ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ

وَتَقُولُ : أَلْفَيْتُهُ جَسَدًا هَامِدًا أَيْ لَا حَيَاةَ بِهِ . وَوَجَدْتُهُ هَامِدًا خَافِتًا أَيْ لَا حَرَكَةَ بِهِ وَلَا صَوْتَ

وَتَقُولُ : قَدْ أُدْرِجَ فِي قَبْرِهِ • وَأُنْزِلَ حُفْرَتَهُ . وَأُرْهِنَ رَمْسَهُ . وَأُودِعَ لَحْدَهُ . وَوُسِّدَ ٱلضَّرِيحَ وَٱلتُّرَابَ . وَهِيلَ عَلَيْهِ ٱلتُّرَابُ • وَقَدْ غَيَّبَتْهُ حُفْرَتُهُ . وَضَمَّتْهُ ٱلْأَرْضُ وَأَضْمَرَتْهُ . وَطَوَتْهُ ٱلْغَبْرَاءُ . وَنُضِدَتْ عَلَيْهِ ٱلصَّفَائِحُ وَهِيَ ٱلْحِجَارَةُ ٱلْعَرِيضَةُ ٱلرَّقِيقَةُ

وَتَقُولُ : مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ . وَقَاسَى ٱلْمَوْتَ ٱلْأَحْمَرَ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ قَتْلًا . وَٱلْمَوْتَ ٱلْأَغْبَرَ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ جُوعًا . وَٱلْمَوْتَ ٱلْأَسْوَدَ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ خَنْقًا أَوْ غَرَقًا • وَنَعُوذُ بِٱللّٰهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلْأَبْيَضِ وَهُوَ مَوْتُ ٱلْفَجْأَةِ

وَتَقُولُ: تَعَادَى ٱلْقَوْمُ إِذَا مَاتَ بَعْضُهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ أَوْ عَامٍ وَاحِدٍ

وَتَقُولُ : عَاجَلَهُ دَاعِي ٱلْمَنُونِ وَعَاجَلَهُ سَهْمُ ٱلْقَضَاءِ

وَيُقَالُ : فَرَطَ لِفُلَانٍ وَلَدٌ إِذَا مَاتَ صَغِيرًا لَمْ يَبْلُغِ ٱلْحُلُمَ • وَقَدِ ٱفْتَرَطَ ٱلرَّجُلُ وَلَدَهُ • وَٱفْتُرِطَ ٱلْوَلَدُ . فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهُ كَبِيرًا قِيلَ ٱحْتَسَبَهُ أَيِ ٱعْتَدَّ بِٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ فِيهِ أَجْرًا عِنْدَ ٱللّٰهِ

﴿ فِي ٱلسُّرُورِ وَٱلْحَزَنِ ﴾

تَقُولُ: وَرَدَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ فُلَانٍ مَا شَرَحَ صَدْرِي وَأَثْلَجَ نَفْسِي وَطَيَّبَ قَلْبِي وَأَقَرَّ نَاظِرِي

وَهٰذَا خَبَرٌ قَدْ ثَلِجَتْ لَهُ نَفْسِي وَٱنْفَسَحَ لَهُ صَدْرِي . وَوَجَدْتُ بِهِ بَرْدَ كَبِدِي وَقُرَّةَ عَيْنِي . وَقَدِ ٱرْتَحْتُ لَهُ . وَوَجَدْتُ بِهِ رَوْحاً

وَتَقُولُ: بَشَّرْتُهُ بِكَذَا فَهَزَّ لَهُ عِطْفَيْهِ وَمَنْكِبَيْهِ . وَقَدْ لَاحَتْ عَلَيْهِ أَرْيَحِيَّةُ ٱلسُّرُورِ . وَأَخَذَتْ مِنْهُ هِزَّةُ ٱلطَّرَبِ . وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ نَشْوَةُ ٱلطَّرَبِ . وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ مِنَ ٱلطَّرَبِ . وَقَدِ ٱسْتَخَفَّهُ ٱلْفَرَحُ وَٱسْتَطَارَهُ . وَٱسْتَفَزَّتْهُ ٱلْأَرْيَحِيَّةُ . وَهَزَّهُ ٱلسُّرُورُ وَمَادَ بِعِطْفَيْهِ . وَأَقْبَلَ يَمِيدُ مِنَ ٱلطَّرَبِ وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ ٱلْغِبْطَةِ وَيَجُرُّ ذَيْلَهُ فَرَحاً . وَقَدْ خَفَقَ فُؤَادُهُ فَرَحاً . وَرَأَيْتُهُ يَرْقُصُ طَرَبًا وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ مِنَ ٱلطَّرَبِ . وَكَادَ يَطِيرُ فَرَحاً .

وَرَأَيْتُهُ مُتَهَلِّلَ ٱلْوَجْهِ . طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا . مُشْرِقَ ٱلْجَبِينِ . وَقَدْ هَشَّ لِلْأَمْرِ وَبَشَّ . وَبَرَقَ ثَغْرُهُ وَبَرَقَتْ ثَنَايَاهُ وَأَسَارِيرُهُ . وَأَشْرَقَ فِي مُحَيَّاهُ صَبَاحُ ٱلْبِشْرِ . وَتَدَفَّقَ ٱلسُّرُورُ مِنْ وَجْهِهِ . وَٱنْطَلَقَ وَجْهُهُ بِشْرًا .

وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذٰلِكَ: قَدْ سَاءَنِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَعَزَّ عَلَيَّ وَشَقَّ وَعَظُمَ وَٱشْتَدَّ

وَوَرَدَ عَلَيْهِ خَبَرُ كَذَا فَحَزِنَ لَهُ وَوَجَدَ وَكَمِدَ وَٱكْتَأَبَ وَٱبْتَأَسَ وَجَزِعَ وَلَهِفَ وَٱلْتَاعَ

وَأَوْرَثَهُ ٱلْأَمْرُ غَمًّا وَأَسًى وَشَجْوًا وَشَجَنًا وَتَرَحاً وَتَرْحَةً وَوَجْدًا وَكَمَدًا وَكَأْبَةً وَكَآبَةً وَجَزَعاً . وَأَشْعَرَهُ جَوًى وَحُرْقَةً وَلَوْعَةً وَلَذْعَةً وَغُصَّةً وَفَجْعَةً وَحَزَازَةً

وَرَأَيْتُهُ يَتَفَجَّعُ وَيَتَلَهَّفُ وَيَتَوَجَّدُ وَيَتَأَوَّهُ . وَتَسَاقَطَتْ نَفْسُهُ غَمًّا وَأَسَفاً وَتَقَطَّعَتْ أَحْشَاؤُهُ حُزْناً وَلَهَفاً . وَزَفَرَ زَفْرَةً كَادَ يَنْشَقُّ لَهَا . وَتَنَفَّسَ تَنَفُّساً ظَنَنْتُ أَنَّ ضُلُوعَهُ تَنْقَصِفُ مِنْهُ .

وَقَدْ قَرَعَتْ سَاحَتَهُ ٱلْأَحْزَانُ . وَأَخَذَهُ حُزْنٌ تَنْقَضُّ مِنْهُ ٱلْجَوَانِحُ وَوَجْدٌ تَنْفَطِرُ مِنْهُ ٱلْمَرَائِرُ وَهَمٌّ يُذِيبُ لَفَائِفَ ٱلْقُلُوبِ

وَرَأَيْتُهُ كَاسِفَ ٱلْوَجْهِ مُطْرِقَ ٱلطَّرْفِ خَاشِعَهُ . نَاكِسَ ٱلْبَصَرِ قَلِقَ ٱلْخَاطِرِ كَاسِفَ ٱلْبَالِ . ضَيِّقَ ٱلصَّدْرِ مُنْقَبِضَهُ . لَهِيفَ ٱلْقَلْبِ . وَقَدْ أَغَصَّهُ ٱلْحُزْنُ بِرِيقِهِ وَأَشْرَقَهُ بِدَمْعِهِ وَخَنَقَهُ بِعَبْرَتِهِ وَلَاعَ قَلْبَهُ وَأَصْلَى ضُلُوعَهُ وَضَرَّمَ أَنْفَاسَهُ وَمَزَّقَ أَحْشَاءَهُ وَفَطَرَ مَرَارَتَهُ وَفَتَّ كَبِدَهُ وَأَسْخَنَ عَيْنَهُ وَأَطَارَ نَوْمَهُ وَأَرَّقَ جَفْنَهُ وَأَطَالَ لَيْلَهُ

وَقَدْ ضَافَهُ ٱلْهَمُّ وَطَرَقَتِ ٱلْهُمُومُ مَضْجَعَهُ . وَقَدِ ٱفْتَرَشَ ٱلْهَمَّ وَتَوَسَّدَ ٱلْقَلَقَ . وَبَاتَ ٱلْهَمُّ ضَجِيعَهُ . وَبَاتَ لَيْلَهُ يُسَاوِرُ ٱلْهُمُومَ وَيُسَامِرُ ٱلنُّجُومَ . وَبَاتَ يَتَقَلَّبُ عَلَى ٱلْجَمْرِ وَيَتَقَلَّبُ عَلَى ٱلْقَتَادِ . وَبَاتَ يَتَجَرَّعُ غُصَصَ ٱلْكَرْبِ وَيُعَالِجُ بُرَحَاءَ ٱلْهُمُومِ

وَتَقُولُ : تَفَارَطَتْهُ ٱلْهُمُومُ إِذَا كَانَتْ لَا تَزَالُ تَأْتِيهِ ٱلْحِينَ بَعْدَ ٱلْحِينِ . وَتَخَالَجَتْهُ ٱلْهُمُومُ وَتَنَازَعَتْهُ . وَجَاشَ ٱلْهَمُّ فِي صَدْرِهِ . وَقَدْ تَقَسَّمَتْهُ ٱلْهُمُومُ وَتَشَعَّبَتْهُ ٱلْغُمُومُ وَتَوَزَّعَتْهُ ٱلْفِكَرُ . وَقَدْ هَامَ فِي أَوْدِيَةِ ٱلْأَحْزَانِ وَتَاهَ فِي بَيْدَاءِ ٱلْفِكَرِ . وَقَدْ وَلِهَ ٱلْحُزْنُ وَهُوَ وَالِهٌ وَوَلْهَانُ وَهِيَ وَلْهَى وَوَالِهٌ وَوَالِهَةٌ

وَتَقُولُ : نَفَّسْتُ عَنِ ٱلرَّجُلِ وَنَفَّسْتُ كُرْبَتَهُ وَفَرَّجْتُ مِنْ كَرْبِهِ وَجَلَوْتُ عَنْهُ ٱلْهَمَّ وَجَلَّيْتُهُ . وَهٰذَا أَمْرٌ قَدْ أَطْلَقَ نَفْسِي مِنْ عِقَالِ ٱلْهَمِّ وَنَضَا

عَنِّي شِعَارَ ٱلغَمِّ . وَأَطْفَأَ حَرَّ كَبِدِي . وَأَذْهَبَ بُرَحَاءَ صَدْرِي . وَقَدْ سُرِّيَ ٱلهَمُّ عَنِّي وَٱنفَرَجَ . وَقَدْ سُرِّيَ عَنْ فُلانٍ وَٱنجَلَى كَرْبُهُ . وَتَجَلَّتْ وَحْشَتُهُ . وَٱنكَشَفَتْ غُمَّتُهُ . وَٱنْسَاغَتْ غُصَّتُهُ

وَفُلانٌ خِلْوٌ مِنَ ٱلهَمِّ وَهُوَ خَلِيُّ ٱلبَالِ فَارِغُ ٱلقَلْبِ . فَارِغُ ٱلصَّدْرِ . رَخِيُّ ٱلبَالِ

وَتَقُولُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ وَخَفِّضْ عَلَيْكَ وَسَرِّ عَنْكَ وَخَفِّفْ مِنْ حُزْنِكَ

وَتَقُولُ : سَرَّى ٱللهُ عَنْكَ وَفَرَّجَ عَنْكَ وَنَفَّسَ كُرْبَتَكَ وَكَشَفَ عَنْكَ ٱلغُمَّةَ . وَإِنَّهُ لَيَقْبِضُنِي مَا قَبَضَكَ وَيَبْسُطُنِي مَا بَسَطَكَ . وَأَعْزِزْ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ بِحَالِ سُوءٍ

﴿ فِي ٱلضَّحِكِ وَٱلْبُكَاءِ ﴾

يُقَالُ : رَجُلٌ ضَحُوكُ ٱلسِّنِّ إِذَا كَانَ عَادَتَهُ ٱلضَّحِكُ .

وَرَجُلٌ ضَحَّاكٌ وَضُحَكَةٌ إِذَا كَانَ كَثِيرَ ٱلضَّحِكِ . وَهٰذَا أَمْرٌ يُضْحِكُ ٱلجَمَادَ وَيُضْحِكُ ٱلثَّكْلَى . وَكَلَّمْتُهُ وَهُوَ بَاسِمُ ٱلثَّغْرِ وَهُوَ أَغَرُّ بَسَّامٌ . وَنِسَاءٌ غُرُّ ٱلمَبَاسِمِ وَغُرُّ ٱلمَضَاحِكِ

وَيُقَالُ : أَوْمَضَتِ ٱلمَرْأَةُ إِذَا ٱبْتَسَمَتْ . وَقَدْ أَوْمَضَتْ عَنْ ثَغْرٍ فِضِّيٍّ وَثَغْرٍ لُؤْلُؤِيٍّ . وَٱفْتَرَّتْ عَنْ ثَغْرٍ نَضِيدٍ وَثَغْرٍ شَنِيبٍ . وَعَنْ ثَنَايَا كَٱلدُّرَرِ وَثَنَايَا كَٱلبَرَدِ . وَعَنْ مِثْلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلمَنْظُومِ . وَمِثْلِ حَبِّ ٱلغَمَامِ وَمِثْلِ ٱلأَقَاحِي وَمِثْلِ ٱلجُمَانِ

وَتَقُولُ : حَدَّثْتُهُ بِكَذَا فَمَا تَمَالَكَ أَنْ ضَحِكَ . وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ مِنَ ٱلضَّحِكِ وَضَحِكَ حَتَّى ٱسْتَغْرَقَ فِي ٱلضَّحِكِ وَٱسْتَغْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا بَالَغَ فِيهِ وَأَفْرَطَ . وَقَدْ أَمْعَنَ فِي ٱلضَّحِكِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ وَأَفْرَطَ فِيهِ وَلَجَّ .

وَقَدْ ذَهَبَ بِهِ ٱلضَّحِكُ كُلَّ مَذْهَبٍ . وَضَحِكَ حَتَّى دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَحَتَّى أَمْسَكَ صَدْرَهُ

وَيُقالُ : فِي خِلافِ ذٰلِكَ: بَكَى مِنَ ٱلرُّزْءِ وَٱسْتَدْمَعَ وَٱسْتَعْبَرَ وَأَسْبَلَ عَبْرَتَهُ وَأَذْرَى دُمُوعَهُ . وَقَدْ بَكَّيْتُهُ عَلَى ٱلْفَقِيدِ إِذَا هَيَّجْتَهُ لِلْبُكَاءِ . وَبَكَيْتُ وَٱسْتَبْكَيْتُهُ أَيْ دَعَوْتُهُ إِلَى ٱلْبُكَاءِ . وَأَبْكَيْتُهُ إِذَا فَعَلْتَ بِهِ مَا يَبْكِي لأَجْلِهِ

وَجَاءَ خَبَرُ كَذَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَذَرَفَتْ آمَاقُهُ وَسَحَّتْ جُفُونُهُ وَفَاضَتْ شُؤُونُهُ وَأَسْبَلَتْ عَبْرَتُهُ . وَسَالَتْ مَذَارِفُ عَيْنَيْهِ . وَدَرَّتْ حَوَالِبُ عَيْنَيْهِ . وَقَدْ وَكَفَتْ دُمُوعُهُ وَتَقَاطَرَتْ وَتَنَاثَرَتْ وَتَسَاقَطَتْ وَتَرَشَّشَتْ وَٱرْفَضَّتْ وَتَصَبَّبَتْ وَسَفَحَتْ وَسَحَّتْ وَٱنْسَجَمَتْ وَهَطَلَتْ وَهَتَنَتْ وَهَمَتْ وَهَمَلَتْ وَٱنْهَمَلَتْ وَٱنْهَمَرَتْ وَٱنْهَلَّتْ وَٱسْتَهَلَّتْ

وَرَأَيْتُهُ وَقَدِ ٱسْتَبَقَتْ عَبَرَاتُهُ وَٱنْهَلَّتْ بَوَادِرُ دَمْعِهِ وَلَمْ يَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَتِهِ . وَهٰذَا خَطْبٌ يَسْتَوْكِفُ ٱلدُّمُوعَ وَيَسْتَذْرِفُ ٱلْجُفُونَ وَيَسْتَدِرُّ ٱلشُّؤُونَ وَيَسْتَقْطِرُ ٱلْمَآقِي وَيَسْتَمْطِرُ شَآبِيبَ ٱلْعُيُونِ

وَجَاءَ فُلانٌ وَهُوَ عَبِرٌ وَعَبْرَانُ أَيْ حَزِينٌ بَاكٍ . وَهِيَ عَبِرَةٌ وَعَبْرَى وَهُوَ ذُو عَيْنٍ عَبْرَى وَذُو مُقْلَةٍ شَكْرَى وَذُو دَمْعٍ مِدْرَارٍ وَهَتُونٍ وَسَفُوحٍ . وَإِنَّهُ لَذُو عَيْنٍ دَمِعَةٍ وَدَمُوعٍ

وَقَدْ لَجَّ فِي ٱلِاسْتِعْبَارِ وَٱسْتَرْسَلَ فِي ٱلْبُكَاءِ وَٱسْتَسْلَمَ لِلْعَبْرَةِ إِذَا ٱشْتَدَّ بُكَاؤُهُ وَبَكَى حَتَّى خَنَقَتْهُ ٱلْعَبْرَةُ وَحَتَّى شَرِقَ بِمَاءِ دَمْعِهِ . وَإِنَّهُ لَيَبْكِي بِدَمْعِ ٱلْغَمَامِ وَبِدَمْعِ ٱلْمُزْنِ وَبِدَمْعِ ٱلْخَنْسَاءِ وَرَأَيْتُهُ وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ تَسَاقُطَ ٱلطَّلِّ وَتَنْهَلُّ ٱنْهِلَالَ ٱلْقَطْرِ . وَقَدِ ٱنْحَلَّ عِقْدُ دُمُوعِهِ

وتَساقَلَتْ عُقُودُ دُمُوعِهِ وتَناثَرَتْ لآلِئُ جَفْنِهِ . وقَدْ تَقَرَّحَتْ أَجفانُهُ مِنَ ٱلْبُكاء وسالَتْ عَبْرَتُهُ دَماً

ويُقالُ : نَحَبَ ٱلرَّجلُ وٱنْتَحَبَ وأَعوَلَ إذَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِٱلْبُكاء وأَجْهَشَ إذَا تَهيَّأَ لِلْبُكاء . وتَرَقْرَقَ ٱلدَّمعُ فِي عَيْنِهِ إِذَا دارَ فِي ٱلْحِمْلاقِ أَيْ بَاطِنِ ٱلجَفْنِ . وقَدِ ٱغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِٱلدُّمُوعِ إِذَا ٱمْتَلأَتَا ولَمْ تَفِيضَا

وتَقُولُ : قَدْ غَاضَ دَمْعُهُ إِذَا ٱحتَبَسَ ووقَفَ . ورَقَأَ دَمْعُهُ إِذَا ٱنْقَطَعَ ولِفُلانٍ دَمْعَةٌ لاتَرْقَأُ . وكَفْكَفَ دَمْعَهُ ونَهْنَهَهُ إِذَا مَسَحَهُ وكَفَّهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخرَى . ونَزِفَتْ عَبْرَتُهُ أَيْ فَنِيَتْ وأَنْزَفَهَا هُوَ .

ويُقَالُ : رَجُلٌ جامِدُ ٱلعَيْنِ وجَمُودُهَا إِذَا كانَ قَلِيلَ ٱلدَّمعِ . وإِنَّهُ لَذُو عَيْنٍ جَمُودٍ . وقَدْ خَانَتْهُ دُمُوعُهُ وبَخِلَتْ عَيْنُهُ بِٱلدَّمعِ وشَحَّتْ بِهِ .

﴿ فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلْجَزَعِ ﴾

يُقالُ : صَبَرَ فُلانٌ على ٱلمَكْرُوهِ . وصَبَرَ عَنِ ٱلمَحْبُوبِ أَيْ أَمْسَكَ . وإِنَّهُ لَوَاسِعُ فِنَاء ٱلصَّدرِ . مَتِينُ عُرَى ٱلجَلَدِ . وقَدْ تَلَقَّى ٱلأَمْرَ بِرُحْبِ صَدْرِهِ وثَبَاتِ جَنَانِهِ وٱحتَمَلَهُ بِطُولِ أَنَاتِهِ وسَعَةِ ذَرْعِهِ . ونَزَلَ هذَا ٱلأَمْرُ مِنْهُ فِي بَالٍ واسِعٍ وخُلُقٍ وادِعٍ وذَرْعٍ فَسِيحٍ

وإِنَّهُ لَرَجُلٌ حَمُولٌ لِلنَّائِبَاتِ . مُضْطَلِعٌ بِٱلشَّدَائِدِ . جَلْدٌ عَلَى مَضَضِ ٱلنَّوَازِلِ . وقَدْ لاذَ بِٱلصَّبْرِ . ووطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلصَّبْرِ . وضَرَبَ على هذَا ٱلأَمْرِ أَطْنَابَ صَبْرِهِ . وصَبَرَ فِيهِ عَلَى تَجَرُّعِ ٱلغُصَصِ . وتَجَلَّدَ عَلَى مَضَضِ ٱلمِحَنِ وصَبَرَ عَلَى شَيْءٍ أَمَرَّ مِنَ ٱلصَّبِرِ . ومَا زَالَ فِي أَمْرِهِ رَابِطَ ٱلجَأْشِ

وإِنَّهُ لَرَجُلٌ صُلْبُ ٱلعُودِ . لا تَرُوعُهُ ٱلنَّوائِبُ ولَا تَنَالُ مِنْ صَبْرِهِ ٱلْمُلِمَّاتُ ولَا يَلِينُ جَنْبُهُ لِحَادِثٍ ولَا يَتَضَعْضَعُ لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ

ولم أَجِدْ أَصبَرَ مِنهُ على خَطبٍ ولا أَقوَى جَلَدًا على مِحنَةٍ ولا أَثبَتَ جأشًا عِندَ نازِلَةٍ . وكأنّما هوَ طَوْدٌ مِنَ الأطوادِ

وغَشِيَهُ أمرُ كذا فتَماسَكَ وتَمالَكَ . وليسَ لِفُلانٍ مَلاكٌ إذا كانَ لا يَملِكُ نَفسَهُ . وأنا أَملِكُ مِنْ نَفسِي ما لا يَملِكُ سِوايَ

وقد سَلَّمَ أمرَهُ إلى اللهِ وفَوَّضَهُ ووكَلَهُ . وصَبَرَ على ما نَزَلَ بِهِ صَبرًا جَميلاً . وتَجَمَّلَ في مُصيبَتِهِ

وعَزَّيتُهُ عن كذا إذا أمَرتَهُ بالعَزاء والصَّبرِ . وأسَّيتُهُ في مُصيبَتِهِ إذا ذَكَرتَ لهُ مَنِ ابتُلِيَ بِمِثلِها فصَبَرَ

وتَقولُ : لكَ في فُلانٍ أُسوَةٌ . وقد ضَرَبتُ لهُ الأُسَى وهيَ جَمعُ أُسوَةٍ . وتأسَّى الرَّجُلُ وائتَسَى الرَّجُلُ وائتَسَى بِفُلانٍ

وتَقولُ لِلرَّجُلِ تُعَزِّيهِ : جَمالَكَ [1] يا هذا أي تَجَمَّلْ وتَصَبَّرْ . وخَفِّضْ عَلَيكَ أي هَوِّنْ على نَفسِكَ ولا تَجزَعْ . وعَلَيكَ بالصَّبرِ ولُذْ بالصَّبرِ واعتَصِمْ بِهِ واستَعِنْ بالصَّبرِ على ما نابَكَ . وألهَمَكَ اللهُ الصَّبرَ . وأجزَلَ أجرَكَ

ويُقالُ في ضِدِّهِ : جَزِعَ الرَّجُلُ وهَلِعَ وهوَ أشَدُّ الجَزَعِ وأفحَشُهُ . وهوَ رَجُلٌ جَزُوعٌ وهَلُوعٌ وبِهِ جَزَعٌ وهَلَعٌ وهُلاعٌ

ويُقالُ : قدِ انحَلَّتْ عُقدَةُ صَبرِهِ . وانفَصَمَتْ عُرَى صَبرِهِ . وانهارَ جُرُفُ اصطِبارِهِ . وتَقَوَّضَتْ دَعائِمُ اصطِبارِهِ . وتَداعَتْ حُصونُ صَبرِهِ . ودُكَّتْ أسوارُ صَبرِهِ ومُزِّقَتْ كَتائِبُ صَبرِهِ . ورَهِقَهُ مِنَ الأمرِ ما عِيلَ بِهِ صَبرُهُ وضاقَ بهِ ذَرعُهُ وضاقَ عنهُ طَوقُهُ وعَجَزَ عنهُ وُسعُهُ ووَهَنَ بِهِ صَبرُهُ ووَهَى جَلَدُهُ ورَقَّ جَلَدُهُ ووَهَى جأشُهُ وخارَ اصطِبارُهُ وضَعُفَ

(١) النصب على المصدر او على الاغراء

احتِمَالُهُ وَنَفِدَ صَبْرُهُ وَنُزِفَ . وَنَضَبَ مَعِينُ اصْطِبَارِهِ . وَقَدْ خَانَهُ الصَّبْرُ وَأَسْلَمَهُ الجَلَدُ . وَبَاتَ رَهِينَ البَلابِلِ وَنَجِيَّ الوَسَاوِسِ . وَقَدِ اسْتَسْلَمَ لِلوَجْدِ وَأَخْلَدَ إِلى الشُّجُونِ . وَبَاتَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ وَلَا يَمْلِكُ قَلْبَهُ . وَلَا يَتَمَالَكُ مِنَ الوَجْدِ وَلَا يَتَمَاسَكُ مِنَ الكَرْبِ . وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ المَذَاهِبُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ المَسَالِكُ . وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِرُحْبِهَا

وَرَأَيْتُهُ حَائِرَ الطَّرْفِ مُدَلَّهَ العَقْلِ ذَاهِبَ القَلْبِ مُسْتَطَارَ الفُؤَادِ . وَقَدْ هَفَا فُؤَادُهُ جَزَعًا وَطَارَ قَلْبُهُ شَعَاعًا وَذَهَبَتْ نَفْسُهُ شَعَاعًا وَتَسَاقَطَتْ نَفْسُهُ حَسْرَةً وَكَادَتْ تَزْهَقُ نَفْسُهُ مِنَ الهَلَعِ وَكَادَ يُقْضَى عَلَيْهِ مِنَ الغَمِّ

وَيُقَالُ : قَدْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الخَطْبِ مَا هَالَهُ وَتَعَاظَمَهُ وَكَبُرَ عَلَيْهِ وَنَاءَ بِهِ وَأَرْهَقَهُ وَغَلَبَهُ عَلى الصَّبْرِ وَغَلَبَهُ عَلى العَزَاءِ وَمَنَعَهُ القَرَارَ وَسَلَبَهُ السَّكِينَةَ

وَهٰذَا أَمْرٌ يَعِزُّ الصَّبْرُ عَلَيْهِ وَيَشْتَدُّ الصَّبْرُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَّسِعُ لَهُ نِطَاقُ الصَّبْرِ وَأَمْرٌ يَقْبُحُ فِي مِثْلِهِ الصَّبْرُ الجَمِيلُ

الباب السابع

في المقالات

—·>>>>><<<<<·—

﴿ اصول التعريب ﴾

« من مقالة لسليمان البستاني »

(عن الياذة هوميروس)

لقد جرى الكثيرون من نقلة لغة الافرنج الى العربية على اصول ابتدعوها لانفسهم فشطوا باكثرها عن منهج الصواب فاجروا قلمهم بل هو جرى بهم مطلق العنان يجبر ما يريد دون ما اراد الواضع . فمن متصرف بالمعنى يزيد وينقص على هواه فيفسد النقل ويضيع الاصل . ومن متسرع يضنّ بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف فيلتبس عليه فهم العبارة فينقلها على ما تصورت له لاول وهلة فتنعكس عليه المعاني على كره منه . ومن ماسخ يلبس الترجمة ثوباً يرتضيه لنفسه فيتقلب بالمعاني على مايطابق بغيته ويوافق خطته حتى لا يبقي للاصل اثراً . ومن عاجز يجهد النفس ما استطاع وهو وان اجهدها ما شاء غير حريٍ بخوض هذا العباب ثم يقوم هؤلاء الكتّاب ويسمون ما كتبوا تعريباً واولى بهم ان يسموه تضميناً او اختصاراً او معارضةً او مسخاً . ولكنهم جميعاً اولى بالعــذر والعفو من فئة اخرى يأتي الواحد منها على الكتاب فينقله كله او بعضه ثم يعرضه على الناس تأليفاً من نتاج قريحته وهؤلاء هم السرقــة الدجالون . على ان لدينا والحمد لله رهطاً من ذوي الذمة والعلم يتوخون الصدق ويتحرون الضبط والإحكام ويجيدون الرسم فيأتي مثالاً صادقاً . فاذا نقلوا قالوا نقلنا واذا تصرّفوا قالوا لغرض تصرّفنا وان ضمنوا قالوا لامر ضمنا وان عارضوا قالوا لسبب عارضنا .

فهؤلاء اذا صحت جدارتهم هم الذين يجب ان يصدق خبرهم ويقتفى اثرهم .

واذا رجعنا الى النقلة الاوائل رأينا ان زمرة كبيرة منهم كانوا من هـذا الفريق الاخير وهم على تفاوت اجادتهم في تأدية المراد ممن قصد الفائدة الحقة وتوخى الصدق والدقة . وقد سلكوا في التعريب مسلكَين نقلهما البهاء العاملي في الكشكول عن الصلاح الصفدي قال :

« وللترجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربيـة ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احـدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائماً . وايضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو ان يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهـذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لانه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي . فان الذي عربه منها لم يحتج الى اصلاح »

وان هذين الطريقين اللذين اشار اليهما الصلاح الصفدي منذ زهاء ستة قرون هما المذهبان المعول عليهما في النقل حتى يومنا وليس وراءهمـا مذهب ثالث في التعريب الصحيح . اما الطريقة الاولى فهي كما قال رديئة اذا اريد بها استجماع محصل المعاني وهي ايضاً تذهب بطلاوة التركيب فلا تبقي لها اثراً ولا تصلح للكتب التي تتداولها الايدي من الخاصة والعامة ولا ترتاح اليها نفس مطالع وقلما

تجد قارئاً يقوى على استتمام صفحة منها ولكنها مع هذا منيدة لطالب اللفظ دون المعنى ولهذا جرى عليها بعض كتاب الافرنج في بعض التآليف المراد بهـا تعليم اللغات وانتهجوها في نقل كثير من كتب الادب والشعر كمنظومات هوميروس وفرجيليوس اذ اريد بها افادة طلاب اليونانية واللاتينية دون طلاب الالياذة والانياذة . ويشترط لصحة فائدتها امران اولها ان يكتب الاصل بلغته ومردفاً في اللغة المنقول اليها والثاني ان يكون بازائها ترجمة اخرى على الطريقــة الثانية التي هي طريقة حنين لاستجلاء المعنى والا اختلطت المعاني على المطالع وغاب عنه فهم قوة العبارة لان الجمل على الطريقة الاولى تأتي مختلة التراكيب مقلوبة الوضع فما يجب تقديمه في لغة يجب تأخيره في اخرى وما يجب اثباته في الاصــل يجب تقديره في النقل وهلم جرًّا . فلا طلاوة ولا إحكام ولا اعراب ولا انسجام

اما الطريقة الثانية فهي التي عول عليها الجمهور لحصول الفائدة فيهـا من الوجه المطلوب وهو نقل المعاني ورسمها رسماً صحيحاً ينطبق على لغة النقل ومشرب قرائها . فاذا قرأ المطالع فيها كتاباً معرّباً فانما هو يقرأه عربياً ولا يقرأه اعجمياً كما يحصل في الطريقة الاولى ولهذا يصح ان يقال ان طريقتنا انمــا هي طريقة حنين بن اسحق والجوهري

النظم في التعريب

« له ايضاً من مقالة »

(عن الالياذة)

لا بد للشارع في تعريب منظومة كالياذة او نظم ملحمة على مثالها من ان يقف طويلًا ويتردد برهةً قبل ان يعين اوزان منظومته وقوافيها . وليس لنا في اوضاع السلف اصول نرجع اليها في مثل هذه الحال . وهيهات ان يتسنى وضع مثل هذه الاصول فيتقيد كل بحر من بحور الشعر بباب من ابوابه او تتعين كل قافية من القوافي لمعنى من المعاني . فقد نظم العرب كل معنى على كلِّ بحر وكل قافية

واجادوا . والقريحة الجيدة نقادة خبيرة اذا طرقت باباً انفتح لها ملء رغبتها فتقع على البحر والقافية وهي لا تعلم من اين تأتّى لها ان تقع عليهما وانما هو الشعور الشعري يدفعها الى حيث يجب ان تندفع . فالشاعر المجيد اذا تصور امراً فانما يتصور له ذلك الامر على كماله فتهيء له السليقة جمال الشكل كما هيأت له جمال المعنى فيجتمع له احكام التناسب بين اللفظ والمعنى والوزن والقافية . فكل بيت بنى عليه قصيدته فهو الاس الذي يصح ان يستند اليه ويبنى عليه ولا يخرج عن هذه القاعدة الا الشعر المنظوم لاغراض معلومة ودعت الحاجة الى تقييده بقيود لا مناص له منها كالاراجيز المنظومة في العلوم وبعض الموشحات والاغاني المربوطة بانغام معينة فالشاعر مقيد فيها بنمط لا يتيسر له العدول عنه الى غيره وفي ما سوى ذلك فالشاعر مطلق اليدين يتصرف بالشعر كيف شاء وله ان يرتضي ما تيسر له من الاوزان والقوافي وهي في الغالب تبرز له من نفسها بشكلها الانيق وقوامها الرشيق

على ان قريحة الشاعر وان كان مجيداً ليست كيد النساج تنطلق في العمل ايّان حرّكها العامل فقد يضطرب الجنان وينحبس اللسان والذهن وقّاد . وقد يكون القلم سيالاً فيجف فيه المداد . فالامساك عن النظم في مثل هذا الاعتقال خيرٌ من اجهاد النفس فلا يلبث العقال ان ينحل من نفسه . واذا طال الخمول فليشحذ الشاعر قريحته بتلاوة جيد الشعر فهو كالجلاء للسيف الصديء . ولكنه قد يحصل خلاف ما تقدم فتتراكم المعاني وصورها وتتدفق التخيلات تدفقاً يكاد يذهب بها شتاتاً فيتهيأ للشاعر رسم مطلعه ببيتين او اكثر على ابحر مختلفة فيحار في الاختيار ويميل الى الاسترشاد

﴿ اوزان الشعر وابوابه ﴾

« وله ايضاً من مقالة »

ولهذا رأيت ان اذكر فيما يلي ما تيسر لي استخراجه من شعر العرب بالنظر

الى ترابط بحور الشعر بمواضيعه وابوابه . فقد راعيت هـذا الترابط في بعض الاناشيد فادّت تلك المراعاة الى فائدة يحسن التعويل عليها في بعض الاحوال . ولا شك ان العروضيين نظروا الى ابحر الشعر من هذه الوجهة ولكنهم لم يزيدوا على تسميتها باسماء تنطبق توسعاً على مسميات مواضيع القصائد المنظومة عليها فقالوا هذا طويل وذاك بسيط وذلك خفيف او سريع وهلمّ جرًّا ووقفوا عند هذا الحد . ولكنه يستفاد من هذه التسمية ان لكل بحر ساحلًا يقف عنده ويرشد اسمه اليه . فاذا قلنا هذا بحر طويل علمنا انه لا يسوغ ان ننظم عليه الاهازيج والموشحات والاغاني . واذا قلنا هذا بحر مقتضب او مجتث علمنا انهما لا يصلحان للمنظومات على اطلاقها ولا يصح فيهما تدوين الروايات والتواريخ ولو اردنا ان نضع اصولاً وافية لهذا البحث لوجب ان نرجع الى منظوم نوابغ الشعراء ونقابل بين ابوابه وبحوره فتظهر لنا اغلبية كل وجه في كل بحر . وهو بحث طويل لا يتسع له هذا المجال . فحسبنا اذًا فتحاً لهذا الباب ان ننبه اليه ونذكر موجزين خلاصة ما اتضح لنا بالتطبيق والمقابلة

فالطويل بحر خضمّ يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الاخبـار ووصف الاحوال . ولهذا ربا في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور لان قصائدهم كانت اقرب الى الشعر القصصي من كلام المولدين . خذ مثالاً لك معلقات امرىء القيس وزهير وطرفة ولامية الشنفرى وقصيدة عبد يغوث الحارثي التي مطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

والبسيط يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعـاني ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والالفاظ مع تساوي اجزاء البحرين . وهو من وجه اخر يفوقه رقّةً وجزالةً ولهذا قلّ في شعر ابناء الجـاهلية وكثر في شعر المولدين

والكامل اتم الابحر السباعية وقد احسنوا بتسميته كاملًا لانه يصلح لكل

نوع من انواع الشعر ولهذا كان كثيرًا في كلام المتقدمين والمتأخرين وهو اجود في الخبر منه في الانشاء واقرب الى الشدة منه الى الرقة . واذا دخله الحذذ وجاد نظمه بات مطرباً مرقصاً وكانت به نبرة تهيج العاطفة كقولهم

يا دمية نصبت لمتكف   بل ظبيةً اوفت على شرفِ
بل درّةً زهراء ما سكنت   بحرًا ولا اكتنفتورا صدفِ

وهو كذلك اذا اجتمع فيه الحذذ والاضمار كقول المخبل السعدي

ذكر الرباب وذكرها سقمُ   فصبا وليس لمن صبا حلمُ

والوافر الين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته واكثر ما يجود به النظم في الفخر كمعلقة عمرو بن كلثوم . وفيه تجود المراثي ومنها كثير في شعر المتقدمين والمتأخرين كقول المهلهل

اهاج قذاء عينيك اذكارُ   هدوًا فالدموع لها انحدار

وحسبك من شعر المولدين مرثية ابي الحسن الانباري

علوٌّ في الحياة وفي الممات   لعمرك تلك احدى المعجزات

ومرثية المتنبي

نعدّ المشرفية والعوالي   وتقتلنا المنون بلا قتال

والخفيف اخف البحور على الطبع واطلاها للسمع يشبه الوافر ليناً ولكنه اكثر سهولةً واقرب انسجاماً . واذ جاد نظمه رأيته سهلًا ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور . وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف بجميع المعاني ومنه معلقة بن حلزة اليشكري

والرمل بحر الرقة فيجود نظمه في الاحزان والافراح والزهريات ولهذا لعب به الاندلسيون كل ملعب واخرجوا منه ضروب الموشحات . وهو غير كثير في الشعر الجاهلي واكثره في مثل ما تقدم . ومع هذا فلعنترة فيه شيء من الحماسة وللحارث اليشكري قصيدة وصفية اخبارية ابدع فيها ومطلعها

عجبت خولة اذ تنكرني   ام رأت خولة شيخاً قد كبر

والسريع بحر يتدفق سلاسةً وعذوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ومع هذا فهو قليل جدًّا في الشعر الجاهلي

والمتقارب بحر فيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة وهو اصلح للعنف منه للرفق . ومنه قصيدة لثمامة بن عمرو :

هجرت امامة هجرًا طويلًا   وحمَّلك النأي عبئاً ثقيلا

والمحدَث او متدارك الاخفش بحر اصابوا بتسميته الخبب تشبيهاً له بخبب الخيل فهو لا يصلح الا لنكتة او نغمة او ما اشبه وصف زحف جيش او وقع مطر او سلاح وهو قليل في الشعر القديم والحديث

والرجز ويسمونه حمار الشعر بحر كان اولى بهم ان يسموه عالِم الشعر لانه لسهولة نظمه وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المتون العلمية كالنحو والفقه والمنطق والطب . فهو اسهل البحور في النظم ولكنه يقصر عنها جميعاً في ايقاظ الشواعر واثارة العواطف فيجود في وصف الوقائع البسيطة وايراد الامثال والحكم .

تلك هي الابحر العشرة التي نظمت عليها الالياذة فقد ترى النشيد كله بحرًا واحداً وقصيدة واحدة وقد تتعدد فيه الابحر والقصائد على مقتضى ما تراءى لي من سياق الكلام واما الابحر الستة الباقية وهي المضارع والمقتضب والمجتث والهزج والمديد والمنسرح فالاربعة الاولى منها لا تصلح لقصرها لمثل الالياذة ولا يجوز نظمها في ما خلا الاناشيد والتواشيح الخفيفة . والمديد قلَّ من ينظم عليه وهو ثقيل على السمع . والمنسرح لم يتفق لي نظمه في الالياذة لغير سبب مقصود

﴿ القوافي في لغة العرب ﴾

« له ايضاً »

العربية لا يصلح شعرها بدون قافية لانها لغة قياسية رنانة يجب ان يراعى فيها القياس والرنّة وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذَّر وجود نظيره في سائر

اللغات . فلا يسوغ لها ان تبرز عطْلًا مع توفر ذلك الحلي الشائق . فاذا اقتصر الافرنجي على صوغ شعره كالرجز العربي لكل شطرين قافيتان متناسبتان ينتقل منهما الى غيرهما واضطر الى تكرارهما بعد حين او لو اختار ان يعرّي شعره من القوافي بتاتاً فعذره في ذلك ان لغته هكذا خلقت . بل لو اجهد نفسه في مواضع كثيرة لتعذر عليه تعزيز قافيتين بثالثة . والشاعر العربي بخلاف ذلك فان كثيرا من ضروب القوافي تنهال عليه انهيال الغيث واذا انحبست فلا تنحبس الا لقصر باع او لقرع باب ضيق او لتجاوزه الحد في اطالة القصيدة المنظومة على قافية واحدة

وقوافي الشعر كبحوره يجود بعضها في موضع ويفضله غيره في موضع آخر . وحسبك دليلًا ان جميع قرّاء الشعر يطربون لبعض القوافي دون البعض الآخر واذا نظم شاعر واحد قصيدتين على بحر واحد بمعنى واحد ونفس واحد فلا ريب ان القافية الغناء تميل بالسامع الى ايثارها على اختها . ولا ريب ان اختيار قافية القصيدة ابعد منالاً من اختيار بحرها وذلك بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور والمرجع في ذلك الى سلامة الذوق وغزارة المادة فالقريحة الجيدة في غنى عن اصول توضع لهـا بهذا المعنى لو فرضنا من الممكن وضع مثل هذه الاصول فهي من نفسها تقع على القافية والبحر بلا جهد ولا تردد ومع هذا فلا بأس من ايراد بعض ملحوظات تتراءى للناظم اثناء النظم وللقارىء اثناء المطالعة

الشعر كالنغم الموسيقي والقافية دسته او قراره فحيثما جاد النغم وتناسق الى منتهاه حسن وقعه في الاذن وانشرح له الصدر وطربت له النفس . فكل نغم اطرب ارباب الصناعة وذوي الاذن السماعة فهو الحسن وهكذا الشعر فلا يحسن وقعه في نفوس قرّائه وسامعيه ما لم يكن جيداً . وقد يستهان بالمعنى البليغ لضعف قافية او وقوعها في غير موضعها

واول ما يجدر بالشاعر اجتناب القوافي الصعبة الضيقة فانه يضطر معها الى استعمال الكلام المنبوذ والوحشي المهمل ويضيق في وجهه باب التصرف بالمعاني على ما يتصورها فيعضل عليه النظم وعلى قارئه الفهم . ولنضرب لذلك مثلًا نابغة

من نوابغ الشعراء ابا الطيب المتنبي. فخذ قصيدته التي مطلعها

أمساورٌ ام قرن شمس هذا ام ليث غاب يقدم الاستاذا

وقابلها بمعظم شعره فيبدو لك من استغلاق العبارة والتكلف ما يحملك على الظن انها ليست من نظمه لو لم تكن مثبتة في ديوانه . وان اردت برهاناً اقرب فانظر الى محبوكات صفي الدين الحلّي كلها منظومة في باب واحد واقرإِ الثائيّة والخائيّة والظائيّة . وان كنت صبوراً جلداً فأتمّ قراءتها من اولها الى آخرها وقل لي بعد ذلك رأيك فيها . ففي مثل هذا المأزق الضيق يضطر الشاعر الى اتخاذ جميع البيت تتمةً للقافية مع ان الغرض من القافية ان تكون تتمةً للبيت مندمجةً في معناه فاذا كره في القافية وهي كلمة واحدة ان تكون حشواً للبيت فكم يكره ان يكون جميع البيت حشواً للقافية ما لم يكن مبنيًّا عليه لغرض مقصود

وكما ان العرب نظموا جميع المعاني على جميع البحور فقد كان هذا شأنهم في القوافي فلم يقيدوا قافيةً بباب من الابواب . وخيرٌ للقوافي ان تبقى مطلقةً يتخير منها الشاعر ما شاء فتأتيه ارسالاً . فان سلم ذوقه جاءته منقادة طوعاً فحلت محلها والّا فلا يسلم الذوق كرهاً

ولكنه يجوز للباحث ان يلقي نظره على منظومات الشعراء ويمحصها بالنقد والمقابلة فاذا فعلنا ذلك بدا لنا مثلًا ان القاف تجود في الشدة والحرب والدال في الفخر والحماسة والميم واللام في الوصف والخبر والباء والراء في الغزل والنسيب . وانما هو قول اجمالي اذا صحّ من باب التغليب فلا يصح من باب الاطلاق . لان مناحي التحوُّل من قافية الى اخرى في قافية الحرف الواحد اكثر من ان تحصى . فنغمة الراء مضمومةً تختلف عنها مكسورةً ومفتوحةً . وهي وما قبلها متحرك غيرها وما قبلها ساكن او ممدود بحرف علة ورنتها في بحر تختلف عنها في بحر آخر وهكذا الى ما لا نهاية له و غاية ما يقال في هذا الباب ان المعاني الشعرية كاللآلىء المنثورة لا مرشد الى احسان نظمها في سمطها خيرٌ من سليقة الناظم فان جادت الصناعة بهرت البصر والّا جاءت ركاماً بعضها فوق بعض وذهب خلل بنائها بنضارة روائها

﴿ وداع القرن ﴾

« الشيخ ابراهيم اليازجي »

من تأمل كرور الادهار وتعاقب الليل والنهار ورأى الثواني تجر الايام والايام تجر الاعوام والناس يذهبون بين ذلك افواجاً ويعرون فرادى وازواجاً ورأى ان هذه الحركة التي نرى بها الشمس تطلع من المشرق ثم نراها تغيب في المغرب يتخللها من حركات دقائق الكون ما يمثل دبيب عوامل الفناء حتى يرد كل منظور الى عالم الهباء. وقف حائرًا دهشاً يتأمل في الكائنات وفي نفسه وقد اختلط عليه الوجود بالعدم حتى كاد يتهم شواهد حسه . ثم نظر فتمثل وراءه ماضياً تغيب اوائله في ظلمات الازل وامامه آتياً تتصل اواخره بحواشي الابد وهو بينهما كنفاخة قذفها التيار فوق اديم البحر فما كاد يقع عليها ضوء الشمس حتى عادت اليهِ فغاصت فيهِ آخر الدهر فملكه من الرهب ما ارتعشت له اعضاؤه ومن الاشفاق ما جمدت له دماؤه ثم تمنى لو تخلص من هذا الوجود المشوه وايقن ان الكون ضرب من الزور المموَّه . انما هي صور تتبدل واشكال تتحول . وهي المادَّة الى ان تنحل الارض وينتثر نظام السيارات والاقمار وتبدد ذرَّات الشمس في الفضاء فيمحى رسمها من صحيفة الدهر

ودَّعنا القرن التاسع عشر كما يودّع المرء يومه عند انقضائه وقد تذكّر ما اتي بين صباحه ومسائه وما تقلب عليه من حالي كدره وصفائه . ثم استشفَّ من خلال ليله المقبل وميض صباح الغد باسماً عن ثغور الآمال مبشرًا بما فاته في يومه من الغبطة ونعمة البال . فبات يعد نفسه المواعيد ويرى كل بعيد من الاوطار اقرب اليه من حبل الوريد وقد ذهل اكثرنا عن انه يودع شطرًا من دهره وقد يكون من بعضنا اطيب شطري عمره . فاذا التفت الى خلفه رأى خيال نشأته وشبابه وتمثلت له اوقات لذته ومجالس اترابه والصفحة التي ارتسم عليها تأريخ

ميلاده ودوّن فيها تذكار ابهج اعياده . فحنّ الى ايامه السوابق حنين المحب المفارق وقد حيل بينه وبينها وطويت عليها صحيفة الفناء وختم عليها بطابع الابد فهي هناك الى يوم اللقاء

نحن اليوم بين فصلين من مصحف تأريخ الدهور وقد قرأنا الاول حرفاً حرفاً واستقرينا ما فيه من السطور . والثاني مطوي عنا نشتغل بهجاء الحرف الاول من عنوانه ولا ندري ما خطّ فيه قلم الغيب من غرائب حدثانه . فندع التكهن عليه لخرّاصي السياسة واصحاب الجفر والكواكب ونعود الى تصفح ما مرّ بنا من صحف القرن الذاهب وما سطر فيها من البدائع والغرائب . فلا جرم انه كان من اعظم القرون آثارًا واجلها شأناً واشرفها تذكارًا . بل القرن الذي لم يرّ بالارض مثله من يوم تحركت على محورها فنشأ الليل والنهار ومنذ دارت حول الشمس فتتابعت السنون والاعصار . فهو على الحقيقة بكر الزمن وان كان آخر ما مرّ بنا من اعقابه ومجدد شباب الدهر بعد الهرم لا بل هو عين شبابه . ففيه اخذت الدنيا كمال زخارفها وبرزت الحضارة في ابهى مطارفها وانتشر العلم في الارض انتشار نور النهار فانبسطت اشعته على كل قصيّ من الاقطار وتجلى به كل مكنون من الحقائق والآثار واصبح الانسان خدن الطبيعة وقد حسرت له من نقابها والقت اليه مقاليد جوّها وترابها بل استسامت اليه بجملتها حتى كان من اربابها . فبرز في حدّ جديد غير ما عرّفه به حكماء الدهر السابق وادرك بسطة من العرفان يضيق بها نطاق تعريفه بالحيوان الناطق فهو اليوم الحيوان المكتشف المخترع المتفنن المبتدع الطيّار على مناكب الهواء الماشي على صفحات الماء الذي زوى اطراف الارض فهي بين يديه قيدُ ميل او شبر وطوى مسافتها حتى كأنما يسافر فيها على اجنحة الفكر وقبض على عنان البرق فجعله رسول خواطره يسيره في البلاد وساح بين الكواكب فادرك حركاتها وطبائعها وقاس ما بينها من الابعاد وخلق لنفسه حواسّ لم تكن مما عهد اسلافه من قبل فابصر من الخفايا ما لا تذكر في جنبه مدارج النمل وسمع من الاصوات ما لا يقاس بخفائه صوت

الحكل [١] بل خرق الحجب ببصره فتخلل ما بين دقائق الاجسام واستبطن الضلوع والاحشاء وسافر بين الجلود والعظام بل تسلل الى باطن الدماغ فاسترق السمع على ما يتناجى هناك من الخواطر والاوهام

هذا هو انسان القرن التاسع عشر وما ذكرنا من صفته الا مبلغ ما يتناوله الرمز ويسعه الايماء . ولو شئنا الافاضة في ايسر تلك المعاني لكان غاية ما ننتهي اليه العجز والاعياء . فما عسى نعدّد من تلك العجائب الباهرات مما لو وجد اقله في الزمن الغابر لاعتقد ضرباً من السحر او انتحلت به الكرامات والمعجزات . وحسبك من يلقن الجماد فينطق لا كما نطق الببغاء ومن يسمعك كلام الغابرين فتعرفه بنغمته وقائله في قبضة الفناء ومن يريك الهواء ماء سائلاً ثم يريكه جمداً معقوداً ومن يسخر السحاب فيمطر في معمعان القيظ ماء بروداً ويصرفه متى شاء فيبدد ما فيه من الصواعق تبديداً الى غير ذلك مما يطول الكلام في استقصائه ويضيق هذا المقام عن احصائه

وهنا قد يعرض للمتأمل ان ينظر اين كان موضع كل امة من القرن التاسع عشر وما الذي اكتسب الشرقي فيه من المآثر وما خلف فيه من الاثر فلا جرم ان اهل القرن الواحد وان شاع بينهم فتنازعوا ايامه على السواء وكانت عناصر الحياة مقتسمةً بينهم على غير اثرة ولا استثناء فهيهات ان تستوي نسبة كل منهم اليه فيقفوا فيه مواقف الاكفاء . وانما الذي يتساوون فيه شمسه وهواؤه وتربته وماؤه وبقي وراء ذلك فضل المدارك والهمم والاعمال التي تتفاوت بها طبقات الامم وتتفاضل باعتبارها الاقدار والقيم . فاذا كان القرن التاسع عشر هو الذي نشأت فيه تلك العظائم واقام للحضارة هذا البناء الرفيع الدعائم فهو من القرون التي ليس للشرق فيها ذكر يؤثر ولا اثر يذكر ولا خرج الشرقي منه الا بما احتقب من ظلمات العصور الغوابر وازداد عليه ما لحقه في هذا العصر من الذل والمفاقر . فلا اختط لنفسه سبيلاً يبلغ به الى مواطن الفلاح ولا اقام له عزاً يعصمه من

---

(١) هو من الحيوان ما لا يسمع له صوت كالذر والنمل

تطاول الطامع والمجتاح فضلًا عن ان ينثنيَ لنفسه فخرًا يدوّن في صحيفة الاحقاب او اثرًا يرفع من بصر الذراري والاحقاب . ولكن عصر الشرقي ان نشط للجري في سبيل الامم الراقية والحصول على المجد الصاعد والمفاخر الباقية هو هذا القرن الذي ابتدأنا عن أممٍ اذا جعل رائده الى ذلك صادق الهمم ولم يتكل في بلوغه على الاقدار والقسم . والله المسؤول ان يهدي خطواتنا الى اقوم سبيل بفضله تعالى وتسديده انه بالنجاح كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ اللغة والعصر ﴾

« وله ايضاً من مقالة »

لم يبقَ في ارباب الاقلام ومنتحلي صناعة الانشاء من هذه الامة من لم يشعر بما صارت اليه اللغة لعهدنا الحاضر من التقصير بخدمة اهلها والعقم بحاجات ذويها حتى لقد ضاقت معجماتها بمطالب الكتّاب والمعربين واصبحت الكتابة في كثير من الاغراض ضرباً من شاقّ التكليف وباباً من ابواب العنت . واللغة لا تزداد الّا ضيقاً باتساع مذاهب الحضارة وتشعب طرق التفنن في المخترعات والمستحدثات الى ان كادت تنبذ في زوايا الاهمال وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوالي . ومست الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من الثلم قبل تمام العفاء وقبل ان ينادي عليها مؤذن العصر سبحان من تفرّد بالبقاء ويختم على معجماتها بقصائد التأبين والرثاء

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بانها اغزر الالسنة مادّة واوسعها تعبيرًا وابعدها للاغراض متناولاً واطوعها للمعاني تصويرًا قد افضت اليوم الى حال لو رام الكاتب فيها ان يصف حجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه هـذه المؤونة اليسيرة فضلًا عما وراء ذلك من وصف قصور الملوك والكبراء ومنازل المترفين والاغنياء وشوارع المدن الغنّاء وما ثمَّ من آنية واثاث وملبوس وفراش وغير ذلك من اصناف الماعون وادوات الزينة مما لا يجد لشيء منه اسماً في هذه اللغة ولا يكون حظ العربي من وصفه الا العيّ والحصر وطيّ لسانه على

معانٍ في قلبه لا يتسنى له ابرازها بالنطق ولا يجد سبيلًا الى تمثيلها باللفظ كأن المقاطع التي يعبر بها عن هذه المشخصات لم يخلق لها موضع بين فكيه وليست مما يجري بين لهاته وشفتيه . فعاد كالابكم يرى الاشياء ويميزها ولا يستطيع ان يعبر عنها الا بالاشارة ولا يصفها الا بالايماء

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل احد المعارض الطبيعية او الصناعية ورأى ما ثمَّةَ من المسميات العضوية وغير العضوية من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن وعاين ما هناك من الآلات والادوات وسائر اجناس المصنوعات وما تتألف منه من القطع والاجزاء بما لها من الهيآت المختلفة والمنافع المتباينة واراد العبارة عن شيء من هذه المذكورات

ثم ما هو فاعلٌ لو اراد الكلام فيما يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيماوية والفنون العقلية واليدوية وما لكل ذلك من الاوضاع والحدود والمصالحات التي لا تغادر جايلًا ولا دقيقاً الا تدل عليه بلفظه المخصوص

لا ريب ان الكثير من ذلك لا يتحرك له به لسان ولا يعهد له بين الواح معجمات اللغة الفاظاً يعبر بها عنه ولا يغنيه في هذا الموقف ما عنده من ثمانين اسماً للعسل ومئتي اسم للخمر وخمس مئة للاسد والف لفظة للسيف ومثلها للبعير واربعة الآف للداهية وما يفوت الحصر لشيء آخر حرص مؤلف القاموس على استقصاء الفاظه حتى لم يكد يذكر مادة الا وفيها شيء يشير اليه ويدل عليه

على ان اللغة مرآة احوال الأمة وصورة تمدنها ورسم مجتمعها وتمثال اخلاقها وملكاتها وسجل ما لها من علوم وصنائع وآداب وانما تضع منها على قدر ما تقتضيه حاجاتها في الخطاب وما يتمثل في خواطرها او يقع تحت حسها من المعاني . ومعلوم ان العرب واضعي هذه اللغة كانوا قوماً اهل بادية بيوتهم الشعر والاديم ومفروشهم البارية والبلاس ولباسهم الكساء والرداء وآلاتهم الرحى والقدر وآنيتهم القعب والجفنة الى ما شاكل ذلك مما لا يكادون يعدونه في حلٍّ ولا ترحال .

فأين هم وما نحن فيه لهذا العهد من اتساع مذاهب الحضارة والاستبحار في الترَف واليسار وكثرة ما بين ايدينا من صنوف المرافق وانواع الاثاث والزخارف وما نحن فيه من التفنن في احوال المجتمع والمعاش فضلًا عما بلغ اليه اهل هذا العصر من التبسط في مناحي العلم والصناعة مما كان اولئك بمعزل عن جميعه الّا ما حدث بعد ذلك في عهد استفحال الاسلام مما ذهب عنا اكثره وما كان فيه لو بلغ الينا الّا غناء قليل

ومهما يكن من حال اولئك القوم وضيق مضطرَب الحضارة عندهم وما نجد في الفاظهم من الفاقة والتقصير عن حاجات هذا الزمن فلا يتوهمنّ متوهم ان ذلك وارد على اللغة من هرمٍ ادركها فقعد بها عن مجاراة الاحوال العصرية واناخ بها في ساقة الالسنة الحالية : فانّ معنى الهرم في اللغة ان يحدث عند المتكلمين بها معانٍ قد خلت الفاظها عنها ثم تضيق اوضاعها عن احداث الفاظ تؤدي بها تلك المعاني فيطرأ على اللغة النقص حيناً بعد حين الى ان تعجز عن اداء اغراض اهلها ولا تبقى صالحة للاستعمال وحينئذٍ فلا يبقى الا ان يلقى حبلها على غاربها او يستعان بغيرها على سدّ ما عرض فيها من الخلل بما يغير من ديباجتها وينكر اسلوب وضعها حتى تتبدل هيآتها على الزمن وتصير على الجملة لغةً اخرى

وليس بمنكر ان ما وصفناه من هذه الحال يشبه في بادىء الرأي ما نشاهده من حالة لغتنا اليوم وما لم نزل ننعاه عليها منذ حين من تقصيرها عن الوفاء بمطالبنا العصرية الاّ ان ذلك اذا استقريت اوجهه واسبابه وسبرت غور اللغة في نفسها وقست مبلغ استعدادها علمت انه ليس منها في شيء وايقنت انها لا تزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها وان فيها بقية صالحة لان تجاري اوسع اللغات واكثرها مادةً . ولكن ما ادركها من ذلك واردٌ من قبل الامة وتخلفها في حلبة الحضارة والمدنية اذ اللغة بأهلها تشب بشبابهم وتهرم بهرمهم وانما هي عبارة عما يتداولونه بينهم لا تعدو السنتهم ما في خواطرهم ولا تمثل الفاظهم الّا صورَ ما في اذهانهم

وبديهيٌ ان اللغة لم توضع دفعةً واحدة وانما كان يوضع منها الشيء بعد

الشيء على قدر ما تدعو اليه حاجة المتكلمين بها . وقد اختصت هذه اللغة بمزية عزّ ان توجد في غيرها وهي ان اكثر الفاظها مأخوذ بالاشتقاق اللفظي او المعنوي بحيث صارت الى ما صارت اليه من الاتساع الذي لا تكاد تضاهيها فيه لغة على كونها من اقلّ اللغات اوضاعاً الّا انها من اكثرهنّ صيغاً وابنيةً وهو السرّ في قبولها هذا الاتساع العجيب فضلاً عما فيها من تشعب طرق المجاز على ما سنعود الى بيانه بالتفصيل .

واعتبر ما ذكرناه من ذلك بالرجوع الى ما كانت عليه اللغة زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام ومقابلتها بما بلغت اليه على عهد الخلفاء من بني العباس بعد سكون الغارات واستتباب الفتوح وتنبه الامة لطلب العلوم وتبسطها في فنون الحضارة بحيث خرجوا بها من حال الخشونة البدوية الى أبعد مذاهب المدنية الشائعة لعهدهم ذاك . لم يكادوا يدخلون فيها لفظاً اعجمياً [1] ولا اضطروا فيها الى وضع جديد ولكنها خدمتهم بنفس اوضاعها التي وضعتها العرب فاشتقوا منها ما لا عهد به للعرب على وجهه الذي نقلوه اليه ولم تتكلم به اصلاً حتى احاطوا بصناعة الفرس وعلوم اليونان وادخلوا كثيراً من مصطلحات الامم التي اجتاحوها شرقاً وغرباً وزادوا على ذلك كله ما استنبطوه بانفسهم واللغة مشايعة لهم في كل ما اخذوا فيه لم تنضب مواردها دونهم ولا رأينا من شكا منها عجزاً ولا تقصيراً الى ان ادركهم من تبدل الاطوار وغارات الاقدار ما وقف بهم عند ذلك الحد فوقفت اللغة عند ما نراه فيما وصل الينا من كتبهم . وتوالى الاجتياح بعد ذلك على الامة وتتابعت دواعي الدمار حتى اندرست اعلام حضارتها وذهبت علومها ادراج الرياح فزال اكثر اللغة من السنتها بزوال معانيها حتى صار الموجود منها اليوم لا يقوم بخدمة امة متمدنة ولا هو اهل لان يبلغ بها ما منزلته تلك . ولذلك فان كان ثمةَ

(١) يستثنى من ذلك كتب الطب فانهم تسامحوا فيها بنقل كثير من اسماء العقاقير والمواد الطبية واسماء الامراض وغيرها بلفظها الاعجمي لان بعضها لم يجدوا الى مرادفه بالعربية وبعضها لا مرادف له عند العرب فلم يضعوا له لفظاً لما سيأتي في موضعه من ان اسماء الجواهر واشباهها لا تنقل عن العلم الا من طريق التعريب

هرم فانما هو في الامة لا في اللغة لان ما عرض لها من الهجر والاهمال غير لاصق بها ولا ملحق بها وهناً ولا عجزاً وانما هو عجز في السنة الامة ومداركها وتأخر في احوالها واستعدادها . ولو صادفت من اهلها البقاء على عهد اسلافهم من السعي في سبل الحضارة وتوسيع نطاق العلم لم تقصر عن مشايعتهم في كل ما فاتهم من الاطوار حتى تبلغ بهم الى مجاراة العصر الحالي

ولقد اتى على اللغة مئات من السنين بعد ذلك لم يزد فيها حرف بل لم يكد يحفظ منها ما يزيد على الحوائج البيتية والسوقية على تناقص هذه الحوائج وتراجع عددها يوماً بعد يوم بما طرأ على اهلها من الضغط والفاقة وما اتصل بذلك من استيلاء الجهل وتقلص العمران وذهاب الحضارة من بينهم حتى عادت حوائج كثير من اهل المدن الحافلة لا تكاد تتعدى حوائج البدوي والاكار . وما دامت المعاني التي يعبر عنها باللغة معدومة فلا سبيل الى بقاء الالفاظ الدالة عليها اذ اللفظ انما يتخذ للعبارة عن الخواطر التي في النفس فلا يكون الا على قدرها بالضرورة . وزاد على ذلك كله ذهاب ما كتب المتقدمون بعضه بالاحراق كما تم في مكتبة قرطبة وكأن هذا في مقابلة ما وقع من مثله بالاسكندرية وفارس وبعضه بالاجتياح والنهب فلا بقي في مكانه فينتفع به المتأخر ولا احتفظ به الذي نهبه لجهله قيمته وبقي الشيء اليسير نجده اليوم في مكاتب الاعاجم واكثره مما اشتري من ايدينا بالذهب . فلا غرو ان نشأ عن تلك الاحوال كلها ذهاب هذه اللغة من السنة الاعقاب حتى لو رام احدنا اثارة دفائنها وتعهدها بالتجديد والاحياء لما وجد منها في البلاد الا الشيء النزر لا يعدو في الغالب علوم الدين وما يتصل بها مما لم يكد اهل بلادنا يحافظون على سواه

على انك لو طفت اليوم في جميع انحاء البلاد التي كانت مباءة للعرب ومعرضاً لحضارتهم وفنونهم لم تكد تجد موضعاً تتوسم فيه آثار ذلك القديم سوى الديار المصرية التي هي مستودع ذخائر السلف ومجمع شمل علومهم في شمل بقاياهم والتي ان كان قد كتب لهذه اللغة ان تستأنف البقاء مدة اخرى فان مبعثها انما يكون

من ناحيتها وعلى ايدي رجالها وان سبقهم الى احياء رسومها بعض المجاورين لهم ممن اصطبغوا صبغة العرب وليسوا منهم في شيء وشتان بين من يعنى بالامر لضرورة احوجته اليه ومن تكون فائدته له وخسرانه عليه

وقد كان عقد في هذه العاصمة اعني مدينة القاهرة مجتمع لغوي تطالت اليه اعناق الناطقين بالضاد من جميع الافاق العربية وتوقع المتأدبون منه فوائد جمة مما لم تبرح النفوس متطلعة اليه والاماني معقودة عليه فاعترض دون تلك الثمرات ما في اهل الشرق من وناء الهمم وتخلف الثبات على حين لم يجروا في هذا الشوط الاَّ خطوات يسيرة ابانوا فيها عن رأي فطير وبضاعة مزجاة وصدرت الآمال عنهم كما وردت لم تظفر منهم ببلة بل تجرَّعت من اليأس ما زادها على غلتها غلة

ومهما يكن من امر هذا المجتمع فقد مضى على وجهه ودرجت بعده الايام ودبت الليالي والحاجة في مكانها والرغبات متطالة والخواطر هائمة والاقلام جافة واللغة على ما كان من عهدها لم تستغن بتلك الكلمات العشرين[1] ولا وجد بعد ذلك من اجرى لها ذكرًا ولا اخطر للنظر في امرها فكرًا . فكأن ذلك المجتمع انما عقد لتثبيط العزائم عن نهضتها وقطع آخر عرق من الامل وكأن اربابه نفرٌ من الاطباء اجتمعوا للنظر على عليل فكان قصارى ما في طبهم ان قضوا باليأس منه ثم خرجوا وهم يقولون عظم الله اجركم في الفقيد

فبقي الآن اما ان نسجل بموت اللغة وموت الامة معها ونيأس احدى الغنيمتين واما ان نستأنف العزم ونجدد السعي في احياء ما اندثر منها وتدارك ما طرأ عليها من الخلل وهو ما لا تزال الآمال فيه منوطة بهمم رجال هذا القطر ان ينشطوا له وتفرَّغوا للاشتغال به وتنبهوا لمكان اللغة من الامة وانها هي عنوانها والفصل الذي تتميز به عن سائر الامم بل اللغة هي الامة بعينها فكما تشخص تاريخها وعلومها وعاداتها وعباداتها فانها تشخص الامة بنفسها وبها يشار اليها ويدل عليها وذلك

---

(1) يشير الى الكلمات التي وضعها المجتمع اللغوي وقد نقد هو بعضها في مقالته هذه مما اقتضى المقام اسقاطه

فضلًا عن انها هي مجمع الفتها والوصلة الحسية بين آحادها وجماعاتها فهي علةالضم الحقيقية بينها والجامعة الطبيعية التي بها يستتب معنىالمدنية . واذا تفطنت للمراد من قولهم الانسان مدنيٌّ بالطبع شف لك عن حقيقة هـذا القول وتبينت موضع اللغة من الحالة الاجتماعية . واعتبر ذلك في الامم الاوربية لهذا العهد فانها على اتحاد اكثرها في النحلة الدينية وما يصل بينها من لحمة النسب انما تتميز الجنسية عندها باللغة وهي الفصل الفارق بين امة وامة وعليها مدار الوحدة الوطنية وصيانة المصلحة الأمية . وما لم تتحد الامتان منها في اللغة لا يؤمن انتقاض احداهما على الاخرى ولو اتحدت بينهما المصلحة الوطنية والجامعة السياسية . بل انظر الى الناطقين بلساننا العربي فانهم على تباينهم في الانساب والاديان والعوائد الى ما لا تجـد له مثيلًا في العالم كله وعلى ما بينهم من اختلاف الحـال السياسية وتفاوت المصالح الذاتية وتضافر دواعي الشقاق والافتراق لم تثبت لهم جامعة ينضمون بها ويتألفون حولها سوى اللغة حتى لقد تجد من الدخلاء فيها من هو اشد اعتصاماً بها ومحافظةً عليها ممن ورثها عن اولية وانتهت اليه عن غير كلالة

بل عنـدنا اليوم ما هو ابلغ من ذلك وهو ما نراه من كثير من فتياننا الذين يتلقون العلم في المدارس الاجنبية فانك تجد كل فريق منهم قد أُشرب الميل الى الامة التي يدرس في لسانها فمن تعلم في المدارس الانكليزية مثلًا خرج ميله انكليزياً وكذا من درس في المدارس الفرنساوية او الطليانية او غـيرها حتى تراه يباهي برجال تلك الامة ويتبجح باخبار ملوكها وكبرائها وفضائل اهل العلم والشعر منها ويقتبس كثيرًا من اخلاقها وعاداتها ويتشبه بمشاهير اهلها ومن يقع في نفسه منها موقعاً . وربما اشرب عقائد بعض علمائها وفلاسفتها الى غير ذلك مما لا تـكاد تفرقه فيه عن احد افرادها بل ربما بلغ من بعضهم ان ينزع الى الالحاق بجنسيتها والانتظام في عداد آحادها فيطلب مشاركتها في الوحدة الحسية بعـد الوحدة المعنوية وهو نهاية ما يمكن تصوُّره من الشواهد في هذا الباب . وهذا الامر مما تنبهت له الامم الفاتحة من قديم واتخذته قاعدةً تجري عليهـا في تقرير فتوحها وتوثيق سلطانها

واتقاء سورة المغلوبين اذا حزبهم من ناحيتها ظلم او سامتهم شيئاً من ضروب الخسف . ولذلك كان من اوجب الواجب في المحافظة على بقاء الامة وصيانة الجانسية بينها احياء لغتها بين عامة اهلها وتكثير سواد اهل العلم منها والتجافي بها ما امكن عن لغات الاعاجم الا الخاصة الذين عليهم المعوّل في نقل علومهم الينا ونشرها بلغتنا بحيث نلحق بهم في الحضارة دون الجنسية . وهذا انما يتم اليوم بان تنهض الامة بنفسها لهذا الامر الخطير ويتجرد له عقلاء سراتها واهل العلم فيها لا يتكلون في ذلك الا على انفسهم ولا يصدرون الاّ عن عزائمهم والاّ فان استنامتهم الى من سلم اليهم قياد العلم وتهذيب الامة في القطر لا يعد الا ضرباً من التغرير بمصلحتهم والاعانة على اضمحلالهم

وقد اطلنا في هذا المعنى حتى كدنا نخرج عن المقصود وما نحن في شيء مما انسقنا اليه في هذا الموضع ولا هو من اغراض هذه المجلة . وانما اوردنا ما اوردناه متابعةً لمقتضى البحث وايضاحاً لما توخيناه من بيان خطر اللغة في الامة ومنزلتها من الجامعة الجنسية والحديث ذو شجون . ولذلك نترك بقية هذا المطلب لرصفائنا من اصحاب الجرائد السياسية يوفونه حقه من القول ويستنهضون الامة للعمل به ان شاءت اذ هو من خصائصها وهمها . ونعود الى ما كنا فيه من الكلام على اللغة واستئناف لوضع فيها سد الما طرأ عليها من مواضع الخلل وهو ولا ريب من اخشن المباحث مركباً و ابعدها مطلباً واغمضها آثاراً واخفاها مناراً ومما لا يفي به ما عندنا من المادة التافهة والعلم النزر ولكنا سنجعل البحث فيه ذريعة الى ما نتوقعه من اقلام ائمة العلم في هذا العصر والله سبحانه ولي الاعانة والتوفيق

وقد تقدم لنا ان اللغة لم توضع دفعةً واحدة ولكنها كانت تابعة لاحوال المجتمع ومبالغ الامة من الحضارة وما هي عليه من التبسط في العمران والتفنن في مذاهب الترف والتوسع في المدارك العلمية والصناعية وما يختلف عليها من الاحوال السياسية والدينية الى ما يتصل بهذه الاطراف ويتشعب عنها . فهناك سلسلة من المعاني لا تنقطع ولا تنتهي الى حد تقف عنده ولذلك كان من المحال

ان لغة قوم مهما بلغت من الكمال وتناهت في الاتساع تصل الى حد تصلح فيه لان تستعمل في كل عصر. لان ذلك الكمال انما يكون بالقياس الى زمن مخصوص ومبلغ من الحضارة لا يتعداه ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يستنبط من نفس اوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابدًا تتجدد وليس من المحتمل ان قوماً يضعون الفاظا لمعانٍ لا توجد. وانت اذا تتبعت اوضاع اللغة لم تكد تعد منها ستة الآف تركيب حالة كون المواد المؤلفة منها والجارية على السنة اهلها تبلغ فيما ذكروا ثمانين الف مادّة وهي عدة ما اشتمل عليه لسان العرب. وهذا ولا شك لم يكن كله من الوضع القديم ولكنه ما انتهى الى الصورة التي نقلت الينا والتي نراها مدونة في كتب اللغة الأ بعد ان قلبَ كل مقلب ودخل عليه من التبديل والزيادة ما اقتضاه كل عصر من اعصارها حتى بلغت الصورة المتعارفة آخرًا وانما هي لغة عصر بعينه هو عصر اواخر الجاهلية وما يتصل بها من صدر الاسلام مما لا يكاد يتجاوز مئة سنة. واما ما قبل ذلك من اللغة فقد غمض عنا علمه لفقد النقل عن اهل تلك الازمنة ولعلّ الكثير منه كان على غير الصورة التي انتهت الينا بل ذلك مما لا ريب فيه لما قدَّمناه من ان تبدّل الاحوال من لوازم المجتمع بل من لوازم كل حادث سنةُ الله في خلقه. وما من تبديل يحدث في حال الامة الا وصورته في لغتها ضرورةً ولو لبثت العرب على عهدها الاول ولم يعترض اللغة من امر مخالطة الاعاجم ما وقف في طريق الوضع والزمها الحد الذي وصلت اليه لذلك العهد لطرأ عليها من الاحداث والتبديل ما انتسخ به كثير من الفاظها المدونة ونشأ كثير من اللفظ الذي لم يكن للعرب به عهد

على ان المولدين لم يقفوا عن الاحداث في الفاظ اللغة ولم يمكنهم الاستغناء باوضاع البادية على الحد الذي كانت عليه ولا سيما مع شدة تفاوت الحال بين عهدهم وعهد الجاهلية وانتقالهم فجاءةً من حال البداوة الى الحضارة والملك وانتشار العلم بينهم في زمن قصير الا ان مصنفي اللغة لم يكادوا يدوّنون من اوضاعهم

الا النزر اليسير مما يسمونه بالمولد واغفلوا اكثر المحدَث حتى لا تكاد تجد له اثرًا الا في كتب اربابه من اهل الفنون التي طرأ فيها ذلك الاحداث وكثيرًا ما تمر باللفظة منه ولا تفهم المراد بها لقصور القرينة عن الدلالة عليه او لاحتمالها معنى غير المقصود . وهو تفريط من مدوني كتب اللغة يؤاخذهم عليه المتأخر وقصور منهم ادّى اليه سوء تقديرهم للمنفعة المقصودة من معجمات اللغة حتى كان كل ما وضع بعد زمن الجاهلية منحطًّا في اعتبارهم عن منزلة ما وضعته العرب خلا مانقلوه من الفاظ الشرع وما يتصل به مما وضع على عهد الاسلام وهو ما يطلقون عليه الالفاظ الاسلامية . وفي ذلك ما يدلك على ان اشتغالهم بتدوين اللغة لم يكن على الجهة التي نتوخاها اليوم والتي يتوخاها اهل كل لغة من تقييد الفاظها وتيسير استعمالها للخلف . وانما كان جلّ غرضهم منها الاستعانة على فهم الفاظ التنزيل والسنَّة مما لا دخل لالفاظ المولدين فيه وهو عين ما قصدوه من تدوين سائر علوم اللسان من النحو والبيان وغيرهما على ما تنطق به خطبهم في فواتح كتبهم وهو المعنى الذي لاجله تطلب هذه العلوم لعهدنا الحاضر حتى اصبحت على الغالب لا تتعدى فرض الكفاية . وهذا احد اسباب ما نجده اليوم من النقص الفاحش في اللغة وتقصير اوضاعها عن اداء كثير من المعاني المدنية والعلمية مما كان ولا ريب متداولاً على السنة السلف واقلامهم حتى لو رجعنا الى مثل عصرهم وتوخينا الكلام فيما تكلموا فيه لم نجد فيما بين ايدينا من اللغة ما نغني به غناءهم ولا اضطررنا الى مثل ما نحن فيه اليوم من مزاولة الوضع واستئناف ما قد فرغوا منه من عهد بعيد

على اننا لا ننكر ان ليس كل ما جرى على لسان المولد ولا سيما من جاء بعد الصدر لاول الاسلام يصلح لاستعمال الفصحاء وارباب الاقلام ويجوز ان يلحق بالفاظ المتقدمين ويحصى في جملة اوضاعهم لما ان ألسنة الاعقاب قد فسدت بما طرأ عليها من مخالطة العجم وفارقت سنة العرب في وضع الالفاظ واشتقاقها وتقليبها على صيغها المألوفة عندهم الا ان لامة لم تخلُ مع ذلك من قوم قد توفروا على

البحث في اوضاع اللغة وتتبع احكامها والنظر في اوجه صوغها وتصريفها حتى استبطنوا سرّها وقبضوا على قيادها فتهيأ لهم ان يضعوا عن كسب ودرس ما كانت تضعه العرب عن سليقة وتلقين طبع . ومتى كان الواضع على بينة مما يضع جارياً فيه على طريقة العرب واساليبها وكان الموضوع مقتبساً من نفس الفاظها حتى يكون كأن العرب وضعته بانفسها فلا وجه لرده بحجة ان الواضع ليس منها واعتداده نازلاً عن رتبة كلامها بل احرِ به ان يلحق باوضاعها وينزل من عدم الاستغناء عنه منزلة الفاظها اذ لم يوضع الا عن حاجة داعية وضرورة ماسة والا فالقضاء باهماله وتجافي الالسنة عن استعماله قضاء باهمال علوم السلف بل التجافي عن الحضارة جملة ورجوع الامة الى عهد البداوة

ولا يؤخذ مما تقدم ان مرادنا الازراء على علماء السلف رحمهم الله تعالى وغمط احسانهم فيما نقلوا الينا من اوضاع اللغة واحكامها وانما الغرض التنبيه على مزية الالفاظ المحدثة وبيان مكان المولدين من اللغة بعد معرفة مكان اللغة من المجتمع وانه لا يستقيم ان يمنع المتأخر مما أُبيح للمتقدم لان لكل عصر لغته كما ان لكل عصر اهله وانما اللغة لمن افضت اليه وكانت في عهده وربما هو المتأخر الذي به حياتها والذي انما يتخذها للعبارة عن احواله واغراضه لا للمتقدم الذي قد درج ودرجت احواله معه . فنحن الان منزّلون منها منزلة المتقدمين بعينها وهم في امر الوضع فيها سواء نصرّف اعنتها كيف شئنا وشاءت حالة العصر لكن مع التزام ما اشرنا اليه من متابعة سننهم والضرب على قوالبهم بحيث تتساوق اوضاعنا واوضاعهم على طريق واحد ويتفق صداها على نغمٍ لا يختلف

﴿ الشرف ﴾

« لابراهيم الحوراني »

الشرف فضيلة بين رذيلتين هما الذل والكبرياء ولكن اكثر الناس يرونه رفعة المقام مطلقا فتلتبس عندهم الرذيلة بالفضيلة . فلا يفرقون بين الذل والتواضع

وبين شرف النفس والكبرياء ويحسبون الحلم بلادة والصبر على المكروه عجزاً والمسامحة جبناً . ونعتزل هذا الالتباس بقسمة الشرف الى ثلاثة : العالمي والديني والادبي . فالعالميّ صنو الكبرياء وهو رفعة الانسان على غيره من الناس لقوة او غنى او اشتهار وما اشبه ذلك . وصاحب هذا الشرف كثير البلبال ومرضة لكثير من الاهوال ولا يفتأ محسوداً على ماله او حاسداً ومحقوداً عليه او حاقداً . يخفق فؤاده على توالي الساعات خوفاً من ان يذل او يسفل من عليائه فيصغر في العيون ويشمت به من هم دونه . وهو اينما ذهب عرضة للعطب وعلى هذا قال بعضهم

لذ بالخمول وعذ بالذل معتصماً بالله تسلم كما اهل النهى سلموا
فالريح تحطم ان هبت عواصفها دوحَ الثمار وينجو الشيح والرتمُ

ولعل الشاعر اراد بالذل هنا التواضع فانه من معانيه . ففي بعض كتب اللغة مانصه : الذل الانقياد والسهولة والتواضع . والا فهو رذيلة واعله رأى الكبرياء او الشرف العالمي شرًّا من الذل فاختار اصغر الشرّين : وقال آخر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

وقال

واذ كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

نعم ان الشرف العالي من اكبر اسباب العداوة والخصام والتعقل يرفع قدر الانسان عند نفسه ويخفض عندها اقدار غيره فتغصه القلوب وتصير مخازن للاحقاد عليه وتتوقع النفوس فرص تذليله واضراره . وما يظهر له شرفاً يظهر لمن هو دونه خيلاء لا تحملها الجبال فضلاً عن نفوس النساء والرجال .. ان كثيرين من اهل هذا الشرف يأبون ان يردّوا تحية لبائسين و اوساط الناس كأن ذلك حطة لهم وهم لا يشعرون بمرارة نفوس اولئك . ولكن الايام دول فربما صاروا الى ما اولئك عليه فحينئذ يشعرون بما لم يشعروا به في ايام مجدهم الدنيوي ويعرفون مقدار ايلامهم لاخوتهم في الانسانية ويعلمون ان للفقراء والمتوسطين احساسات وانفعالات ويتيقنون ان ميزان العدل لم يكسر عموده ولم تزل كفتاه وان لكل

عمل جزاء وان الجزاء من جنس العمل

والشرف الديني هو اعتزال الاثم فكل اثيم ذليل والحرص على السلام ولو باحتمال الاهانة . قال المسيح : من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ايضاً . ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً . ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين . واذ كان الشرف الديني اعتزال الاثم لم يكن منه ان نجيب الظالمين الى دوس الشريعة اذا كلفونا بذلك . ومن هنا ترى ان امر المسيح لا يلزم منه ان نترك الحق والرحمة وغيرهما من الفضائل لمجرّد السلم بيننا وبين المكلفين . فتنبه ولا تلتفت الى مغالطة المغالطين

والشرف الادبي السير على سنن الحق والعدالة مع بذل الجهد في مساعدة المعوزين وترقية الانسانية والعمران . وفي هذا رفعة المقام فانها تلزم عنه غير مقصودة . والشريف الادبي اذا ارتفع سعى في رفع غيره لا في خفضه وفي اسعاده لا في اشقائه وفي ابهاجه لا في احزانه . ان الشريف الادبي بهجة الدنيا وزينة المجتمع البشري وايقاع موسيقى السعادة وجنة الله في ارضه . هو اساس الحق ودعامة العدل ومصدر الامانة وربح التجارة وفخر الصناعة ومنشأ العلم ومنهج الفضل ومحكم الاعمال ومنشط العمّال ومخفف الاثقال وممهد العقاب ومسهل الصعاب ومؤلف الجماعات وجامع الشتات ومعمر الاوطان وموفر الخلّان والاخوان . الارض بدون هذا الشرف معرك الارزاء وميدان جهد البلاء . الشرف الديني والشرف الادبي هما اللذان شادا الملاجئ للبائسين والعاجزين والمدارس للجاهلين والكنائس والمساجد للعابدين والمربيات لليتيم والعجيّ واللطيم . بهما انتشر المبشرون والمعلمون والواعظون في الاقطار وجعلوا الوحوش اناساً والناس ملائكةً اطهاراً والبداوة حضارةً والقرى مدناً والعراة كساةً . هما جددا وجه الارض وايدا السلم والامن والراحة . بهما وزّع اغنياء اميركا واوربا الاموال الوافرة على القائمين بالاعمال الخيرية على انواعها . بهما عرّض الاطباء الافاضل انفسهم للموت بغية ان يقفوا على ما يدفعون به الاوبئة ويشفون الامراض المؤلمة

يا صاحبي ان اردت ان تتصف بكل الفضائل فكن شريفاً فكلها مع الشرف وفيه وبه . كن لكل انسان كما تريد ان يكون كل انسان لك . اتحزنك شرور العالم فكن شريفاً ترَ خيراته دون شروره . اوقد مصباحك يزُل الظلام . انظر الى من فوقك في العلم والدين والادب والى من تحتك في الجاه والمجد والغنى . اعمل مع العاملين ولا تلتفت الى البطالين . انتبه لاهل العفاف واغفل عن اهل الفجور . انقل الصخر من قنن الجبال ولا ترضَ ذل السؤال . الصناعة شريفة ولو كانت نسج المنخل والغربال او خصف النعال . ان منظف الازقة والشوارع من الاقذار انفع ممن يسك الدرهم والدينار وممن يعيش من ربا امواله ويهجر العمل ويزاول الكسل . والحائك والاسكاف والكناس اشرف ممن يعيشون باموال الناس . وذو الادب خير من الجاهل من اهل النسب ولو كان الاديب ابن من يجمع الحطب . وما احسن قول بعضهم

لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وان كان وضيع النسب

وقول آخر

في الناس قوم اضاعوا مجد اولهم ما في المكارم والتقوى لهم ارب
سوء التأدب ارداهم وارذلهم وقد يزين صحيح المنصب الادب

فالشرف الصحيح حب الله والناس والسنة والدأب والاحسان . وخلاصة وصل الفضائل وهجر الرذائل والسلام على الشرفاء اجمعين

﴿ المنافسة ﴾

« بقلم الخوري بطرس البستاني »

فطر الانسان وفي نفسه نزعات الى العز والعلاء وفي فؤاده اهواء نشأت عن تنازع البقاء حتى قد يود لو يستأثر من الدنيا بجميع محاسنها وعقود زخرفها وينتزع من يد العلياء اجمل حلاها واسنى مطارفها . ولذلك شبت المنازعات والمنافسات بين

الامم فكان المجلّي في حلبات الفوز والفتح ذا العزمة الماضية والهمة العالية

ولولا المجد الذي تتدافع في ساحاته المناكب والعز الذي تُحدى الى جنباته الركائب لباتت العزائم في نصابها والاسرار وراء حجابها وبقيت الحقائق في خزائنها والمستحدثات في دفائنها ولبثت الاذهان الثاقبة في سجن الخمول مأسورة وظلت العلوم والفنون في ظلمات الغيب مستورة فضلًا عن مفاسد الترهات والعماية ومخابث الطغيان والغواية الى آخر ما يتصل بها من الموبقات التي ينتثر بها عقــد الاجتماع ويتقاص معها ظل الامن وتنتقض عندها اسباب الالفة

ومعلوم ان المنافسات في طرق الشرف والفلاح هي من افعل البواعث على نشر اشعة العمران ومن اعون الوسائل على صنع العظائم بل هي اس التمدن الوطيد وركن النجاح الشديد ومهماز الهمم الفاترة ومفتاح الاكتشافات الباهرة اذا انتشرت بين امّة كان السعد لها حليفاً والمجد اليفاً والكمال شعارًا والسوْدد حليةً وشوارًا ولا غرو فانّا بالتنافس يصير الجاهل عالماً والمعوز مثرياً والذليل عزيزًا والرقيق حرًّا والمسود سيدًا والخامل وجيهاً والمشروف شريفاً . . .

وما من مشروع جليل يستوقف الابصار ويحير الافكار مما اقامته الامم الغابرة او جاءت به الشعوب الحاضرة الا وقد كان الغرض منه التسابق والتفاضل حرصاً على نباهة الذكر وحسن الاحدوثة . وكفى بالاهرام وقلعة بعلبك برهاناً قاطعاً فضلًا عن الآثار الفخمة التي تطوق بها جيد هــذا العصر مما يفوت الحصر. فحيثما اطلقت بصرك في البلاد الراقية تمثل لك ان الكون في حركة متواصلة وسعي دائم فهناك نفوس دائبة في البحث سارحة في مفاوز الاختراع تأتيك كل يوم باكتشاف جديد واستنباط مدهش تكاد تحصيه في مصاف المعجزات حتى لقد حلقت في الجو بمركباتها الضخمة فسابقت بها الاطيار وتفننت في سفنها الحربية فذلّلت بها شكيمة الابحار وحتى ان الافلاك قد اصبحت منــها كأنها على قاب قوسين فلا يفوتها شيء من امر ثوابتها وسياراتها مع ما بينها من الابعاد الشاسعة بحيث تنبئك عن احوالها واجرامها وحركاتها وابراجها وعن ميعاد كسوفها وخسوفها

وعما بينها وبين الارض من الفروق في التربة والحرارة والشكل الى غير ذلك من التحقيقات التي كانت محجوبة عن افهام الغابرين · وعلى الجملة فانك اذا تأملت في العروش المحفوفة بمواكب الابهة والجلال والمقامات الرفيعة التي يشغلها اعاظم الرجال وتصفحت ما في الخزائن العلمية والادبية من جلائل التآليف وتفرست في المصنوعات وما انتهت اليه من التفنن والتجود ثم سرحت رائد الطرف في التجارة التي تسلسلت جداولها وجرت مشارعها في جميع انحاء المعمور تبادر الى ذهنك ان الانسانية لم تصعد الى اعلى مراقي المدنية الا على سلم المنافسة والمباهاة

وما من شيء يحدو بالرجال الى التسابق في ميدان التقدم كالاباء اذا تملك من النفس فانـــه يحركها على استقباح الدنايا والنفور من مواقف الهوان ومسارح الانحطاط ويزين لهـــا تجشم الاخطار في سبيل المنعة والترف واليسار حتى انها تستبسل وتستقتل في ساحة المباراة وتؤثر الاستماتة في معترك المعالاة على البقاء في ربوع الراحة والسعة مع احتجاب الذكر وانخفاض القدر ولذا نرى الأُباة فيمقدمة المفلحين وطليعة الفاتحين لا تكل مضارب عزمهم الجبال الراسية ولا ينثنون عن الجهد الا والنصر معقود بلواء همتهم والمجد مطنب في افنيتهم

وانما يصير الأَنوف الابي الى تلك المنزلة العالية اذا كان بصيرًا بالامور التي يتولاها خبيرًا بالصناعة التي يزاولها وهو قائم بنفسه على شؤونه يتحين الفرص النافعة لمباشرة الاعمال بشجاعة وتيقظ وثبات بعد ان تروى في المسمك الذي يأخذ فيه ونظر في عواقبه ومقدماته وتحوط لما يصادمه من المشاكل الصعب وهيأ العدة اللازمة للفلاح حذرًا من ان يدهمه في طريقه مـــا يضطره الى الانقلاب بخيبة وفشل فيضيع حزمه ويذهب جلده . ولا جرم ان الاعمال اذ خلت من الحكمة والفطنة والتحرز وحسن التدبير افضت بصاحبها الى الندم واليأس والتراخي والعجز وما اجدره والحالة هذه ان يتخلى عن المزاحمة فيما لا طائل ولا جدوى من ورائه . اما اذ تأنّى في عمله واحكم درسه فمن السداد ان يقدم عليه بعزم وجرأة لانه قلما تكون المغبة غير محمودة مع اجتماع هذه الشروط التي هي من اخص

على ان المنافسة ليست بمقصورة على فئة او محصورة في صناعة بل تتناول جميع الطبقات في كل علم وفن ومهنة فالاحداث اذا تباروا وتساجلوا في المعارف والآداب اذخروا منها ما يكون لهم معواناً على الفلاح في مستقبل الحين والا استمر المكسال منهم على حضيض التهاون غرّا غبياً وانقلب عن ساحة الكفاح ذليلاً شقياً واما المجتهد فاذا لم يصادف في وجهه من يغالبه في العلم ويطاوله في التحصيل لم يرخ لجواد فكرته العنان في مجال الاستفادة ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار الجسام

واذا كانت هذه منافع المنافسة في الصغار مما هم عليه من قلة الخبرة والحنكة فما رأيك في كبار القوم اذا تجاروا وتسابقوا في مضمار العمران فانهم ولا شك يستبحرون في الحضارة ويتوسعون في الزراعة والصناعة ويتبسطون في التجارة ويتفننون في العلوم بحيث يتفوقون على من يجاريهم في كل ميدان

ولنا كل يوم من الممالك العازمة الابية اعدل شاهد على فضل المنافسة فانها لا تزال تتنازع مطارف السيادة والسيطرة والمجد متزاحمة في ترويج مزروعاتها ومصنوعاتها في جميع الآفاق ولهذه الغاية تبعث من قبلها الى البلاد السحيقة معتمدين مجربين حتى اذا درسوا احوالها واذواقها وتبينوا شؤونها واخلاقها وألموا بحاجاتها وميولها رفعوا الى منتدبيهم تقارير وافية تنطق بما ادت اليه مباحثهم قصد ان تشهر بين تجار بلادهم فيستظهروا بها على التفسح في الاتجار والتعمق في الاختبار . فضلاً عن مساعي كتبتها العلماء وصنّاعها الحذاق وعمالها المهرة وساستها الدهاة المحنكين وعما تمدهم به من الذرائع القوية للاشتغال باعمال مجيدة تباهي بها من يزاحمها في مسالك التقدم حتى انها لا تضن بالمال ولا تبخل بالرجال ولا تبقي على المهج في طريق التنافس والتسابق وحتى انها لا تذوق لذة الكرى ما لم تستحدث عملاً فيه عزها وجاهها في كل مجال . واذا وقع في مسامعها اكتشاف حديث اهتدى اليه احد الاجانب قامت وقعدت ولا يقر لها قرار ما لم تطلع على

اسراره وتنسج على منواله

وانه ليشق علينا ان نرى في بلادنا التخلف عن منافسة الشعوب الناجحة ومتابعتهم في طرق العمران ومعرفة المستحدثات التي وفقوا لها مما نقرأه في الصحف ولا نحتفل بالوقوف على كنهه وانما ذلك لانثلام في مضائنا وجمود في اجتهادنا وكلاهما من عقبات المنافسة . واذا لم يكن لنا الآن من متسع لمسابقة من توطدت في امصاره مباني التمدن نظرًا لتفشي الجهل فينا فلا اقل من ان نعنى باعمالنا ونتصرف وراء العمران بما يمتد اليه ذرعنا الى ان تربى بين ظهرانينا نابتة جديدة تحيط باطراف المعارف والفنون الادبية والدروس العمرانية مترعرعةً على حب الوطن والدأب في تعزيزه مع التحلي بابهر الخصال واكرم الاخلاق والمبادىء ومن ثمَّ فلا يكون لنا عذر فيما لو قصرنا عن حد تلك الامم الفائزة . ولا نخال احدًا يتقاعد عن تحقيق هذه الامنية ولا عن الانصباب على الاعمال حتى اذا ابصرت الناشئة الحديثة مثابرتنا وانعكافنا على الارتقاء تسنى لها الانكباب على المساعي الجميلة واتت البلاد من المشاريع المنجحة ما سوف ننافس به ابعد الامم في مذاهب الحضارة بعون الله

التروّي والتأنّي

« له ايضاً »

لا يسلم المرء من غوائل الغرور ولا يأمن مغبات الزلل ما لم يكن يقظ الفؤاد شديد الحذر متثبتاً في اعماله متروّياً في اقواله تحرزًا من مكروه يلمّ به اذا تعجل في امر قبل تدبر عقباه او اتى بكلامة لم يصغها اللسان من معدن الروية والفكرة

والاعمال كلما جلّت ودقت استلزمت من التبصر والتأني ما لا يخفى على الحكماء مقداره . ولا يجمل الشروع فيها قبل ان يرسم لها خطة جلية تتكفل بوجوه الاحكام والاتقان وتؤدي الى الظفر بالمراد من ايسر سبيل على نحو ما يجري عليه العاقل المتبصر فانه يحوم حول مسعاه ويتعهده بالنظر الصادق قبل ان يصمم النية عليه حتى اذا كان على ثقة من النجح اخذ فيه بجزم وضبط والا عاد الى

تذليل صعابه تحامياً من ان يرتد على اعقابه خائباً لاول شوط يجريه في مجاله بخلاف اللجوج العجول فهو يقحم في اموره على غير هداية ويرمي الكلام على عواهنه بدون تفكر في مصيره حتى يلقى من التسرع الامرّين

ولا يخفى ان المرء اذا اغرق في البحث عن مناحي الصواب لا تختفي عنه المراشد واذا تأنّى في مساعيه فاز برائعات امانيه واذا استحاط في جميع اموره قلّما يعثر واذا عثر مرة استدرك الخلل في الآتي حتى يصبح من الحكمة والخبرة بحيث يرجع الى رأيه في جميع المشاكل واما الغافل المتسرع فانما يهيم على وجهه في ما يعمله ويقوله ويركب مطية الخطل والجهل فيقول ما لا يعلم ويجيب قبل ان يفهم ويعزم قبل ان يفكر حتى تأتي اعماله مختلة واقواله مشوشة

وبديهيٌ ان للمكالمة قيوداً يحظر تعديها وللمخالفة مواضعات لا يتسامح في تخطيها وهي تختلف باختلاف المقامات والاحوال بحيث الذي يعد من المستملحات في محاضرات الاصدقاء يكون من المخزيات المستقبحات امام الكبراء والعظماء والذي يستحسن في موقف الهزل والادلال يستهجن في معرض الجد والتحفظ والذي يحلو ذكره على مسمع الاودّاء ينكر ايقاعه في آذان الاعداء الى آخر ما هنالك مما لا يفسح المقام في استيفائه . ومن هنا تعرف اهمية التفكر ولا سيما ان الحديث رائد العقل ومرآة القلب وهو الدليل على ادب المرء ومبلغه من الحكمة والخبرة فاذا لم يتفرس فيما يقوله هذر وهذى وكان هرآؤه مسقطة له من عيون الناس . ورب كلمة اوردها المهذار انزلت عليه سيولاً من الويلات ورب عبارة نفثت في الالباب سم البغضاء وغرست بين المتصافيين بذور الشحناء . ومتى نزلت الثرثرة في امة كثرت عثراتها وكبواتها واختلطت امورها وانتشرت فيها اعضل الادواء العمرانية واخبث المساوىء الاجتماعية حتى تفسد اخلاقها وتذهب نضارة آدابها . واذا دويت اخلاق امة تصدعت الفتها وصارت الى الاضمحلال كما اصاب الممالك المنقرضة القوية في الاجيال الغابرة مع انها كانت باسطة سيادتها على الدنيا باسرها

وعلى الجملة فان آفات المدنية واصناف الشقاء انما تنطلق سهامها على المجتمع الانساني من كنانة السهو والغفلة فاذا تغلب الطياشون في احد الاصقاع على اصحاب الرصانة والتعقل سادت القبائح واستفحل الداء وعظم البلاء . ومهما يكن العمل طفيفاً وحقيراً فلا بد من تأمله قبل الشروع فيه ولعل الاستخفاف به يورث من الضرر ما ليس في الحسبان كما يقع للتاجر اذا اهمل ضبط حسابه ولربة المنزل اذا لم تعبأ بالاشياء الزهيدة وللرئيس اذا تساهل مع مرؤوسيه في ارتكاب الصغائر حتى يتسع الخرق ولا يبقى من سبيل الى سده . ولو تبصرت هذه الفئة فيما يلحق بها من الخاسر من جراء تهاونها بالدقائق لاهتمت بها اي اهتمام ولا سيما بعد اذ تعرف ان علم الاقتصاد انما بنيت قواعده على الاحتفاظ بادق الامور وهو العلم الذي يعد من اقوى اسباب الفلاح واغزر موارد الثروة . .

وكيفما قلبنا نظرنا في جميع الطبقات نرى التروي من افضل الصفات التي يتأسس عليها العمران كما ان العجلة هي جرثومة الخراب ومنبع الشقاوة . فلو تفكر المجرمون في فظاعة جناياتهم والظالمون في مراتع بغيهم والمفسدون في نتائج إفسادهم لاقلعوا عن منكراتهم ومعاصيهم وكفوا الدنيا مؤونة شرّتهم وطيشهم وكذا قل عن الجهال والضالين والسكيرين والمقامرين وكثيرين غيرهم ممن يعبثون بالامن العام ويعكرون صفاء الافكار

على ان التروي يلزم ان يصحب الانسان في جميع ادوار حياته اذا كان في قلبه منزع الى الفلاح . فالطالب اذا افتكر في الغاية التي من اجلها انخرط في سلك المحصلين عانى من الجهد في دروسه واصلاح نفسه ما يجعله من المبرزين في مضمار العلم والعمل . والآباء اذا انعموا النظر في محاسن التربية لم يدخروا وسعاً في تهذيب بنيهم وتنشئتهم على الخصال الشريفة والشيم المحمودة التي تعينهم على ان يكونوا من ارباب النهضة والمروءة لوطنهم المحبوب . والفقراء اذا نظروا الى البلايا التي يتهددهم بها الدهر نشطوا الى العمل بثبات وحزم تصوناً من نكبات البؤس . والاغنياء اذا اختبروا تقلبات الزمان استنزلوا منها لانفسهم العبر حتى جدوا

وكدوا ولم يتسامحوا في تأديب بنيهم وتنشيطهم الى السعي وراء خيرهم وخير بلادهم

واذا كان التروي لا بد من التقيد به في الاحوال الفردية لإحكام الاعمال وإصلاحها فلأن يتقيد به الذين تتعلق بهم المصلحة الجمهورية بالاولى لان الرجل الفرد اذا اختلت اعماله انحصر الضرر فيه او ربما تطرق الى نفر قليل من ذوي قرباه واما الرجل العمومي فانه بتقصيره وغفلته يلحق الاذية بالوف ممن لهم علاقة بمهنته او منصبه كالطبيب مثلًا اذا لم يكترث لاصابة العلة وتشخيصها ولم يحفل بوصف الدواء الناجع فانما يقتل بتهاونه عددًا لا يحصى من الاعلاء. وكالصحافي اذا لم يمحص كلامه من الشوائب او نشر مقالات مضرة بالاخلاق او سكت عن عيوب الامة او قبّح المستحسن وزيّن المستقبح اطاعةً للهوى. وكالمحامي اذا فرّط في التنقيب عن الحجج اللامعة دفعاً لدعوى الخصوم الجائرة. وكالقاضي اذا حكم بين المترافعين بدون تأمل في البينات. وكالاستاذ اذا قصر في الشرح ولم يشحذ الفكر في التفتيش عن السبل المنجحة فرارًا من العناء فان هؤلاء وامثالهم ممن بيدهم الشؤون العمومية ينزلون بالامة اذا غفلوا وشطوا مضراتٍ تشذ عن العد

ولعل الرجل الفرد اذا كان لكلامه تأثير في القلوب نظرًا لعلو منزلته عند قومه يحدث عن بوادر لسانه وعثرات يراعه ما يحدث عن غفلات الرجل العمومي وذلك يغلب في البلاد المتحكم فيها الجهل حتى ان اهلها ينقادون انقيادًا اعمى الى زعيم فيهم منوطة ارادتهم الضعيفة بارادته القوية وهم عاجزون عن تمييز النافع من الضار والصالح من الفاسد فان جرم الشطط مع اشباه هؤلاء الاغرار اعظم من ان يحد واوسع من ان يوصف

ولا مشاحة ان الرجال العظام الذين يمثلون امة كبيرة يسيئون بتهورهم وتعسفهم الى كل فرد من تلك الامة ويكون ذنبهم على قدر الذنوب التي يجترحها كل منهم في حقها اذا لم يخلص لها الخدمة او خانها من حيث لا يقصد الخيانة بل اذا تعمد اذى وطنه لا يعادل منكره هفوة من الرئيس ولو لم تكن عن عمد وذلك لما عقد بينه وبين الامة من العهود على خدمتها بامانة ويقظة واخلاص. فاذا

غفل عن الاعتناء بقضاء ما عليه اجترح فظيعة لا تغتفر ونكث بوعده مع كل فرد من ابناء امته . .

وبعد فهل من مجال للارتياب في صحة هذا القول ولنا شواهد عدة على ان سقطات اولياء الحل والربط هي الضربة القاضية على هيكل الامة . فكم من حرب شب وطيسها بين الممالك لعبارة فاه بها عميد القوم قبل ان تختمر في فكره . وكم من بلية اذاقت الرعية الصاب والعلقم بسبب التفريط في التروي من جانب ممثلها ومعتمدها . وكم من فائدة ضاعت بين الاغفال والاهمال وكم من نعمة ذهبت بين اللهو والهوى والاعتساف . وكم من مقام تزعزعت اركانه الموطدة لخطاب القاه الزعيم على غير هداية ولا دراية

وان ابعد الناس في الكون حنكة وابلغهم حكمة هم الذين تفردوا بالانتباه والتفكر والتثبت حتى تلقنوا من الدهر دروساً اصبحوا بها اساتذة لامتهم وعماداً لها في النائبات . وما من احد معذور عن ترك التجمل بهذه الحلية الفاخرة فاذا كان لا يريد ان ينعم النظر فيما يفعله ويقوله حرصاً على سعادته وكرامته فان للامة حقاً عليه في ذلك لانه كما يحق له ان يطالب الحكومة بما فيه راحته وسلامته فلها ان تتقاضاه التزام المسلك الواجب للامن العام . وما احوجنا نحن الى اعمال الروية في جميع شوونا لاننا في اول درجة من مرقاة العمران ولا سبيل لنا للصعود الى ذروتها بدون ان نحد غرار الذهن ونصرف الفكر الى جميع اعمالنا . فبالتروي نتصل الى تهذيب نفوسنا وترويض طباعنا وتفقيه عقولنا وبه نسلك المسالك الممدوحة ونحفظ المحبة والاتحاد فيما بيننا ونعيش بسلام ورغد وسكينة وبدونه لا نتقن علماً ولا نحكم فناً ولا نحسن عملاً ولا نحدث اختراعاً ولا ندرك ارباً . فلنحرص اذاً على هذه المزية البهية حتى اذا تحلينا بها تصرفنا تصرف الحكماء ونجحنا نجاحاً باهراً واوجدنا في موطننا ناشئة مهذبة تدرّ عليه خيرات لا تحصى . ومن ثم لا نرى امامنا الا نفوساً كبيرة مملوءة من الحمية وقلوباً مفعمة من القوة والحزم والنشاط وعقولاً مشبعة من الحكمة والسداد

وصدوراً مزدانة باجمل المناقب واشرف الاخلاق فتفرغ السجون من الاثمة وتخلو الشوارع من السفلة وتمتليء الحقول من رجال العمل والكد وتنسج ايدينا ومعاملنا منسوجات رائعة ننافس بها ارقى الشعوب ونوزع تجارتنا على كل المعمور ونثير بآثار ذكائنا وعلومنا جميع اقطار العالم . وما ذلك بكثير على امة تتروى في اعمالها واقوالها وتسهر على منافعها ومصالحها

﴿ الاحلام الذهبية ﴾

« له ايضاً »

لكل امرئ في دنياه احلام رائعة تتجلى في سماء فكره مبددةً عنها ما تلبد فيها من غمائم الهموم القاتمة

واكثر ما تتزاحم هذه الاحلام في ربيع الحياة اذ يكون المرء قد بلغ اشدَّهُ واخذت نفسه الفتية تطمح الى معالي الامور سابحة في جوّ الاماني باجنحتها القوية التي تهزأ بما يساورها من العواصف

ولولا هذه الاحلام لقضى المرء ايامه في زاوية الخمول وربما طواها بين مخالب اليأس وانياب الجزع كما يتفق في الغالب لمن يقنطون من دنياهم فلا يقوون على مناصبة بلاياها فيعمدون الى مغادرتها بالانتحار وهو سلاح الجبناء ذوي العته لا سلاح الأُباة كما يزعم بعض الغلاة المتطرفين

وان الطموح الى العلاء والنزوع الى التقدم لعنوان الهمة الناهضة ودليلٌ على المضاء وصدق العزيمة . ولنا بنابوليون نابغة الفرنسيس بل نابغة الدنيا باسرها على توالي الاعصار اسطع شاهد على ما نحن بصدده فانه لم يدرك سنّ الرشد حتى اخذت الاحلام الذهبية تحوم على خاطره الوقّاد وبصيرته النقّاذة . فذلّلت في وجهه الصعاب ومهدت العقاب وتدرجت به من ادنى المراتب الى اسناها فلم يقرّ له قرار حتى قبض على صولجان الملك وخفض اجنحة الاقيال والعمال

***

على ان الاحلام لا بدّ لصاحبها من التنزّه عما يشينه من المطامع ويعيبه من المنازع حتى لا يلصق بسمعته غبار ولا يلقى على عاتقه عبءٌ من التبعات . فلأَن يبقى تحت حجاب الخمول اولى من ان يصعد الى رابية النباهة على قدم المحظورات المخجلات

ولقائل ان يقول : كيف يتسنى للمرء تحقيق احلامه الذهبية وهي في اكثر الاحايين فوق طاقته بل ربما كانت احياناً ضرباً من المحال ؟

فنحن مع اقرارنا بانطباق هذا القول على سواد الناس بل الجانب الاعظم منهم لا يسعنا السكوت على مضارّه التي اقلّها انها تثبط الهمم وتخمد العزائم وتسدّ مذاهب التنافس والتسابق في مضمار العلاء . وهل يجمل بذي الهمة العالية ان يهاب العظائم اذا رأى بعض اقرانه قد باؤوا عنها بالفشل وانقلبوا بالخيبة . ومن ينكر عليه انه يكون من الفائزين اذا كدَّ وراء مطامحه وسعى اليها من وجهها السهل الامين . فلكم من معسر قد ايسر بجده واستقامته وفطانته كما وقع لكثيرين من كبار المثرين في اميريكا الذين استهلوا حياتهم بالمهن الوضيعة ثم ختموها وهم القابضون على ثروة بلادهم يهزُّون اعصاب التجارة في اقطار المعمور كلها شاؤوا . واي اكتشاف لم تهرق على جانبيه سيول من الدماء بل ايُّ اختراع لم يذهب بحياة الوف من ذوي الاقدام والشمم . وحسبنا ان نلقي نظرة على ضحايا الطيران فهي تغنينا عن الاسهاب في هذا الموضوع

* * *

ان الاحلام الذهبية التي ترافق المرء الى لحده هي خير انيس والطف جليس وانطس طبيب لمعالجة أدواء الحياة وكوارثها القاسية . الا انها تنغص العيش وتكثر من مرائره اذا خرجت عن حيز المعقول او تدرّج المرء اليها على غير الطريقة الامينة المشروعة . اذ لكل مسعى سبيل يؤدي اليه ولكل عظيمة مذهب لا يمكن بلوغها بدونه . فعلى العاقل ان يلج الامور من ابوابها ويتحرى المنجح من طرائقه الواضحة

وانني لاقدّس الاحلام التي تفضي بصاحبها الى السعادة في الدارين وذلك بان تكون وجهتها تهذيب النفس وتقويم الارادة وتثقيف العقل وتدميث الخلق . فكلما نزع المرء الى الفضائل والكمالات البشرية وسما فؤاده الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال كانت نزعاته حرية بالاطراء والاعجاب. كيف لا وان مهمته هذه من اشرف المهمات ومسعاه من اجمل المساعي . ولهذا السبب اجمع العقلاء في كل عصر على استحسان الخطة الرشيدة التي سار عليها اولياء الله وايثارها على سائر الخطط اذ ضمنت لهم راحة الضمير في هذه الدنيا ، وهي قطعة من ملاذ النعيم ، وافازتهم بعد مغادرة هذه الفانية بالثواب العلوي الذي أهّلهم له الجهاد العظيم الذي جاهدوه في دار الشقاء

ومن الاحلام الخليقة بالتعظيم ما كانت غايته المصلحة العمومية بل المصلحة الوطنية وذلك كأن يصرف المرء همه الى تعزيز وطنه وترقيته في معارج الفلاح والسمو به الى قمة المجد الشامخة والتوفر على اسعاده وإحيائه بالمشاريع العمرانية المفيدة والدفاع عن ذماره في مواقف الخطر وبث الروح العالي في صدور بنيه والتوفُّر على توطيد دعائم التآلف والتحابّ فيما بينهم حتى يكونوا كتلةً واحدة على العدو اذا اضمر له شرًّا او انزل به سوءًا

وما اجمل ما يكون فضل الآباء على بنيهم اذا غرسوا في مخيلتهم مثل هذه الاحلام البديعة وحثوهم على بذل قصارى المجهود في سبيل تحقيقها

ونحن اليوم في اشد الافتقار الى ناشئة نبيهة راقية يدور في خلدها مثل هذه الاحلام النافعة التي تنعش البلاد من كبوتها وتسمو بها الى ذرى العلياء . نحن في امسّ الحاجة الى إحياء روح الالفة والوئام في قلوبنا وذلك بتأليف جامعة وطنية من العقلاء تتكاتف على التوفيق بين قلوبنا المتنابذة بعد ان مزقتها يد الاغراض شرّ تمزيق وفرقتها العصبية الذميمة اي تفريق حتى اصبحنا وكأننا خارجون من برج بابل لا نعرف كيف نتفاهم ولا كيف نتضامن

وما افقرنا الى لجنة تُعنى بتعزيز لغتنا التي تتهددها عوامل الدثور والفناء من

كل جانب وهي ناظرة بعين دامية الى من عقّها من بنيها موثرًا غيرها عليها حتى طعنها في صدرها طعنةً نفذت سويداء فوءادها . .

هذا ما يدور في خاطري من الاحلام الذهبية فعسى ان تتحول الى حقائق فأرى بدر السعد وهّاجاً في سماء بلادي التي نشأتُ على هواها واموت في هواها والسلام .

﴿ ايها الفن ﴾

« بقلم جبران خليل جبران »

ايها الفن . العظيم بتأثيره . الغريب باعمـاله . السامي بجماله واسراره . انت شبح من مقدرة المبدع الازلي في نفوس النوابغ المبدعين . انت روح الله المرفرفة بين قلوب البشر واللانهاية . انت فكرة مستيقظة في هذا العالم النائم بحراكه . الجامد بسيره

باصابعك الخفية تتناول العناصر وتكوّن منهـا صورًا واشباحاً واجساماً وانغاماً تبقى ببقاء الزمن وتظل جميلة الى النهاية . .

ان العدم يصير وجودًا عند ما يمرُّ امامك . واللاشيء يصبح شيئاً اذ يلامس اطراف اذيالك . والموت ينقلب حياة بوقوفه لديك . جميع الاصوات والالوان والخطوط . وجميـع العناصر والارواح والخيالات . وكل ما تحدثه الطبيعة بحراكها والانسان بكيانه يستسلم الى مشيئتك ويتكون بكيانك ويتمايل مع اميالك

انت تلامس الزمن فيتحجر الزمن . وينقلب تماثيل منتصبة امام وجه الابدية . انت تتنفس في الهواء . فينسكب الهواء خمرة علوية من بين شفاه المغنين واصابع الموقعين . انت ترتعش بين دقائق النور . فيسيل النور مع الحبر على اوجه الاسفار والكتب . انت تتناول اشعة الشفق . والوان قوس القزح . وتبتدع منها صورًا ورسوماً . انت تطأ باقدامك الصخور فترتفع الصخور معابـد ومساجد

وهياكل خالدة بخلود الدين

امام عرشك تظل الاجيال واقفة مستيقظة مترغة . فما مضى منها يبقى حاضراً بحضورك . وما سيأتي منها يطوف الآن مرفرفاً حول اذيالك

ان مجد الامم يبقى ما بقيت ويذهب ان ذهبت . لانك من حيـاة الامم بمقام القلوب من الاجساد : فمصر وآشور وفارس لم يتعالينَ الى السماء الاّ بقربك وما انحدرن الى الهاوية الا لبعادك . واغريقيا وروما وبيزنطيا لم يعانقنَ النور الا في ظلالك . وماهجعنَ بين لحف الظلام الا لهجرانك—واليوم قد درست الاجيال امجاد تلك الامم وجبروتها لـكنها لم تستطع ان تمحوا آثار اقدامك عن آثارها . ولم تقدر ان تمزق بقايا النقاب السحري الذي القيته على بقاياها . فالسائر على ضفة النيل يرى أشباحك حائمة بين القصور والهياكل . والواقف على الاكروبليس[1] يشاهد شعلات انفاسك طائفة فوق الاعمدة والاصنام . والناظر الى جدران الخرائب في سبارطا وتدمر وبعلبك يقرأ مطالع الموشحات واذيال القصائد التي خطتها انامل

اذا كان التاريخ مرآة العصور فانت اليد التي جلت وصقلت اديم تلك المرآة وان كان العلم سلّماً ترفع الانسان الى ما وراء الـكواكب فانت العزم الذي يبني ويبقي درجات تلك السلم . وان كان الدين شعر الحياة فانت الوزن الذي يجعل لذلك الشعر رنة في الصدور ونغمة في القلوب

ايها الفن الغريب باسراره . العجيب بخفاياه . القوي برقته . الفاتن بهوله ومهابته . كيف نصفك وبمـاذا نشبهك . وانت روح الوصف وعلة التشبيه . هل ندعوك عاطفةً ؟ وانت مولد العواطف والاحساس . ام ندعوك قوة ؟ وانت مظهر القوات والعزائم . نحن نرى مجدك بعيون قلوبنا الشاخصة . ونسمع اناشيدك بآذان نفوسنا المصغية . ونلثم اطراف اذيالك بشفاه ارواحنا المرتعشة . ولـكننا لا نستطيع ان نخطّ حرفاً من حروف اسمك حتى تلامس اصابعنا اصابعك . ولا نقدر ان نتكلم عن جمالك الا اذا غمست السنتنا بخمرة جمـالك . فانت بنفسك مظهر لنفسك .

---

(١) قلعة في اتينا وهي بما فيها من الهياكل الفخمة من اجل الآثار

ونحن بقوة الحب الذي وضعته في اعماقنا نقترب من محبة القوة التي وضعها الله في اعماقك

اجعلني ايها الفن خادماً من خدامك المتسلطين على الحياة . وصيرني جندياً من جنودك المنتصرين على الدهور . ودع حريتي تستعبد لمشيئتك . والمس نفسي بشعاعك لعلها تقترب من مبدعها ومبدعك

﴿ تعريب القصيدة التي نظمها شاعر انكلترا الكبير ﴾
« روديرد كيبلنغ »

(محيياً بها الموسيو « بوانكاره » رئيس جمهورية فرنسا لدى)
(زيارته انكلترا سنة ١٩١٣ وقد وجه كلامه الى فرنسا)

انتِ التي عرفت كلّ شقاء معروف وتغلبت عليه
لانكِ تحملين في صدرك حب الحياة السليم : وهو درع بلاد غاليا[١]
ففي مغامر النعمة لا تعرفين حدّا . وفي مواطن الجهد لا تعرفين ضعفاً
انت الرهيبة بقوةٍ تستمدينها من تربةٍ لا ينفد غناها
تحكمين اشد الاحكام على قدرك وشأنك . وانتِ الأمة الرؤوف بالغير
انت الاولى في اتباع الحقيقة الجديدة . والاخيرة في ترك الحقائق القديمة
انتِ فرنسا التي تحبها كل نفس عطوف الى حب الناس

***

تذكرين اننا قبل مولدنا كنا جنباً الى جنب نضطرب . كنا معاً في حجر رومة متحفزين للعراك .

قبل ان يعرفوا تباين لغاتنا كانوا يعرفون مستقبل مهمتنا

كل واحد من هذين الشعبين كان في آن واحد يهيء مستقبله ويرتب مصير أخيه

---

(٢) اسم بلاد فرنسا القديمة

فلهذا هززنا نحن الاثنين الانسانية الى ان صارت الارض كلها ارضنا !
ومن اقصى العالم الى اقصاه اثارت منازعاتنا السلطات وشيدت عروشاً وقوضت عروشاً

وذلك لكي يسد الواحد منا الطريق في وجه الآخر

تلك شعوب اتخذناها مقدماتٍ لنا . فكانت اجيرات سخطنا وغضبنا لهذا ملأنا البحار عواصف . واجتزنا ابواب العالمين الجديدة دون ان نعرف من منا نحن الاثنين كان السابق

اتذكرين ؟ ويد كل واحد منا على قائم سيفه . وكلنا مستعد ليضرب . وكلنا واثق بان الملتقى . مهما كان . آئل الى المعركة . كنا شاكي السلاح . لا يخطو احدنا خطوة الا اوقفته قوة الآخر . او دفعته الى الامام

لقد اجتزنا طول العصور والاحقاب وقطعنا عرض البحار كلها

* * *

فاين تقهقرتِ امامنا ؟ ومتى تقهقرنا امامكِ ؟

سلي امواج البحار : كل موجة منها قد عرفت احدى معاركنا

اجل حالت بيننا احياناً شعوب اخرى . لكننا كنا نتركها لنعاود الكرة بعضنا على بعض . لاننا كنا نلذ جميعاً بتعادلنا في الجلاد

كان كل واحد منا للآخر سراً وجزعاً وحباً . كنا نتقابل بشعارنا

فأية معركة كانت تشرف احدنا بالعراك كمعاركنا ونحن الخصمان الباسلان .

كان احدنا ينتزع من حلق الآخر شهادة له ببسالته وهتاف اعجاب به

وكلانا صب في جام اخيه دمه ممزوجاً بدمعه : افراح البأس والامال بلا حد والاشجان الشديدة

وكل ما لوث الحياة وكل ما رفعها وأعلاها منذ الف عام . اعمال تنوء بها القوى ومعارك تحت كل شمس وسماء : هذه هي افعالنا المشتركة يا فرنسا الصديقة !

قد اصبحنا الان ونحن متعانقون تحت عبء واحد من الذكرى والندم نتوق الى الراحة . ضاحكين من الخدع القديمة التي صرنا الآن نراها الاعيب

ونظر الى اقبال سنين جديدة متسائلين هل يمكن ان تثور عواصف اشد من التي اثرناها . والآن نسمع اصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل وتتفاخر وتنادي كما كنا ننادي صاخبين عند ما تتدفق جماهيرنا . اتذكرين ؟

حباً بالحياة ذاتها كان احدنا يتفحص عن حسام الآخر . فأي دمٍ واي حسام يفعلان اكثر مما فعلنا ؟

فيا لها من مدرسة قاسية تعلمنا فيها ان يعرف الواحدُ منا الثاني

نحن الذين تغازينا سواحلنا وتناهبنا منازلنا

من يوم رن سيفُ برنوس[1] وهو واقع في ميزان رومه !

ونحن اليوم نتماسك تانية ثانية جسماً لجسم لصون سلام الارض بالسهر عليه نقياً من كل دم

﴿ فرد تحيته الشاعر الفرنسوي فرنان غريك بقصيدة طويلة ﴾

« نورد منها بعض مقاطعها »

اجل ايها الرفاق ! كلانا ابلى في القتال بلاء حسناً

كان اسطولانا يجوبان البحار . ويطرقان المواني يبحث الواحد عن الثاني

كان اسطولكم ضخماً قوياً متغلباً على ثبج البحر

وكان اسطولنا رشيقاً فتاكاً مزيناً بالاعلام وكلاهما ملك البحر والهواء

رآهما العالم من بريطانيا العظمى الى اميركا يتقاتلان في اماكن لا اسم لها ولا ذكر وقد اصبحت مشهورة بعد معاركنا . .

---

(١) احد القواد الغاليين غلب رومة وفرض عليها جزية باهظة . وبينما كان الرومان يزنون الذهب شكوا من تلاعب الوازنين . فرمى برنوس بسيفه في كفة الميزان ليزنوا ايضاً ثقله ذهباً وقال : ويل للمغلوبين

والان وقد اطرحنا الحقد يمكننا ان نقص بعضنا على بعض تأريخ مواقعنا الهائلة دون ان نخجل من الماضي

اما جان درك ونابوليون فان احترامكم وتمجيدكم لهما الآن يمحو كلَّ ذكر سيئ . . .

بلى يقال عنا معشر الفرنسويين اننا نملأ الارض ضجيجاً ونصمّ الاذان بنداداتنا بالحرية والمساواة والاخاء

بلى ولكننا كثيراً ما نجتز رؤوس بعضنا بعض من اجل هذه الكلمات . وذلك ليستفيد العالم !

فلنأتلف يا انكلترا ذات العقل الشريف واليد القوية

فنقوى حينئذٍ على تسكين آلام العالم وسد ينابيع الدمّ .

« عن مجلة الزهور »

الديموقراطية

« بقلم امين بك البستاني المحامي »

الديموقراطية لفظة يونانية تركبت من كلمتين : داموس ومعناها الامة او الشعب وكراموس ومعناها السلطة : اي سلطة الشعب ويقابلها الاوتوقراطية . واللفظة يونانية ايضاً ومعناها سلطة الفرد اي الملك المطلق لا الدستوري المقيد . هذه انكلترا « ديموقراطية » وعلى رأسها ملك الا انه دستوري مقيد يسوس الامة ولكن على يد الامة فهو ملك جمهوري

قلت ولم تزل الحرب مستعرة بين الديموقراطية والاوتوقراطية منذ تبلج فجر المدنية . دلنا على هذا تاريخ اثينا وروميه في القدم وتاريخ فرنسا وانكلترا وغيرهما في الطارىء الحديث . فمن اوتوقراطية الى ديموقراطية ومن ديموقراطية الى اوتوقراطية حتى ظفرت الديموقراطية الا الولايات المتحدة الامركانية فانها استمرت من الاصل على الديموقراطية لا تنصرف عنها ابد الايام وذلك لتمكن المذهب

الديموقراطي منها واشرابه نفوس قومها . ولا غرو ان تسود الديموقراطية آخر الامر لانها حكومة الامة والحكومة للامة لا للملك الذي هو رجل منها اختارته ان يكون رأس دولتها او اغتصب هو هذا الملك اغتصاباً وغلاباً في حرب وقعت او فتنة فرقت بين الامة ادرك بها طالب العرش مناه

لما قبض الملوك على صوالجة عروشهم انتحلوا حق السماء وقالوا ان ملكهم من الله لا من عباد الله . ومن هذا قيل لامبراطور الصين ابن السماء ولسلطان العثمانيين ظل الله على الارض . ثم ظلت الامم تلقي على ملوكها مثل هذه النعوت الضخمة حتى هووا من تلك العروش الا الملوك الذين دانوا لسنة الديموقراطية فاستقروا على عروشهم وهم اشباه رؤساء الجمهوريات لا ابناء السماء ولا ظلال الله على الارض . على ان تبدل طريقة الحكم من سنن اوتوقراطي اي من سنن التحكم والاستبداد الى سنن الحرية والدستورية فجأة وبمرة واحدة افضى الى فتن سالت فيها الدماء وتناولت رؤوس الملوك انفسهم فلم تسلم من سيوف الفتنة ان تجزّها وتجزمها . والشواهد كثيرة في التاريخ القديم والجديد اذ لا بد للملوك من احزاب تنصرهم وتنفر معهم للذود عن عروشهم فتقتتل الرعية ولم تزل بالاقتتال حتى يظفر فريق بآخر وعلبَ ان يظفر فريق الحرية ان لم يكن عاجلاً فبعد حين . لانه متى عصفت فتنة الحرية بامة واذاقتها شيئاً من حلاوة الديموقراطية فلا تنكص عنها حتى تبلغ امانيها . الا ان حكماء الامم اجمعوا على ان التدرج والتدرب على طريقة الديموقراطية هما اسلم عاقبة واثبت اثراً من الطفور فقد جاز ان تلتوي اماني الاحرار بمثل هذا التسرع وتقوم الفتنة ويفسد القصد على طالبيه . خذ مثالاً لذلك اليابان وما احكمت من التدبير والاهبة للحكم الديموقراطي رويداً رويداً حتى اعدّت نفسها له وتطبعت به فلم تقم فتنة ولا هوى عرش وادركت اليابان في نصف قرن ما لم تحزه دولة في قرون . والفضل في هذا عائد الامبراطور نفسه ولامته معاً اذ رضي هو ان ينزل عن جبروت الحكم المطلق الى حكم الدستور الذي هو حكم الامة ورضيته هي ان يظل ملكها الدستوري فكان

هو وملك الانكليز ابدع مثال للحكم الديموقراطي . هذا اي ملك الانكليز في اقصى الغرب وذاك في اقصى الشرق وكلاهما ملك جزيرة وكلاهما مالك بحر. فهما صنوان في مزايا التملك والحكم ولذلك تحالفا وتعاديا الايدي من فوق القارتين وعلى بعد آلاف وآلاف من الاميال لعقد هذه الصفقة الرابحة . ولا احسب عقداً من عقود الدول ورد اكثر احكاماً واشد التحاماً منه وذلك لوحدة المصلحة واشتراكية المنفعة وكون كل من الدولتين لا طماعية لها باي حق من حقوق حليفتها وانما شأنها الاول من هذا التضامن هو دفع العداء عنهما معاً فالتحالف اذاً بعيد الاجل طويله وربما دام مادام ذووه. هذا ما شرحناه من امر اليابان وديموقراطيتها وما تم لها من معجزات السنّة الديموقراطية التي سنتها لملكها وكيف اتأدت في عملها حتى ملكت ناصيته وهان على امبراطورها وامته التنقل من طور الاوتوقراطية الخشن الى طور الديموقراطية السمحاء. خلافاً لما جرى للروسية مع اهل الفتنة الديموقراطية فانهم انتهزوا فرصة الحرب الكبرى فخلعوا امبراطورهم ونقضوا برة كل قديم من الدولة فعمت الفتنة ووجد عدوهم في ميدان القتال فرصة تفترص فغزا بلادهم وافتتح اطيب ملكهم وحاز اموالهم واثقال جيشهم العظيم وفرض عليهم الغرامات جبالاً من الذهب. ثم زاد اهل الفتنة عملهم قبحاً وسوءا بان قتلوا امبراطورهم سليل من بنى لهم هذا الملك الضخم ملك القياصرة وقتلوا اسرته معه واحتملوا عاراً على اعناقهم عظيماً وتركوا لهم في تاريخ الامم سيرة سوداء لا ينصل مع الدهر سوادها مع ان الامبراطور المأسوف عليه كان يريد الوصول بامته الى الشورى والديموقراطية وانما من طريق التوءدة والتطبع على الحكم الديموقراطي . فاعطاهم الدوما وهي مجلس نيابي لم يبلغ ان يكون مثل مجلس الانكليز والفرنسيس ولكنه تمهيد جميل للحكم الديموقراطي الذي لم يكن لبيت رومانوف مفر منه ولا مهرب بعد ان عظم شأن الديموقراطية في الدنيا حتى انتهت الى الصين مملكة ابن السماء فخلعته وانزلت الجمهورية مكانه وامبراطور الروس ينظر الى هذا وهو حذر وجل. ولذلك لم يكن شك في انه كان مزمعاً

ان يسير بامته الى الشورى والديموقراطيــة الا انه خشي الطفرة والوثوب الى الديموقراطية مخافة ان ينال رأسه شيء من الفتنة فوقع فيما حذره الا ان الحرب هي التي كانت عوناً لاهل الفتنة عليه ولولاها لافلح فيما كان يضمره لدولته من الشورى فاعجلته الفتنة وقذفت به من حالق

لقد غلبت الديموقراطية وعمت بسيط هذه الارض فمن غالبهــا من ذوي التيجان فقد غلب على امره وهوى من علٍ . وان تسأل من له اليد البيضاء في إعزاز هذه الديموقراطية المباركة اجبتك جمهورية قدماء اليونان وقنصلية الرومان اللتان وان باتتا في ذمة التاريخ الا انهما لم تبرحا مثالين صــادقين واستاذين كريمين لامم اوربا . فهبت ثورة الانكليز اولاً في طلب الديموقراطية وعقبتها ثورة الفرنسيس عام ١٧٨٩ وكانت امّ الثورات ومطلع فجر الحرية للعالم كله . ثم ان سنة الانصاف لتدعونا ايضاً ان نذكر للولايات المتحدة الاميركانية يداً جميلة على الديموقراطية في هذا العصر وحقٌ لفرنسا نصيب من هذا الشكر لانها نصرت الاميركان في حرب الاستقلال وبعثت اليهم قوادها الذين قادوها مع واشنطون للنصر والاستقلال

﴿ المعربات عن لغة الاعاجم ﴾

« له ايضاً »

لكل امة هبّة بعد رقدة او رقدة بعد هبّة . فمتى كانت على حال النشأة وفي دور العزة والامتناع بدرت الى احياء معالم العلم بعد ان تتم لدولتها الشدة والبأس في انحاء ملكها . فاذا نكبها الدهر ورماها بارزائه صار ما ادخرتهُ في خزائنها من اجناس العلوم وآثار الحضارة والعمران سلباً ومغنماً لمن غلب امره عليها بل صارت هي كلها منتهباً ومفترساً لكل طالب . وقــد وجدنا في الممالك التي آلت عروشها الى الانثلال عبرة لكل معتبر وبلغ من تهالك الافرنج على نقل آثار سلفنا ان نقلوا المعنويات والحسيات معاً فاخذوا الآثار وحملوا الاحجار ولو اوتوا المقدرة والامكان لرأينا بعلبكَّ في باريس والاهرام في لوندرا وتدمر وما تبع

تدمر في واشنطن وغير ما ذكر في غير ما لم يذكر من الحواضر والعواصم

وليس غرضي بما اوردت ان الامم لا تستفيد من الدول القائمة الا بعد عثرتها وكبوتها فقد افاضت دول الافرنج سنى المدنية على معمور الارض وزانت محاسن حضرياتها الكون حتى انتهى منطادها الى السبع الطباق وهي لا تزال في عنفوان امرها ومستفحل قوتها

عود : ومتى استفاقت الامة من عثرتها وعاودتها النشأة طلبت مفقودها وجدّت في اثر مضاعها استعادةً لسابق مجدها . وهاك الآن ما هو واقع في بعض الاقاليم العربية مثل مصر والشام من الاهتزاز للعلم والسعي وراء اللغات والمضاء في النقل والتعريب عن لغات الافرنج انتفاعاً بما حصل لاهل الغرب من المدنيات والادبيات وما انتظم لهم من الفنون وما اتسع لهم من الابداع والاختراع . الا ان سعينا نحن معاشر العرب لم يسلم من الاذى ولم يبرأ من العيب والرعيَّة ومن ولوا امر الرعية فيه سواء . فان معظم التعريب الذي وليهُ اهل الخطط والمناصب او اقدم عليه بعض نبهاء الوطن معتلّ مختلط . فما قرأنا (ولا يبنى على النادر حكم) ترجمة في علم ولا تاريخاً لامة ولا اثرًا لصناعة الى آخر ما وقع الينا من المعربات الا اصبنا فساداً في الترجمة او ركاكة في التعبير او حذفاً مخلًّا او تصرُّفاً قبيحاً . ثم لو رصنت عبارة بعضهم وجزلت لما استقام لها المعنى وصح الاخذ لما اتفق في بعض الاحيان من اقتدار المترجم في لغته وضعفه في اللغة الاعجمية التي اخذ عنها

ولا يخفى ان اول ما يحتاج اليه المعرب انما هو ان يكون بالغاً حد الكفاء والاضطلاع من اللغتين وقد كان من نكد الدنيا على ابناء لغتنا ان معظم من عربوا واستخرجوا من لغات الاعاجم هم على جهة اللغة وعلم اللسان في حكم الاعاجم فقد انتهى ببعضهم سقم التعبير الى مقدار انك لا تدري لولا رسوم الحروف العربية البادية للعيان انه عرَّب بلسانه العربي او بلسان آخر . نعم لا تدري اترجم مفهومات ومعقولات ام ترجم طلاسم واضغاثاً . فعل كل ذلك

وهو يحسب انه محسن متفضل فاضاع عمره غير مشكور واضاع عمر القارئ غير مستفيد

وقد تدارك بعض المعربين امرهم فاستعانوا عند التعريب بكتبة قديرين اشداء في اللغة تصحيحاً لعبارتهم واذهاباً للعجمة الملمة بها الا ان ذلك لم يفِ بتمام المراد من وجه ان غالبية المستعان بهم جاهلون اللسان الاعجمي فيهذبون اللفظ ويذهبون بالمعنى . وان انتباهة المعرب اضعف من ان تضبط قلم المصحح وتسوقه على طوع الارادة الى حيث يهوى صاحب الترجمة من الباس اللفظ تمام المعنى كالباس الخياط الحاذق جسم المستخيط المتأنق . فاذاً وجب على من علم من نفسه العجز والقصور عن مطلب التعريب ان يستعين بمن هو اقدر منه لغة وبياناً ثم وجب عليه ان يختاره عالماً باللغة الاعجمية التي اراد هو الاخذ عنها

ولا يخفى ان الترجمة امانة من أجلّ الامانات فمن خانها كان اعظم ذنباً واكبر جريمة ممن خان في عامة الامانات لان هذه قاصرة الضرر على صاحب الامانة الذي ائتمن الوديع عليها وتلك خصوصية وعمومية تصيب صاحب التأليف المعرّب كما يصيب عامة من قرأوا ترجمة كتابه فاسدة معتلة . وقد رعى بعضهم حق الامانة ولكنه غالى في التعصب للترجمة الحرفية حتى استعبد العبارة العربية واذلها اذلالاً فقام لترجمته هيكل افرنجي تحت بشرة عربية فهل بمثل هذه الترجمات نفاخر ام بمثلها نقتبس معارف المغاربة . على اننا لا نكلف نفوس المعربين محالاً فلا نسألهم مضارعة ابن المقفع في ترجمة كليلة ودمنة كأن يأتوا ما اتاه من معجزات الاساليب في التعريب وانما نقترح عليهم افراغ الترجمة في القوالب اللائقة المستحبة بحيث اذا قرئ الكلام ادركته المخيلة وشربه الفهم . ذلك ما نوجه اليه نظر وزارات المعارف في الاستانة ومصر وتونس ومراكش ضناً بمكنونات التآليف ان تفسدها ايدي المترجمين فيفوت نفعها ويفوت غرض ذويها

﴿ تحية باريز ﴾

« للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي »

سلام عليك مرضعة الحكمة ، وربيبة الرخاء والنعمة ، وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ، ومحيية المدنية الاصلية في الاقطار الغربية والشرقية ، ومعلِّمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين ، والضرب على ايدي الرؤساء والنبلاء والمالكين ، انت هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والذوق وفائدة العلم والعمل ، انت كنت في مقدمة العواصم التي انبعث منها تمجيد العقل بل تأليهه ، فقضيت بالتقدم له على كل شيء في الوجود وبالغت في اكرام رجال العقول من ابنائك

سلام عليك يا عشيقة الابداع والاختراع . وسابقة الاقران فيمضمار الانتفاع بما حوت الرباع والبقاع . استخدمت القوى المادية فاجدت استخدامها . واستثمرت القوى العقلية فابدعت في استثمارها . واحييت حضارات الامم السالفة . وانشأت لك حضارة لا يزال يحسدك عليها اسبق الشعوب الى الترقي مهما تقلبت بك الحال ، ويجدون في اوضاعك ما ليس يجدونه في اوضاعهم من المرونة والجمال

سلام عليك يا واضعة حقوق الانسان ، وملقِّحة الاذهان بالتناغي بحب الاوطان ، والداعية الى ثَلّ عروش الجبارين والمخربين ، انت لم تَرهبك تقاليد ابطال القرون الوسطى ، ولا بطش الباطشين من المحافظين عليها ، ولم تُعلقي مسائلك على القضاء والقدر ، بل اخذت بالاسباب والمسببات ، فقتلت من اراد قتلك ، ووضعت من لم يهمه رفعك ، وكنت للناهضين من الناس خير مثال

سلام عليك يا معهد المعارف والصناعات ، بما انشأته من مجامعك العلمية ، ومدارسك الجامعة والكلية ، ومجالسك العامية والخاصية ، وجمعياتك ونقاباتك لخدمة المدنية والانسانية ، ودور تمثيلك ومعاهد انسك ولهوك ، ومتاحفك وحدائقك ومكاتبك ومعارضك . وكل ما ابدعته افكار ابنائك وايديهم ،

ودلّ على مجد طريف وتالد ، وتاريخ على جبين الدهر خالد

سلام عليك يا ملقنــة الخلق معنى الاخاء والحرية والمساواة ، ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع حتى لا يبقى تمييز في الحقوق والواجبات ، بين المختلفين في الموالد والديانات ، وقطعت التفاضل الا بالاعمال الصالحة والاحلام الراجحة

سلام عليك يا متشبعة بافكار الحكماء سننتِهــا لك قانوناً تجرين عليه لسعادتك ، ولئن حاد بعض ابنائك بعض الشيء عنها ، فذلك لان سياسة المنافع والمصالح قد تخالف ناموس الحق والعمل الصالح ، ولان نظام بقاء الانسب لا قلب له ، والتنازع في جهاد الحياة كثيرًا ما يدعو الانسان الى ركوب ما تحظره الشرائع الوضعية والسماوية ، ولا سيا في هــذه العصور التي يجري فيها كل عمل على سنن الماديات ، وما ذلك الا ليقر البشر بعجزهم ويعلموا ان الكمال الآن محال ، واعله لا يفوتهم في مستقبل القرون والاجيال

السلام على هذه العاصمة التي احسنت الى الشرق فيما مضى فعلمته حتى استمد منها النور فان قلنا معاشر الشرقيين ولا سيا سكان الشرق الاقرب اننا ناخذ عن المدنية الغربية فانما نعني المدنية الفرنسوية وبعبارة اصح المدنية التي تنبعث اشعتها من باريز ومن طريقها وبلغتها واسلوبها تيسر لنا ان نستطلع طلع سائر مدنيات الارض

سلام عليك عَلِمْتِ وعَلَّمت فما احسن العلم والعمل اذا اجتمعا . وما احلى الاخلاص والشعور بالواجب

سلام عليك سننت للغرب سنة التضامن والتكافل ، والعطف على البائسين والمساكين ، والرفق بالضعفاء والعاجزين ، والاخذ بايدي المقهورين والعاثرين ، والانتصار للمظلومين من الآدميين ، خصوصاً اذا كانوا من طينة اوربيَّة

سلام عليك انت العاصمة التي تركت القصور الفخمة التي عمرت بدماء الامة مباحة للناس يدخلونها وكانت بُؤْرة المظالم والمغارم ، ومنبعث الشهوات والاهواء ،

ولطالما جأرت جوانبها بالدعاء الى السماء من حيف الكبراء ، ايام كان يوقّع احد ملوكها وهو على سرير نومه توقيعاً واحداً يترك من الغد مئة الف اسرة في هذه البلاد تبيت جائعة عريانة ليعمر بما يجمع قصراً له ، او يدفعه لمحبوبته صبرة واحدة ، فلما اضناك الظلم والعنت قمت تجعلين من تلك القصور الفاسقة متاحف عامة ، ومن دور الظلم والظلمات مجالس عدل وعلم ونور

سلام عليك خلدت اعمال من خلفوا لك هذه المدنية وجعلت تماثيلهم ونصبهم موقع الاحترام والاعظام وتوفرت على تكرير اسمائهم على المسامع كل يوم الوف الالوف من المرات ، لتجعليهم مهمازاً لمن يأتي بعدهم من الابناء والاحفاد

سلام عليك يا بلد كونت وروسو وفولتير وديدرو وسيمون ومونتسكيو وهوغو وباسكال ورنان ومئات اضرابهم ممن بذلوا حياتهم في حسن خدمتك ، فلم تنسَ عوارفهم عليك بعد مماتهم

السلام عليك باريز ، اجمل عواصم العالم ، واغنى البلاد ببدائعها الطبيعية والصناعية ، واجمعها لمرافق الراحة والرفاهية . لست انت اليوم عاصمة مئة مليون من البشر اربعون في ارضك وستون في المستعمرات ، بل انت بما فيك من المزايا عاصمة معظم الخافقين ، لاسباب هنائك وصفائك ، ونعيمك ونعمائك ، وتفردك من بين العواصم بسلامة الذوق وسلامة الابداع ووفرة العلماء والباحثين والكاتبين والشاعرين والقصصيين . فكل شيء في باريز مبذول حتى لتعافه النفوس من اقصى ما يتصور الفكر من الفضيلة الى آخر ما يجول في خاطر او يحوم حوله خيال

فباريز ولا مراء جنة ارضية جمع فيها موجدوها — استغفر الله — ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

﴿ تحية الاندلس ﴾

« له ايضاً »

عشقتها ولم تسعدني الايام بامتاع النظر في جمالها ، واستطلعت اخبارها ، فروى الرواة عنها عجائب اقلها مما يستهوي النفوس المتمردة ، ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية . تفردت بين بنات جيلها بما خصت به من معاني الحسن والاحسان ، فكثر الخطاب والطلاب ، وهي لا تفتأ تبدي لمن أمّ حماها صنوفاً من اللطف والظرف ، وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم ، وترشقهم بنظرات ، لا تخلو من غمزات ، تريد بها الهزء بنكبات الزمان ، والاستخفاف بسخافة الانسان

عشقتها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها ، وحملته البصيرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من ان اناساً قبلي أصيبوا بما أصبت به ، وعدوا النزول في حماها ولو ساعةً سعادة العمر ، وحسنة الدهر : العشق فنون وعشقي كان لارض الاندلس . عليها من كل عربي الف الف سلام ، على مر العصور والايام

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على اديمها من ابنائها وغير ابنائها ، وكانت المخيّلة تتصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء ، وآخر كان بالطبع كالخيال . في الاندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة ، وقضوا في ارجائها نحو ثمانية قرون . كانت بجماتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة ، ودور ظهور النوابغ وارباب الابداع والقرائح ، وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت ، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس ، فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب ، وآخر ارض العرب ، بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً ازلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات ، وناعياً على من انكروا لافراطهم في الشعوبية فضل هذه الامة على الحضارة

اقام الغربيون ضروباً من المصانع من بيع وديورة ، ومتاحف ومكاتب ومدارس ، وجسور وسدود وطرق ومعابر ، وتماثيل ونصب وبرك ، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن ، منذ عهد اليونان والرومان ، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول ، وينظر اليك فيعمل في شغاف قلبك ولا عين له فتنظر ، ويطربك بتساوق نغماته من دون صَنَّاجة ولا وتر ولا الحان . مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طُلَيْطلة وقُرطبة واشبيلية وغَرناطة سلبتها الفتن والجهل تارة شطرًا من بهائها ، وسالمتها حيناً فابقت عليها ، او رممت شيئاً مما اضرت به عوامل الايام وان لم تعد اليها نضرتها الاولى

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجمل الهبات الطبيعية الطيبة ، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها ووهادها ، ولا مياهاً عذبة دافقة من هضابها على شعابها ، ولا اشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها ، ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم ، ومصحة ابدان ، زانها الصانع السماوي بايجاده ، كما زانها الصانع الارضي بابداعه ، وما اجمل الطبيعي والصناعي ، اذا تواعدا الى الاجتماع في خير البقاع

ليالي الانس ، في جزيرة الاندلس ، وايامها الغر ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب ، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب ، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ما عدا الادب ، وما هذه الآثار الابدية الا ثمرة علمك وصناعاتك وزراعاتك . سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك . ما كان ارجح احلامهم ، يوم سنوا للعرب سنَّة الاخذ من السعادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى ، حملوا فاجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم ، فادهشوا من عاصرهم ، وخلفهم من الاجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلًا رقت حواشيه ، ونظاماً متقناً في حكم الانسان للانسان ، يطبع في تاليه اذا تدبره ، طبيعة حسن الذوق والطبع ، وينشئه على ارقّ مثال من الخيال في الكمال والجمال . مثال حي من حضارة

العرب في القارة الاوربية عامة ، وفي شبه جزيرة ابيريا خاصة ، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم وحق لهم الفخر ، لان الاندلس العربية الاسلامية كانت وما زالت مدرسة الغرب المسيحي ، نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فاوسعوهم من مكارم اخلاقهم ، واكرموا مثواهم بما علموهم ، وما اسخى العربي على طالب قراه ، والمعتصم بجاه ، فلما جاء دور الانحطاط ، وأزف رحيل ، ذاك الرعيل ، من ارض كان الغرب كله يعدهم فيها اثقل دخيل ، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم ، معلِّمة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم ، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس ، ويغمط الحق لصاحبه ، ويستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامة في كتبهم فضلاً عن كتبها من اعمال هذه الحضارة الغريبة ، وما ذاك الاثر الضئيل الباقي من عاديات الاندلس العربية ، الا برهان جليٌّ على ما كان هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر نافذ ، ويد صناع اربت على ما عمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع

﴿ يوميتي ﴾

« او نتيجة سنة ١٩١١ »

(من مقالة لامين تقي الدين)

علقتها على الحائط في غرفة نومي أمسي فانظر اليها واصبح فاحدق فيها . هي آخر ما ينطبق عليه جفناي وهي اول ما تتفتح عليه عيناي . تعدّ ايامي واعدّ ورقاتها . كلما اقتلعت منها صفحة اقتلعت من حياتي يوماً . هي تنتزع ايامي وانا انتزع صفحاتها . أخت الساعة هي وابوها الدهر ، تمشي كأختها وتتقلب كأبيها . اقمنا معاً منذ سنة ولكنني لا اعرفها الان . كل يوم تلبس وجهاً وكل يوم تتزيا

بزيّ . عدد وجوهها كعدد ايام السنة . اما ازياؤها فكأيام الشهر . اسمها في وجهها ونسبها على جبينها . سبعة اسماء تتداولها في الاسبوع واثنتا عشرة نسبة تتبدلها في العام

تقلبي ما شئتِ يا بنت الدهر وتلوّني ابدًا كما تشتهين . البسي في كل صباح وجهاً واحملي في كل حين اسماً . ان يدي انتقمت منكِ لنفسي . لاشتكِ رويدًا رويدًا ومشت بكِ الى الفناء . على مهل انتِ التي بادأتني الشرّ والبادئ اظلم

جئت بكِ الى بيتي طفلة لم تدرجي فبوّأتك صدر غرفتي لتكوني دائماً قريبة مني واجلستكِ على مكتبي لتراك ابدًا عيني وحملتك في جيبي فوق قلبي لأحس بك في كل حين ولكنك انكرت جميلي وجحدتِ فضلي . خنتني في اعزّ شيء لديّ . مددت يدكِ الى حياتي فكنت تسترقينها يوماً يوماً وتسلبينها شهرًا شهرًا . اهكذا أدّبكِ ابوكِ يا بنت الدهر

هوذا انتِ تجتازين الان اليوم الاخير من حياتكِ وهذا الوجه الذي تلبسينه اليوم هو آخر ما ابقيته لكِ من الوجوه . انظري الى العالم نظرة مجملة قبل الفناء ماذا ولدتِ له وماذا فعلت من اجلي . ولدت الحرب لبنيه فهم يتقاتلون ويتفانون وولدتِ الشقاء لي فانا اشقى واتعذب . لم تكن في نفسك رحمة ولا في فؤادك شفقة . وانّى يكون لكِ ذلك وامك التي ولدتك آلة من حديد

في نصف هذا الليل تؤخذ نفسكِ منكِ . اذهبي لا سلام الله عليكِ . ان ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً من حياتي حملتها الى القبر معكِ . سيكون لك على عددها لعنات تنصبّ على قبركِ ثم القمكِ فوقها حجرًا

(نتيجةً) دعاكِ اهل مصر فما انتجتِ لهم غير عسر وشرّ و (يومية) سميتك انا فكنت مفسدةً لايامي ومجلبةً لبلائي

ويحُ اتلك الحلل الزاهية التي لبستها . تبارى التجار بتزيينك وتنميقك وتسابقوا الى الباسك ابهى المطارف واجمل البُرد . احاطوكِ بالمذهبات من كل جانب وكللوا رأسكِ باجمل الازهار . فزينتِ المنازل وجملتِ القصور . واهاً

لجمالك الغرّار وقبحاً لحسنك الكاذب

في هذا الليل انتزع آخر صفحة منكِ واومي بها في الفضاء فلا يراني احد • ثم القي بثوبك القشيب الى النار • سأفعل ذلك تحت جنح الظلام لكي البس من سواده الحداد على ايامي التي ادفنها معكِ واماليِ التي تجرّينها الى القبر • بل الحداد على سنة من شباب زائل تنطوي الليلة بين اكفانكِ ولن تعود

ولو كان عندي اخت جديدة لكِ لكشفت عن وجهها في منتصف هذا الليل ايضاً لترى بعينيها حظ اختها مني ومصيرها من انتقامي لعلها تخاف مما صرتِ اليه وترهب ان تكون عقباها كعقبالكِ • فتتوب عنك اليَّ وتسعد آمالي

امانيُّ غرّارة • اختكِ مثلكِ ابوها الدهر وامها آلة من حديد

﴿ شاعرية خليل المطران ﴾

« من مقالة لانطون الجميّل[1] »

اما بعد فقد رأيت ان خير ما يصاغ من التهانئ في مثل هذا الاحتفال الزاهر هو حديث اطارحكم اياه ايها السادة عن المحتفل به وشاعريته فاقول

« منشدٌ للغرام لم يشدُ الّا كان انشاده نواحاً شجيًّا »
« شاعرٌ كان عمره بيت تشبيـ ـب وكان الانين فيه الرويّا »
« ان في نظمه لحساً لطيفاً باقياً منه في السطور خفيًّا »

هي ابيات كتبها خليل مطران على الصفحة الاولى من ديوان الشاعر الفرنسوي (الفرد دي موسه) ولا يسع من ينظر فيها الا ان يقابل بين حالتي الواصف والموصوف وشعر الاول والثاني فيجدها تنطبق اتم الانطباق على الاثنين كأن الشاعر العربي وصف حاله لما وصف حال الشاعر الافرنجي

من المعروف يا سادة ان لحياة الكاتب والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيه تأثيرا كبيرًا في كتابته ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل

---

(١) تلاها في اثناء الحفلة التي اقيمت لخليل المطران في مصر

دبَّ شاعرنا وشبَّ تحت سماء سوريا الجميلة بين جبالها وقممها البيضاء امام بحرها الصافي وامواجه الزرقاء فجاءَ شعره رقيقاً لطيفاً . ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة فكان انشاده عظيماً فخماً . عاش تارةً في القرى والجبال فتشرَّب حب الفضيلة والطبيعة فاسمعنا الشعر زاهرًا طاهرًا. وعاش طورًا في المدن فراعه ما فيها من الشقاء فالقى علينا انشاده مبكياً زاجرًا

قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجه مدارجةً تمثله لديه في كل حالة مرَّ بها » ولقد اصاب في ذلك فان شعره بالحقيقة رسم تمثلت لنا فيه كل اطوار صاحبه وارتسمت بين ابياته كل عواطف قلبه وتأثرات فؤاده . وهذا سرّ محاسن هذا الشعر العديدة

وصف لنا خليل حياته في صباه بين آثار بعلبك فتمثلناه :

« نزقاً بينهنَّ غرًّا لعوباً لاهياً عن تبصر واعتبارِ
مستقلًّا عظيمها مستخفًّا ما بها من مهابة ووقارِ
نتبارى عدوًا كأَنَّا فراشًا روضةٍ ما لنا من استقرارِ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

«في هجرةٍ لا انس فيـ ـها للغريب ولا صفاء
تتقاذف الآفاق بي قذف العواصف للهباء
وتحيط بي لجج الصرو ف فمن بلاء في بلاء »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطرًا شطرًا من مطالعة ديوانه سطرًا سطرًا . قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر . وهذا ما قوَّى فيه الخيال والشعور . ومعروف ان هاتين القوتين هما جناحا الشاعر يحلق بهما الى اعلى سماء الشعر ويأمن تهشيمهما اذا كان العقل رائده في حياته العلوية . وقد قال في مقدمة ديوانه ان شعره هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال » اي ان الذي اوحى به هو الحسّ والعقل والمخيلة وهذا هو التقسيم الذي نتبعه في درس شعره

١ً الخيال

هو اقوى قوانا العقلية لانه وحدة القوة الفاعلة الموجدة . وسائر القوى كالحسّ والحافظة والعقل ليست الّا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدَّه مرمونتل « صورة تتكلم او كلاماً يصوِّر » وهو كذلك يكون الخيال شرط الشاعرية الاول . وقد قيل : « الشعر هو ابن الخيال البكر » وبفضل هذه القوة يفوق الشاعر المصوِّر لانه بكلمة واحدة كثيرًا ما يمثل لنا مشهدًا يقتضي تصويره الواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيرًا ما رأينا خليلًا ادقّ تصويرًا وابلغ رسماً من امهر المصورين . فاذا وصف مثلًا الجندي الجريح وقائده يقلده وساماً قال :

وزاد ندى فقلده وساماً وكل جراحةٍ فيه وسام

واذا كانت نفسه مثقلة بالهمّ قال :

ربَّ ليلٍ محير النجم غضٍّ فيه لا يهتدي الضلول طريقا
ضمني مثقلًا بهمي كبحرٍ ضمَّ في جوفه البعيد غريقا

واذا شكت عينه المسهدة طول الليل فهي :

تحسب السرج في حشاه قروحاً وترى الشهب في سماه حروقا

وهذا بيت تكاد تكون كل كلمة فيه صورة حسية

واذا تمثل الشمس منيرة في كبد السماء تصوّر له مخيلته المتقدة هذا المنظر تصويرًا تعجز عنه قلم المصور فيقول :

فهي في الافق تارة مسحات من بهار وتارةً نثرُ وردِ
وهي بين الغصون نسج دقيق من نضار يشفّ عن لا زَوردِ

واذا وصف الصبية اللعوب الطروب قال فابدع وصفاً وتشبيهاً :

ضحّاكة كالنور في الزهر رقاصةٌ كالغصن في الوادي
كرّارة كنسيمة السحر ثرثارة كالطائر الشادي

واذا وصف الولد الذي لا يقر له قرار قال:

كزهرة روض تمر بها   فتقلقها النسم السائره

واذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها

تأتي بهـا فوق البحار سفائن   كالجن في جد العواصف تلعب

واذا وصف سلطة الملك صاحب الشوكة والاقتدار قال :

انت الرجاء فاي شيء ترتجي   والروع انت فاي شيء ترهب
والملك جسم انت فيه هامةٌ   ويداك مشرق شمسه والمغرب

وقال ايضاً فاجاد :

وكأن درّة سيفه عين ترى   ما تحت قائم سيفه آجالا

واذا وصف جبلًا مزحلقاً صوّره

كثير الثلوم كأن الفتى   اذا زلّ يهوى على مبردِ

وهو بيت من قصيدة عصماء عنوانها « فتاة الجبل الاسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاء التفنن . من ذلك انه عند ما يصف جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحة القتال لا يصفه كما وصف جمال غيرها من الحسان بل يراعي مقتضي الحال ويستعير كل صورة من التعابير الحربية فيقول :

لهيب الحروب على وجنتيـ   ـهِ والنقع في شعره الاسودِ
وفي عينه مثل برق السيو   ف وظل المنية في الاثمدِ

ويطول بنا المقام لو جئنا على ذكر ما توحي المخيلة الى شاعرنا من لطائف الابتكار . وله قصيدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع الصور وملعب الخيال . وبالاجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليه ابصاره فيحق له ان يقول كما قال لعروس شعره

وابدل نور الشمس ما شاءت المنى   عقيقاً وتبرًا ساكباً ونضارا
وانظم من زهر الدجى لك خاتماً   وتاجاً وعقدًا فاخرًا وسوارا
واصنع نوطاً باهرًا من هلالهـا   وانسج من غزل الضياء دثارا

وهذا الذي وضع خليلًا في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف . اما في الشعر القصصي والخطة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب فاقرأوا (عين الام) و (نابليون الاول) و (ليمون يوسف افندي) و (حكاية شاعر) و (شهيد المروءة) و (العصفور) و (العقاب) و (مقتل بزرجمهر) و (الطفلة البوية) و (الجنين الشهيد) الخ . تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع

على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعرًا اذ يكون نظمه والحالة هذه باردًا جامدًا نرتاح اليه ونجد فيه بعض البهجة لكنه لا يحرّك فينا ساكنًا ولا يثير شعورًا كامنًا كما نرى ذلك من شعراء الوصف فان هناك ركنًا آخر يقوم عليه بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ً الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الا مدامع ذرفتها وزفرات صعدتها وقطع من الحيــاة بددتها ثم نظمتها فتوهمت اني استعدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط شعر خيال) بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثّر في النفس وان خلا من كل صورة لانه صورة الحياة الحقيقة . وفي شعر الخليل الشيء الكثير من هذا القبيل كقوله مثلًا في (مشاكاة) وهي من اوليات قصائده

اری مثل سهديَ في الكوكبِ احلّ بهِ مثــل ما حلّ بي
يهيم هيــاميَ من وجدهِ ويهرب من مهده مهربي
ونجتاز هذا الفضاء الرحيــبَ الاّ بنا فهو لم يرحبِ
فيا نجم ما النار تفني حشاك وما سيل مدمعك الصيّبِ
اسرَّ هواك الى صاحبٍ يؤاخيك في همك المنصب
اما كل ذي كلف متعبٌ شريك لذي الكلف المتعبِ

فهذه ابيات كلها رقة وشعور على خلوها من الصور واساليب البديع . وان

في المواضيع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل برهاناً واضحاً على شعور كبير مقرون بخيال حادّ . فالحادثة البسيطة تهيج عواطفه وتثير اشجانه فينظمها ويجيء نظمها محركاً عواطف قارئه مهيجاً احزانه ... اسمعه يتكلم عن مهد الطفل تظنه الام الحنون

ويهزه خفق الفؤا د على مناجاة الضمير

واذا سمع ذلك الطفل يناغي في مهـده فضل مناغاته على هديل الطيور وتغريد البلابل

(. . . . فكلما أنشد علم الطيور النغما

هو يشعر بالالم فيصوّر لنـا الفؤاد المتألم (كشلو بانياب الهموم مبضع)
ويدري اي تأثير يصيب القلب المجروح فيمثل عواطفه المكسورة

(كجرح قد أُلطفه بلممي وان هو مسّه غيري اضـام

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال لامرتين ان فيها من الشعر اكثر مما في دواوين جميع الشعراء فيمثل لنا الدموع غاسلة كل اثم مطهرة من كل دنس . . .

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب من العواطف كحنينه الى الوطن وعطشه الى ذلك المنهل الصافي الذي روى صبـاه ووفائه لاصدقائه ونزوعه الى كل امر نبيل فان فؤاده كصحيفة حساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها بل هو الغصن الرطب يميل به كل نسيم او وجه البحيرة الصافي تحرّكه كل ريح وهو القائل عن نفسه

والذي درعه فؤاد رقيقٌ لجريح إن يقتحم او يقاحم

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ يبيت

وفي الجسم نار يلذع القلب وقدُها وفي القلب نارٌ مثلها تلذع الجسما

وما ابلغ التصوير وما اشد التأثير عندما ينادي

الله في صـدر وهى وتقوّست منه العظام
خاوٍ كجوف الغار تمـلأه المخاوف والظلام

الاّ سراجاً حائــلاً فيه ينير بلا ابتسام
روح تضيء على ضريــــح ٍ في صميم القلب قام

المجال واسع لكتابة درس من ابلغ الدروس النفسيّة في شعور الشاعر يقتبس من شعر خليل بل ان في قصيدته (المساء) التي انشدها وهو عليـــل في الاسكندرية كفاية . فمن يطالعها يرى (قلباً اذابته الصبابة والجوى) ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره الى البحر وهو

تاوٍ على صخر اصمٍّ وليت لي قلباً كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي ويفتُّها كالسقم في اعضائي
والبحر خفاق الجوانب ضائق كمدًا كصدري ساعة الامساء
تغشى البرية كدرة وكأنهــا صعدت الى عينيَّ من احشائي

ومن كانت هذه حالته يرى في غروب الشمس دمعةً تذرفها الطبيعة على موته فيخال تلك الشمس المؤذنة بالزوال

مرَّت خلال غمامتين تحدُّرًا وتقطرت كالدمعــة الحمراء
فكأنَّ آخر دمعة للكون قد مزجت بآخــر ادمعي لرثائي

فمن منا لا يشعر بمثل هذه الكآبة ولكن قليل من له مثل هذه المقدرة لابراز هذه العواطف في ذلك القلب الفتان . . يتمنى شاعرنا ان يكون له قلب (كالصخرة الصماء) ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ليأتي بمثل هــذه الآيات البينات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤها الا من جراحها فكذلك قلب الشاعر لا يسيل شعره الا من جراحه . او كما ان العنقود لا يجود بعصيره الطيب ما لم تضغطه الآلة العاصرة كذلك قلب الشاعر لا يجود برقيق القول ما لم تضغطه يــد الاحزان والشقاء . . . قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان فيكتور هوغو وفيه ما فيه من توجع فؤاده : فليتبارك الرب الذي يرسل لنا مثل هذه المصائب ليخرج من صدرنا مثل هذ الهتاف البديع .

٣ً العقل

ايها السادة رأينا في شعر خليل عمل القوتين الاساسيتين في الشعر اي الخيال والشعور وهما قوّتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة وهي العقل تخفف من غلوائهما . وقد اصاب قدماء اليونان اذ صوّروا الشاعر في مركبة يقودها جوادان جامحان هما الخيال والشعور وجعلوا زمامها في يد العقل لئلا يطوّحا بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدد الشعر بانه (الفلسفة تحمل زهرًا) وهذا ايضاً ما اراده خليل لما قال ان شعره (شعر خيال وحياة وحقيقة) فهو الشاعر الفيلسوف الذي يمعن النظر في حوادث هذا الكون وعللها ومعلولاتها ويستنتج منها العبر والحكم . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون احتفالاً اقيم اكراماً لنابليون الثالث فنظر الى الشعب المتجمهر الهاتف هتاف النصر نظرة غضب وازدراء وقال لمن حوله (هكذا يخلقون الظلّام) هذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي فاليكم ما قاله شاعرنا العربي عن كسرى وقومه :

هم حكموه فاستبد تحكماً ... وهم ارادوا ان يصول فصالا
والجهل داء قد تقادم عهده ... في العالمين ولا يزال عضالا
لولا الجهالة لم يكونوا كلهم ... الّا خلائق اخوةً امثالا
لكنّ خفض الاكثرين جناحهم ... رفع الملوك وسوّد الابطالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضه ... القيت تاليه طغى وتعالى
نقص لفطرة كل حي لازم ... لا يرتجي معه الحكيم كمالا

فهذه الابيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشن شاعرنا الغارة على السلطة بل يرغب فيها ان تكون مبنية على العقل والتروّي . ألا وهو القائل (والحكم اعدل ما يكون جدالاً)

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة اينما رآها . اسمعوه يخاطب ملوك مصر

بُناة الاهرام

لم يغنكم منه البناء عاليا والارض نهباً والملوك أعبدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو خفضتم اللحد وشدتم بالهدى

وهو القائل ايضاً

معرّة الظلم على من ظلم وحكم من جار على من حكم

كل هذا لان خليلاً فهم مهمة الكاتب ولا سيما الشاعر وهي مناصرة الخير ومناهضة الشر فاذا رأى القوي يعبث بحقوق الضعيف يهتف

فيمَ احتباسك للقلم والارض قد خضبت بدم
سدّد قويم سنانه في صدر من لم يستقم
اليوم يوم القسط قد قام الأُلى ظلموا فقم

ثم ينبه قومه للنهوض من سبات الجهل فيقول

غنا على جهل وقد عاش الكرام ونحن لم
فاذا انقضت آجالنا فمن الرقاد الى العدم
واذا بعثنا بعدها فكأنها رؤيا حلم

يرى خليل اجيال الناس تجيء وتنقضي . يرى الممالك تشيد بالصوارم وتفنى بالمعايب فبعد ذلك يقول :

ولم أرَ شيئاً كالفضيلة ثابتاً نبت عنهُ آفات البلى والمعاطب

ثم تراه وقد كادت المصائب تصرعه يصيح من قلب مكلوم

غلبتني صروف دهري على صبري وأفنته نارها في الملاحم
الامان الامان القيت سيفي وطويت اللواء تسليم راغم

ولكن إن هي الا نفثة مصدور لا يلبث بعد تفريجها ان يعود فيظهر مظهر الرجل الجلد

شأني مكافحة الخطوب اذا دجا نقع الحوادث في الليالي السود

وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلًا لما جاء فيها من المبادئ

الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط مثل (وفاء) و(العقاب) و (الجنين الشهيد) و (الطفل الطاهر) الخ

كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل وهناك ايضاً محاسن عديدة وبدائع شتى وهي على ما رأيتم فيهـا من الجمال والسناء كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتموها منظومة في عقدها لا منثورة مستقلة كما اوردتها

وقد عرف شاعرنا ان يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد . فاحترس بصبغة العرب في التعبير وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير فكانت نتيجـة ذلك انه ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سنّ له من القواعد القديمة

هذا بعض الشيء عن شاعرية خليل مطران وعبقريته وقد رأيتم ايها السادة الخطة الجديدة التي اختطها للشعر العربي وهي خطة المستقبل . فحق لنا بعد ذلك ان نعده استاذاً علماً في هذا الفن وحق لعصرنا ان يفاخر به وبامثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية

﴿ الشعرة البيضاء ﴾

« لمصطفى لطفي المنفلوطي »

مررت صباح اليوم امام المرآة فلمحت في رأسي شعرة بيضاء . تلمع في تلك اللمة السوداء . لمعان شرارة البرق في الليلة الظلماء

رأيت الشعرة البيضاء في فوديَّ فارتعدت لمرآها كأنمـا خيل الي انها سيف صقيل جرَّده القضاء على رأسي او علمٌ ابيض يحمله رسول جاء من عالم الغيب ينذرني باقتراب الاجل . او يأس قاتل عرضَ دون الامل . او جذوة نار علقت باهداب حياتي علوقها بالحطب الجزل ولا بد معها ترفقت في مشيتها واتأدت في مسيرها من ان تبلغ مداها . او خيط من خيوط الكفن الذي تنسجه يد الدهر وتعدّه لباساً لجثتي عند ما تجردها من لباسها يد الغاسل

ايتها الشعرة البيضاء

ما رأيت بياضاً اشبه بالسوادِ من بياضك . ولا نوراً اقرب الى الظلمة من نورك . لقد ابغضت من اجلك كل بياض حتى بياض القمر . وكل نور حتى نور البصر . واحببت كل سواد حتى سواد الغربان . وكل ظلام حتى ظلام الوجدان

ايتها الشعرة البيضاء

ليت شعري من اي نافـذة خلصت الى رأسي . وفي اي مسلك من مسالك الدهر مشيتِ الى فودي

كيف طاب لك المقام في هذه الارض الموحشة التي لا تجدين فيها انيساً يسامرك . ولا جليساً يساهركِ . وكيف لم يرع قلبك لمنظر هذا الليل الفاحم . ولم يعشَ بصرك في هذا الظلام القاتم

ايتها الشعرة البيضاء

لقد عييتُ بامركِ . وبعلتُ بجملك . واصبحت لا اعرف وجه الحيلة في البعد عنك والفرار من وجهكِ

لا ينفعني معكِ ان انزعك من مكانك لانك لا تلبثين ان تعودي اليه ولا ينصفني منكِ ان اخضبك بالسواد لانك لا تلبثين ان تنصلي ولاني لا احب ان اجمع على نفسي بين مصيبتين مصيبة الشيب ومصيبة الكذب

ايتها الشعرة البيضاء

يخيل الي وانا انظر اليكِ انك من ذوات الحيلة والدهاء والكيد والخبث وانك تهمسين في آذان اخواتك السود اللواتي بجانبك تحاولين اغراءهنّ بالتشبه بكِ والتردي بردائك . وكأني بك وقد اشعلتِ في هذه المدينة الهادئة المطمئنة حرباً شعواء وفتنة عمياء . يختلط فيها الرامح بالنابل . والدارع بالحاسر . ويهلك فيها القاعد والقائم . والمظلوم والظالم

ان كان هذا مصيركِ فسيكون شأنك شأن ذلك السائح الابيض الذي ينزل بامة الزنج مستكشفاً فيصبح مستعمراً . ويدخل ارضها سلماً . ويفارقها حرباً .

فاسأل الله لرأسي العافية منك ولأُمة الزنج السلامة من صاحبكِ . فكلاكما مشؤوم الطلعة في مقامه وارتحاله . وكوكب النحس في وقوفه وتسياره

ايتها الشعرة البيضاء

ما انتِ . وما وفودك اليَّ . وما مكانك مني . وما مقامك عندي ؟

ان كنتِ ضيفاً فاين استئذان الضيف وتلطفه . وتجمله وتودده . وان كنتِ نذيراً فانا اعلم من شأن الموت ما لا احتاج معه الى نذير . فلم يبقَ الا ان تكوني اوقح الخلائق وجهاً واصلبها خداً . وانك قد نزلتِ من السماجة والفضول منزلةً لا ارى لكِ فيها شبيهاً الا تلك الحية التي تلج كل جحر من اجحار الهوام والحشرات تعده جحرها وتحسبه بيتها

ايبلغ بك الشأن — وانتِ التي يضربون الامثال بدقتها وخفائهـا ويبعثون وراءها اللاقط والمقاريض فلا يكادون يعرفون السبيل الى مدارجها وكأنها — ان تملئي من الرعب قلباً لا يروعه السيف المجرد . ولا السهم المسدد

لا لا . ما ذعرتُ ولا ارتعت . وما حزنت ولا بكيت . وانما هي خطرة من خطرات الامل الكاذب . ولمحة من لمحات البرق الخالب

ايتها الشعرة البيضاء

هل لك ان تتجاوزي عمـا اسأت به اليكِ في اطالة عتبك . واستثقال ظلك فلقد رجعت الى نفسي فعلمت انك اكرم الخلائق عندي واعظمها في عيني . هنيئاً لك رأسي مصيفاً ومرتبعاً . وهنيئاً لكِ فودي مراداً ومسرحاً . فانتِ رسول الموت الذي ما زلت اطلبه مذ عرفته فلا اجد له سبيلًا ولا اعرف اليه رسولاً

ما الذي يحمله في صدره لك من الحقد والموجدة رجلٌ لم ينعم بشبابه فيحزن على ذهابه . ولم يذق حلاوة الحيـاة فيجزع لمرارة الممات . ولم يستنشق نسمات السعادة غصناً رطباً . فيأسى عليها عوداً يابساً

ما الذي ينقمه منك من الشؤون رجلٌ يعلم انك وحيُ الامل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء الاَّ لحظات قليلة يكدرها ما

يحيط بها من الهموم والاكدار كما تكدِّر انفاس الحزن الحارة صفحة المرآة

أليس كل ما اعده عليكِ من الذنوب أنك طليعة الموت والموتُ هو الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام . الحافل بالآلام والاسقام . الذي لا اغمض عيني فيه الّا لافتحها على صديق يغدر بصديقه . واخ يخون اخاه . وعشير يحدد انيابه ليمضغ عشيره . وغني يضنُّ على الفقير بفتات مائدته . وفقير يقترح على الدهر حتى بلغة الموت فلا يظفر بامنيته . وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته . ومملوك لا يميز بين ملك الملك وربوبيته . وقلوب تضطرم حقداً على غير طائل . ونفوس تتفانى قتلًا على لون حائل . وظل زائل . وغرض سافل . وعيش باطل . وعقول تتهالك وجداً على نار تحرقها . وانياب تمزقها . وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها . وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها

ان كان هذا هو ذنبكِ عندي فاستكثري من ذنوبكِ فاني لك من الغافرين

ايتها الشعرة البيضاء

مرحباً بكِ اليوم ومرحباً باخواتكِ غداً . ومرحباً بهذا القضاء الواقف وراءكِ . او الكامن في اطوائك . ومرحباً بتلك الغرفة التي اخلو فيها بربي . وآنس فيها بنفسي . من حيث لا اسمع حتى دويَّ المدافع . ولا ارى حتى غبار الوقائع .

اهلًا بوافدةٍ للشيب واحدة وان تراءت بشكلٍ غير مودود

الغد

« له ايضاً »

عرفتُ اني فكرتُ ليلة الأمس فيما اكتب اليومَ . وعرفتُ اني آخذٌ الساعةَ بقلمي بين انامليَ . وان بين يديَّ صحيفة بيضاء . تسودُّ قليلًا قليلًا . كلما اجريت القلمَ فيها . ولكني لا اعلم هل يبلغ القلم مداه . او يكبو دون غايته وهل استطيع ان اتم رسالتي هذه او يعترض عارضٌ من عوارض الدهر في سبيلها .

لاني لا اعرف من شؤون الغد شيئاً . ولأن المستقبل بيد الله

عرفت اني لبست اثوابي في الصباح وانها لا تزال فوق جسمي حتى الان . ولكنني لا اعلم هل اخلعها بيدي . او تخلعها يد الغاسل

الغد شبحٌ مبهم يتراءى للناظر من مكان بعيد فربما كان ملكاً رحيماً . وربما كان شيطاناً رجيماً . بل ربما كان سحابةً سوداء . اذا هبت عليها ريحٌ باردة . حللت اجزاءها . وفرّقت ذراتها . فاصبحت كأنما هي عدمٌ من الاعدام التي لم يسبقها وجود

الغد بحرٌ خضم زاخر يعب عبابه . وتصطخب امواجه . فما يدرك ان كان يحمل في جوفه الدرّ والجوهر . او الموت الاحمر

لقد غمض الغد عن العقول ودقّ شخصه عن الانظار . حتى لو ان انساناً رفع قدمه ليضعها في مخرجه من باب قصره لا يدري ايضعها على عتبة القصر . ام على حافة القبر

الغد صدر مملوء بالاسرار الغزار تحوم حوله البصائر وتتسقطه العقول وتستدرجه الانظار . فلا يبوح بسرّ من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال

كأني بالغد وهو كامنٌ في مكمنه . رابض في مجثمه متلفع بفضل إزاره . ينظر الى آمالنا وامانينا نظرات الهزء والسخرية . ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء

يقول في نفسه لو علم هذا الجامع انه يجمع للوارث . وهذا الباني انه يبني للخراب . وهذا الوالد انه يلد للموت . ما جمع الجامع ولا بنى الباني ولا ولد الوالد

ذلل الانسان كل عقبة في هذا العالم . فاتخذ نفقاً في الارض . وصعد بسلم الى السماء . وعقدَ ما بين المشرق والمغرب باسبابٍ من حديد وخيوط من نحاس

وانتقل بعقله الى العالم العلويّ فعاش في كواكبه . وعرف اغوارها وانجادها وسهولها وبطاحها وعامرها وغامرها ورطبها ويابسها

ووضع المقاييس لمعرفة ابعاد النجوم ومسافات الاشعة . والموازين لوزن كرة

الارض اجمالاً وتفصيلاً

وغاص في البحار فعرف اعماقها وفحص تربتها وازعج سكانها ونبش دفائنها وسلبها كنوزها وغلبها على لآلئها وجواهرها

ونفذ من بين الاحجار والآكام الى القرون الخالية فرأى اصحابها وعرف كيف يعيشون . واين يسكنون . وماذا يأكلون ويشربون

وتسرَّب من منافذ الحواسّ الظاهرة الى الحواسّ الباطنة فعرف النفوس وطبائعها . والعقول ومذاهبها . والمدارك ومراكزها . حتى كاد يسمع حديث النفس ودبيب المنى

واخترق بذكائه كل حجاب . وفتح كل باب . ولكنه سقط امام باب الغد عاجزًا مقهورًا لا يجرأ على فتحه . بل لا يجسرُ على قرعه . لانه باب الله . والله لا يطلع على غيبه احدًا

ايها الشبح الملثم بلثام الغيب . هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلًا لنرى صفحة واحدة من صفحات وجهك الجميل . او لا فاقترب منا قليلًا علّنا نستطيع ان نستشفّ خيالك من وراء هذا اللثام المسبل دوننا فقد طارت قلوبنا شوقاً اليك . وذابت اكبادنا وجدًا عليك

ايها الغد . ان لنا آمالاً كبارًا وصغارًا . واماني حساناً وغير حسان . فحدثنا عن آمالنا اين مكانها منك . وخبرنا عن امانينا ماذا صنعتَ بها . أأذلتها واقتحمتها . ام كنت لها من المكرمين

لا لا . صن سرّك في صدرك . وابقِ لثامك على وجهك . ولا تحدثنا حديثاً واحدًا عن آمالنا وامانينا حتى لا تفجعنا فيها . فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا . فانما نحن احياء بالامال وان كانت باطلة . وسعداء بالاماني وان كانت كاذبة

وليست حياة المرء الا امانيا اذا هي ضاعت فالحياة على الأثر



﴿ الاربعون ﴾

« له ايضاً »

الان وصلت الى قمّة هرم الحياة والآن بدأت انحدر في جانبه الآخر ولا اعلم هل استطيع ان اهبط بهدوء وسكون حتى اصل الى السفح بسلام او اعثر في طريقي عثرة تهوي بي الى المصرع الاخير هوياً

سلام عليك ايها الماضي الجميل لقد كنت ميداناً فسيحاً للآمال والاحلام وكنا نطير في اجوائك البديعة الطلقة غادين رائحين طيرانَ الحمائم البيضاء في افق السماء لا نشكو ولا نتألم ولا نضجر ولا نسأم بل لا نعتقد ان في العالم هموماً وآلاماً. وكان كل شيء في نظرنا جميلًا حتى الحاجة والفاقة واحتمال اعباء الحياة واثقالها كأنّ كل منظر من مناظرك قد لبس ثوباً قشيباً من نسيج الزهر الابيض فاصبح فتنة الانظار وشرك الالباب

وكان يخيل الينا ان هذا الزورق الجميل الذي ينحدر بنا في بحيرتك الصافية الرائقة سيستمر في طريقه مطردا متدفعاً ولا يعترضه معترض ولا يلوي به عن طريقه لاوٍ الى ما لا نهاية لاطراده وتدفعه

وكان كل ما نعالج فيك من آلام وهموم أن يكون لنا مأربان من مآرب الحياة فنظفر باحدهما ويفوتنا الاخر او غرضان من اغراضها فنصل الى القريب ونبيت دون البعيد

وكان كل ما يستذرف الدمع من اعيننا هجر حبيب او طلعة رقيب او أرق ليلة او ضجر ساعة او نظرة شزر يلقيها علينا بغيض او نفثة شر يرمينا بها حقود. ثم لا تلبث مسراتنا ومباهجنا ان تطرد تلك الآلام امامها كما يطرد النهر المتدفق الاقذار والاكدار بين يديه وتسلم لنا الحياة سائغة لا كدر فيها ولا تنغيص

سلام عليك ايها الشباب الذاهب وسلام على دوحتك الفتانة الغناء التي كنا نمرح في ظلالها مرح الظباء العفر في رملتها الوعثاء. ننظر الى السماء فيخيل الينا انها

مغدى ومراح لنا والى الافاق البعيدة فيخيل الينا انها مجرى سوابقنا ومجرّ رماحنا. فكأن العالم كله مملكتنا الواسعة العظيمة التي نسيطر عليها ونتصرف في اي اقطارها شئنا

ابكيك يا عهد الشباب لا لاني تمتعت فيك براح او غزل ولا لاني ركبت مطيتك الى لهو او لعب ولا لاني ذقت فيك العيش بارد الهواء كما يذوقه الناعمون المترفون بل لانك كنت الشباب وكفى

ابكيك لاني كنت ارى في سمائك نجم الامل لامعاً متلألئاً يؤنسني منظره ويطربني لألاؤه وينفذ الى اعماق قلبي شعاعه المتوهج المتلهب. فلما ذهبت ذهب بذهابك فاصبح منظر تلك السماء فلاة متوحشة مظلمة لا يضيئها كوكب ولا يلمع فيها شعاع

اجل. لم اتمتع فيك بمتعة من المتع ولا بلذة من الملاذ ولا نلت في عهدك مأرباً من مآرب المجد او الجاه ولكنني كنت اؤمل وارجو وبذلك الامل كنت اعيش وتحت ظلال ذلك الرجاء كنت اهنأ وانعم

اما اليوم وقد بدأت اتحدَّر من قمّة الحياة الى جانبها الآخر فقد احتجب عني كل شيء ولم يبق بين يدي ما افكر فيه الاَّ ان اعدّ عدَّتي لتلك الساعة الرهيبة التي انحدر فيها الى قبري

مضى عهد الشباب وبدأت اختلف الى الاطباء الثلاثة طبيب العيون وطبيب المعدة وطبيب الاسنان. وتقاربَت خطواتي فاصبح فرسخي ميلًا وباعي ذراعاً ونعى الناعون اليَّ كثيراً من اصحابي واترابي اي انهم نعوا اليَّ نفسي. ورأيت اصدقائي الذين نشأت معهم في طريقي فانكرت استحالة حالهم واغبرار وجوههم وتجعد خدودهم وابيضاض شعورهم. فعلمت اني مثلهم وانهم ينكرون مني ما انكر منهم. ودعا لي الداعون بالقوة والنشاط وطول البقاء وحسن الختام اي ان قوتي في هبوط ونشاطي في اضمحلال وسلامتي في خطر وحياتي على وشك الانحدار الى مغربها. ومررت بمجامع الشبان الحافلة بالقوة والنشاط والمرح والسرور

فخيّل اليّ انني غريب عنهم لا صلة لي بهم ولا شأن لي معهم وأنني اعيش في عالم غير العالم الذي يعيشون فيه . وانتقلت من النظر في شأن نفسي وشأن مستقبلي الى النظر في شأن اولادي وشأن مستقبلهم لان مستقبلي اصبح ماضياً وغدي اصبح أمساً لا رجعة لهُ الى الابد . وسمعت كلمة « الجد » يهتف بها احفادي الصغار فلم انكرها ولم ابتئس بها كأنني معترف انهـا الكلمة التي يجب ان اسمعها . ونصحني الناصحون بالاقتصاد والتدبير ابقاء على مصلحة اولادي الفقراء كأنهم يقولون لي انك موشك ان ترحل فأعدَّ لمن وراءك من اهلك وبنيك ما يغنيهم عنك يوم يفقدون وجهك . وهدأت نفسي بعد ثورتها وجماحها فاصبحتُ سمحاً كريماً عَفُوّاً غفوراً لا ابغض احداً ولا احقد على احد ولا اقابل ذنباً بعقوبة ولا اساءة بمثلها كأنني اقول في نفسي ما لي وللعالم ولما يحويه من خير وشر وانا مفارقه وشيكاً ان لم يكن اليوم فغداً . واخذت التحدث عن الماضي اكثر مما التحدث عن الحاضر لا لأن الاوَّل اجمل من الثاني بل لان الشبيبة اجمل من الشيخوخة : وذكرت الجلسة البسيطة التي كنت اجلسها ايام الطلب في غرفتي العادية الصغيرة بين زملائي الفقراء البسطاء فبكيتها ورثيتها ولم تنسني اياها جلستي اليوم في منزلي الانيق الجميل بين خير الناس ادباً وفضلاً ومجداً وشرفاً . لان الاولى كانت في سماء الاحلام الحلوة اللذيذة اما الثانية ففي ارض الحقيقة المرّة المؤلمة . وكنت انعم في صباي بكثير من الملاذ الوهمية الكاذبة فكنت اجد في نفسي غبطة عظمى حينما اجلس لمطالعة قصة الف ليلة وليلة او سيرة سيف ابن ذي يزن او حروب عنترة او وقائع ابي زيد او اساطير الجن والشياطين . وحين آوي مضجعي فأرى في منامي رؤى بديعة يجتمع لي فيها جميع ما احب واشتهي من مطامع الحياة ومآربها وملاذ العيش ومباهجه . وحين اختلف الى مقابر الصالحين ومزارات الاولياء وأقف موقف الضراعة امام حلقات ابوابهم فاشعر بسكينة في قلبي يبعثها الامل ويزجيها الرجاء . . والآن قد حرمت ذلك كله منذ الساعة التي عرفت فيها ان اساطير الاوَّلين اكاذيب واباطيل وان الرؤى والاحلام هوس

وجنون وان الاولياء والصالحين احياء كانوا او امواتاً في شاغل بانفسهم عن غيرهم لا يستطيعون نفعاً ولا ضرّاً . اي انني شقيت حين علمت وكنت سعيداً قبل ان اعلم . وكان كل ما افكر فيه أن اشيد لي بيتاً جميلًا اعيش فيه عيش السعداء الآمنين في مدينة الاحياء فاصبحت وكل ما افكر فيه الآن ان أبني لي قبراً بسيطاً يضمُّ رفاتي في مدينة الاموات . وكنت ادهش لبلاغة البليغ وذلاقة الخطيب وبراعة الشاعر وقدرة الكاتب وذكاء الصانع ونبوغ المبتكر واطرب لكل عظيم وجليل مما أرى ومما اسمع. فاصبحت لا ادهش لشيء ولا اعجب من شيء لان مرآة نفسي قد صدئت فلا ينطبع فيها غير الكوكب الضخم العظيم . واين ذلك الكوكب فيما يقع عليه نظري من كواكب السماء ونجومها . ما انا بآسف على الموت يوم يأتيني فالموت غاية كل حي ولكنني ارى امامي عالماً مجهولاً لا اعلم ما يكون حظي منه واترك ورائي اطفالاً صغاراً لا اعلم كيف يعيشون من بعدي . ولولا ما امامي ومَن ورائي ما باليت أسقطتُ على الموت ام سقط الموت عليَّ

ليكن ما ارادهُ الله . اما ما امامي فالله يعلم اني ما الممت في حياتي بمعصية الّا وترددت فيها قبل الالمام بها ثم ندمت عليها بعد وقوعها . ولا شككت يوماً من الايام في آيات الله وكتابهِ ولا في ملائكته ورسله ولا في قضائه وقدره ولا اذعنت لسلطان غير سلطانه ولا لعظمة غير عظمته وما احسب انه يحاسبني حساباً عسيراً على ما افرطت في جنبه بعد ذلك . واما من ورائي فالله الذي يتولّى السائمة في مرتعها والقطاة في افحوصها والعصفور في عشه والفرخ في وكره سيتولى هؤلاء الاطفال المساكين وسيبسط عليهم رحمته واحسانه

وداعاً يا عهد الشباب فقد ودّعت بوداعك الحياة وما الحياة الّا تلك الخفقات يخفقها القلب في مطلع العمر فاذا هدأت فقد هدأ كل شي وانقضى كل شيء !

أيا عهد الشباب وكنت تندى   على افياء سرحتك السلامُ



﴿ ادب المناظرة ﴾

« له ايضاً »

انا لا اقول الا ما اعتقد ولا اعتقـد الا ما اسمع صداه من جوانب نفسي فربما خالفت الناس او بعض الناس في اشياء يعلمون منها غير ما اعلم · ومعذرتي اليهم في ذلك أن الحق اولى بالمجاملة منهم وأن في رأسي عقلاً أجلّه عن ان انزل به الى ان يكون سَيِّقة [1] للعقول وريشة في مَهب الاغراض والاهواء

فهل يجمل بعد ذلك باحد من الناس ان يرميني بجارحة من القول او صاعقة من الغضب لاني خالفت رأيه او ذهبت غير مذهبه . وأن يكون له من الحق في حملي على مذهبه اكثر مما يكون لي من الحق في حمله على مذهبي

لا بأس ان يؤيد الانسان مذهبه بالحجة والبرهان · ولا بأس ان ينقض ادلة خصمه ويزيفها بما يعتقد انه مبطل لها · ولا ملامة عليه في ان يتذرع بكل ما يعرف من الوسائل الى نشر الحقيقة التي يعتقدها . الا وسيلة واحدة لا احبها لهولا اعتقد انها تنفعه او تغني عنه شيئاً · وهي وسيلة الشتم والسباب

ان لاخلاص المتكلم تأثيراً عظيماً في قوة حجته وحلول كلامه المحلّ الاعظم من القلوب والافهام . والشاتم يعلم الناس جميعاً انه غير مخلص فيما يقول · فعبثاً يحاول ان يحمل الناس على رأيه او يقنعهم بصدقه وان كان اصدق الصادقين

اتدري لمَ يَسب الانسانُ مُناظره . لانه جاهل وعاجز معاً · اما جهـله فلأنه يذهب في وادٍ غير وادي مناظره وهو يظن انه في واديه · ولانه ينتقل من موضوع المناظرة الى النظر في شؤون المناظر واطواره كأن كل مبحث عنده مبحثٌ « فسيولوجي » · واما عجزه فلانه لو عرف الى مناظره سبيلاً غير هذا السبيل لسلكه وكفى نفسه مؤونة ازدراء الناس له وحماها من الدخول في مأزق هو فيه من الخاسرين محقاً كان او مبطلاً

---

(١) السيقة ما يساق سوقاً ومنه انما ابن ادم سيقة بسوقه الله

لا يجوز بحال من الاحوال ان يكون الغرض من المناظرة شيئاً غير خدمة الحقيقة وتأييدها . واحسب ان لو سلك الكتّاب هذا المسلك لاتفقوا على مسائل كثيرة هم لا يزالون مختلفين فيها . وما اختلفوا فيها الا لانهم فيما بينهم مختلفون يسمع احدهم الكلمة من صاحبه ويعتقد انها كلمة حق لا ريب فيها . ولكنه يبغضه فيبغض الحق من اجله فينهض للرد عليه بحجج واهية واساليب ضعيفة وان كان هو قويًّا في ذاته . لان القلم لا يقوى الا اذا استمد من القلب فاذا عيَّ بالحجج والبراهين لجأ الى المراوغة والمشاغبة . فيقول لمناظره مثلًا « انك رجل جاهل لا يعتد بآرائك او انك رجل مضطرب الرأي لا ثبات لك لانك تقول اليوم غير ما قلت بالامس » وهنالك يقول له الناس « رويداً لا تخلط في كلامك . ولا تراوغ في مناظرتك . ولا شأن لك بعلم صاحبك او جهله . فانه يقول شيئاً . فان كان صحيحاً فسلِّم به او باطلًا فبين لنا اوجه بطلانه . وَهَبْهُ قولاً لا تعلم قائله . ولا شأن لك باضطراب القائل او ثباته . فربما كان بالامس على رأي تبيَّن له خطؤه اليوم . والمرء يخطىء مرة ويصيب » فاذا ضاق بمناظره وبالناس ذرعاً فرَّ الى ادنى الوسائل واضعفها فسبَّ مناظره وشتمه وذهب في التمثيل به كل مذهب فيسجل على نفسه الفرار من الحرب والانخذال في ذلك الميدان

على ان اكثر الناس متفقون على ما يظنون انهم مختلفون فيه . فان لكل شيء جهتين جهة مدح وجهة ذم . فاما ان يتساويا او تكبر احداها الاخرى . فان كان الاول فلا معنى للاختلاف . وان كان الثاني وجب على المختلفين ان يعترف كل منهما لصاحبه ببعض الحق لا ان يكون كل منهما من سلسلة الخلاف في طرفها

كان يقع بين ملك من الملوك ووزيره خلاف في مسائل كثيرة حتى يشتد النزاع وحتى لا يلين احدها لصاحبه في طرف مما يخالفه فيه . فحضر حوارهما احد الحكماء في ليلة وهما يتناظران في المرأة . يعلو بها الملك الى مصاف الملائكة ويهبط بها الوزير الى منزلة الشياطين ويسرد كل منهما على مذهبه ادلته . فلما علا صوتهما

واشتد نزاعهما خرج ذلك الحكيم وغاب عن المجلس ساعة ثم عاد وبين اثوابه لوح على احد وجهيه صورة فتاة حسناء . وعلى الآخر صورة عجوز شوهاء . فقطع عليهما حديثهما وقال احب ان اعرض عليكما هذه الصورة ليعطيني كل منكما رأيه فيها . ثم عرض على الملك صورة الفتاة الحسناء فامتدحها ورجع الى مكان الوزير وقد قلب اللوح خلسةً من حيث لا يشعر واحد منهما بما يفعل وعرض عليه صورة العجوز الشمطاء فاستعاذ بالله من روئيتها واخذ يذمها ذمًّا قبيحاً . فهاج غيظ الملك على الوزير واخذ يرميه بالجهل وفساد الذوق وقد ظن انه يذم الصورة التي رآها هو. فلما عادا الى مثل ما كانا عليه من الخلاف الشديد تعرض لهما الحكيم واراهما اللوح من جهتيه فسكن ثائرها وضحكا كثيراً . ثم قال لهما هذا الذي انتم فيه منذ الليلة . وما احضرت اليكم هذا الرسم الا لاضربه لكم مثلًا لتعلما انكما متفقان في جميع ما كنتما تختلفان فيه لو ان كلاً منكما ينظر الى المسائل المختلف فيها من جهتيها . فشكرا له همته واثنيا على فضل حكمته وانتفعا بحيلته حتى ما كانا يختلفان بعد ذلك الا قليلا

﴿ الدعاء ﴾

« له ايضاً »

(وهو ملخص قصيدة لفيكتور هيجو بتصرف)

قومي يا بُنيَّة الى الصلاة فقد نزل ستار الليل ودب الشفق الاحمر في حاشية الافق واطلّت عيون الكواكب من نوافذ السحب واجرى البدر المنير ليقته الفضية البيضاء على صفحة النهر ومسحت ايدي النسمات المبتلة بندى الليل عن اوراق الاشجار غبار النهار

قومي يا بنية الى الصلاة فقد مات النهار وماتت بموته الآلام والاحزان والاحقاد والاضغان والمظالم والمآثم ولم يبق من تلك الاعاصير والزوابع ما يعترض وفد الدعاء في طريقه الى ابواب السماء

قومي يا بنية الى الصلاة فقد أوى الناس الى منازلهم والطيور الى وكناتها والوحش الى اوجرته واخذت الطبيعة مكانها من مرقدها ولم يبق من اصواتها الّا انين الراحة المتمثل في رنين هذه المركبة المقبلة في جوف الليل وجؤار هذه السائمة العائدة من حقولها وهدير تلك الرياح الضاربة في ذوائب الاشجار ورؤوس الأبراج

قومي يا بنية الى الصلاة فقد جاءت الساعة التي يجثو فيها الاطفال حول اسرتهم حفاة الاقدام عراة الرؤوس شواخص الابصار يطلبون الرحمة من الله تعالى لآبائهم وامهاتهم وللناس اجمعين فترنّ اصواتهم في الملإ الاعلى رنين نغمات الموسيقى في اجواف الفضاء فيرددها الملائكة طائرين بها الى عرش الرحمن. فاذا فرغوا من دعائهم وقضوا حق الله عندهم وحقهم عند انفسهم ذهبوا الى مضاجعهم وناموا نوماً هادئاً مطمئناً تتطاير فيه الاحلام الجميلة حول ثناياهم الباسمة كما تتطاير اسراب النحل حول احواض الازهار

قومي يا بنية الى الصلاة واطلبي الرحمة لتلك التي التقطت ذرّتك الاولى من عالمها ثم اتخذت لك من حنايا ضلوعها سريراً قبل سريرك ومن احشائها مهاداً قبل مهادك والتي قدم لها الدهر كأسي شقائه ونعيمه فشربت الاولى وآثرتك بالاخرى

اطلبي لها الرحمة فانها كانت بيضاء القلب صافية النفس تحب من لا يحبها وترحم من لا يرحمها وتبتسم ابتسامة عذبة رائقة لا تمازجها ريبة وتمد يدها الى اجتناء كل ثمرة الا ثمرة الشجرة المنهي عنها. وكانت تقف امام مسرح الحياة الحافل بالزخارف والتهاويل وقفة المتريث المرتاب الذي يتهم سمعه وبصره وتنظر اليه نظر الحكيم العاقل الذي يعلم ان السعادة الكاذبة امرّ مذاقاً في الافواه من الشقاء الصادق. وان هؤلاء الذين يضحكون سروراً بهذه الصور الخيالية لا يعلمون انهم يبكون من حيث لا يشعرون. وان اولئك الجالسين حول مائدة الشهوات انما يقامرون بانفسهم ولا بدّ انهم خاسرون. فتغض بصرها وتشيح بوجهها وتعود ادراجها بقلب غير مخدوع وفؤاد غير مصدوع

اذكري يا بنية ان تطلبي الرحمة لأبيك كما تطلبينها لأمك فهو احوج اليها

منها لان الخطايا قد اثقلت ظهره فاصبح لا يستطيع ان يرفع رأسه الى السماء . وغلّت يده فلا يستطيع ان يمدها الى الله بالدعاء

انني اشعر يا بنية حينما اسمع دعاءك لي كأنني اسمع اصوات القيود تتكسر عن قدمي وكأنّ سحابة سوداء تنقشع عن قلبي قليلاً قليلاً وكأن جناحي المَهيض قد نبت له ريش ناعم جميل احاول ان اطير به الى اعالي السماء

اطلبي الرحمة لجميع الآباء العائدين الى منازلهم تحت ستار الظلام بدموع منهلّة وقلوب واجمة بعد ان سايروا الشمس من مشرقها الى مغربها فلم يجدوا ما يمسحون به دموع ابنائهم حينما يعودون اليهم

اطلبي الرحمة لجميع الامهات الجالسات حول اسرّة ابنائهنّ المرضى وقد خنقت قلوبهنّ وحارت ابصارهنّ مخافة ان يذقنَ مرارة الثكل والثكلُ كثير على قلوب الامهات

اطلبي الرحمة للبخيل الذي يجيع بطنه ويشبع صندوقه . والاحمق الذي يبتسم للمعان الحرير في صدره والذهب في اصابعه . والقاضي الذي يبرىء القاتل المتعمد ويدين السارق المضطر . والملك الذي يشعل نار الحرب في امته ليطفىء نار غضبه . والظالم الذي لا يحاسب نفسه على ليلة سوء يقضيها خارج بيته ويحاسب زوجته على ابتسامة كرَم تبسمها لغيره . وسائر البؤساء الذين لا يشعرون ببؤسهم . والاشقياء الذين يظنون انهم سعداء .

اطلبي الرحمة لأولئك الذين عَمروا الارض وبنوا دورها وشادوا قصورها وزخرفوا سهولها وجبالها واغوارها وانجادها فجازتهم سوءاً بما عملوا وابتلعتهم في جوفها . فاصبحوا في تلك الحفرة المظلمة المخيفة التي تختلط فيها الرؤوس بالاقدام والقوادم بالخوافي والنعال بالتيجان والتي ينطوي فيها كل قديم تحت كل حديث انطواء اللجج المتراكبة في البحر العميق . يتألمون ولا ينطقون ويستصرخون فلا يجدون من يسمع نداءهم او يلبي دعاءهم

اطلبي الرحمة لهم فان الدعاء الخالص يستحيل في انظارهم الى روضة من رياض

الجنان تنبت فوق اجداثهم فتمدّ اليهم ظلالها وتنثر بينهم اوراقها وازهارها. واركعي فوق التربة التي يئنون تحتها واسقيها من دموعكِ قطرات باردة تبلّ غلتهم وتطفئْ جذوة الندم المتوقدة في احشائهم . انهم الى الرحمة محتاجون . والى الله راغبون

اطلبي الرحمة للابرار والفجار والعصاة والطائعين والمؤمنين والملحدين وكل سارحة في الارض وسائحة في السماء . ولا تيأسي ان يستجيب الله دعاءكِ فلكل بداية نهاية ولكل سائلة قرار . فكما ان النهر يتسرَّب الى البحر والطائر يقع على الغصن والشمس تجري لمستقرها والنفس تصعد الى عالمها كذلك ابواب السماء مفتحة لخالص الدعاء

﴿ ليلة في التمثيل ﴾

« له ايضاً »

من اراد ان يعرف الاخلاق العامة المصرية كما هي فليزر دار التمثيل العربي فانه يرى هنالك ما تفرّق من اخلاق هذه الامة وغرائزها وميولها واهوائها مجتمعاً في بقعة واحدة

زرتُ تلك الدار ليلة امس وكثيراً ما ازورها لاني احبُّ التمثيل حبًّا يكاد يساوي حبي للشعر والموسيقى والجمال . فبدا لي ان اكون في تلك الليلة فيلسوفاً اكثر مني متفرّجاً . اي ان اكون متفرّجاً على المتفرّجين . ومطّلعاً على المطّلعين . فكانوا جميعاً يشاهدون ملعباً واحداً وكنت اشاهد وحدي الف ملعب لا يقلّ كل واحد منها عن ملعبهم غرابة وابداعاً

كان الزحام في هـذه الليلة شديداً لان الادباء يعجبهم من رواية روميو وجوليت ذلك الاسلوب الفصيح والترتيب البديع الذي انفرد به المرحوم الشيخ نجيب الحداد من بين كتّاب الروايات ومترجميها . ولان العاشقين يهمهم منها ان يروا فيها مواقف العناء والشقاء التي وقفها روميو وجوليت ليتخذوا منها لانفسهم

عزاءً عما يلاقونه من امثال تلك المواقف من عناء وشقاء . ولان النساء يطربهنّ منها منظر جوليت وهي قتيلة مخضبة بدمها ليجدنَ السبيل الى الشماتة بها والسخرية بضعف حيلتها وعجزها الذي كان سبباً في حرمانها من سعادتها وحياتها . فكأنهنّ يقلنَ لها لو كنا مكانكِ ايتها الحمقاء لما بذلنا حياتنا . في سبيل رجل لا يفوتنا حظنا من غيره ان فاتنا حظنا منه

وبالجملة فقد كان اصحاب الاغراض المختلفة في هذه الرواية كثيرين جداً وكانوا اذا اشتركوا في هتاف او تصفيق دوّى لهم في ارجاء القاعة صوت يصدع الرؤوس ويؤثر في اعصاب السمع تأثيراً سيئاً . فكنت اذا شرع المغني في نشيد وترقب الناس النغمة الاخيرة بتشوق وتلهف ترقبتها بخوف وجزع لاني لا احب ان تكون هذه النغمة آخر نغمة اسمعها في حياتي

رأيت فيما رايت في ذلك المعرض العام ان عامة المصريين يحبون التصفيق حباً جماً ويتهالكون وجداً عليه

رأيت من كان يصفق حتى تحمر كفاه وتكادان تبضان دماً ومن كان يضرب الارض بقدميه حتى يكاد يجمد الدم في عروقهما

رأيت ملكة التقليد آخذة من نفوسهم مأخذها لانهم ما كانوا يصفقون في مواقف الاستحسان معاً بل كان يبتدىء واحد فيقلده الجلوس حوله ثم يسري التصفيق تدريجياً بين الجميع . ولقد رأيت من استغرق في الضحك حتى كاد يسقط عن كرسيه ثم سمعته يسأل بعد ذلك جليسه مِمَّ تضحكون

ولقد كنت احسب انهم لا يصفقون الا في مواطن الاستحسان كما هي عادة الناس فاذا هم يصفقون لكل مشهد من المشاهد المؤثرة مفرحاً كان او محزناً هزلاً او جداً . فصفقوا لمنظر جوليت وهي تتجرع السم وصفقوا لمنظر روميو وهو يتحرق وجداً حينما فاجأه الخبر بموتها

اما النساء فلأن خدورهنّ ضحكاً عندما سقط روميو قتيلاً ولا اعلم لذلك سبباً الا ان تكون عداوة الجنسية وحب الانتقام

اما اداب الاستماع فلا تسل عنهـا لانك لاترى في جوانبي ما يسرك . واي منظر يروقك من مجتمع ما اجتمع في مثل هذا المكان الا للاستماع . ثم لا ترى بينه الا مصفقاً او هاتفاً او راكضاً او ضاحكاً او صارخاً او مصفراً او ماضغاً او متكلماً . وكان يكون ذلك هيناً لو وقع بين الفصل والفصل والمنظر والمنظر والجملة والجملة ولكنه يقع مطرداً حيثما اتفق وكيفما بدا

وبعد فقد استنتجت من منظر ذلك المعرض العام ان للعامي المصري ثلاثة اخلاق هي ألزم له من ظله والصق به من نفسه . يحب التقليد ويحب الهزل ولا يستطيع ان يصبر عن اظهار ما تتأثر به نفسه من حزن وسرور لحظة واحدة

﴿ التردّد ﴾

(لاديب اسحق)

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً فان فساد الرأي ان تتردّدا

ووال الزمان اذا والاك . وخذ منه ما اعطاك فهو ملول يألف الصد . وبخيل لا يأنف الرد . وانتهز فرص الحوادث فالعمر وان طال . اقصر من ان يسع المطال

واعتبر بالذين يقتلون الايام . بين الاحجام والاقدام . ويؤجلون للغد ما امكن بالامس الى ان يمتنع الامكان . بما يحول دونه من مصاعب الزمان . كيف تلاشت احوالهم . وساء مآلهم . فصاروا الى الضعف بعد القوة . والهرم بعد الفتوّة . والخمول بعد النباهة . والخسف بعد الوجاهة حتى عاد مجدهم صغارا . ومسخ فضلهم عارا .

وانظر الى الذين ينيطون الاقوال باطراف الاعمال . ويستلبون الاوقات . من مخالب الآفات وينتهزون الفرص كيف سنحت ويدخلون ابواب السعي متى فتحت . هل زلّت بهم الاقدام ام ندموا على الإقـدام . ام اسفوا كما يأسف المهملون . ام خسفوا كما خسف المترددون

اوَ ما تراهم في ذروة المجد . وربوة النعمة . وعقوة الحرية . لا يبلغ شأوهم الساعون . ولا يمسهم الشقاء . ولا ينالهم الظالمون بسوء . فهم القــادرون اذا رغبوا . والمدركون اذا طلبوا . والعالمون اذا نطقوا . والسابقون اذا لحقــوا . تبتسم الحياة لشيوخهم . كما يبتسم الموت لفتياننا . ويروق الوجود فقراءهم . كما يروق الغنى اغنياءنا . حتى كأن الزمان عاهدهم على الراحة . وواعدهم باستمرار الهناء . كما واثقنا على الجهد واستقراء البلاء

فبتنا نعاني صنوف العـناء ولسنا نرى في الانام معينا
ودارت علينا رحى نـكبة تظل الحجارة فيها طحينــا

فيا قوم : لقد مرّت بكم الايام باسباب النعمة والنقمة والراحـة والتعب واليأس والرجاء فلم تستوقفوا الرغائب ولم تجتنبوا النــوائب . ولكن وقفتم بين الجزع والكسل . والامل والملل . ففرّ المرغوب . وقرّ المرهوب . فلم تخيبوا خيبة الساعي لتعذروا . ولم تصيبوا اصابــة المتثبت لتنكروا . ولم تدركوا الارب اتفاقاً لتذكروا

وتلك حالكم شاهدة بما اقول . فقد بليتم بمـا يذيب الشحم . ويقرض اللحم . ويبري العظم . وانتم صابرون . ومنيتم بما وفر النقم . وغـير النعم . واهلك النَّعم . وانتم صامتون . ورزئتم بمـا جلب المصاب . وهتك الحجاب . وابرز الكعاب . وانتم خاشعون . فما الذي تخافون بل اي عناء لم تعانوه . واي بلاء لم تقاسوه . واي فناء تحذرون بعد هذا الوجود . ام اي وجـود ترجون مع هذا الفناء

لاجرم ان مثلكم في الصبر . على هذا النكر كمثل بخيل يفق العمر في التماس المال . ثم يحبسه عن نفسه وعن العيال . راضياً باسوإ حال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعـل الفقر

تقولون لا نرضى بهذا الخسف . ولا نقوى على احتمال الذل . فقـد صار تاجرنا عاملاً . ونبيهنا خاملاً . وعالمنا سائلاً . فلم يبق فينا غير الاجير والتابع .

والشحاذ والزارع . والجندي منخفض الجانب . والشرطيّ منقطع الراتب .

بل زارعنا الذي يدفن مع الحبة قوّة يمينه . ويسقي الغرس بماء جبينه . نزيلٌ في دار ابيه . وغريبٌ في ارض ذويه . يحصد مما زرع ولكن اسواه . ويجني مما غرس ولا يذوق جناهُ

وجملة الامر ان الشدة قد بلغت في امرنا حد الحدَّة . فصار ومن دونه الخوف بعد الامن . والسقم بعد البرء واليأس بعد الرجاء . والفقر بعد الغنى حتى لو استزدنا الدهر بلاء لما وجد الى ذلك من سبيل . وحتى عذب الموت بافواهنا والموت خير من مقام الذليل

تقولون هذا وانتم في مراتع الاهمال . ومرابع الآمال . تحرصون على القناعة حرص البخيل على درهمه . وتضنون بالاقدام ضنَّ الجبان بدمه

وهل ينفع الخطيّ غير مثقف وتظهر الا بالصقال الجواهر

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والعزم فاتر

بل ما اجدر القائلين من غير فعل . بان يفعلوا من غير مقال . اجل ولسوف تفعلون .

وكأني بكم عصابة من اهل الهمة والاصابة ترفعون الاصوات في طلب الحق المسلوب . وتمدون الاكف لالتماس المال المنهوب . وتجعلون الابدان للوطن سورًا . يرد عنه العدوَّ مذعورًا

وانتم الكلمة المتحدة . والقوَّة المجتمعة هي اقوى من العدد الكثير الَّا انكم تتردّدون . يأخذكم فيما ترومون عذل الخائفين فتنسون ماضي الزمان على رجاء آتيه . فيومكم ابدًا مستهلك في غده والغد فيما يليه

فيا حليف الصبر . ويانضو العناء . نداء مشارك في بلواك . وسامع لنجواك .

دع التردد ان اردت النجاح والنجاة . واقدم فربَّ حياة تكون في الموت ورب موت يحيي من طلب الحياة

* * *

﴿ الحرب ﴾

(له ايضاً)

عرف الانسان مضار الحرب ولم يتجنبها فهل تلك طبيعة وجدت في كيانه الحيواني ام عادة تمكنت فيه بالاستمرار فصارت ملكةً يتعذر التخلص منها . وهي مسألة تؤدي الى النظر في هل طبع على الخير او الشر . او كان من عجائبه ان اجتمع فيه النقيضان

يجني على نفسه الحرب وهي بلية حتى اذا بلغت منه مبلغها بادر الى تخفيف مضارها فمنه الداء والدواء . والسم والدرياق . وهو بالجملة ابو العجب . اما تراه قد فتح في القرن التاسع عشر سوق حرب راجت فيها النفوس . ولم يكن سببها السباق ولا البسوس . وانما هي ثمرة الهوى ونتيجة الغرور . فلما انشبت فيه اظفارها واضرمت في حماهُ نارها طلب الماء لاطفاء اللهيب فهو الهادم والباني . والزارع والجاني .

يحمل على ابن نوعه مقاتلاً . ثم يدعو الى اعانته . فهو يجلب الداء ويطلب الدواء . ويجرح باليمين ويضمد باليسار . او ما تراه في جنوبي البلقان وفي اسيا الصغرى مضرماً نيران البلاء وفي سائر الارض طالباً اخمادها

فلو رأيته وهو في ساحة القتال يطلب قرناً يصاوله . وخصماً يطاوله . وفارساً ينازله . وبطلاً يقاتله . لانكرته وهو في ديار السلم يطلب ذا مروءة يساعد من جرحه . وينهض من طرحه . فهو في جهة ينادي الانسانية الانسانيه وما ادراك ما هيه . صفة تقوم بمن ضعف فيه الميل الحيوي . فتقوي الميل الانساني . وهي الترفع عن الحاجات الحيوانية الى المطالب العقلية وتجريد النفس عن دنيء شهواتها . لرفعها الى سامي غاياتها . وفي جهة ينادي الحرب الحرب وما ادراك ما الحرب . هي باعث الهول والكرب . اوّلها شكوى . وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . او هيَ كما قيل فيها

الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب شرارها عادت عجوزاً غير ذات حليل

في معترك اومضت فيه بروق المرهفات . ولعلعت رعود المدافع فتلتها غيوث الكرات . وسكرت السيوف بخمر من الدم فعربدت في الرؤوس . وعقد العثير لملك الموت سرادقاً مطنباً بالقنا والخيلُ ساغبة تقبل ثقالاً وتعود خفافاً . وكأنها وقد اعياها الفارس حياً قد غضبت على الانسان فداست هامته انتقاماً . وقد استحيت الشمس من خشونة الانسان فاحتجبت بحجاب الضباب . وتململت الارض من اعماله فزلزلت زلزالها . وكادت تخرج اثقالها . فارتعد الرعديد . وثبت الصنديد . ونادى منادي الحرب من فرّ من الموت وقع . ومن كان ينوي اهله فلا رجع . طريحٌ على الارض جريحٌ ذو كبدٍ حرّى . يستجير باحدى يديه وفوق الكبد الاخرى . يذكر خليلةً او حليلةً آلمه فراقها مع امل الرجوع . فما الظن به وقد اختفى نور ذلك الامل . ووالدةً تألمت به جنيناً . وارضعته طفلاً . وربته يافعاً . وسهرت عليه حالماً . ووالداً واساه في كآبته . وسلّاه في حزنه . وتوجع له في مصابه . ثم تنجلي له الدنيا بزخرفها وزينتها فيرى مرير عذابها حلواً . وكدر مشاربها صفواً . فهذا هو الانسان الجريح بسلاح الانسان . المطلوبة مساعدته من الانسان .

اعانة الجرحى

« له ايضاً »

من يسير ما تنفقه على الملاذ في المطاعم والمشارب . ومن قليل ما تصرفه في الملابس الفاخرة . جُد على ابن جنسك الساقط في ساحة البلاء حيث ينكر الاخ اخاه . والابن اباه . ايها المعطِر اردانه . المفاخر اخوانه . المعجب بلباسه . الجائر على ناسه . الراكب العربة يقودها زوجٌ من الخيل العتاق . الساكن القصر المشيَّد . اللابس الحرير . الآكل الفالوزج . الشارب انواع الراح . ومن قليل ما تنفقين

على باطل الزينة . وزائل التحسين . وتزر ما تبذلين في اقتناء الحلى والحلل . ايتها المفاخرة بزينتها . المنافسة في حلتها . جودي لجريح يحارب عنكِ ويحمي حماكِ . وابسطي يدكِ البيضاء . بالعطية البيضاء . واحسني وانتِ حسناء . فخير الحسن ما كان مع الاحسان . وخير الاحسان ما كان في اعانة الانسان .

﴿ عيشة الخلاء ﴾

« له ايضاً »

لقد سكن الهواء وفتر الماء ووقعت سهام الشمس على الرأس وثقلت وطأة الليل على النفس فما لطلّاب الهناء سوى الخلاء وما لاخوان الصفاء غير الفضاء . فاهجر هواجر الحواضر وذر مفاسد المحاشد وسر بي بسربِ الآداب . وصحبِ اولي الالباب نلتمس في الجبال نسيماً بليلاً وفي الاودية ظلّاً ظليلاً . ولا تتبع بنا العجلة سارية على عجل بين السهل والجبل فانكَ ان ادركت اثارها لم تأمن غبارها . ولا تجرِ وراء الفرس يركضه القبعيّ خببا فيسحب قوائمه تعبا . فانك لم تجد ثمَّ رفيقاً يكون بنفسك رفيقاً . بل انفرد بالخاطر تطلقه اطلاق الجواد بين الربى والوهاد

واغتنم نشقَ نسيمات السحر   قبل ان تمنى بانفاس البشر

وقابل الفجر قبل انفجار بركان النهار وقبل طلوع الغزالة على هودج النار وتعطر بما يمر بالخزام والشيح من خطرات الريح وسرّح طرف عينيك بمجالي جمال ما بين يديك . فقد نسقت صفوف الاشجار على ضفاف الانهار وتكللت هام الاغصان من لآلئ الندى بتيجان . وغرّد العندليب على العود فاذكر بانغام اسحق على العود . والهواء يملأ القلوب حياةً وهناء والماء يسيل في الابدان صحةً وشفاء

والافق يبسم والطيور صوادحٌ   والنهر يرقص والغصون تصفق

ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزئ بعاديات الزمان لزم رؤوسها الشيب فازدادت به جمالاً فنادى لسان حالها ربِّ زدني كمالاً . فكان في هامها الشتاء

وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها الصيف . والبحر من وراء ذلك يحدجها بعينه الزرقاء فتردّه صخورها الصماء فيعود مرغياً وجداً مزبداً حقداً . يدفع سابق موجهِ اللاحق انكساراً كما انهزم الجيش فارتدت طلائعه السابقة فراراً .

فتلك هي الحياة لا ما انفقت في الطلب وما صرفت في التعب بين مداجٍ تدنيه وتخشاه . ومفاجٍ تخاف غضبه ولا تأمن رضاه . والفرِ رأى اللوم راعه وسكن اذا اودعته القلب اضاعه . وبين ذلك تمالك وانقباض وصدٌّ واعراض ودلالٌ وهجر وملال وغدر وصحبةٌ بالموادعة ووفاءٌ بالمدافعة وشفاه لا صلة بينها وبين الضمائر وألسنة لا علاقة لها مع السرائر وعيونٌ لا تشف عن القلوب واخوان فيما لا يمسّ الجيوب ودهانٌ واجلالٌ واعظام ورثاءٌ واكرامٌ واحتشام

ولقاء الانام عذبٌ ولكن كدَّرته مؤونة الاحتشام

فاغنم هذه الاويقات قبل انهدام الملذات فالزمان يومان ماضٍ لا يردّ وحاضرٌ لا يعلم له غد . فاذكر امسك الذي فات وواتِ يومك قبل الفوات

﴿ خطرات ألباب ﴾

« له ايضاً »

دع الحريريّ بين حارثهِ وهمامه . والمتنبي لدى سيف دولته وحسامه . وابا نواس عند ظبيه وجامه وقف بنا نندب وقتاً اضاعوه وذكاء في غير محله صرفوه

فالوقت هو التبر الثمين ولكنا نتلقَّاه غير مكترثين فنبدد الاعوام واحداً بعد واحد لا نستفيد منها نفعاً ولا نحسن فيها صنعاً

فقل لمن يصرف الايام بين الاوهام والاحلام ان كنت تجهل مقدار ماتضيع فقف بالقبور ملتمساً من سكانها برهةً من الوقت تعلم انه العزيز الذي لا يملك فمن اضاعه واشترى به ثمناً قليلاً فاولئك هم الخاسرون

الا ان الطبيعة لحكيم يهذّب الافكار بدروس الاعتبار وانا لسموت في كل

. حين ثم نحيا ثم نعود امواتاً . فلنا في كل يوم عمرٌ جديد ولكن اكثرنا لا يشعرون

تمرُّ بنا الاوقات سراعاً وتكرُّ الايام تباعاً فنذهل عن تعاقبها كالمحدق بالكرة الدائرة يحسبها ساكنة . او كالمغتسل في النهر يمرُّ به الماء جارياً فلا يميز بين منصرفه وآتيه

والحق انا لفي ضلال مبين . لم يكفنا القعود عن شراء الوقت المفقود حتى نشري بكل نفيس ما يضيع به الموجود

نبدد كنوز الايام غير شاكرين فاذا بدا الشاغل قلنا ما ابطأ الزمان متحركاً وما اثقله نزيلاً . والتمسنا الى الفرار منه سبيلاً ولا نفرّ الّا من انفسنا فالزمان عين الوجود

نملّ البقاء ونرجو الفناء فاذا جاء نذيره وددنا لو نكون من الخالدين . ويتمثل لنا الوقت شيخاً ثقيل الوطأة فاذا تولّى رأيناه طائراً عظيم الجناحين فنسعى في طلبه فلا ندرك له اثراً فنعود عنه آسفين

فما سرُّ هذا التناقض وما بالنا نرى اليوم الحاضر بغيضاً فاذا انقضى بكيناه وقلنا ان الزمان بمثله لضنين . ولا يضنّ الزمان بالايام وانما نحن بها مسرفون وما كان ندمنا الّا عقاباً على الاسراف كذلك يجزى المفرطون

تفيض علينا الاوقات فننفق منها بغير حساب ثم نحثها على المسير فاذا انصرفت ناديناها غير مسمعين . فنحن نسعى الى الموت ثم نفرّ منه كعاشقةٍ حمقاء تغاضب من تهواه سعياً الى الهجر فاذا رامه اتته مستغفرةً انها من التائبين

ونملّ الاعمال ولا راحة الّا بالاعمال . فالهناء ثمرةٌ لا تنبت الّا في حقول الاشغال والحياة ان لم تكن مقرونةً بالهناء فهي عين العناء

فقل لمن يلتمس الملاهي لصرف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع — اي هذا المسترحل طفلاً المستطفل كهلاً القاعد عن النعمة سهواً نراك تحسب اللهو حياة فهل تحسب الموت لهواً

تنام ملء عينيك على وساد الفساد تحت ظلال الوبال ولا تسمع حركة الوجود كأنك ممن انجروا فاكتنفتهم الانواء تجرّ سحاباً يمطر عذاباً حلّ دويها بآذانهم

فهم لا يسمعون

فنبه طرف الفكرة من رقدة الغفلة واحرص على يومك حرص البخيل على الدرهم فربما مرّت النعمة تحت جناح ساعةٍ منه وانت لا تعلم

وأعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسيًّا فالمأثرة تعيد مائت الزمن حياً . واعلم ان من اضاع شيئاً من الوقت فقد سرق التبر بل سلب العمر وكان من القتلة الظالمين

« الخيال في رسالة الغفران »

« بقلم عباس محمود العقاد »

هَب اننا عمدنا الى كتاب من الكتب الجغرافية فغيرنا عناوينه واسماءه وجعلنا في موضع كل علم من اعلامه اسماً من اسماء الاساطير والخرافات وزعمنا ان هذه الحقائق التي اشتمل عليها الكتاب وصف لعالم من عوالم الجن او كوكب من كواكب السماء . ايجوز لنا بعد هذا التبديل ان نعد هذا الكتاب بدعة من بدع القرائح وعملاً من اعمال الخيال ؟ ؟

وهب اننا تناولنا تاريخ الدولة الرومانية او اية دولة من الدول البائدة فرويناه على المستقبل بدلاً من روايته على الماضي واجريناه مجرى التنبؤ عما سيكون بدلاً من اجرائه مجرى التاريخ لما قد كان . ونقلنا وقائعه من معاهدها التي حدثت فيها الى وادٍ من اودية السحر او فج من فجاج الآخرة . فهل يصبح هذا التاريخ اذًا قصيدة من قصائد الملاحم المأثورة او طرفة من طرف الفنون ؟ ؟

وعلى هذا النحو يمكننا ان نسأل عن حقيقة رسالة الغفران : هل هي قصة تاريخية او بدعة فنية ؟ ؟ وهل العمل الاكبر فيها للخيال او للدرس والاطلاع ؟ وهل كان المعري فيها شاعرًا مبتكرًا او كان قاصًا اديباً وحافظاً يسرد ما قد سمع ويروي عمن سبق ؟ ؟ والصواب في امر هذه الرسالة انها كتاب ادب وتاريخ وثمرة من ثمار الدرس والاطلاع ليست بالبدعة الفنية ولا بالتخيل المبتكر وقد

سلك المعري فيها مسلك التلطف في القصص . فهو يورد طائفة من اخبار الشعراء والادباء ونتفاً من اشعارهم وملحهم ويضيف اليها حواراً كان يقع مثله بين النحاة والرواة ممن تقدمه . فيعزوه هو الى الشعراء انفسهم ويجعل اولئك الشعراء مرجعه الذي يفصل له فيما كان من الخلاف على لحن عباراتهم وضبط الفاظهم ونوادر تراجمهم . فينحلهم آراءه في ذلك الخلاف ويلقنهم حكمه فيما يحسبه هو صواباً او خطأ من اقاويل النقاد واسانيد الرواة . فهو كان في تلك الرسالة اما مؤدياً لاخبار من سبق ناقلاً لاحاديثهم او معلقاً برأيه على تلك الاخبار المؤداة والاحاديث المنقولة . وليس في كل هذا عمل كبير للتخيل والاختراع

ولم ننسَ ان المعري نقل كل ما تقدم الى جنة الخلد وانه وصف لنا الجنة وطيباتها وما اعده الله لاهلها من عيش رخيم ونعيم مقيم وشهوات مطاعة ودعوات مجابة . وذكر لنا كيف ينظر المتقون الى الطير السابح فيسقط بين ايديهم مشوياً مطهياً . وكيف يتشوقون الى الثمر اليانع فينتفض امامهم خلقاً سوياً . فاسهب في هذه الصفات ما اسهب واجاد فيها ما اجاد . ولكن اي شيء من هذه الاشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟؟ واي خبر من اخبار الجنة المذكورة لم يكن في عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟؟ كل اولئك كان عندهم من حقائق الاخبار ووقائع العيان ينتظرونه ويؤمنون به ويصدقون انهم ملاقوه في ساعة من ساعات الرضوان كما يصدقون انهم داخلو بغداد او مصر اذا شخصوا اليهما . فرسالة الغفران في هذا الباب اقرب الى الكتب الجغرافية واوصاف الرحلات المشاهدة منها الى افانين الشعر ومخترعات الخيال واشبه بالتواريخ المدونة منها بالنبوءات المؤملة والغرائب المستطرفة

***

ولم يكن الخيال من ملكات المعري التي اشتهر بها ولم يكن هو نفسه يحب ان يوصف بالقدرة عليه . بل لعله كان يكره ان ينسب الى اهله ويراه منافياً للصدق مخالفاً للامانة في القول ويحسب المحاسن المتخيلة من باطل الزخرف ولغو

الكلام . وكأنه كان يريد ان يبرأ من الخيال حين قال في فاتحة لزومياته « كان من سوالف الاقضية اني انشأت ابنية اوراق توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب والمين » وكانه كان يشير الى هذا المعنى حين ختم تلك المقدمة بقوله : « اني رفضت الشعر رفض السقب غرسه والرأل تريكته . والغرض ما استجيز فيه الكذب واستعين على نظامه بالشبهات فاما الكائن عظة للسامع وايقاظاً للمتوسن وامراً بالتحرز من الدنيا الخادعة واهلها الذين جبلوا على الغش والمكر فهو ان شاء الله مما يلتمس به الثواب . واضيف الى ما سلف من الاعتذار ان من سلك في هذا الاسلوب ضعف ما ينطق به من النظام لانه يتوخى الصادقة ويطلب من الكلام البرة . ويروى عن الاصمعي كلام معناه « ان الشعر باب من ابواب الباطل فاذا اريد به غير وجهه ضعف » وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والابل واوصاف الخمر وتسببوا الى الجزالة بذكر الحرب واحتلبوا اخلاف الفكر وهم اهل مقام وخفض في معنى ما يدعون انهم يعانون من حث الركائب وقطع المفاوز ومراس الشقاء » . اه

فالمعري كان ينكر ان يصف شيئاً لا حقيقة له من الحس ويأبى على الشعراء ان يتقولوا بما لا يعانون ويتوصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وتزيينه بالغزل والحماسة ويعتذر من ضعف نظام اللزوميات باجتنابه غواية الزور فيها والتزامه الصدق والبر . اي انه كان يحتجز مخيلته ويتهم وسواس قريحته ويحب ان يخرج صدقة للناس عارياً من كل زخرف وطلاوة . فكانت ملكة الخيال فيه على قصورها وضعفها مكبوحة لا تنطلق الى مداها وكان هو الى التمحيص والتعمق اميل منه الى التحليق والتجميل . ولسنا نعني ان نقول ان الشاعر يدان باعترافه ويؤخذ بحكمه على ملكاته فان هذا يلزمنا ان نصدق كل مغرور في دعواه وان نخلط بين حقيقة المرء وبين ما يراه المرء لنفسه من الحقيقة المحببة اليه . وليس هذا من الصواب ولا من الانصاف في شيء . ولكنا اردنا ان نبين ضعف سلطان

الخيال على ملكات المعري وغلبة النزعة الفلسفية فيه على السليقة الفنية وان نستدل من رأيه في الاخلية الشعرية على قلة تمكنها من طبعه وسهولة انصرافه عن فتنتها وافلاته من ارهاقها . وما عهدنا ان يسهل الافلات منها على ذي قريحة مطبوعة على التخيل

ومن القصد في الحكم ان نقول هنا ان رسالة الغفران لم تخل من آثار الخيال ولم تعطل كل العطل من حلية الشاعرية . وهذا من البديهيات والا فكيف كان يتأتى ان تخلو من خيال وان تعطل من شاعرية ؟ ؟ وكيف كان يتهيأ للمعري ان يتوخى الصدق الحسي في الرسالة وان يفصل بين الخيال والحقيقة في رواية هذه الغيبيات ولو تنبه لذلك جهده وحاوله بكل ما أوتي من قدرة ؟ ؟ فاقل ما في الامر انه رجل كفيف نشأ على ان يستعين بالتصور الوهمي على ادراك الصور المرئية فلا بد له من قدر من التخيل تكسبه اياه المعالجة ان لم يكن قد طبع عليه طبعاً. وانه مارس الشعر والتوصيف ولن تخلو الممارسة من فائدتها في تنمية الملكات واذكاء الخواطر. وانه يتحدث بامور يختلف تصورها باختلاف متصوريها لانها من الغيبيات التي لم تسمعها اذن ولم يلم بها نظر . فسبيله — سواء اراده او لم يرده — ان يمزج بالوصف شيئاً من هواجس نفسه ويغشيه بمسحة من صبغة فكره فيكون له فيه فضل فوق فضل النقل والرواية

وهذا ما صنعه المعري في هذه الرسالة . فهي رحلة قديمة كما قلنا ولكنه اعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا احاديثها كانما هو الذي ابتدعها اول مرة . فقد اعارها هواه واشربها روحه فهشت لها جوانحه وتمنى فاعانه التمني على التخيل . ولا عجب ان يشغل المعري قلبه بمتع الجنات او يتشاغل بها بعد اذ حرمته الدنيا متعها وحرم هو على نفسه ما بقي منها . فان اللحم والدم لا ينسيان حظهما من الحياة نسية واحدة ! ولا بد من يقظة للنفس في بعض اوقاتها التي تخلو بها الى شياطينها وتنفرد بغرائزها ونزعاتها . وما حرم المعري طيبات هذه الدنيا الا لقلة مؤاتاتها وانفته من ان يتبذل في طلبها ويخل بوقاره واحتشامه في

الاخذ باسبابها والتصدي لشؤونها . على انه كم من لحظة قال فيها لنفسه :

ايأتي نبي يجعل الخمر طلقة فتحمل شيئاً من همومي واحزاني !

او قال في اخلاص واسف :

تمنيت ان الخمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمأنت بي الحال
مقل من الاهلين يسر واسرة كفى حزناً بين مشت واقلال !!

قبل ان يفيء الى حلمه فيقول :

وهيهات لو حلت لما كنت شارباً مخففة في الحلم كفة ميزاني

او يقول :

لو كانت الخمر حلًّا ما سمحت بها لنفسي الدهر لا سرًّا ولا علناً

فاما والخمر التي يشتهيها في رسالة الغفران خمر الجنان التي اعدها الله للصالحين من عباده فلا حرج عليه ان يصف مجالسها ويتحدث بنادماتها ولا هو واجد — ان تمناها — من يلومه على هـذا التمني او يلجئه الى مثل ذلك الاستدراك السريع . . !

***

ان رسالة الغفران نمط وحدها في آدابنا العربية واسلوب شيق ونسق طريف في النقد والرواية وفكرة لبقة لا نعلم ان احداً سبق المعري اليها (اللهم الا اذا استثنينا محاورات لوسيان في الاولمب والهاوية) وفذلكة جامعة لاشتات من نكات النحو واللغة . ذلك تقدير حق موجز لرسالة الغفران امـا ان ينظر اليها كأنها نفحة من نفحات الوحي الشعري على مثال ما نعرف من القصائد الكبرى التي يفتنّ في تمثيلها الشعراء او القصص التي يخترعونها اختراعاً . او ينظر اليها كأنها عمل من اعمال توليد الصور والباس المعاني المجردة لباس المدركات المحسوسة فليس ذلك حقاً وليس في قولنا هذا غبن للمعري او بخس لرسالة الغفران . كلّا ولا هو مما يغضب المعري ان يقال هذا القول في رسالته



« فن المتنبي »

« له ايضاً »

من حق البحث علينا بعد ما اخذنا فيه من الكلام على حياة المتنبي وشعره ان نقول كلمة مجملة في مكانة الرجل من جهة الفن والطريقة النظمية ، فهل المتنبي فنّان ؟ ؟ وهل تتسع دائرة الفن حتى تشمل المتنبي ومناقضيه من الشعراء ؟ ؟

اما أن كان الفن هو صقل العبارة وتوشية الكلام واطافة المدخل وحسن الاحتيال ودقة الذوق ورقة الملمس ومهارة اليد فليس المتنبي من رجال الفن في مرتبة تذكر وليس له من حذق الصناعة نصيب يعد ويؤثر . فقد خرج من عداد الفنانين بهذا التعريف كما خرج فحول الشعر الذين ينحون نحوه ويشبهونه في قلة النصيب من هاته المحسنات ، وهم كثيرون

واما أن كان الفن يتسع لما تتسع له الحياة من اختلاف العبارات والاشارات وتنوع الصيغ واللهجات ويحوي من قوالب النظم بقدر ما تحويه النفوس الشاعرة من أفانين الشعور ومشارب الذوق فليدخل المتنبي عالم الفن في مقدمة الداخلين وليكن ثمّ على طليعة امثاله من الصانعين والفنانين . يدخل ولكن من باب المتانة والصلابة لا من باب الجمال والزينة . وليكن مقامه في رحاب الفن الفسيحات حصناً من حصون المريخ لا قصراً من قصور الزهرة ولا جوسقاً من جواسق باخوس. حصناً يلقاك بالضخامة والجد اينما واجهته ويستقبلك بالعدة والسلاح من حيثما طرقته . فرعونيّ البناية لا تلمح عليه مسحة من طلاوة اليونانية ولا اثراً من بذخ الكسروية

وما لنا نأبى على الشاعر ان يبتني لنا من شعره معاقل وحصونا ؟؟ أترى بناية الحصون خرجت جملةً من عداد الفنون ؟ ؟ أليست هي من اقدم ماصنع الصانعون واجدره بتحريك القلوب واسترعاء العيون ؟؟ بلى . وليست بنفس تلك النفسُ التي لا تبهرها الحياة بألف لون من الوانها ولا يعجبها الفن بألف قالب من قوالبه

ولا يروقها الجمال الا في زي واحد من ازيائه التي لا عداد لأشكالها واصباغها ولا حصر لمواقعها من النفس وآثارها

فاعرف للمتنبي مكانه هذا طائعاً او غير طائع وارفع له التحية في حصنه ذاك خاضعاً او غير خاضع . انك لا تعرف الا حقًّا ولا تقول الا صدقاً . أما إن خرج الرجل من حيث وضعته طبيعته وأقرته خلائقه الى حيث يقصف الشعراء ويسمرون ويحتالون في القول ويتظرفون فهنالك ماذا تقول ؟ ؟ هنالك اضحك منه ان شئت واعجب له ان شئت . فالأمر موكل اليك واللوم على الحالين غير عائد عليك . فقد جنى الرجل على نفسه ونقض العهد الذي بينه وبين قارئه وفارق الشقة الحرام التي يأمن فيها على وقاره ... وكيف لا تضحك منه حين تراه يحاول التخلص الى مدح سعيد بن عبد الله فلا يفتح الله عليه الا بان يمسخ الناس كلهم بعراناً ليركبهم الى سعيد ؟ ام كيف لا تغلبك ابتسامة السخر حين تراه يستطرد من الغزل الى المدح فيتوسل الى الامير ان يشفع له عند حبيبته ويقول انه قد ايقن ان الامير قد برز لقتال تلك الحبيبة الجافية لما رآه معتقلاً رمحه

علَّ الامير يرى ذلي فيشفع لي عند التي صيرتني في الهوى مثلا
أيقنت أن سعيدًا طالبٌ بدمي لما بصرت به بالرمح معتقلا !!

أم كيف لا تتمثل لك الصبيانية كلها حين تسمع قوله في مدح فارس شجاع

اذا استجرأت ترمقه بعيداً فانت اسطعت شيئاً ما استطيعا
وان ماريتني فاركب حصاناً ومثله تخر له صريعاً !!

وقبل ذلك قوله في التخلص — او التملص — من الغزل الى المدح

احبك او يقولوا جرَّ غلٌ ثبيرًا وابن ابراهيم ريعا

اراد ان يقول ان سلوَّه عن حبيبه مستحيل وان ارتياع ممدوحه مستحيل فلم يحسن ان يقول ذلك حتى وضع بينهما جبلا تجره غلة ... فكان ثالثة الاثافي حقًّا ! .

وقد رأينا الشيخ اليازجي يعزو الغثاثات المضحكة والمعجات المستغلقة من

شعر المتنبي الى الحداثة ونقص المران وقلة الخبرة بالصناعة ويقول في الفصل البليغ الذي عقَّب به على الديوان « اكثر ما نجدها في اوائل شعره حين لم تستحكم فيه ملكة النظم ولم تطرد له وجوه التعبير ... بل ربما ركب مثل ذلك عمداً لحينه ذاك اذ المرء في اول قرعه لباب الشعر والانشاء وتسليمه على محضر الادب قد يدفع نفسه الى ما هو وراء موقفها ويكلف سجيته ما ليس في مطبوعها تأنقاً في الخطاب وتوخِّياً لمواقع الاحسان والاعجاب وربما نزع الى تقبُّل بعض الكبراء من اهل خطته ومَن وقع في نفسه منهم موقعاً جليلاً فيخطو على اثاره ويطبع على غراره تدرجاً الى مماثلته وتبوُّء مثل مقامه في الصدور. وهذا انما ينجح حيث يوافق شبهاً من الذوق وميلا من الطبع فيلتبس بمنتحله حتى يصير مع التكرار ملكة راسخة . وما احسب المتنبي الا كان في صدر امره يتوخى طريقة ابي تمام » وكل ما ذكره الشيخ اليازجي صواب في هذا الباب اي في التمحلات والمبالغات التي من قبيل قوله

واست بدونٍ يرتجى الغيث دونه ولا منتهى الجود الذي خلفه خاف
ولا واحد في ذا الورى من جماعة ولا البعض في كل ولكنك الضعف
ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف
اقاضينا هذا الذي انت اهله غلطتُ ولا الثلثان هذا ولا النصف

ومثل هذا كثير في اوائل شعر المتنبي. اما الغثاثات التي مصدرها قلة الفطنة الى دقائق المناسبات ومغامز الضحك اللطيفة والنقص في تلك الصفات النفسية التي سردناها في صدر هذا المقال فقد صحبته طول عمره وظهرت في اواخر شعره كما ظهرت في اوائله لانها في طبعه ومن معدن فكره الذي لا سبيل الى تغييره . مثال ذلك قوله في رثاء عمة عضد الدولة التي توفيت ببغداد وهو من آخر نظمه

لو درت الدنيا بما عنده لاستحيت الايام من عتبه
لعلها تحسب ان الذي ليس لديه ليس من حزبه
اخاف ان تفطن اعداؤه فيجفلوا خوفا الى قربه

يقول لعل الايام تخطئ في ذرع التخوم التي ينتهي عندها جوار عضد الدولة فلهذا اعتدت — خطأ — على عمته البيعدة عنه ! ثم يعود فيقول انه يخشى ان يفطن اعداء عضد الدولة الى هـذا الأمر فيهربوا الى جواره كي لا يموتوا . . . وليس اسخف من هذا القول في هذا المقام. واي فرق بينه وبين قوله في اوائل عهده بالشعر

فخذا ماء رجلهِ وانضحا في الـ   مدن تأمن بوائق الزلزال ! !

فكلاهما من معدن واحد وفي هذا وذاك دليل على نوع واحـد من الغفلة وقلة الفطنة الى دقائق المناسبات ومغامز الضحك . وكأنما كان شاعرنا كذلك الميزان الكبير الذي يزن بالاطنان فلا يحسب فيه حساباً للدراهم ولا يلتفت الى ما يسقط من خروقه من هذه الصغائر والهنات ! ! ومن الطبيعي مع هـذا الاستعداد أن تقلّ الفكاهة في شعر المتنبي وان تخفى عليه الجوانب المضحكة من اخلاق الناس فلا ينتبه الى شيء منها. ولا نعثر في كل ديوانه على اكثر من قطعتين اثنتين فيهما معنى من معاني الفكاهة والسخر . احداهما قوله حين « مرّ برجلين قد قتلا جرذاً وابرزاه يعجبان الناس من كبره»

لقد اصبح الجرذ المستغير   اسير المنايا صريع العطب
رماه الكنانيُّ والعامريُّ   وتلّاهُ للوجه فعلَ العرب
كلا الرجلين اتّلى قتله   فأيكما غل حر السلب
وايكما كان من خلفـه   فان به عضة في الذنب

وربما كان الاصوب ان هذه القطعة ضمنت من الخيـلاء والفخر بالشجاعة وازدراء الجبن اكثر مما ضمنت من روح الفكاهة البريئة والدعابة الذكية . اما لقطعة الاخرى فهي التي نظمها في الرد على ذلك الشاعر الذي ارسل الى سيف لدولة ابياتاً يزعم انه ألهمها في النوم فقال المتنبي يجيبه

قد سمعنا ما قلت في الاحلام   وأنلناك بدرة في المنـام
وانتبهنا كما انتبهت بلا شي   ءِ فكان النوال قدر الكلام

وظاهر من القصة ان هذا الرد كان من ايحاء سيف الدولة ونُظم بامره وارشاده

لانّنا لانظن المتنبي يستجيز لنفسه ان يرد على شاعر قصد الامير بغير اذن منه ، ولا نحسب سيف الدولة قد رفض اجازة ذلك الشاعر المتناوم الا لما رآه في قصته من الغفلة المضحكة التي اوحت اليه بذلك الجواب المناسب لها

وما خلا هاتين القطعتين فن الفاتات العرضية التي تجيء هنا وهناك ولا تنمُّ على ملكة اصيلة او على التفات خاص الى هذا الجانب من المعاني . فاذا رأينا المتنبي يضحك في شعره احياناً فانما هو ضحك غليظ خشن لا تأنس فيه مدخلاً خفيفاً ولا تحس منه غمزة لطيفة من تلك الغمزات التي يدب عليها الشعراء الساخرون. وما في شعر المتنبي من بواعث الضحك غير ما سبقت الاشارة ' اليه الا ما يضحك منه هو لا ما يُضحك من الناس او من الدنيا

على ان مما يشرف المتنبي ويعوضه من هذا النقص انـــه كان لا يتعمل ولا يتكلف الا في المواضع التي لا تحمد المهارة فيها ولا يدل حذقها على خلق عظيم او قدرة نبيلة . فاكثر ما يتعمل المتنبي في مبالغات المدح المأجور واكثر ما يكون ذلك اضطراراً لمرضاة الممدوحين والجري على هوى اولئك المخدوعين . وماذا عساه كان يصنع في ذلك الزمن وقد كانوا لا يرضون عن الشاعر ولا تشبع نهمتهم من المدح الا ان يمدحهم بما لم يُمدح به احـــد قبلهم وأن يعمد الى اقصى ما بلغه الشعراء من الغلو فيضاعفه لهم ؟! فكان للمتنبي بعض العذر اذا هو تعسف في المدائح وتكلف في مبالغاتها وتمحلاتها او فيما يساوقها ويطَرد مع نغمتها من دعاوي العشق واكاذيب الغزل الممهدة لها . اما شعره في الحكمة والفخر فقد كان مثلاً في خلوص الطبع ونصوع المعنى وتماسك العبارة وسلامة الاسلوب مما يدل على ان الرجل طبع على الحكمة والاستقـــلال ولم يطبع على الملق والابتذال وأنه كان يخطيء حين يعصى طبعه ويصيب حين يطيعه ويستملي وحيه

بل نزيد على ذلك ان الاجادة كانت من دأب المتنبي في كل شعر نظمه بغير اضطرار من ظروف العصر الذي عاش فيـــه . فكانت له اجادات في الغزل والوصف وغيرهما من مذاهب الشعر كما كانت له اجادات في الحكمة والفخر .

ثم كان أبرأ الشعراء من وصمة البهرجة والتزييف وانقاهم صفحة من تلك المحسنات التافهة التي ولع بها ضعفاء القرائح من شعراء المولدين. ولا حاجة بشاعر الى شهادة فوق هذه الشهادة بفحولة الطبع وصدق القريحة ومناعة الذوق

والخلاصة ان المتنبي كان فناناً على طريقته التي تناسبه من الفن وانه قد ظفر من المعاني بجمال السلامة والبساطة ورواء الصحة والقوة وتناسب المتانة والكناية. اما جمال الزينة والرشاقة ومحاسن التطرية والاناقة فلم يكن له منها نصيب وافر

﴿ مات اهلي ﴾

« بقلم جبران خليل جبران »

مات اهلي وانا على قيد الحياة اندب اهلي في وحدتي وانفرادي. مات احبائي وقد اصبحت حياتي بعدهم بعضَ مصابي بهم

مات اهلي واحبائي وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي وانا ههنا اعيش مثلما كنت عائشاً عندما كان اهلي واحبائي جالسين على منكبَي الحياة وهضبات بلادي مغمورةٌ بنور الشمس .

مات اهلي جائعين ومن لم يمت منهم جوعاً قضى بحدّ السيف . وانا في هذه البلاد القصية اسير بين قوم فرحين مغبوطين يتناولون المآكل الشهية والمشارب الطيبة وينامون على الاسرّة الناعمة ويضحكون الايام والايام تضحك لهم

مات اهلي اذلَّ ميتة وانا ههنا اعيش في رغد وسلام وهذه هي المأساة المستتبة على مسرح نفسي

لو كنتُ جائعاً بين اهلي الجائعين مضطهداً بين قومي المضطهدين لكانت الايام اخفَّ وطأةً على صدري والليالي اقل سواداً امام عيني . لان من يشارك اهله بالاسى والشدة يشعر بتلك التعزية العلوية التي يولّدها الاستشهاد بل يفتخر بنفسه لانه يموت بريئاً من الابرياء

ولكني لست مع قومي الجائعين المضطّهدين السائرين في موكب الموت نحو

مجد الاستشهاد بل انا ههنـا وراء البحار السبعة اعيش في ظل الطمأنينة وخمول السلامة. انا ههنا بعيدٌ عن النكبة والمنكوبين ولا استطيع ان افتخر بشيء حتى ولا بدموعي. وماذا عسى يقدر المنفيُّ البعيدُ ان يفعل لاهله الجائعين. ليت شعري ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه

لو كنتُ سنبلةً من القمح نابتةً في تربة بلادي لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحبّاتي يد الموت عن نفسه .

لو كنت ثمرةً يانعةً في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعـة تتناولني وتقتضمني طعاماً. لو كنت طائرًا في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي ظلَّ القبر عن جسده

ولكن واحرَّ قلباه لستُ بسنبلة من القمح في سهول سوريا ولا بثمرة يانعة في اودية لبنان . وهذه هي نكبتي . هذه هي نكبتي الصامتة التي تجعلني حقيرًا امام نفسي وامام اشباح الليل .

هذه هي المأساة الموجعة التي تعقد لساني وتكبل يدي ثم توقفني بلا عزم ولا ارادة ولا عمل .

يقولون لي : « ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم وما الدموعُ والدماء التي هُرقت في بلادك سوى قطراتٍ من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلًا ونهارًا في اودية الارض وسهولها . »

نعم . ولكن نكبة بلادي نكبةٌ خرساء — نكبة بلادي جريمة حبلت بها رؤوس الافاعي والثعابين — نكبة بلادي مأساة بغير اناشيد ولا مشاهد

لو ثار قومي على حكامهم الطغاة وماتوا جميعاً متمردين لقلت ان الموت في سبيل الحرية لأشرف من الحيـاة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده كان خالدًا بخلود الحق .

لو اشتركت أمتي بحرب الامم وانقرضت على بكرة ابيها في ساحة القتال لقلت هي العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها الاغصان الخضراء واليابسة معاً . والموت

تحت اقدام العواصف لأشرفُ منه بين ذراعَي الشيخوخة .

ولو زُلزلتْ الارض زلزالها وقلبْت ظهربلادي صدراً وغمر التراب اهلي واحبائي لقلت هي النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوةٍ فوق قوى البشر. فمن الجهالة ان نحاول ادراك اسرارها وخفاياها .

ولكن لم يمت اهلي متمردين ولا هلكوا محاربين ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين . مات اهلي على الصليب

ماتوا واكفُّهم ممدودة نحو الشرق والغرب وعيونهم محدّقةٌ بسواد الفضاء .

ماتوا صامتين لانَّ آذان البشرية قد اغلقت دون صراخهم

ماتوا لانهم لم يُحِبوا اعداءهم كالجبناء ولم يكرهوا محبيهم كالجاحدين

ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين . ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين . ماتوا لانهم كانوا مسالمين . ماتوا جوعاً في الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً

ماتوا لان الثعبان الجهنمي قد التهم كل ما في حقولهم من المواشي وما في أهرائهم من الأقوات

ماتوا لان الافاعي ابناء الافاعي قد تنفسوا السموم في الفضاء الذي كانت تملأه انفاس الارز وعطور الورود والياسمين .

مات اهلي واهلكم ايها السوريون فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟ ان نواحنا لا يسد رمقهم ودموعنا تروي غليلهم . اذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة ؟

هل نبقى مرتابين متردّدين متكاسلين مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها ؟

ان العاطفة التي تجعلك يا اخي السوري تُعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته هي هي الأمر الوحيد الذي يجعلك حرياً بنور النهار وهدوء الليل .

وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة اليك هو هو الحلقة الذهبية التي تصلُ ما فيك من البشرية بما فوق البشرية .

﴿ حداثتي ﴾

« بقلم ولي الدين يكن »

كان ابي رجلاً من اغنياء التجار بالبصرة . لم يرزق من الذكور غيري ولا من البنات غير اختي فاطمة وهي اصغر مني بستة اعوام . علّمنا كلنا القراءة والكتابة واحضر لنا مؤدباً يؤدبنا فروينا الاشعار وحفظنا سير المتقدمين وبرعنا في النظم والنثر . فلما انقضى زمان الطلب وبلغت مبلغ الشباب اتخذت رفقة لي من ابناء التجار . فكنا نخرج ايام الجمعة خارج البلد ونجلس على شاطىء دجلة فيؤتى لنا بالطعام وبالشراب فنصيب منهما حظاً وافراً . كل هذا ونحن نساقط حديثاً كالدر وهي عِقْدُهُ . حتى اذا مالت الشمس لتغرب نهضنا راجعين وتودعنا على ان نلتقي في الجمعة الآتية . وكان ابي مشتغلاً بالعبادة منقطعاً عن الدنيا فلا يحب الراح ولا شاربيها ولا الميسر ولا من يجيلون أقداحه . وكنت اقول له اني كنت في رفقةٍ لي نسمع الواعظ واننا خرجنا بعد ذلك الى بعض البساتين فصلينا فيه صلاة العصر وصلاة المغرب فيصدق قولي ويدعو لي بالخير . وقد عاش ابي ما عاش حتى قضى نحبه ولم يعرف من اسراري شيئاً . ولا انسى لومه إياي ذات يوم على قول الشعر وقوله لي : « يا بني لا تكن شاعراً . ان الشعراء لمن اهل النار ! » فتبسمت في وجهه ووعدته طاعة وامتثالاً واخفيت عنه منذ ذلك اشعاري

فاما استحوذت على إرثه بعد وفاته جعلت أُبذر المال تبذيراً . وهمت على وجهي في اللذات . واتخذت لي من الندمان كلَّ خفيف الروح ظريف الشمائل وولجت معاهد المقامرين واهل البطالة . فما دار عليَّ الحول الا أملقت إملاقاً . وكانت امي خطبت لي احدى فتيات البصرة وهي فتاة في السابعة عشرة من عمره ذات وجه صبيح وادبٍ غضٍّ وخلقٍ سويٍّ . فتزوجت بها ورزقت منها بانتين هما آيتان في الجمال . وتزوجت اختي من رجل غني شرس الخلق بخيل جاهل . ولما

تسألها امي رضاها بل رغبت فيه لكثرة ماله . فكانت عاقبة التزويج شرًّا . وماتت اختي في رونق شبابها غمًّا وحسرةً ولحقت بها امي بعد اشهر قلائل

وحين أجدبَ حظي وافل نجم دولتي ولم يبق لي طارف ولا تليد وامسك اصحابي عن إقراضي وبِري وازدحم على باب بيتي غرمائي عمدت الى الشعر استدر به هبات قوم من أولي الثراء واهز به اعطاف كبريائهم . فما افادني ذلك سوى ذل السؤال وإثم الكذب . هنالك وجَّهت امرأتي وبنتي الى بعض اخوتها وهم يسكنون ضيعة لهم خارج البصرة وودعتهن ودموعي تجمجم كلامي حتى اذا ارخى الليل سدوله خرجت تحت ظلماته لكي لا يراني مُطالب لي فيأخذ بطوقي . وفارقت بلدي وارض عشيرتي . . . ولم يهنأ لي عيش بعد ذلك . وايقنت اني كُتب عليَّ الشقاء ما دامت الحياة

فاذا دجا الليل وخلوت الى همومي عاودتني الذكرى فنبا جنباي عن مواضع الرقاد . وان هبَّت الصبا جدَّدت حنيني واستعادت اشجاني . واخبرني جماعة من اهل البصرة لاقيتهم في بعض اسفاري وهم لا يعرفونني أن بنتيً كبرتا وان قد كثر خاطبوهما وان امهما ابت تزويجهما وقالت : « لا أُحب ان افرح وابوهما غائب » لقد حاول اخوتها ان يثبتوا لها موتي فلم تصدق

هذه هي قصتي او هي واقعة من وقائع حياتي . ذكرتها لتكون بياناً اسيئاتي . ولقد استقام بعدها امري في فاقتي ولم تخل فتن الحياة دون طلابي الحكمة وتجريبي الايام . ثم رجعت الى البصرة ولبثت بها حتى تزوجت بنتاي فاستصحبت امرأتي لتكون معواناً لي في كبري وهبطت مصر واني ان ابرحها الى ان ألقى حتفي .

اقول : قد تقدم في بيان ذنوبي ما لا يسعه العفو ولا يمحوه القِدَم . هذا مع ضعف في الاخلاق وسوء في التربية . وكيف يختار الكذب على ابيه رجل حسن تأديبه ؟ وإنا بني النرق لتذكو احسابنا ويجمُّ مالنا ويعظم نشبنا فلا يفيدنا ذلك الا غواية في الشباب وندماً في الكبر

ولو كان ابي احضر لي موْدباً يعلمني الحكمة مكان الشعر او مع الشعر او ادخلني مدرسة من المدارس التي ليست ببلادنا لثقّفت الغربة عودي واغناني تعلم النافع عن طلاب النفع بالسوْال .

كم من فتى مثلي طيب الارومة ثابت الاصل طويل النسب رفيع البيت ربي على الدلال ووثق بثرآء ابيه فرمى بذهبه يمنةً ويسرةً . فلما خرج عن ماله خرج عن جده ولم يدّخر ما يكشف غماءه من علم تعلمه في صباه فصار الى شقآء الجد ونكد الطالع وضلّ في هذه الدنيا ضلالاً

قالوا ان تعليم البنات مهيع الى افسادهن وما في القائلين بذلك من تعلمت أمه وعرف فسادها . إنْ هو الا لجاج مبين ! ابي القدماء مزايلة عاداتهم فضلوا واضلوا وحسبوا عصر ابنائهم مثل عصرهم فشقُوا واشقَوا

حتى اذا كانت العاقبة اذا هم في اجداثهم راقدون . لا يسمعون فتقص عليهم قصص من خلّفوا ولا يتعظ بمصارعهم من عاش بعدهم ورأى خطأهم . ومن لاتعظه العبر لا تعلمه وقعات الصروف !

﴿ نكبة باريس[1] ﴾

« لولي الدين يكن »

باريس عاصمة ملكٍ حُذِيتْ على غير منوال

اذا اطرى الواصفون بلدةً قالوا : هي الجنّةُ انهارها جارية وبناياتها شامخة ورياضها يانعة واشجارها ثامرة واعوادها زاهرة . . . اوصافٌ ابتذلتها اقلام الكاتبين ووقفت عندها بديهات الشعراء

اما باريس فلا تتناولها هذه الاوصاف . كل شيء هو دونَ ما وُصفَ به الا

---

(١) « طغى نهر « السين » على مدينة باريس سنة ١٩١٠ فنشر في تلك الربوع الجميلة الدمار والخراب . ولما كانت عاصمة فرنسا مهبط الجمال وكل فنون الجمال سكب عليها الشعراء والكتبة دمعة الاسف في ايراد تفصيلهم هذا الخطب الجسيم . ومنهم صاحب المقالة . . »

باريس فهي فوق ما وصفتْ به

قال اكثرُ الناس : الجمالُ غريب لا وطن له ... كذبوا . باريس وطنهُ ومشرقُ شمسه

الذين رأوا باريس عرفوا محاسنها وهم فيها . وابناؤها عرفوا محاسنها وهم فيها . فلما فارقوها إمّحتْ صورُها من اذهانهم الاّ قليلًا بقي بها مما تحتملهُ العقولُ وانطوى ما لا تحتمله . هذه محاسن ترتعُ فيها النفوسُ والنواظرُ معاً . وفيها ما يدخلُ النفوسَ لا عن طريق الاستشعار بل عن طريق الادراك . وحين تزايل الابصار اشكالها تزايل البصائر خيالاتها

الطرقات السويّة والقصور العالية والمصابيح المتلألئة والجسور الممتدّة والكنائس المرتفعة والدُّمى المنصوبة والمصانع العاملة والاندية الحافلة يتأوّد بينها برجُ ايفل[1] كأنه خطيب الحرية بين تلك العجائب بل كأنه حارس القضاء موكل بسكان البانثيون[2]

سبحانك اللهمّ ما اكبر قدرتك بل ما افصحها وابلغها من قدرة ..!

البلدة الطيبة التي عبّست لها الحوادث ثم ضحكت لها وجوهها هي ربيبة العزّ على اختلاف انواعه : عز الجمال وعز العلم وعزّ الدولة . اختلفتْ فيها مواكب الابهة . فدخلها هنري الرابع فاتحاً . وعاودها بونابرت ظافراً ولكن تهادت فيها انطوانت[3] الى ميدان القصاص . وهي بعد ذلك رقّت ودقّت وجلّت : فكانت الفاتنةَ يوم فرحها وكانت الفاتنةَ يوم ترحها

وان مواقع الجياد يوم دخلها غليوم الاول لهي مواقع القُبل من شفاه عشاقها . ذلك اديمٌ تنبو عنه الشقوة ويترقرق عليه النعيم

---

(١) برج عظيم في باريس يبلغ علوه ٣٠٠ متر بناه المهندس الذي اطلق عليه اسمه

(٢) البانتيون كما يدل اسمه اليوناني الاصل هيكل « لجميع الآلهة » بناه في رومة القائد الشهير اغريبا صهر اغسطس قيصر . والبانتيون في باريس بناية فخمة يدفن فيها عظماء الرجال (٣) ماري انطوانت قرينة لويس السادس عشر ملك فرنسا اعدمت سنة ١٧٩٣ ابّان الثورة الفرنسوية الكبرى

لم يسعدني الزمان بزَورةٍ لها وكم اشتقتها وكم أشتاقها . . ! وانما عشقتها الروح ولم ترها العين . وما كان عشقي لها على قدر ما نعتها به الناعتون فاقول : « الاذن تعشق قبل العين احياناً »

ولكن عشقي لهـا على قدر معرفتي بها . . . بيني وبينها الفدافد والبحار لم يستجلِ مرآتها ناظراي . غير أنَّ نفسي حلَّقت بسمائها وخواطري جالت في ارجائها كلما انشدت بيتاً لهوغو او لموسه خلتني انشدُ شعرها واترجم لذاتي عنها

حين أُبصر الباريسي الظريف في حديثـهِ الطيب وشمائله المليحة اذكر باريس . . . وحين أُشاهد الباريسية في شعرها الذهبي وعينيها السماويتين وحديثها العذب اخالُ جزءاً من باريس يتكلم بل احسَبُ روحَ باريس تمثلتْ لعينيَّ لتوحي اليَّ معاني الشعر ولترسل من اعماق روحي كوامن الاعجاز . . .

تتغيَّرُ باريس ما بين غمضة عينٍ وانتباهتها . هكذا ينبغي ان تكون . . . للجمال فيها كل آونةٍ شأنٌ جديد

الله في باريس وفي فتن باريس ! عروس اوربا « الغالية » بنت التمدين ، المثال الاجمل لكل شيء ، يتشبه الناس بابنائها . يلبسون كملابسهم ويأكلون كمآكلهم ثم ينطقون بالسنتهم ثم يغتذون بعلمهم كذلك كانت باريس وكذا ستكون

* * *

تعالوا نبكي على باريس في اطلالها ورسومها وفي اشلاء موتاها وفي قصورها المتداعية . ابتدرتها سوابق عبرات السماء بمتصلة الشآبيب وانشقَّ لها صدر الغمام عن كل متداني الهيدب غداة اقبل عليها « السين » في اواذيِّهِ المتدافعة وازباده المترامية

كم مقلة بالامس يتكلم إنسانها عن الصبا جاد غربها اليوم بواكف هتّان . وكم وجنة راق عليها ماء الشباب خدَّدتها مسيلات الدموع

عبست تلك الوجوه الضاحكة وخلت هاتيك المغاني الآهلة وعُطّلت مصانع طالما اجادت تنميق المحاسن في كل البلاد وباتت بلاد الله تندب حسناها . . .

قال احد ادباء الفرنسويين « لكل امرىء وطنان : وطنه الاصلي ووطنه باريس » فليبكِ اذاً على باريس كل الناس فهي وطن كل الناس

من حَقها على من اكرمت وفادتهم ورحبت بهم منزلاً ونثروا عليها التبر وهي حالية ان يكرموها في مصابها وان ينثروا عليها التبر وهي عاطلة

سأبكي باريس مستمداً دموع الغمائم مستعيناً بعيون النيرات . فان تنفد الدموع فان من الاسى ما يجدده الشوق وينميه الغرام . سلام على باريس في مصابها . سلام عليها في جلبابها الاسود . وكأنها العذراء بعثت لتدعو العالم الى السجود . . .

الارز

« لفؤاد افرام البستاني »

حراب خضراء تنطح كبد السماء دقةً وارتفاعاً

تلقي عليها شمس الاصيل حلل الارجوان بلا حساب

ويميل بها النسيم فتتماوج خيالاتها على اديم السماء

* * *

عروق متشعبة ملتفة مشتبكة تألبت عليها قوات الدهور ولم تتزعزع . . .

اصول راسخة في ارض ما انبتت الا العظيم

اعضاء مفتولة يخالها الناظر سواعد جبابرة الاقدمين محتبكة للدفاع عن ارض الميعاد . . .

***

هذا هو الارز . . .

بين يديه وقفت باجلال فاطرقت لا انبس بكلمة . وامامه بقيت متأملاً لا اجسر على رفع الصوت . . . اهاب بي منذر أن المكان مقدس فخلعت نعلي كموسى امام العوسجة وقلت : ممجدٌ من تتجلى قوته بعظائم الطبيعة . افتكرت

طويلاً فمرت في مخيلتي الوف السنين الغابرة وسياق الاجيال المتتابعة تسير مستقيمة القامة ثابتة الخطوة محددة النظر حتى اذا وصلت امام الارز حنت رأسها صاغرة وواصلت السير بسكون وسكوت

مرّ سليمان وقد أُوتي الحكمة فاراد تشييد هيكل لإله الحكمة . لم يرَ الا خشب الارز يجهزه مذبحاً للعزة الالهية ولم يجد الا عرف الارز يرفعه بخوراً الى عرش إله اسرائيل

عاهد حيرام — وما ادراك ما كان حيرام في مملكته — فقطع له ما اراد من خشب الارز . وكان ذاك البناء الفخم وكان ذاك الهيكل العظيم . اقبل الفينيقيون في جلبتهم يتبعون إلههم ملكرت فقلبوا الارض وصنعوا الزجاج وألفوا حروف الهجاء وحاولوا الطواف ما وراء البحار فلم يروا الا خشب الارز يحملهم في تلك البيداء المتماوجة

مرت الايام واذا بقوارب الفينيقيين تطوف المتوسط وتؤسس المستعمرات في اطراف البلاد واقاصي المسكونة اذ ذاك . وكانت قرطجنة عدوة رومة رفعت عمدها على سواعد ابناء الارز

... وسارت جذوع الارز المجوفة عائمة على الامواه تتقاذفها الرياح وتتلقفها الثغور حتى وطئت ثلاث قارات العالم فنودي في كل البلاد باسم الارز

***

سما الارز في طبقات الجو فافاق عنجهية المفترين وحث طمع الفاتحين فاخذوا يشنون عليه الغارة تلو الغارة ورماحهم تتكسر وسيوفهم تتثلم وجموعهم تتبدد ورؤوس الارز تزداد رفعة واتساقاً

نفخ العُجب في صدور المكدونيين فأتى الاسكندر مدوخاً البلاد من يونان الى فارس ضارباً الجزية على مختلف الشعوب غير انه مرّ امام الارز حاسر الرأس مفكراً . . . من هنا ايضاً مرّ الرومان بعددهم الهائلة وجيوشهم الجرّارة

ثم تبعتهم العرب في اثر معاوية الفاتح معاوية العظيم الذي ارجف الشرق

وجعل بيزنطية تنظر اليه بقلق وجزع، معاوية الجبار مرّ حاني الرأس تحت اقدام الارز تاركاً المردة في عُرُنهم الامينة

وكان سكون طويل . . . حتى ظهرت بين القارتين الراية الحمراء راية الدم والفتح والاستيلاء . فبرز السلطان سليم متنشلاً بيمينه تاج الامبراطورية البيزنطية وبيساره شعار الخلافة الاسلامية فارتجفت سوريا وتمايلت اغصان الارز كما لو مرّ عليها نسيم لطيف . . . ثم استفاقت وعادت الى سابق حالها هازئةً بالجميع

***

رأيت سليمان على رأس العبرانيين وحيرام امام الفينيقيين . . .

رأيت الإسكندر في جيشه والرومان في معدّاتهم يجررون العز ويطلبون المجد ولو رقي اسباب السماء . . .

رأيت معاوية في عربه والسلطان سليم في تُركه وعجمه فشهدت المعارك الدموية والفظائع الهمجية . . .

رأيت كل هذا وأفقت واذا الارز لا يزال ارزًا واذا البشرية لاتزال تمر صاغرة تحت اقدامه

حينذاك مجدت هذا الثبات وسكنت الى قول الشعراء وفي قولهم مفاتيح الحكمة فرددت :

« يا بني أُمّي اذا حضرت ساعتي والطب اسلمني »
« فاجعلوا في الارز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني »

ولكن . . . ولكن قبل ان تكفِّننا بثلوجك الطاهرة ايها الارز ! يا ارز الرب الخالد يا ارزًا راسياً منذ الدهور والى الدهور يا جسرًا متصلاً بين اللانهايتين علِّمنا الصبر على محن الدهر وارشدنا الى الثبات في وطنيتنا الصادقة . . . يا ارزة لبنان — اجيبي دعانا

ومرّ النسيم محركاً الاغصان فسمعت صوتاً يتمامل بين دقائق الارز :

قد اجبتُ وأُجيب

﴿ على صخرة الموت ﴾

« لمحمود بك تيمور »

هنالك على تلك الصخرة الصماء وقف وقفة الحزين الهادئ ينظر الى الافق بعينين مبللتين بالدموع كأنه يسأله المعونة والرحمة . وقف ينظر الى امواج البحر المتكافحة التي حركتها يد الاعصار الظالمة . وقف يسمع لهديرها المفجع وصراخها المحزن عندما كانت تتلاطم تحت اقدامه

وقف تلك الوقفة بالامس وكان جـذلاً ينشد اغاني الحرب الشجية . واليوم يقف وقفة المودع البائس الذي يرى الحياة ظلاماً دامساً لا يهتدي فيه الى طريق الهناء . في يمناه سيف ملوث بدم بريء من ابرياء الله كتب عليه القدر ان يموت بيد صديق من اعز الاصدقاء . وعلى يسراه رأس ذلك المسكين وقد اخترقها غير مرة سيف اعز الناس اليه . نظر الرجل الى ما حواله نظرة الذاهل المتحير كأنه قد خولط في عقله او دُوهِمَ بمصيبة من مصائب الدهر انصدع لها قلبه

وقف ينظر الى الشمس وهي منحدرة الى طريق الغرب فاذا بها شعلة من نار او صاعقة من صواعق السماء انقضَّت على الارض لتحرق ما فيها من سيئات البشر . وكأنَّ شعاعها الذهبي الذي تتلاعب به مويجات البحر الضئيلة جذوات من جذوات جهنم المستعرة تحاول تطهير الارض من ادرانها

هناك حيال تلك المشاهد الرائعة كان يرى من بعيد ضوء طلقات المدافع ولمعان السيوف كأنها البرق الخاطف . وكان يسمع زئيرها المتصاعد في الجو يشكو الى الله ما فعله الانسان باخيه الانسان . هناك بعيداً عنه كانت تمثل على مسرح المطامع السافلة رواية التوحش البشري الذي دبجها يراع اعظم القواد المتحاربين . هناك ارتفع الستار عن فظائع الانسان تعلوها طبقة رقيقة لامعة من التمدن خدعةً لأَعين البسطاء بل لأَعين هؤلاء المساكين الذين سيقوا الى تلك المجزرة الهائلة سوقَ الاغنام وهم جذلون ثملون بخمرة الامل الكاذب . تاب الرجل الى رشده

فنظر نظرة الى صديقه ونظرة الى سيفه فغلى الدم في رأسه . وارسل من عينيه الواسعتين شعاعاً اشبه بشعاع الشهب وانشأ يبكي من فؤاد مكلوم وهو يردد على مسمع من ذلك الفضاء المتسع تلك الكلمات التي كانت آخر عهده بالحياة كأنه يخاطب امامه حزباً من احزاب الظالمين الذين حركوا تلك الحرب الشعواء وأوقدوا نارها في جميع انحاء الارض : — يا عبّاد الطمع ويا سالبي نعيم البشر أما آن لكم ان تمزقوا حجاب الباطل فتروا بعين الحقيقة تلك الفاجعات الهائلةالتي دهمت البلاد المطمئنة فكسحتها امامها واقتلعت جذور الهناء من اصولها . فلم تترك للاطفال الايتام غير اسمال بالية لاتدفع عنهم قوارس البرد وغير كسيرات من الخبز الناشف لا تخفف فيهم ألم الجوع . هكذا صار صغيرهم بعدما كان يلتمس السعادة بيديه وهو في بيته بين أُمه وابيه . واما كبيرهم فحسبكم ان ترسلوا الطرف على ساحات القتال فتروا بعيني رؤوسكم معرضاً بشرياً من ضحاياهم الهائلة

قفوا هنيهة امامذلك المشهد وامعنوا النظرفي تلك الاشلاء الملقاة التي كانت بالامس ممتلئة صحة وعافية فحصدتها اليوم يد المنون حصداً . هناك قد التفت حولهم عقبان الجو يأخذ كل واحد غنيمته ويطير بها في ذلك الفضاء المتسع ليملأ بها معدة كانت بالامس خاوية فاصبحت ملأى بلحوم البشر . يا لله منكم يا مدبري الحروب وقاتلي النفوس البريئة أبلغت منكم خشونة القلب ذلك المبلغ حتى تسلموا بايديكم لحوم اخوانكم هدايا سائغة الى عقبان الجو ونسوره ؟ أبلغت منكم حطة النفس ان تجعلوا تلك المدائن الزاهية الزاهرة خربةً مهدمةً لا يقام فيها حجر على حجر ؟ ما لاقدامكم الضخمة قد داست القانون والمعاهدات فلم تراعوا حرمة الضعيف ولا أنة المستجير ؟ ألم تسمعوا شكواهم وقد عمّت السماء والارض ؟ ألم تسمعوا أنين الثكلى وقد طوّحت باولادها الحرب بعد ما مزقتهم في حياتهم سيوف المظالم والتهمتهم نيران المطامع . أجل انها لأنّات تتمزق من هولها افئدة الكون

قفوا بتلك القصور وهي غرقى في بحار من الدماء امامها اشلاءة اصحابها مبعثرة على أديم الارض هنا وهنالك . قفوا وانظروا اشباح النساء وهنّ هاربات من يد القضاء الصارم مذعورات بمرأى القتلى صـارخات صيحات الرعب والألم يجررن اذيال التعس والبؤس . هناك سعير النار قد علا في الفضاء متهدداً القوم بالخراب والدمار . هناك الامتعة والذخائر تتطاير على ضوء القمر الخافت كأنها مقذوفات المدافع . هناك الرعب قد استولى على الجميع رعبُ الموت يرفرف فوق الرؤوس .
— فأخذت الصيحات تعلو في الفضاء واخذ المدفع يقصف قصف الرعد يبرق نوره كالبرق الخلّب . هناك المرء وقد انقلب الى حالة وحشية مؤلمة تراه يفرّ من ابيه وامه واخيه ، لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يعنيه . هاكم ايها الناس مشهداً من تلك المشاهد فتأمّلوا فيها لعلها تحرك في قلوبكم أثر الشفقة والحنو فترقّون على الامم البريئة وتكفّون عن تخريب مدائنها العامرة . هاكم ايها الناس تلك الجثة الهامدة الملقاة تحت قدمي ، انها جثة صديقي المسكين الذي لم يجازهِ القدر على محبته واخلاصه الا بقتله بيد اعز عزيز عنده — باليد التي كانت تدافع عنه عند الشدّة وتمنع عنه غوائل الكوارث عند نزولها . هاكم ايها الناس ذلك الشاب الذي عاشرني حقبة من الدهر تمتعنا فيها بلذيذ الحياة — بالسعادة التي لا تشوبها شائبة

يا له من زمان قد انقضى فانطوت على اثره صفحة هنائنا . على تلك البقعة الخضراء — عندما كنا طفلين صغيرين يشرق في محيانا نور السعادة ويلمع في سمائنا الصافية نور الهناء — كنا نجلس وامامنا مياه النهر الفضية تنساب انسياب الافعى العائمة على وجهها لا يقرّ لها قرار . نمتع الطرف بمنظر الرياض النضرة السندسية التي كانت ملأى بقطعان البقر . يأتينا النسيم حاملًا لنا على اجنحته الخفيفة نغمات الطبيعة توقّعها الطيور على اغصان الاشجار . كنا نرى السعادة في كل شيء — نراها في الازهار والرياحين العابقة شذاها في الكون — في سكون الليل المهيب — في اصوات البلابل الشجية حتى في اكواخنا الحقيرة . هناك عندما يبدد الظلام جيوش النهار نرجع الى تلك الاكواخ فيلقانا والدنا بالترحيب والملاطفة ثم نتناول

طعام العشاء ونجلس حول المدفأة . وهذان الشيخان يقصان علينا قصص الرومان واليونان وفتح القسطنطينية وحروب الاندلس ــ تلك القصص التي كانت تبعث في قلوبنا الرعب والرهبة فيأخذ كل منا مضجعه وينام في فراشه يحلم بهؤلاء الفاتحين الى ان تحققت يوماً تلك الاحلام الصبيانية وصارت حقيقة مؤلمة . آهاً لكِ ايتها الايام الحلوة ــ ايام النعيم والرخاء ــ ايام كنا زهرتين زاهيتين في حقول الطبيعة يهب علينا نسيم الحب الصادق فينعش نفسينا الهادئتين وتسقينا السماء كؤوس الاخلاص فتسكرنا بعذوبتها

ما لك ايها النسيم وقد انقلبتَ ريح سموم عاتية كأنها خارجة من ابواب الجحيم . هلّا رفقت برفيقي صباك التعِسَين اللذين عاشراك دهراً كنت لهما خير عون وكانا لك خير الشاكرين . وانتِ ايتها السماء المقطبة ما لكِ قد خلعتِ رداءكِ البهج ولبست ذلك الثوب المعتم الحالك . أزالكِ غاضبة علينا ونحن لم نسئ اليك ام على هؤلاء العصاة الذين عاثوا في الارض فساداً فرموكِ بشهبهم النارية واقلقوا راحة ساكنيكِ باصواتهم المزعجة . أم انت تبكين رحمة على البائسين

الى هنا خفت صوته وانحبست كلماته في فمه لانه شعر بالدموع تتفجر من عينيه الذابلتين تفجر المياه من عيون الارض . وكأنّ في رأسه اتوناً متسعراً من النار يلتهب التهاب البركان الثائر . فنظر الى البحر فرأى موجة من امواجه الهائلة فاغرة فاها تنتظر فريستها فرمى بنفسه فيها . فما هي الا لحظة حتى كان جثة هامدة في جوفها شهيد الواجب والاخلاص

﴿ فلسفة الالفاظ العربية ﴾

« لسلامه موسى »

الالفاظ كالنقود . هذه تتداولها الايدي وتلك تتداولها الألسن . وكما تدلنا النقود على العصر الذي سُكّت فيه والمكان الذي تُدووِلت فيه واسم الحاكم الذي ضربت في عهده وما الى ذلك فكذلك تدلنا الألفاظ على نوع البيئة

التي نشأت فيها و نَزَعة الامة التي فشت بين ظهرانيها من عناصر اجنبية او وطنية

وليس هناك ما يجعلنا نقطع بوحدة الاصل في جميع لغات العالم ولكن جميع بني البشر سواء أكانوا من الحضر ام من البدو متوحشين ام راقين يشتركون في لفظة « كخ » التي تقال للطفل عند نهيه عن شيء ما .

ومن الابحاث اللذيذة ان نعرف كيف اهتدى الانسان الى عقائده الدينية الراهنة . فهذه العقائد لم تخالف نواميس العمران من حيث انها سارت سير النشوء والتطور ولم يطفر اليها الانسان طفرة واحدة . فمن ذلك الايمان بالنفس او الروح كيف نشأ ؟

فهذا الايمان يكاد يشمل جميع بني الانسان فلا بد ان له اصلاً في ذهنية الانسان الاول .

واصل هذا الاعتقاد ان الانسان اول ما اخذ يميز الاشياء ويضع حدًّا فاصلًا بين الحياة والموت كان يرى ان نفَس الانسان الذي يتنفسه ينقطع عند الوفاة . فصار النَّفَس (بتحريك الفاء) نفْساً اي روحاً

ومما يزيدنا بصيرة في ذلك ان الروح مشتقة من الريح والنسمة من النسيم . وكذا الحال في اللغات الاخرى القديمة وبعض الحديثة

فالانسان الاول اعتقد وجود النفس او الروح لانه رأى نفَس الانسان اي الريح الخارجة من فمه تنقطع عند الوفاة

ولننظر الآن كيف نشأت لفظة « الرحمة » عند الانسان . فقد فطر الانسان على الانانية يؤثر نفسه واهله على جميع الاغراب . وما الاهل في ذلك الوقت سوى اخص الناس رحماً به . فالرحمة هي في الحقيقة تلك العلاقة التي تربطه باهله اي بذوي رحمِهِ . فهي في الاصل مبدأ انانيٌّ قد ارتقينا نحن حتى نزعنا عنه الاثرة القديمة وكسوناهُ بالايثار الحديث. ومما يؤيد نظريتنا هذه ما نجده في الانكليزية فان لفظة Kindness اي الرحمة مشتقة من لفظة Kin اي القريب او المتصل برحم

ولننظر في معنى آخر وهو معنى الأَنفة اذ كيف وصل الانسان لهذا المعنى ؟ فعلاقة الانفة بالانف ظاهرة من الوجهة اللفظية .

فهل هناك علاقة معنوية بين الاثنين ايضاً ؟ فالأَنفة هي الاشمئزاز والترفع. وانما يشمئز الانسان من شيء كريه يشمّه مثلا فيرفع انفه ويشد منخريه كأنه يريد ان يسدهما . فالانفة اي الترفع عن الدنايا الحسية التي كان الانفُ سبيل الاحساس بها

وانظر الآن في الشمم وهو في الاصل ارتفاع قصبة الانف . فكيف صار يدل على العزة والسؤدد ؟ وكيف قال الشاعر : «شُمُّ الانوف من الطراز الاول» ؟

فنحن هنا بازاء صفة جسمية قد صارت دليلًا على الشرف . وانما حدث ذلك لان شُمَّ الانوف من الناس كانوا من اهل الشمال وكذلك كان طول القامة وبياض البشرة . فالشاعر يذكر على سبيل الفخر « طويل النجاد » ويقول ايضاً « بيض الوجوه كريمة أحسابهم »

فبياض البشرة وطول القامة وشمم الانوف — كل هذا كان العرب يعدونها من المحامد وبرهان الرفعة والسؤدد وهي ايضاً من صفات اهل الشمال

وانما صارت محامد لان اهل الشمال كانوا ولا يزالوا يسودون اهل الجنوب اذا احتكوا بهم في قتال او مزاحمة سلمية . ودليلنا على ذلك ما نراه من نشاط السوري في مصر وتغلبه على المصري وما نرى من نشاط الايطاليين في الشمال وخمولهم في الجنوب وما يشبه هذا في اسبانيا . فاهل الشمال على الدوام يغلبون اهل الجنوب ويجبرونهم على التخلق باخلاقهم والجري على اذواقهم . فمن هنا صار الشمم فضيلة ادبية مع انه لم يكن في الاصل سوى احدى صفات انف سكان المناطق الشمالية

وصار الفطس لهذا السبب ايضاً رذيلة . وهو ليس في الاصل الا صفة انف الزنجي وانفطاسها من الوسط . فالفنطيس عند العرب هو « اللئيم بمولده »

ومن لفظة « الغد » واشتقاقها نعرف كيف اخترع الانسان الالفاظ . فالغد

مشتق من الغداة اي الصباح . فاول ما يجعلنا نفكر بالغد هو الصُباح ولذلك اشتق الغد من الغداة . واول شيء نذكره من الامس هو آخر شيء منه وهو المساء ولذلك اشتق الامس من المساء . وكذا الحال في اللغة الانكليزية فلفظة Morning من لفظة To _ morrow

ومن الالفاظ ما يدل على البيئة التي نشأت فيها . فالعرب لأنهم كانوا يسكنون بلاداً حارة صارت عندهم « الراحة » مشتقة من الريح اي النسيم اذ هو يخفف عنهم ضائقة الحر . وصاروا يعدون البرد وجميع ما في معناه دليل الهناء . فهم يقولون « برد اليقين » و «أثلج الله صدرك » و « عين قريرة » فاذا شتموا احداً قالوا له « يا سخين العين» وهم لو كانوا يعيشون في بلاد باردةلانعكس معنى هذه الالفاظ . فالانكليز يستعملون لفظة « دافيء » بمعنى هنيء ويقولون القبلات الحارة . ويجب علينا نحن لاعتبار الوسط الحار الذي نعيش فيه ان نترجمها بالباردة . . .

وبهذه المناسبة نقول ان الاسكيماويين الذين يعيشون حول القطب الشمالي حيث البرد الدائم والثلج الذي لايريم[1] نحو تسعة اشهر يحسبون ان نعيم الآخرة دافئاً اما الجحيم فبارد مظلم . فهم على نقيض ما يعتقده العرب في ذلك

ومن فضائل اللغة العربية ومناقبها التي تحمد عليها سعة المجال للاشتقاق من الفاظها . وقد دعا هذا عدة من علماء اللغة الى التورط في عدة اغلاط . فمن ذلك ما وهموا فيه من ان الشعر مشتق من الشعور اي الاحساس والحقيقة ان اللفظة عبرانية وهي « شير » اي الغناء . واصل الشعر عند جميع الامم غناء . وقد وهموا ايضاً في اصل النحو فاشتقوه من فعل نحا والحقيقة انه مشتق من اسم يوحنا النحوي . وهو رجل كان يعيش في نحو في مديرية المنوفية ولم تكن الحروف العربية تعجم[2] في العصور الاولى فصار الرجل يسمى يوحنا النحوي ومن صفته هذه نشأت لفظة النحو

---

(١) لا يفارق (٢) تُنقَّط

ومن الالفاظ ما يدل على نشوء المعتقدات الاجتماعيـة . فمن ذلك الكهانة والطب . فقد كان الكهنة قديماً عند المصريين والاغريق عرّافين يزجون السحر بالقسوسية ويتنبأون عن المستقبل . ولا يزال في الكهانة معنى التنبوء كما يـدل على ذلك الفعل « تكهّن » . وقد كان الطب قديماً مزيجاً من الخرافات يزاولها السحرة والكهنة . وهو لا يزال كذلك عند الامم المتوحشة . ولا تزال معاجم اللغة العربية تقول ان الطب هو السحر

ومن اين كان يأتي العرب في عهد الدولة العباسية بالاماء ؟

تعرف الجواب على ذلك من لفظة «امة » فهذه اللفظة صينية لا تزال تستعمل للخادمة في الصين . وقد اشتهر عن الصينيين انهم كانوا يبيعون اولادهم ولعلهم يفعلون ذلك الآن . فهم كبغاث الطير ما اكثرَ ما يلدون وما اقلَّ ما يعملون في هذا العالم.

ومما هو جدير بالذكر اننا نجد جميع الفاظ الحضارة غير عربية . فهي إمّا رومانية او إغريقية او فارسية مثل قلم وقنطار ودينار وترف

وهذا بالطبع هو ما ننتظره من امة بدويّة نشأت في البيداء (الصحراء) وعاشت في الخيام . ثم هبَّت الى اكتساح جيرانها فاستعارت مدنيتهم واقترضت منهم الفاظ هذه المدنية

ومن الالفاظ التي تدل على كيفية اهتداء الانسان لاستعمال الآلات والادوات لفظة « قلة » فهي تعني في العربية اناء الشرب المعروف . ولها معنى قديم آخر وهو « رأس الانسان » وانما جاءت العـلاقة بين المعنيين من ان الانسان اول ما بدأ يستعمل الآنية كان لجهله بالصناعة يستعمل قحف الجمجمة . فلما صنع الآنية ابقى الاسم القديم

ولا يزال من المتوحشين من يفعل فعل ابائنا القدماء للآن

﴿ لمحة في الادب الروسي ﴾

« له ايضاً »

قال احد نقدة الادب الانكليز حـديثاً إنّ ظهور القصص الروسية في عالم

الادب كان من الحوادث العظمى التي تماثل في اهميتها ظهور موءلفات داروين في عالم العلوم

ولا اظن ان هذا قول قد القي على عواهنهِ فان الادب الروسي لا يكفي ان نقول فيه انه يمتاز على الادب الاوروبي لان وجود الامتياز مهما تعددت وجوهه قد يدل على وحدة النوع . والحقيقة ان الادب الروسي يختلف من حيث النوع لا من حيث الدرجة

فقارئ الآداب الانكليزية اذا انتقل الى الادب الروسي لا يعرف كيف يفاضل بينهما لانهما لا يشتركان في شيء . وانتقاله اشبه شيء بانتقال الانسان من عالم قد ألف عاداته وعاش في جوّهِ الى عالم آخر لم يره من قبل ولكنه مع ذلك يوءثره على عالمه القديم

ولقد خطر ببالي عدة مرات ان اتعرف الاسباب الفارقة بين الادب الغربي والادب الروسي . فلم اهتدِ الا الى سبب واحد اظنه عند البحث والاستقصاء جماع الفوارق بينهما

ينحصر هذا الفارق في سذاجة الادب الروسي وخلوه من التكلف اياً كانت ضروبهُ . وهذه السذاجة لا تقف عند حد الصنعة الكتابية وخلو الاساليب الروسية مما نسميه بلاغةً وبديعاً بل هي تعدو ذلك الى صفات ابطال القصة . فهم اشخاص حقيقيون ليس في خلقهم تصنع . فالموءلف لا يرائي ولا يخدع القارئ في تصويرهم . فاذا اراد تولستوي مثلًا ان يصف امرأة جميلة لم يمنعه هذا الوصف ان يقول ان انفها كان كبيرًا . واذا اراد دستوئفسكي ان يصف مجرماً خبيثاً لم يمنعهُ هذا الوصف عن القول بان قلبه قد تفطر عند روءية فتاة منكوبة . اضف الى هذا ان القصة لهذه السذاجة ايضاً لا تحتوي على شيء مما قد ألفه قرّاء القصص الغربية من وجود عقدة او مسألة هي عمود القصة يأخذ الموءلف في كشف استارها واحدًا بعد آخر حتى يصل الى النهاية

فالقصص الروسية تتّسم بالسذاجة التامة وهي لا تعدو ان تكون وصفاً

لحوادث يومية عادية اسلوبها خلوٌ من جميع ضروب التكلف البديعي واشخاصها ليسوا « ابطالاً » اذا كانت هذه اللفظة صفة الذين يأتون بالخوارق والمعجزات

ولعل القارئ يتساءل الآن : كيف تكون السذاجة ميزةً يمتازها الادب ونحن قد ألفنا وتعلمنا ونشأنا على ان دقة الصنعة تحتاج الى ضروب من التكلفات فيما نسميه البديع والبيان والى ان القصة اذا كانت حوادثها مألوفة ولم تكن فيها مفاجئات لم تكن مما تلذ احداً مطالعتها

فلكي نجيب على ذلك يجب ان نميز بين الفن والصنعة . فالفن هو الشعر والصنعة هي النظم في تأليف القصائد . وقد يكون الانسان شاعراً عظيماً دون ان يكون نظّاماً بارعاً . وبين نَقَدة الرسم والتصوير مَن يفهم فن الرسم ويجيد نقده وتمحيصه وتمييز غثه من ثمينه ولكنه مع ذلك لا يفهم صنعة التصوير لانه لم يتعلم كيمياء الالوان وكيفية مزجها

ولكي نزيد الموضوع ايضاحاً نضرب مثلاً بالنجار فهو يستطيع صنع الاثاث. يقبض على الخشب بيد ماهرة ماكرة فيطاوعه مطاوعة العجين للعاجن . ولكننا نحن الذين لا نفهم في صنعة النجارة شيئاً نستطيع ان نبين له الفرق بين الاثاث الجيد الذي يدل على رقي ورفعة وبين الاثاث الرديء الذي يدل على ذوق دنيء منحط

فاذا عرفنا ذلك واستقر في ذهننا ان الصنعة دون الفن بقي علينا ان نفهم ان الفن الجيد العظيم لا يحتاج الى صنعة جيدة بل قل انه يكاد لا يحتاج الى صنعة مطلقاً

فاذا قال قائل : « خير الكلام ما قلّ ودل » او « الحلم سيد الاخلاق » لم تستطع زيادة جمال هذين القولين بان تقولهما في بيت منظوم . وذلك لانهما من الجمال والحكمة بحيث لا تزيدهما الصنعة شيئاً

ومن هنا نفهم ان الاديب كائناً ما كان فنُّهُ اذا تضلع من فنه هذا وحَذِقه وأشربت نفسه مبادئه صارت عنايته بالفن اكبر جداً من عنايته بالصنعة بل

يـكاد عندئذ لايحسب للصنعة حساباً . بخلاف الاديب الشادي فانه لضعف فنه ولأن نفسه لم تشبع بعدُ به يعمد الى الصنعة فيزين بها ما نقصه من الفن

وبعبارة اخرى نقول انه اذا كانت المادة الاصلية ثمينة لها في ذاتها قيمة لم تكن ثمَّ حاجة الى الصنعة الكبيرة . والعكس بالعكس

فلو كنا نأكل في صحاف من ذهب او نشرب في اكواب من فضة لرضينا بهذه الصحاف والاكواب ساذجة لا صنعة فيها . لان جمال الذهب والفضة يغني عن الصنعة

وكذلك الحال في الادب. نرضى به ساذجاً خالياً من صنعة البديع اذا كان هو في نفسه راقياً رفيعاً . لان رفعة الفن فيه قد اغنت عن الصنعة . كالغانية يغنيها جمالها الطبيعي عن التبرج واتقان الهندام

وكلامنا هذا لايتناقض وتطور الآداب العربية فقد كانت ساذجة في نهضتها الاولى حتى اذا جاء زمن الانحطاط ظهرت صناعات البديع

فميزة الادب الروسي هي سذاجته هذه التي تنم على رفعته الاصلية . فمن يقرأ القصص الروسية يجد فناً قد أغنى بذاته عن الصنعة

فهذا اذن هو الفرق بينه وبين الادب الغربي . فقد يقرأ الانسان القصة التي تزيد على الف صفحة لتولستوي فلا يجد المؤلف يحاول في احدى عباراتها ان يلجأ الى الصنعة او يؤثر في القارىء بخوارق الحوادث او غرائب الوقائع . فهو يسير بالقارىء يتحدث اليه عن اشياء مألوفة تحدث كل يوم فيشعر القارىء كأنه يكتب مذكرات يومية حقيقية

او اقرأ مثلاً قصص دستوئفسكي او اندريف فلا تجد اثراً للصنعة مهما فتشت عنه

ولعل القطعة الآتية التي اخترتها من احدى قصص دستوئفسكي تعدنموذجاً للطريقة الروسية التقريرية . وهي على صغرها تنبض بالحياة وتدل القارئ على ما ذكرناه من ان جمال الادب الروسي ينحصر في سذاجته . قال المؤلف يصف

« اي زوج لا تتبدد احقاده مهما كان مقدارها عندما يجلس الى زوجته ويرقبها وهي ترضع طفلها البكر ? ذلك المخلوق الصغير المتورد الذي يدفع ساقيه ويمدّ ذراعيه الصغيرتين وكأنهما قدور من اللبن . ثم هذه الاظافر النظيفة الصغيرة — أجل — انها لصغيرة حتى ليضحك الانسان منها عندما يراها . ثم انظر الى عينيه الصغيرتين تفيضان ذكاء حتى لتظن انهما تريان كل شيء

« نعم . انظر الى طفل يرضع . الا ترى كيف يلعب ويتلبط على صدر امه . الا ترى كيف انه عند مجيء والده يترك حلمة الثدي وينقلب على ظهره فيحدق في والده ويندفع ضاحكاً حتى لكأنه لن يسكت . ثم يأخذ الحلمة ثانياً وربما عضها اذا كانت نبتت اسنانه ثم ينظر الى والدته وكأنه يقول لها « لقد رضعت كل لبنك » اجل . اليست السعادة الكاملة هي اجتماع هذه الثلاثة : الاب والام والطفل ? وهل في العالم ما يضن به انسان لكي يتمتع بهذه اللحظات ? »

﴿ اخلاق البشر وطباعهم ﴾

« من مقال لأحمد فارس الشدياق »

من الناس من يتعلم العلم وهو مجبول على صفات حميدة فيزداد هدًى ورشداً وورعاً ودماثة اخلاق وحسن تصرف واستقامة طبع ونزاهة نفس وصفاء عقيدة واخلاص مودّة وسلامة نية وعفة قلب ولسان وانبساط يد . فمثله كمثل الجوهر الشفاف اذا قابله شعاع الشمس . او كمثل اناء من زجاج نظيف صافٍ اذا وضع فيه الماء لم يغير من طبعه شيئاً . فتراه دائماً مقبلاً على نفع الناس ساعياً في اصلاح شؤونهم وتسنية احوالهم باذلاً اقصى جهده في تسكين خواطرهم ولمّ شعثهم وتأليف متفرقهم وتسلية حزينهم وارشاد غاويهم وتأييد ضعيفهم . وليس من همّهِ التردد على ابواب الامراء والخضوع لحجّابهم وملاينة خدمتهم ولا استعطاف ذوي الثروة والعز حتى ينال منهم وظيفةً او رزقاً ، ولا التشدق بالابيات والنوادر

حتى يعجب السامعين ويحملهم على اكرامه وتعظيمه ، ولا التعرض لما لايعنيه حتى يقال فيه انه ذو همة وسعي . وانما همه كله في مراعاة ما يقتضيه العلم وهو فعل الخير لوجه الله تعالى

فهذا هو العالم الذي يحمد حيًّا وميتاً ويبقى اسمه مذكورًا بالخير في كل مكان وزمان وهو الذي يتبرَّك الناس بنقل اقواله كما يرتاحون لحمد افعاله . وكلما ذكرت سجية حسنة وخلة مستحسنة ذكروهُ بها ونسبوا اليه كثيرًا من امثالها . فان من طبع الناس ان ينسبوا الى من عُرِف بالمحامد والفضائل في عصره كل حمد وفضل عُرِفا لغيره

ومنهم من يتعلمه وهو مجبول على بعض صفات ذميمة فيتهذب به بعض التهذُّب ويتغير به بعض التغيُّر فشأنه ان يبقى فيه علمه وشرُّه كالقرنين المتكافئين . فمرَّةً يقوى علمه على شره وذلك اذا تذكر ما مرَّ به من قصص الصالحين وسيرة اهل السمت والخير فيؤثر الاقتداء بهم . ومرة يقوى شره على علمه اذ يطمس على قلبه فينسى ما قرأه وسمعه ويتبع هواه . فمثله كمثل الشمس في شهر الغيم تبدو مرة وتختفي اخرى . وهذه الحالة هي التي تحيِّر الناس في وصفه فترى بعضهم يمدحونه كل المدح وبعضهم يذمونه كل الذم . وكل في نفس الامر صادق الَّا أنَّ العادة أنَّ خلة واحدة مستهجنة تمحو خلالاً كثيرة مستحسنة . فكأيّن من محسن مجبول على الاحسان زلت به قدمه مرة فصارت حسناته كلها في اعين المتعنتين عليه سيئات

ومنهم من يتعلمه وهو على الاخلاق الذميمة فلا يزداد به الا طيشاً وتترُّعاً (١) الى الشر واضطراباً في الرأي وحدَّةً في الطبع وشراسة في المعاملة وتطاولاً على حقوق الناس وتهافتاً على الطعن فيهم . فمثله كمثل شمعة موقدة معرضة لعواصف الرياح فلا تزال الرياح تعبث بها يمنة ويسرة حتى يتمنى الناظر اليها اطفاءها بالمرة

---

(١) تسرُّعاً

ثم ان كل علم نافع وكل نافع ممدوح الا انه ينبغي النظر في حقيقة معنى النافع . فان من يقصد العلم لينفع به نفسه دون غيره لم يبقَ ذاك النفع الخاص مستوجباً للمدح العام . وكيفية اقتصار الانسان على نفع نفسه هو ان يزدري بغيره حتى يصير مرجع المسائل اليه، وأن يستحل اموال الناس بما تسوّل اليه وساوس نفسه من انهم لم يحرزوها على وجه الحق، وأن يتهددهم باظهار عيوبهم في الاماكن التي ينتابها حتى ينيلوه كل ما يقترحه عليهم ، وان يغري زيداً بعمرو ويضري عمراً على زيد ويتربص بهما الرزايا والبلايا فيرزأ من كلّ منهما . واقبح من ذلك أن يتعرض لغيره اذا عرف انه ينال رزقاً فيسعى في قطع رزقه وإن لم يَعُدْ عليه ذلك بعائدة . فنفعُ نفسه هنا غير حقيقي وانما هو باعتبار ضر غيره . وهو مثل ابليس لا محالة لان ابليس لا نفع له من وقوع البشر في المهالك الموبقات الا الشماتة بهم، او مثلُ الجُعَل الذي يرتاح لحمل الاقذار ويأنف من رائحة الطيب . ومن العيب كلّ العيب أن يظل العالم مترقباً زلة غيره ومتربصاً لحلول الشر به ولا لذة له من ذلك ولا نفع سوى مجرّد وقوع الضر بمن يكرهه . فاذا اردت ان تختبر جليسك لتعرف من اي صنف هو من هذه الاصناف الثلثة فاذكر له نعمة انسان وفضله وعلمه فان رأيته قد فرح بذكرها وتمنى بقاءها عليه فهو من الصنف الاول . وان رأيته قد سكت او نسب ذلك الى بطر الزمان وعوارض السعد فهو من الصنف الثاني . وان رأيته قد امتعض فهو من الثالث وهو الذي لا يحب خير احد . وهو الذي علمُهُ فيه كالقرط في اذن السنّور او كالنعومة في بطن الثعبان . وهو الذي يجب الاحتراز منه كما يحترز من الجاهل بل اكثر، لان كلام الجاهل لا يؤثر في احد وانما التأثير لكلام العالم الا ان الحق عصمة كل معتصم به وفعل الخير جنّةُ كل من تحصن به . فاذا واظبت على حب الحق وفعل الخير فلا تخشَ شرّ احدٍ من الناس . وما عليك اذا تجنّى الناس عليك وانت بريء عند الله ؟ فعليه وحده عوّلْ وبه اعتصم واليه التجىء ومنه استهدِ والله يهدي من يشاء

الباب الثامن

في الرسائل

﴿ كتب بعضهم الى امير ﴾

انا من لا يحاجّك عن نفسه ولا يغالطك في جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالزلة . وقال الحسن بن وهب

ما احسن العفو من القادر   لا سيما عن غير ذي ناصر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي   فما له غيرك من غافر
اعوذ بالود الذي بيننا   ان يفسد الاول بالاخر

﴿ وكتب بن مكرم الى بعض الرؤساء ﴾

نبت بي غرّة الحداثة فردتني اليك التجربة وقادتني الضرورة ثقةً باسراعك اليّ وإن ابطأت عنك وقبولك لعذري وإن قصرت عن واجبك . وان كانت ذنوبي سدت عليّ مسالك الصفح عني فراجع فيّ مجدك وسؤددك . واني لا اعرف موقفاً اذل من موقفي لولا ان المخاطبة فيه لك ولا خطةً ادنى من خطتي لولا انها في طلب رضاك

﴿ وكتب ابو بكر الخوارزمي الى ابي عليّ ﴾

لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ   كنت كالغصّان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء مَن لا يهتدي الى اوجه الداء . وكيف يداري اعداءَهُ من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء . وكيف يعالج علة القرحة

العمياء ام كيف يسري بلا دليل في الظلماء . ام كيف يخرج الهارب من بين الارض والسماء . الكريم ايد الله الشيخ اذا قدرَ غفرَ واذا اوثق اطلق واذا أسرَ اعتقَ . ولقد هربت من الشيخ اليه وتسلحت بعفوه عليه والقيت ربقة حياتي ومماتي بيديه . فليذقني حلاوة رضاه عني كما اذاقني مرارة انتقامه مني ولتلح على حالهِ غرَّة عفوه كما لاحت عليها مياسم غضبه وسطوهِ . وليعلم ان الحر كريم الظفر اذا نال انال وأن اللئيم لئيم الظفر اذا نال استطال وليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار ولينتهز فرص الاقتدار وليحمد الله الذي اقامه مقام من يرتجى ويخشى وركَّب نصابه في رتبةٍ شاب الزمان ومجدها فتيٌّ واخلق العالم وذكرها طريٌّ . فجعله في الميلاد كريمها وسليلها وفي الرتبة قدوتها وجليلها . وليعتقد انه قد هابه من استتر ولم يذنب اليه من اعتذر . وان من رُدَّ عليه عذره قد أُخرج الى الشجاعة بعد الجبن وأُخرج ذنبه الى صحة اليقين من سترة الظن . وفق الله الشيخ لما يحفظ عليه قلوب اوليائه وعصمه مما يزيد به على عدد جماجم اعدائه . وليس بين الموالاة والمعاداة الّا لقية بشعة او لفظة قذعة

﴿ وكتب احمد بن يوسف الى بعضهم ﴾

لولا حسن الظن بك اعزك الله لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن الطلبة اليك . ولكن أمسكَ برمق من الرجاء علمي برأيك في رعاية الحق وبسط يدك الى الذي لو قبضتَها عنه لم يكن له الّا كرمك مذكرًا وسوددك شافعاً

﴿ وكتب العتابيّ الى بعض اخوانه ﴾

لو اعتصم شوقي اليك بمثل سلوّكَ عني لم ابذل وجه الرغبة اليك ولم اتجشم مرارة تماديك . ولكن استخفتنا صبابتنا فاحتملنا قسوتك لعظيم قدر مودتك . وانت احقُّ من اقتصَّ لصلتنا من جفائه ولشوقنا من ابطائه

﴿ وكتب بعضهم الى صديق له عليل ﴾

ليست حالي اكرمك الله في الاغتمام بعلتك حالَ المشارك فيها بأن ينسالني تصيب منها واسلم من اكثرها · بل اجتمع عليَّ منها أني مخصوص بها دونك مؤلم منها بما يؤلمك · فانا عليل مصرَّف العناية الى عليل كأني سليم · واسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك ان يخصني بها فيك فانها شاملة لي ولك

﴿ وكتب بعضهم في المعنى نفسه ﴾

لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة ما اغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصاً عن خبرك . ومحبك يجب ان تتقسم جوارحه وَصَبَكَ وإنْ زاد في ألمها ألمك وأن تتصل به احوالك في السراء والضراء · ولما بلغني افاقتك كتبت مهنئاً بالعافية معفياً من الجواب الا بخبر السلامة ان شاء الله

﴿ وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذ له عليل ﴾

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه ثم غمني اطلاعي عليه لما تضمنه من ذكر علتك · جعل الله اولها كفارة واخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرًا وعلى الاخرى شكرًا · وبودي لو قرب عليَّ متناول عيادتك فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك · فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك ومرض قلبي فيك لمرض جسمك · واظن اني لو لقيتك عليلًا لانصرفت عنك وانا اعلُّ منك · فاني بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائي غير جلدٍ على اوجاع اصدقائي · ينبو عني سهم الدهر اذا رماني · وينفذ فيَّ اذا رمى اخواني · فاقرب سهامه مني ابعد سهامه عني كما ان ابعدها عني اقربها مني · شفاك الله وعافاك وكفاني فيك المحذور وكفاك · ورفع حبك وغفر ذنبك وآمن سربك وشرح قلبك واعلى كعبك

﴿ وكتب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان ﴾
« في يوم النيروز »

ايها السيد الشريف عشت اطول الاعمار بزيادة من العمر . موصولةٍ بفرائضها من الشكر . لا ينقضي حقٌ نعمة حتى يجدّد لك اخرى ولا يمر بك يوم الا كان مقصرًا عما بعده موفياً عما قبله . اني تصفحت احوال الاتباع الذين يجب عليهم الهدايا الى السادة والتمست التأسي بهم في الاهداء و إن قصرت بي الحال عن الواجب. فوجدت أني إن اهديت نفسي فهي ملكٌ لك لا حظ فيها لغيرك . ورميت بطرفي الى كرائم مالي فوجدتها منك . فان كنت اهديت منها شيئاً فاني لمهدٍ مالك اليك . ونزعت الى مودتي فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة . فرأيت إن جعلتها هديتي أني لم اجدد لهذا اليوم الجديد برًّا ولا لطفاً . ولا اميز منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك الا كان الشكر مقصرًا عن الحق والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة . فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك والاقرار بالتقصير عما يجب لك برًّا اتوصل به اليك وقلت في ذلك

إن أُهدِ مالاً فهو واهبهُ ... وهو الحقيق عليه بالشكر
او أُهدِ شكري فهو مرتهنٌ ... بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغني اذا طلعت ... أن تستضيء بسنَّةِ البدرِ

﴿ وكتب عبد الحميد بن يحيي يوصي احد اصدقائه بصديق له ﴾

حقٌ موصل كتابي عليك كحقه عليَّ اذ جعلك موضعاً لأمله ورآني اهلًا لحاجته . وقد انجزتُ حاجته فصدِّق امله

﴿ وكتب الجاحظ في المعنى نفسه ﴾

اما بعد فان فلاناً اسبابُه متصلة بنا يلزمنا ذمامه وبلوغ مكافأته من اياديك عندنا . وانت لنا موضعُ الثقة من مكافأتهِ فأولِنا فيه ما يعرفُ به موقعنا من رأيك ويكون مكافأة لحقهِ علينا

﴿ وكتب الوزير الكاتب ابو المطرّف ابن الدباغ ﴾

« الى ابن حسداي »

كتابي وانا كما تدريه غرضٌ للايام ترميه . ولكني غير شاكٍ من آلامها لأن قلبي في اغشيةٍ من سهامها . فالنصل على مثله يقع والتألم بهذه الحالة قد ارتفع . كذلك التقريع اذا تتابع هان والخطب اذا اشتدَّ لان . والحوادث تنعكس الى اضدادها اذا تناهت في اشتدادها وتزايدت على آمادها

﴿ وكتب عبد الحميد بن يحيي الى اهله وهو منهزم مع مروان ﴾

اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها . ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها . وقد كانت اذاقتنا افاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا موليةً . فملح عذبها وخشن ليّنها . فابعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان . فالدار نازحة والطير بارحةٌ . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً . فان تتم البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا . وان يلحقنا ظفرٌ جارح من اظفار مَن يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذلُّ شرُّ جار . نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم أُلفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين

﴿ وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمزاني من رسالة ﴾

« الى ابي نصر ابن المرزبان »

كنت اطال الله بقاء سيدي ومولاي في قديم الزمان اتمنى للكتّاب الخير واسأل الله ان يدرَّ عليهم اخلاف الرزق . ويمد لهم اكناف العيش . ويوطئهم اعراف المجد . ويؤتيهم اصناف الفضل . ويركبهم اكتاف العز . وقصارايَ أن ارغب الى الله تعالى في ان لا ينيلهم فوق الكفاية . ولا يمد لهم في حبل الرعاية . فشدَّ ما يطغون للنعمة ينالونها . والدرجة يعلونها . وسرعَ ما ينظرون من عال .

بما ينظمون من حال . ويجمعون من مال . وتنسيهم ايام اللدونة اوقات الخشونة . وازمان العذوبة ساعات الصعوبة . وللكتّاب مزية في هـذا الباب فبينا هم في العطلة اخوان كما انتظم السمط . وفي العزلة اعوان كما انفرج المشطُ حتى لحظهم الجد لحظةً حمقاء بمنشور عمـالة . او صك جعالة . فيعود عامر ودّهم خراباً . وينقلب شراب عهدهم سراباً . فما علت امورهم حتى اسبلت ستورهم . ولا غلت قدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صـدورهم . ولا اوقدت نارهم الاّ انطفأ نورهم . ولا زاد مالهم الاّ نقص معروفهم . ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم . ولا صلحت احوالهم الا فسدت افعالهم . ولا حسنت حالهم الا قبحت خـلالهم . ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم . ولا لانت برودهم الا صلبت خدودهم . ولا علت جدودهم الا سفل جودهم . ولا طالت ايديهم الاّ قصرت اياديهم . وقصارى احدهم من المجد أن لا يخرج ماله من عهدة خاتمه الا يوم مأتمه . فهو يجمع حادث حياته او وارث مماته . يسلك في الغدر كل طريق . ويبيع بالدرهم الف صديق

﴿ وكتب الخوارزمي الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته يهنئه ﴾

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه . وخطبته لسلمه بعد حربه . وما لا يزال يتعرفه منذ انقشعت ضبابة المحنة وانجلت غمرة الكربة . وهـكذا تكون احوال المقبلين . فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم رجعت فاعتذرت اليهم . والزمان اذا حاربهم خطأً سالمهم عمداً . فيستوفون في الحالين اجر المحنة وزيادة بشكر النعمة . ثم يختم لهم بما هو بحالهم اليق وبمقاديرهم اوفق . والمحنة اذا كانت عرضة للزوال فليست بمحنة كما ان النعمة اذ انتظر فيها التغير فليست بنعمة . والآن عُرف الشيخ بحقيقته ووُزِن بزنته . ووقف السلطـان والرعية على تفصيله وجملته . هذا وقد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب ووضعت في يده مرآة النظر في العواقب . وهذبت افعاله من كل شوب . وغسلت

عنه وضرّ كلّ عيب . على انه لم يزل مبرأ من كل رذيلة . ومخصوصاً بكل فضيلة . ولكن الايام عملها في التعليم . وخاصتها في باب التنبيه والتقويم . فالحمد لله الذي ردّ الى ذلك الامير جماله وبهاءهُ وعمر بابه وفناءهُ وسرّ شيعته واولياءه وغمّ حسدته واعداءه . ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشترى بالاثمان . ولا يوزن بالميزان . ولا يكال بالقفزان . ولا يرى مثله في هذا الزمان . كما لم يُرَ في سائر الازمان . ثم الحمد لله الذي حوّل كتبي من التعزية الى التهنئة واخرج القاضي من ميدان الصبر الى ميدان الشكر

﴿ وكتب ابو القاسم الى احد اصدقائه يعزيه ﴾

ترامى الينا مصابك بفلان . فخلص الينا من الاغتمام به ما يحصل في مثله ممن اطاع ووفى وخدم ووالى . وعلمنا ان لفقدك مثله لوعةً . وللمصاب به لذعةً . فآثرنا كتابنا هذا اليك في تعزيتك على يقيننا ان عقلك يغني عن عظتك . ويهدي اليّ الأولى بشيمتك والازيد في رتبتك . فليحسن اعزك الله صبرك على ما اخذه منك وشكرك لما ابقى لك . وليتمكن من نفسك ما وفر لك من ثواب الصابرين . واجزل من ذخر المحسنين

﴿ وكتب الشيخ محمد افندي عبده مفتي الديار المصرية ﴾

« الى سليمان البستاني يهنئه بتعريبه الالياذة »

دعاني اصدقاؤك واصدقائي الى الانس بك ساعة تهنئتك بالنجاح في ذلك العمل الادبي الذي كلفت بابداعه عدة من السنين . دعوني الى الاشتراك معهم في شكرك لما دأبت في السعي واخذت نفسك بالبحث والعناء في اختيار مسالك النظم لتهدي الى ابناء لغتك العربية من احاسن الصناعة العربية ما يعد زينة للناظرين

وكنت اكون اسرع الناس الى اجابة الدعوة لولا مانع ذنبُهُ اليّ ذنب العاذل الى عاشق الحسان . منعني الانس ولكن لم يمنعني ان اشاركهم في شكرك

تمّت لك ترجمة الالياذة لنابغة شعراء اليونان هوميروس المشهور . نسجت قريحتك ديباجة ذلك الكتاب كتاب الترجمة فاذا هو ميدان غزت فيه لغتنا العربية ضريعتها اليونانية . فسبت خرائدها وغنمت فرائدها وعادت الينا في حلل من آدابها تحمل الى الالباب قوتاً من لبابها . وما اجمل ذلك الغلب في زمن ضعف فيه العرب حتى عن الرغب في نيل الادب . فحق لك الشكر على كل من يعرف قيمة ما وفقت لاكماله من العمل . فقد سددت ثلمة كانت في بنية العلم العربي من عشرة قرون اغار قومنا على دفائن الفنون اليونانية في القرن الثالث من الهجرة وما بعده فنثروا منها ما كان مخزوناً ونشروا منها بين الناس ما كان مدفوناً . ولم يدعوا غامضاً الا جلوه ولا بعيداً الا قربوه . ونالت اللغة العربية بصنيعهم ذلك ما لم يكن في حسبانها ، فقد صارت لسان العلم والصنعة كما كانت لسان الدين والحكمة . لكن اولئك الاساطين الاولين كانوا يرون ان ذلك ما يفرضه الحق عليهم في جانب العلم الذي لا يختلف فيه مشرق عن مغرب ولا يتخالف في حقائقه الاعجم والمعرب . وظنوا ان ما وراء العلم من آداب القوم ليس مما يتناسب مع آدابهم لبعد ما بين انساب اولئك وانسابهم . فلم يمدوا نظرهم الى ما كان في اليونانية من دواوين الشعراء وما صاغته قرائح البلغاء . فلم تنل اليونانية ما نالت الفارسية والهندية . وكان مؤمل اللغة منهم أن لا يحرموها نفائس ما اخترع اليونانيون كما زينوها بزينة ما ابدع الهنديون والفارسيون . وبقي ذلك المؤمل في غيب حتى اتيت ترفع عنه الستر وجئت تقول للناس انني اتمم في دولة عباس[1] ما نقص في ملك بني العباس . فما اقر عين العربية بنيل طلبتها وظهور ما كان منتظراً من شيعتها . ارجو ان ينال كتابك من الاقبال عليه والانتفاع به ما يكافئ تعبك ويبعث همم العالمين على ان تتبعك والسلام

﴿ وكتب الشيخ ابراهيم اليازجي الى صديق له ﴾

ما زلت ادافع النفس فيما تتقاضاني من شكوى اشواقها وفي الشكوى شفاء ، واستنزال اثر من لدنك تتعلل به مسافة البين الى ان يمن الله باللقاء ، ومن دون

(١) يريد به عباس الثاني خديوي مصر

اجابتها مشاده قد شغلت الذرع وشواغل قد فرغ من دونها الوسع، الى ان غلب جيش الوجد على معاقل الصبر وزاحم مناكب العدواء حتى ضرب اطنابه بين الحجاب والصدر . فاتخذت هذه الرقعة ازجيها اليك وفيها من وقر الشوق ما ينوء برسولها،ومن رقة الصبابة ما يكاد يطير بها او يخلفها فيصافح الأعتاب قبل وصولها، واجياً لها ان تُتلقى بما عهد في سيدي من الطلاقة والبشر وان لا يضن عليها بما عودني من تمهيد العذر ، ويصلني من بعدها بانبائه الطيبة عائدة بما يكون للناظر قرّةً وللخاطر مسرّةً ان شاء الله

﴿ وكتب الى احد اصدقائه يجيبه على كتاب ارسله اليه ﴾

وافاني كتابك العزيز والنفس نازعة الى ما يزيل نفارها والقريحة تائقة الى ما يشحذ غرارها . فكان روضةً باسمة الكمائم فائحة النسائم قد ردّت على النفس انبساطها وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها . فانا منه ما بين وشيٍ يخجل طراز العبقرية وزخرفٍ دونه نضرة السابرية . تناجيني منه رشاقة ألفاظ تفضح قدود الحسان وغضاضة انفاس يغار منها ورد الجنان ورقة خطاب يشفّ عن ودٍ صفي ولطف حفي وكرمٍ وفيّ وعتبٍ اعذب من الماء القراح وأرق من نسمات الصبا في الصباح،حتى لقد حبب اليّ تقصيري وشفع عند نفسي في قبول معاذيري .على انما عندي من الولاء لا يعتريه معاذ الله وهنٌ ولا يخلقه تمادي زمن او ترامي وطن . ولكن صروف الاحداث قد قصرت الجهد وصرفت جواد العزيمة عن القصد . والله يعلم اني لو نزلت على حكم نوازل الدهر ولم ادافع طلائعها بما بقي من ساقة الصبر لما كان في همتي الا كسر اليراع وهجر المحابر والرقاع . وحسبي من العذر ما اعرفه من حلمك المألوف وما الفته من كرمك المعروف . والله اسأل ان يبقيك لي من الدهر نصيباً ويمتعني بلقائك قريبا بمنه وكرمه

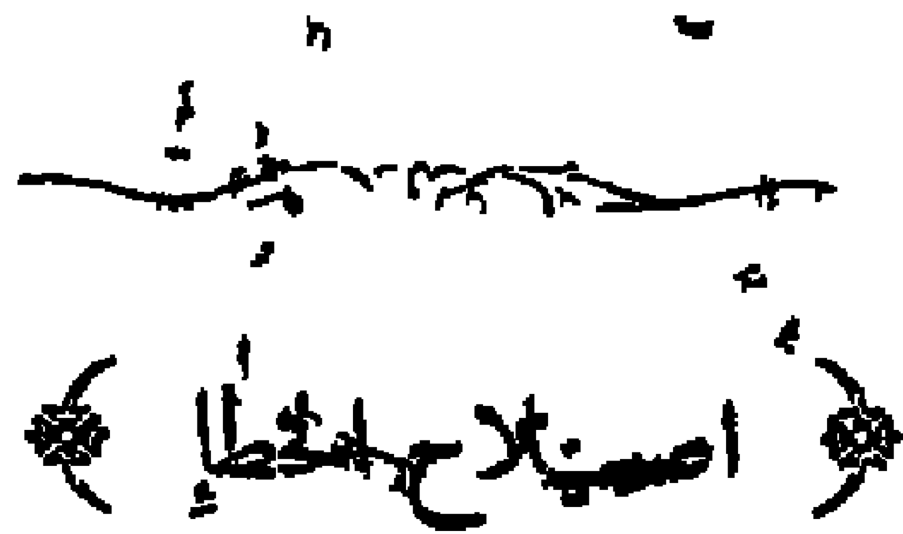
﴿ وكتب الى آخر يعزيه عن مصاب نزل به ﴾

اشباحٌ تروح وتجي وآجالٌ تمسي وتغتدي وانفاسٌ تتقطع من دونها حزناً

واسفاً وعبرات تتقطر وجداً ولهفاً . وما عمدت الاقدار الى استنزاف مدمعٍ ولا ارادت الايام ايلام موجعٍ . انما هي سنَّة : الخلق كونٌ يليه زوال وعقد يسبقه انحلال، وان لكل شيء اجلاً موقوتاً وان لكل اجلٍ سبباً مقدوراً . وان الانسان لفي كلِّ ذلك شاهدٌ يسمع لاهياً ويبصرُ ساهياً وليس في يده ان يسترد ماضياً ولا ان يرد آتياً . ولقد وددتُ ان أعزيك لولا ما يغالبني على العزاء من كبدٍ حرَّى ومقلة شكرى وزفرة تترى . ثم وددت ان استبكيك لولا اني بكيتُ حتى لم ادع في البكاء من واد واحييت لياليَّ بالنوح حتى ما بالنجم سهاد . ثم لم يزدني البكاء على سقم جسدي ولم يزدني النوح على صفر يدي الاَّ من كبدي . فان الاقدار سهام اذا انطلقت لم تردّ وان المتطلع الى الفائت لطويل شُقَّة الكمد وان الخطوب لهي هي وانما تتفاوت عند الجلد

وان الحصى عند الجزوع ثقيلة وضخم الصفا عند الصَّبور خفيفُ

واني لارجو في عقلك وحلمك انك قد صرت من جانب العزاء ثم احمد الله على نجاتك . ان لنا في بقائك العوض والتأساء فلقد قلَّبت التلوب على جمرات لا تدري ايها اذكى ضراماً ثم اوردتها من سلامتك ما رأتِ الشكوى بعده ظلماً والتظلم حراماً . والحمد لله لا معقبَ لحكمهِ وهو المسؤول في اطالة بقائك قرَّةً للعيون وجبراً لخاطر المحزون بمنه وكرمه



﴿ اصلاح الخطإ ﴾

وجه	سطر	خطأ	صواب
٢١٥	٢	والتقت أجمَعُها	والتقوا كُلُّهمُ
٢٣٨	٦	ديكِ	رَبِكَ

وبقي هناك اغلاط مطبعية وقعت سهواً مما يتسنى للأساتذة الألبَّاء التنبه له وتداركه بالصواب

فهرس الجزء الخامس من جواهر الادب

صفحة

صفحة

الباب السابع — في المقالات

صفحة